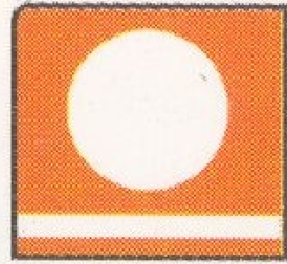
حولية
التاريخ الإسلامي والوسيط

المجلد الثالث
٢٠٠٣

دورية سنوية مُحكَّمة تعنى بالدراسات التاريخية الإسلامية والبيزنطية وأوربا العصر الوسيط

يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط - جامعة عين شمس



حولية التاريخ الإسلامى والوسيط

دورية سنوية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية الإسلامية والبيزنطية

المجلد الثالث

٢٠٠٣م

يصدرها

سمنار التاريخ الإسلامى والوسيط

جامعة عين شمس

عدد خاص يصدر على شرف ا.د. على الغمراوى

الناشر

مصر العربية للنشر والتوزيع

١٣ أ شارع إسلام–حمامات القبة–القاهرة

حولية التاريخ الإسلامى والوسيط

دورية علمية سنوية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية الإسلامية والبيزنطية

يصدرها

سمنار التاريخ الإسلامى والوسيط ، جامعة عين شمس

المشرف العام : ا.د./ اسحق عبيد

رئيس التحرير : ا.د./ محمود إسماعيل

نائب رئيس التحرير: د./ طارق منصور

الأعضاء : ا.د./ أحمد رمضان أحمد

ا.د./ علية الجنزورى

ا. د./ فتحى أبو سيف

سكرتير الحولية: ا./ عبد العزيز رمضان

- ترسـل المراسـلات والطلبات باسم هيئة تحرير الحولية أو باسم د. طارق منصور وكذلـك البحوث على العنوان التالى كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ، مصر. ص.ب.١١٥٦٦ ، فـاكس: (٢٠٢٠٠) ٦٨٥١٤٣٢ بـريد اليكـترونى tm_jmih@hotmail.com ، شريطة ألا تكون قد سبق نشرها فى مكان آخر من قبل، وأن تكـون مكـتوبة على الحاسب الآلى IBM ، Word 2000، حسب المواصفات التالية:

١- البحوث المكتوبة باللغة العربية:

العنوان الرئيسى فونت ١٤ أسود ، العنوان الفرعى فونت ١٣ أسود

الخط Simplified Arabic ، فونت ١٣

الهوامش فونت ١١

المسافة بين السطور مفرد للنص وكذلك للهوامش

مواصفات الصفحة ١٢,٥ X ١٩,٥ ؛ هامش علوى ٥,١، سفلى ٥,١، يسار ٤,٢، يمين ٤,٣ سم

٢- **البحوث المكتوبة بلغة أجنبية:**

العنوان الرئيسى فونت ١٣س أسود ، العنوان الفرعى فونت ١٢ أسود

الخط Times New Roman ، فونت ١٢

المسافة بين السطور متعدد single للنص ، exact للهوامش

مواصفات الصفحة ١٢,٥ X ١٩,٥ ؛ هامش علوى ٥,١، سفلى ٥,١، يسار ٤,٢، يمين ٤,٣ سم

- يرسل البحث من نسختين بالإضافة إلى القرص المرن الخاص به مقاس ٣,٥ .
- تقبل البحوث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية.
- آخر موعد لتلقى البحوث شهر أكتوبر من كل عام .
- يكتب اسم الباحث ووظيفته أسفل العنوان الرئيسى للبحث مباشرة .

المحتويات

أولاً: القسم العربي

أ: الدراسات والبحوث

ب: عرض الكتب

ثانيا: القسم الأجنبي

ا: أولا البحوث والدراسات

B: Book Review

المشاركون في العدد*

ايرينا فدوفتشينكو	مدرس التاريخ والآثار البيزنطية– جامعة تاوريدا الوطنية – أوكرانيا.
بيتر فرانكوبان	مدرس التاريخ البيزنطى، جامعة اكسفورد، إنجلترا.
جوان مونفيرر سالا	أستاذ الدراسات السامية، جامعة قرطبة، أسبانيا.
حاتم الطحاوى	مدرس تاريخ العصور الوسطى، جامعة الزقازيق، مصر.
رأفت عبد الحميد	أستاذ تاريخ العصور الوسطي – جامعة عين شمس– مصر.
زينب عبد المجيد	مدرس تاريخ العصور الوسطي– جامعة الزقازيق – مصر.
طارق منصور	مدرس تاريخ العصور الوسطي– جامعة عين شمس– مصر.
عبد العزيز رمضان	مدرس مساعد تاريخ العصور الوسطي– جامعة عين شمس مصر.
ماريا فايوو	مدرس التاريخ البيزنطى، جامعة اكسفورد، إنجلترا.
محاسن الوقاد	مدرس التاريخ الإسلامي – جامعة عين شمس – مصر.
محمد مؤنس عوض	أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد – جامعة عين شمس– مصر.
وفاء عبد الله مزروع	مدرس تاريخ العصور الوسطى، المملكة العربية السعودية.

*هذه الأسماء مرتبة ترتيبا هجائيا.

تقديم

يسعد هيئة تحرير حولية التاريخ الإسلامى والوسيط أن تقدم للقارىء عامة والباحث بصــفة خاصة العدد الثالث، الذى يحوى بين جنباته، وكعادة المجلة، مجموعة طيبة ومتميزة من الدراسات والبحوث المكتوبة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية؛ وجميعها تتسم بالعمق والجدية والأصالة التاريخية.

وقــد رأت هيــئة الــتحرير أن تصدر العدد الثالث على شرف عالم جليل يشار إليه بالبنان، كواحد من أبرز مؤرخى مصر لتاريخ العصور الوسطى، وهو العالم الجليل المرحوم أ.د. علــى الغمــراوى، الذى تمر عشر سنوات على وفاة سيادته جسداً، بينما لا تزال روحه تــتعلق بهــا أفئدة كل من صافحه أو جالسه يوماً ما. وقد تفضل الدكتور محمد مؤنس بكتابة ورقة عن سيادته يحصى فيها أعماله وإسهاماته في شتى المجالات العلمية والأدبية.

أمــا عن هذا العدد فنقدم فيه دراسة تتسم بالجدية والطرافة للمرحوم أ.د. رأفت عبد الحمــيد، عن " التاريخ بين الرواية الشفهية والوثيقة التاريخية"، وهى من البحوث التى ألقاها سـيادته ولم يسعفه الوقت لنشرها. وقد استطاع تلميذه الــ د.طارق منصور، أن يحصل على نسـخة مــن مخطوطة المقالة ليتضمنها هذا العدد، لتزيده ثراءً. وفى هذه المقالة يناقش أ.د. رأفــت عبد الحميد أهمية الوثيقة التاريخية والفارق بينها وبين الرواية الشفهية وأثر ذلك على التدوين التاريخى.

ويــأتى بعد ذلك بحث السيدة الدكتورة/ زينب عبد المجيد، عن جامعة أكسفورد في العصــور الوسطى"، وهو بحث يتسم بالعمق والجدية وحداثة الموضوع، وقد تمكنت سيادتها مــن تغطية تاريخ نشأة جامعة أكسفورد وتطورها التاريخى من شتى الجوانب، بحس تاريخى عال يحسب لها.

أما السيد/ عبد العزيز رمضان، فيقدم في ورقته الشيقة مدخلاً للباحثين في العصور الوسـطى إلــى مواقــع الانترنت التى تعنى بالدراسات البيزنطية بصفة خاصة، ويعكس هذا عنوان ورقته "مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على الانترنت "، والتى يجمل فيها خبرته في هذا المجال حتى يهتدى بها الباحثين وكل من يسعى إلى السير في دروب بيزنطة.

وتــأتى دراســة الســيدة د/ محاســن محمد على الوقاد المطولة عن "الحجابة زمن سـلاطين المماليك" لتزيد من ثراء العدد. حيث حرصت هيئة التحرير على نشر هذه الدراسة في عدد واحد، بدلاً من اقتسامها على عددين، حتى تتم الفائدة للقارىء. والدراسة التى تقدمها سيادتها عن الحجابة زمن سلاطين المماليك، تمكنت فيها من الإلمام بشتى جوانب الموضوع، بالإضــافة إلى تحملها عبء إعداد عدد كبير من الإحصائيات والجداول التاريخية التى أثرت

الدراسة، وأضافت إليها الكثير. ومن ثم فهى دراسة تتشرف هيئة التحرير بتقديمها إلى القراء الأعزاء بكل فخر وتقدير.

وتـأتي بعـد ذلـك ورقة الدكتور/ محمد مؤنس عوض، عن "أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢ – ١٣م" والتى يمكن القول أنها دراسة مميزة في حقل الصليبيات ومنهج الكتابة التاريخية فيها.

أمـا آخـر الـبحوث العربية فهو بحث الدكتورة/ وفاء مزروع من المملكة العربية السـعودية، وهو بعنوان "الفيكنج وإغارتهم على الإمبراطورية الكارولنجية"، وهو بحث طيب حاولـت الباحثة فيه أن تقدم صورة تاريخية لغارات الفيكنج على مملكة الفرنجة في العصور الوسطى سواء في عهد شارلمان أو خلفاءه.

ونـأتي إلى عروض الكتب العربية حيث يقدم الكتور/ حاتم الطحاوى عرضاً لكتاب المؤرخ الأمريكى جون اسبوزيتو عن "التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة؟".

ونـأتي إلـى قسـم البحوث الأجنبية حيث شارك فيه عدد من الأساتذة من إنجلترا وأسبانيا ومصر وأوكرانيا، حيث يقوم الدكتور/ بيتر فرانكوبان وهو أستاذ للدراسات البيزنطية بجامعـة أكسفورد، دراسة بعنوان " Some notes on Byzantine foreign policy in the 9th – 11th centuries: was there really such a thing as steppe diplomacy? " ليست ببعيدة عن الدبلوماسية البيزنطية في منطقة الأستبس.

أمـا أ.د. مونفيرر سالا، الأستاذ بقسم الدراسات السامية بجامعة قرطبة، فيقدم بحثاً بعـنوان " From Greek into Arabic; some notes about translation and exegesis in a 13th cent. Christian Arabic work " يقدم فيه دراسة مهمة مع تعليقات عن نص عربى من التراث المسيحى في العصور الوسطى.

ويأتي بحث الدكتور/ طارق منصور وهى بعنوان " Ibn Manglī between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences " ليقدم فيه دراسة مقارنة بين مؤلف مملوكـى، ابـن مـنجلى، وليو السادس الحكيم ليثبت فيها أن الأول نقل كثيراً من النصوص الواردة في تكتيكا ليو الحكيم إلى العربية، محاولاً الإجابة على عدد من الأسئلة المهمة في هذه الدراسـة المقارنة؛ والتى كانت ورقة ألقاها في المؤتمر الدولى للدراسات اليونانية والشرقية، الذى عقد باليونان في عام ٢٠٠٠م.

أخـيراً تقـدم السـيدة الدكتورة/ إيرينا فونتشنكو، من جامعة تاوريدا بأوكرانيا بحثاً بعنوان " La musique dans la vie des barbares et des Grecs qui habitaient le littoral septentional de la mer noire

أمـــا عن عروض الكتب الأجنبية فتقدم الدكتورة/ ماريا فايوو، مدرسة التاريخ البيزنطي بجامعـــة أكســفورد، بإنجلــترا، عرضـــاً لكــتاب باليونانـــية عـــن الإســلام عـــنوانه "

' Αναστασίου Γιαννουλάτου,' Αρχιεπισκόπου Τιράνων και
' πάσης' Αλβανίας,' Ισλάμ. Θρησκειολογική επισκόπησις,
(Islam. A General Survey), 1st edition 1975, (Athens, 2001).

ولا يســع هيــئة تحرير الحولية في نهاية هذه الكلمة إلا أن تشكر الدكتور/ طارق منصــور، نائــب رئــيس تحريــر الحولية، على الجهد الكبير الذي قام به في متابعة أعمال "الســمنار" ودأبــه وصدق عمله وتفانيه في جمع هذه المادة العلمية التي ضمها هذا العدد من الحولــية، ومباشرة أمور الطباعة بدقة بالغة، فله من إدارة السمنار وهيئة تحرير الحولية كل الشكر والتقدير ودوام التوفيق.

وانـــه ممـــا يســـعد أمانـــة السمنار وهيئة تحرير الحولية بالغ السعادة أن تتلقي كل الملاحظات والمقترحات التي تتناول الحولية بالنقد العلمي الهادف وصولاً بها إلي مكانة علمية مرموقة ترتجيها وإليها نسعي.

هيئة تحرير الحولية



الأستاذ الدكتور على محمد الغمراوى

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

١٩٢٦-١٩٩٣م

أولاً. القسم العربى

أ: البحوث والدراسات

من مؤرخي مصر الرواد لمرحلة العصور الوسطى
أ.د. على الغمراوى (١٩٢٦ – ١٩٩٣م)

د. محمد مؤنس عوض*

مصر

فى الصفحات التالية أتناول بالعرض سيرة حياة مؤرخنا الراحل أ.د. على الغمرواى؛ أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب – جامعة عين شمس سابقاً، كذلك أتعرض لمؤلفاته سواءً الكتب أو البحوث؛ لإلقاء الضوء على آثار ذلك المؤرخ البارز الذى رحل جسداً ولا تزال روحه العلمية متوهجة في عقول تلاميذه.

ولد أ.د. على محمد محمود الغمراوى فى ٢٦ يناير عام ١٩٢٦م بالمنيا بصعيد مصر وفيما بعد انتقلت عائلته إلى القاهرة، وتلقى تعليمه فى مدارس بنبا قادن الابتدائية ثم مدرسة الأمير فاروق الابتدائية، وكذلك مدرسة الأمير فاروق الثانوية، ثم التحق بجامعة القاهرة (التى كانت تعرف باسم جامعة فؤاد الأول) فى قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، وحصل على درجة الليسانس من القسم المذكور عام ١٩٤٦م، ثم اتجه إلى دراسة القانون فالتحق بكلية الحقوق بالجامعة المذكورة في المدة من ١٩٤٦م إلى ١٩٥٠م، وعمل بالمحاماة على مدى ثلاث سنوات من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٣م، وفى العام الأخير تم تعيينه معيداً في كلية الآداب – جامعة عين شمس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية. ومن بعد ذلك غادر أرض الكنانة في بعثة عام ١٩٥٤م خلال شهور الصيف للإطلاع على مكتبات باريس، ولندن، وذلك بتوجيه من أستاذه الراحل أ.د. سليم سالم أستاذ اللغة اللاتينية بكلية الآداب – جامعة عين شمس، وبعد أربعة أعوام أى في عام ١٩٥٨م تم إيفاده إلى إيطاليا لدراسة المخطوطات اللاتينية فى مكتبات روما، وفلورنسا، وميلانو، وفينيسيا.

على أية حال، تكللت جهوده بالنجاح عندما حصل في العام المذكور وأعنى به عام ١٩٥٨م على درجة الماجستير فى مجال النقد اللاتينى من كلية الآداب – جامعة عين شمس وكان موضوع الرسالة هو: خطبة شيشيرون في الدفاع عن الممثل الكوميدى روسكيوس وعنوانها:

Cicero's Oration pro Q. Roscio Comoedo, Editing the text with commentary.

وقد قام بنشر النص والتعليق عليه. وهى لا تزال توجد فى مكتبة كلية الآداب – جامعة عين شمس، وكان الحدث المحورى فى حياة ذلك المدرس المساعد بالقسم المذكور حينذاك؛ إيفاده عام ١٩٥٩م فى إجازة دراسية من جانب جامعة عين شمس للدراسة فى ألمانيا الغربية (حينذاك) للحصول على الدكتوراه من جامعة ميونخ Münichen وقد أكد لى شخصياً، أنه على الرغم من حصوله على الماجستير من مصر إلا أنه أدرك بعد فترة وجيزة كأنه لا يعلم

---

* استاذ التاريخ الإسلامي المساعد - كلية الآداب - جامعة عين شمس.

شـيئاً عن الدراسات اليونانية، واللاتينية بالمقارنة بعلم الباحثين الألمان المتخصصين في دراسة اللغة اللاتينية وخاصة فقة تلك اللغة philology.

ويلاحـظ أنه خلال دراسته للدكتوراه، وفى عام ١٩٦٥م عمل باحثاً في مهمة علمية خاصـة فـى لجنة معجم تراث العصور الوسطى بأكاديمية العلوم البافارية فى ميونيخ من أجل إصـلاح الأغلاط المطبعية فى مجموعة معالم ألمانيا التاريخية قبل إدراج مفرداتها فى المعجم، وهى مجموعة للمصادر اللاتينية لتاريخ أوربا فى العصور الوسطى.

وفـى عـام ١٩٦٧م حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميونيخ بعد حوالى ثمـانى سـنوات من البحث المضنى هناك. وكان تخصصه الرئيسى الدراسات الهندوجرمانية (الهند أوربية). أما التخصص الفرعى الأول دراسات العصور الوسطى (فى الغرب الأوربى). أما التخصص الفرعى الثانى الدراسات الحيثية.

ويلاحظ أن موضوع رسالته للدكتوراه التى تقدم بها لجامعة ميونيخ هو:

دراسـات معجمـية لأسماء النباتات اللاتينية عند ديسقوريدس وابوليوس المنحول، وهى باللغة الألمانية – وقد نشرت فى ميونيخ عام ١٩٦٧م، وعنوانها بالألمانية هو:

Lexikographische studien über die lateinischen pflanzennaen bei Dioskurides und pseudo – Apuleeius, Münichen 1967.

ويلاحـظ أنـه لـم يقم بترجمتها إلى اللغة العربية، وظلت حتى أخريات أيامه باللغة الألمانية، وأن سعى إلى الإفادة منها في مجال دراسة الطب في أوربا العصور الوسطى.

مهمـا يكن من أمر؛ عين مؤرخنا مدرساً فى قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب – جامعة عين شمس وذلك عام ١٩٦٧م، ثم نقل ليعمل مدرساً لتاريخ العصور الوسطى بقسـم الـتاريخ بنفس الكلية على يدى أ.د. حسن حبشى، أ.د. عزت عبد الكريم، ثم أعير إلى جامعـة الكويـت خلال المرحلة الواقفة بين عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٥، وخلال وجوده هناك تمت ترقيـته أسـتاذاً مسـاعداً لتاريخ العصور الوسطى، وفى عام ١٩٧٨م رقى أستاذاً، وبعد ذلك بعامين ١٩٨٠م أعير للتدريس بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالـرياض بالمملكـة العربية السعودية وأشرف على عدد من الباحثين السعوديين فى دراساتهم العلـيا، وقد تنقل بين ثلاثة مدن فى المملكة أولها أبها حيث عمل فى كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعـية ثم انتقل إلى الرياض، ومن بعدها عمل فى معهد الدعوة بالمدينة المنورة الذى كان يتـبع الجامعة المذكورة التى ظل يعمل بها حتى عام ١٩٩٢م تقريباً وقد وافته المنية – رحمه الله تعالى – في يوم ٥ يوليه ١٩٩٣م.

أما مؤلفات الأستاذ الدكتور على الغمراوى فيمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً: الكتب:

- موضوعات فى الثقافة الأوربية فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

- ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م.
- مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى للوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٥م.
- البحوث النقدية الحديثة فى تاريخ العصور الوسطى الجزء الأول، بحوث القرنين السادس عشر، والسابع عشر الميلاديين، ط. القاهرة ١٩٧٨م.
- الأصول المعجمية مع شواهد من كتاب الحشائش والسموم نقل اصطفان بن باسيل عن كتاب ديسقوريدس فى هيولى الطب De Materia Medica (دراسة فى المنهج التطبيقى لتاريخ الطب العربى).
- المجموعات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأولى في العصور الوسطى وأطوار البحث التاريخى من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

ثانياً: البحوث والمقالات:

- المصادر الهيجيوغرافية قبل النهضة الكارولنجية مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت العدد (٢)، عام ١٩٧٢م.
- "مبحث فى دراسة البطريسطيقا" المجلة التاريخية المصرية عدد عام ١٩٧٣م.
- "نظرات هستوغرافية فى التاريخ الأوربى في العصور الوسطى فيما قبل القرن العاشر الميلادى"، مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت، العددان (٣)، (٤)، عام ١٩٧٣م.
- "المؤلفات الدينية فى أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس الميلادى حتى القرن الثامن الميلادى" مجلة كلية الآداب – جامعة الكويت، العدد (٦)، عام ١٩٧٤م.
- "محاضرة الأستاذية" ألقاها بمناسبة حصوله على الأستاذية عام ١٩٧٨م، ونشرت مع محاضرات أخرى لأساتذة آخرين فى كتاب تذكارى من جانب جامعة عين شمس.
- "أهمية كتاب الحشائش عن الأطباء والعلماء اليونانيين والمسلمين المفردة عند ابن سينا وابن البيطار"، مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٦) عام ١٩٨٢م.
- "تقرير ببليوغرافى عن بحوث فرنسا ونشراتها فى القرن الثامن عشر الميلادى الخاصة بالتاريخ الأوربى الوسيط" مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع عام ١٩٨٣م.
- "معالم ألمانيا التاريخية Monumenta Germaniae Historia (مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألمانى فى العصور الوسطى) مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السنة (١)، عام ١٩٨٦م.
- "أثر الثقافة الإسلامية في الفكر الأوربى". محاضرة فى كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض عام ١٤٠٣هـ.

- فهرســة دائــرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية نشر فى مجلة معهد الدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة.

كتب وبحوث لم تنشر بعد:

- إنجيل برنابا وأناجيل الكنيسة (كتاب فى الرد على النصارى).
- تفســير كتاب ديسقوريدس لابن البيطار مخطوطة بكلية الحرم المكى الشريف، رقم ١٣٦ طــب، نشــر وتحقــيق (مــن اقع الأصل اليونانى لكتاب ديسقوريدس فى هيولى الطب، المعروف بكتاب الحشائش).

ثالثاً: الترجمة:

- نورمــان كانتور، التاريخ الوسيط، بالاشتراك مع أ.د. قاسم عبده قاسم، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب – جامعة الزقازيق. وهو العمل الوحيد الذى ساهم فيه بأمر الترجمة.

تلك هى المؤلفات التى ألفها الراحل أ.د. على الغمراوى على مدى رحلته العلمية بين إنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، والمملكة العربية السعودية، والكويت، ومصر، طالباً للعلم، وباحثاً، ومؤلفاً.

وواقــع الأمــر؛ أن الراحل الفاضل يوصف وبحق بأنه موسوعى الثقافة ومظهر ذلك إجادتــه للغــات الآتــية: العربــية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، واليونانية، واللاتينــية، ثــم الاطــلاع على التراث الكلاسيكي اليونانى واللاتينى، بصورة جعلته يوصف بالوصف السالف الذكر.

ونظــراً لدراســاته الكلاســيكية؛ فقد تحمس تحمساً شديداً لذلك التراث، ولذلك نصح تلامــيذه بدراســة اللغتين اليونانية واللاتينية، كمقدمة ومدخل إلى اللغات الأوربية الحديثة التى أتقنها بل أمتد به الأمر إلى تعلم اللغة السواحيلية التى قطع فيها هى الأخرى شوطاً.

وحيــث أن تخصصــه اللغوى في مجال فقة اللغة اللاتينية؛ فقد اتسم بالعمق، والبحث مــن أصول المفردات وكذلك الظواهر التاريخية، وهى سمة اتسم بها الراحل الفاضل ولاحظها كل من تعامل معه وناقشه في العديد من القضايا التاريخية وأحسب نفسى من هؤلاء على مدى أعوام طويلة منذ عام ١٩٧٨ إلى عام وفاته عام ١٩٩٣م.

ومــن ســمات فكــر أ.د. على الغمراوى، ما يوصف "بالتشعيب" بمعنى أن يأتى إليه المــرء كــى يسأله عن موضوع يتصور أنه محدد أو صغير، ومع المناقشة يتم توسيع نطاق النقاش إلى زوايا أبعد وأعمق بصورة كانت تدعو المرء إلى الدهشة.

وكــان المنطق دوماً وراء كل استنتاجاته، ونلاحظ دائماً أنه كان يعلى من شأن العقل بصــورة كبيرة، كذلك لجأ إلى أسلوب الحوار، والنقاش مع تلاميذه فى مرحلة دبلوم الدراسات العلــيا للوصــول ذاتياً إلى الأفكار التى أراد لنا التوصل إليها، ولذلك فالدارسة معه تحولت إلى

نوع ما من "المتعة العلمية"، وأتذكر كيف أنه طرح على طلابه عام ١٩٧٩م في مرحلة دبلوم الدراسات العليا فرع التاريخ الإسلامي والوسيط موضوع نظرية هنري بيرين Henri Pirenne التي عرضها في كتابه محمد وشارلمان Mohamed and Charlemagne والتي أظهر فيها أن المسلمين يتحملون مسئولية تحطيم الوحدة القديمة للبحر المتوسط. وطلب من تلاميذه البحث في مؤلفات ذلك المؤرخ الاقتصادي البلجيكي ونقده، وبذلك قدم لنا فرصة ذهبية لتعلم أصول النقد التاريخي مع التحلي بروح الموضوعية الواجبة. وطلب من تلاميذه الاسترشاد بكتابه المدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، الذي صدر في القاهرة عام ١٩٧٥م وهو أهم كتبه على الاطلاق، ومن خلال الدراسة معه أدركنا كيف أثرت دراسته للقانون على فكره، فقد كان منطقياً وقوي الحجة، ويتناول الفكرة التي يريد تفنيدها فيحللها ويفككها ويظهر ما فيها من القصور ولا يتركها إلا بعد أن يكون قد درسها بعمق بصورة كما – أسلفت – تدعو إلى الدهشة والتأمل.

وأود أن ألفت نظر القارىء إلى أن الدراسة اللغوية والقانونية والتاريخية للراحل الفاضل جعلته بالفعل يملك العديد من الزوايا التي أثرت عقول تلاميذه من طلاب الدراسات العليا خاصة خلال دبلوم تاريخ العصور الوسطي واليوم أدرك جيداً كيف كانت محاضراته حينذاك تجارب علمية في البنيونة أو التفكيكية قبل أن ندرسها نظرياً من خلال مؤلفات ميشيل فوكو.

من ناحية أخرى؛ تحمس الراحل الفاضل لدراسة الغرب الأوربي دراسة غربية تماماً بعيداً عن اتصاله بالشرق، وكثيراً ما ردد أن العلاقات مع الشرق تخرج عن نطاق تاريخ العصور الوسطى، غير أنه فيما بعد طور فكرته، وأشاد بتاريخ تلك المرحلة بل واشرف في المملكة العربية السعودية على عدة رسائل في مجال تلك الظاهرة التاريخية الكبرى في القرون الوسطى. بل تناول المصادر الأوربية لتاريخ الحروب الصليبية في كتابه البالغ القيمة المعنون بـ: المجموعات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأوربي في العصور الوسطى وأطوار البحث التاريخي من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ويعد تناوله في هذا الشأن من أهم الدراسات البيبلوغرافية المصدرية بالعربية عن مرحلة الحروب الصليبية.

وإذا كان ابتعاث أ.د. علي الغمراوي إلى ألمانيا قد أدى إلى حصوله على درجة الدكتوراه في فقه اللغة اللاتينية التي كان دائماً يفتخر بأنه العربي الوحيد الذي حصل على الدكتوراه من هناك في ذلك التخصص النادر؛ فإن سفره إلى هناك ترك أثراً لا يمحى في شخصيته إذ أدرك المرء بعد التعامل معه لعدة أعوام أنه امتلك صفتين رئيسيتين أولهما الدقة الشديدة ثم الصرامة العلمية، وهو أمر أدركه طلاب الدراسات العليا خلال السنة التمهيدية عام ١٩٧٩ – ١٩٨٠م خاصة في قاعة البحث في العصور الوسطى وكذلك في مادة اللغة اللاتينية،

ولم يكن يتسامح البتة فى أى خطأ علمي فى نطق كلمة من الكلمات، أوعنوان كتاب من الكتب بأى لغة أوربية.

ولقد ظلت اللغة الألمانية لديه اللغة المفضلة بعد العربية واللاتينية واليونانية، وحافظ بعد عودته من ألمانيا على درجة إتقانه لها، ولذلك، فعندما زار قسم التاريخ عام ١٩٨٠م وفد من جامعة هامبورج الألمانية، ألقى سيادته كلمة ترحيبية به لقيت استحساناً من أعضاء ذلك الوفد.

أما المملكة العربية السعودية؛ فكان لها تأثير كبير على أ.د. على الغمراوى خاصة خلال سنوات عمره الأخيرة، حيث تعمق لديه الشعور الدينى خاصة من خلال مجاورته للحبيب المصطفى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، حيث عمل هناك فى معهد الدعوة التابع لجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، وهناك اهتم بقضايا الاستشراق، والمستشرقين، وموقفهم من الإسلام فى مختلف القضايا، كذلك اهتم بإنجازات الحضارة الإسلامية خاصة فى موضوعات الطب وتأثيره على أوربا العصور الوسطى، كذلك ألف واحداً من أهم مؤلفاته في مجال مقارنة الأديان وهو "إنجيل برنابا وأناجيل الكنيسة"، وقد طالعته مع أحد الورثة وللأسف الشديد لم يظهر للنور بعد!!!.

يضاف إلى ذلك؛ أنه فى تلك المرحلة أشرف أ.د. على الغمراوى على عدة رسائل عن الحروب الصليبية وبلاد الشام خلالها وظاهرة الجهاد الإسلامي أثناء تلك الأحداث العاصفة التي شهدتها تلك المنطقة، ولا ريب فى أن "المرحلة السعودية" أثرت فكر أستاذى بصورة كبيرة.

ومن زاوية أخرى؛ اهتم مؤرخنا الفاضل بالنباتات والأعشاب الطبية، وكتب الطب العربى فى هذا الشأن وما ساهم به المسلمون من ترجمة لمؤلفات يونانية تتعلق بالأعشاب خاصة كتاب ديسقوريدس عن الحشائش والذى أفاد منه كافة الأطباء المسلمين الكبار فى العصور الوسطى خاصة من خلال ترجمة أصطفان بن باسيل. وكثيراً ما أشار أ.د. على الغمراوى إلى الدقة الكبيرة التى اتسم بها المترجمون العرب مثل حنين بن إسحاق، وابنه اسحق، واصطفان بن باسيل وغيرهم في الترجمة من اليونانية إلى السريانية ومن الأخيرة إلى لغة الضاد، ويلاحظ أن اتجاهه نحو التراث الطب العربى توافر لديه أصلاً خلال دراساته فى ألمانيا.

على أية حال؛ بعد عودته إلى مصر حرص على إيجاد مجموعة من الباحثين تهتم بدراسة الطب العربى والترجمات العربية للمؤلفات الطبية اليونانية. ووجد باحثة مهتمة بذلك المجال فى صورة عليه حنفى (أ.د. عليه حنفى رئيس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بآداب عين شمس فيما بعد) فحصلت تحت أشرافه على درجة الماجستير فى الحقل العلمي المذكور.

وبصفة عامة؛ كان أ.د. على الغمراوى متشدداً في ضرورة معرفة الباحث المتصدي للكــتابة التاريخــية لعــدد من اللغات الأوربية، ورأى أن من يعرف لغة واحدة كمن لديه نافذة واحــدة فى بيته، وكلما عرفت لغات أكثر كلما زادت معارفك بالعالم المحيط بك قديماً وحديثاً، ودائمــاً أظهر سخطه من الباحث الذى يأتى إليه طالباً منه ترجمة أحد النصوص التاريخية بلغة أوربــية إلى اللغة العربية. بل وجدته يرفض ذلك عدة مرات، حفاظاً على وقته، وإظهاراً لعدم تقديره لمن يطلب منه ذلك.

مــن زاويــة أخــرى؛ مازلت أتذكر لذلك العالم الفاضل مقولته لى بأنه من المستحيل التوصــل إلى الحقيقة التاريخية التي لا يعرفها إلا الله تعالى وحده، وكافة جهود المؤرخين هى عــبارة عــن محــاولات للاقتراب منها دون إمكانية معرفتها بصورة كاملة أو هى قريبة من الاكتمال، كذلك دائماً كان يردد أن أفضل مادة لكتابة التاريخ ما لم يكتب بقصد أن يكون تاريخاً بمعــنى أن يكون هناك نص عبارة عن رسالة مرسلة من أحد الأشخاص إلى صديق من مدينة أخرى وتم اكتشاف هذه الرسالة فتكون بذلك مصدراً تاريخياً عظيم القيمة على اعتبار أنها بعيدة عن الرسمية أو تعمد كتاباتها لتكون مصدراً من مصادر الكتابة التاريخية.

زد علــى ذلــك؛ أفدت من أ.د. على الغمراوى من خلال منهجه القائم على النقاش، والمحــاور للتوصــل إلــى ما هو أقرب إلى الحقيقة التاريخية، وذلك من خلال جهد جماعى، وطول ممارسة، وعدم الكلل أو الملل من المناقشة. وحرصه الشديد على جذب تلاميذه إليه من خــلال طرح عناصر جديدة فى المناقشة تجذبهم، وبانتهاء الجلسة معه، يدرك المرء أن شيئاً ما فــى تفكيره تغير للأفضل، وبعد انتهاء العام المخصص للسنة التمهيدية للماجستير أدركت كيف أثر ذلك المؤرخ الكبير فى عقول تلاميذه وفى كاتب هذه السطور شخصياً.

من ناحية أخرى؛ امتلك مؤرخنا صفة "الكارزما Charisma" الآثرة على نحو يصعب الفكــاك من تأثيرها الكبير، وارتبط بتلاميذه وارتبطوا به وظل محافظاً عليهم من خلال صداقة قوية، لم تتغير يوماً أو تتبدل إلا إلى الأفضل.

وأود أن أوضــح للقــارئ، أن مؤرخــنا يوصف بالفعل بأنه عشق تخصصه العلمى، ولذلــك رفض أية مناصب إدارية فلم يتول رئاسة قسم أو منصب وكيل أو عميد كلية الآداب – جامعــة عين شمس، وتعليل ذلك، اعتقاده الكامل بأن الباحث العاشق لعلمه؛ عليه التفرغ تماماً لواجــبه العلمي، وأن يتعامل مع الورق والقلم تأليفاً أو ترجمة أو تحقيقاً وأن مثل تلك المناصب مــن شــأنها إبعاده عن رسالته العلمية التى من أجلها خلقه الله تعالى، وذلك تصوره الشخصى بطبيعة الحال الذى التزم به طوال حياته ولم يناقض نفسه حيال ذلك البتة.

ولا أغفــل؛ اتساع دائرة علاقاته الإنسانية مع الجميع فلم يكن يتعامل مع الآخرين من خــلال كونه أستاذاً جامعياً بل مجرد إنسان يشارك الآخرين أفراحهم وأحزانهم، وهكذا ففى كل مكــان عمل فيه ترك ذكرى طيبة حتى من الناس البسطاء الذين تعاملوا معه، وقد لاحظت ذلك

عـندما عملت في مدينة أبها بجنوب غربى المملكة العربية السعودية فوجدت العديدين يذكرونه ذكراً جميلاً، وكذلك عندما سافر زملائى إلى المدينة المنورة لاحظوا نفس الملاحظة مما عكس تعلقه بالآخرين وتعلقهم به على المستوى الإنسانى وهو المستوى الباقى بعد رحيل الأشخاص

وأود تقديـم مقـتطفات مـن إسهامات مؤرخنا من أجل الاقتراب قدر المستطاع من أسـلوبه فى الكتابة التاريخية، وقد ذكر فى كتابه ملحمة البطولة الجرمانية، "شغلت أوربا وعالم البحر المتوسط منذ القرن الخامس حتى مطلع القرن الثامن غزوات مغولية وجرمانية وإسلامية نجـم عنها تغير في نظام الحكم والمجتمع، وكان للجرمان على خلاف المغول والمسلمين أكبر الشـأن فـى تقريـر مصـير القارة الأوربية، ولذلك آثار منشأهم حماسة كثير من المؤرخين وبخاصـة فيألمانـيا حيـث ألهبـت دراسة هجرات الشعوب Voelkerwanderungen شعور الألمـان القومـى، كمـا أصبحت نظم الجرمان السياسية والقانونية والاجتماعية كذلك موضع اهتمام الدارسين بسبب المؤثرات التى أحدثتها فى الحضارة الأوربية الوسيطة.

كـان المعتقد فى الثلاثينات الأولى من القرن العشرين أن الحياة الجرمانية شابهت فى مخـتلف الـنواحى حـياة العـالم الرومانى وأن استمرار النظم الرومانية فى القرنين الخامس والسـادس كـان نتيجة لضآلة تأثير الغزوات الجرمانية على المجتمع الأوربى، وقد أيد وجهة الـنظر هـذه العالم النمساوى الفونس دوبس Alphons Dapsch فى كتابه الأسس الاقتصادية والاجتماعـية للحضـارة الغربية، ووصل إلى التقارب في المستويات الثقافية والاقتصادية بين الـرومان والشعوب الجرمانية، وكذلك مؤرخ الاقتصاد البلجيكى هنرى بيرين Henri Pirenne الـذى أكـد أن الغـزوات الجرمانية لم تشكل في الحقيقة انهياراً جانحاً في التطور الاقتصادي والاجـتماعى لأوربـا، ومـنذ الحـرب العالمية الثانية وإلى حد كبير بفضل دراسات العلماء الفرنسـيين ضـعف تفسـير دوبس وبيرين لحضارة الجرمان، ورأينا رجوعاً إلى وجهة النظر القديمـة عـن العواقـب المشئومة للغزوات الجرمانية، فقدم سالان Salin دليلاً أثرياً معارضاً للفرضـية الـتى ذهـب إليها دوبس، كما ناقش كورسيل Courcelle فى كتابه "التاريخ الأدبى للغـزوات الجرمانية" بطريقة حاول أن يجعلها مقنعة وجود الاهتمام بوجهات نظر المعاصرين الكئيبةعن دلالات الغزوات[1]".

ومن الجلى البين؛ من خلال السطور السابقة كيف أن أسلوبه في الكتابة التاريخية عبر عـن منهجية تهتم بالأبعاد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية دون إغفال التراث الشعبى وكل ذلك ضمن إطار من التحليل والبحث فى أصول حركات التاريخ فى أوربا العصور الوسطى.

---

[1] على الغمراوى، ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٣.

مهمـــا يكـــن مـــن أمـــر، ينبغى ألا نغفل – عند دراستنا لسيرة ذلك المؤرخ الرائد – الجوانب المأساوية التى واجهته فى حياته والتى انتهت بوفاته[2].

تلـــك صفحات قليلة عن مؤرخ رائد من مؤرخى مصر لمرحلة العصور الوسطى فى صورة أ.د. على الغمراوى رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

[2] فـــى الأعـــوام الثلاثة الأخيرة من حياة مؤرخنا نكب بعدة نكبات متلاحقة؛ إذ توفيت ابنته الوحيدة "فادية"، ومن بعدهـــا بعـــام توفيت زوجته حزناً على رحيلها، ثم أصيب هو شخصياً بمرض السرطان، وكان منكباً على كتابة كـــتابه "المجموعـــات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأوربى فى العصور الوسطى" على الحاسوب، وقد طالعت مخطوطـــة الكتاب مع سيادته قبل رحيله وقد أوصى بضرورة طباعته لما فيه فائدة كبيرة للباحثين وبالفعل تمت طباعته بعد وفاته ومن الانصاف القول بأن أ.د. فتحى أبو سيف قام بدور فعال في ظهور الكتاب للنور بالاشتراك مع إدارة كلية الآداب – جامعة عين شمس فى عهد عميدها أ.د. محمد حسن وهبه.

التاريخ
بين الرواية الشفهية والوثيقة التاريخية

د. رأفت عبد الحميد
مصـــر

"قال الراوى... يا سادة يا كرام "

عبارة تبتدىء بها كل سيرة وصلت إلى أيدينا من السير الشعبية المعروفة، "سيرة عنترة بن شداد" و "سيرة الملك سيف بن ذى يزن ملك اليمن"، و "سيرة حمزة العرب الأمير حمزة البهلوان" ؛ و "السيرة الهلالية" أو قصة "الزير سالم أبو ليلى المهلهل" و "تغريبة بنى هلال" و "سيرة الأميرة ذات الهمة" و "سيرة الظاهر بيبرس" وغير ذلك، على حين تستفتح شهر زاد كل ليلة من لياليها عند حكيها لحكاية جديدة أو استمرارها في واحدة كانت قد بدأتها بالفعل من قبل، بقولها الشهير "بلغنى أيها الملك السعيد" وكلمة "بلغنى" هى شكل آخر من أشكال "قال الراوى" فالدلالة واحدة.

وقد ينص أحياناً في بداية السيرة على اسم واحد من هؤلاء الرواة، قد يكون أخرهم، وقد لا يأتى ذكر لأحد منهم على الإطلاق، ففى "سيرة الملك سيف ملك اليمن"، نجد مثالاً لذلك حين يقال: "قال الراوى أبو المعالى رواى سيرة أبى الأمصار وسائل النيل من أرض الحبشة إلى هذه الديار"،[1] مع العلم أن "أبا المعالى" لقب للراوى وليست اسما لعلم، بينما يأتى الاسم منسباً في سيرة "الظاهر بيبرس" عندما نصادف في أولها عبارة "قال الراوى وهو الدينارى رحمه الله تعالى"،[2] على حين تنفرد "سيرة الأميرة ذات الهمة" بإيراد أسماء عشرة من الرواة تقدمهم على هذا النحو: "..وإن من روى هذه السيرة العجيبة، وما فيها من الأحاديث المطرفة الغريبة، هو على بن موسى المقانبى، وابن بكر المازنى، وصالح الجعفرى، ويزيد بن عمار المزنى، وعبد الله بن وهب اليمانى، وعوف بن فهد الفرازى، وسعد بن مالك التميمى، وأحمد الشمشاطى، وصابر المرعشى، ونجد بن هشام العامرى، قالوا جميعاً والله أعلم...".[3]

وتفصح هذه السير، أو ان شئت الدقة فقل هذه الروايات الشفوية المتواترة في مجموعها، عن الهدف الأساسى من وضعها، وهى كلها تتفق عليه وإن اختلفت عباراتها، مثل "... وهذه قصة غريبة الوجود، والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود، الذى جعل سير الأولين عبرة للقوم الآخرين، وأخبار الأمم الماضين (هكذا) اعتباراً للباقين".[4] أو "... أن سير الأولين

---

[1] سيرة فارسى اليمن الملك سيف بن ذى يزن، بيروت ١٩٨٥، جـ١، ص٣.
[2] سيرة الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، المجلد الأول، ص١١.
[3] سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب، بيروت ١٩٨١، المجلد الأول ص٥.
[4] سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذى يزن، بيروت ١٩٨٥، جـ١ ص٣.

صارت عبرة للآخرين لكى يرى الإنسان العبر التى حصلت لغيره فيعتبر، ويطالع حديث الأمم السابقة وما جرى لهم فينزجر (هكذا)، فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين...".[٥] أو "... ان الله سبحانه وتعالى جعل سير الأولين عبرة للآخرين، وموعظة للجاهلين، وتنبيهاً للغافلين، يتعظم بها أصحاب العقول الكاملين".[٦]

ولا أظن أن هذا الهدف الذى تسعى إليه الرواية الشفهية التى تصبح بمقتضى التقادم موروثاً شعبياً، يبعد كثيراً عن الهدف الذى تضعه الدراسات التاريخية نصب أعينها، وإن اختلفت الفكر والمضامين والمصادر، ولننظر مثلاً إلى ذلك العمل التاريخى الرائع الذى وضعه المؤرخ الأشهر تقى الدين المقريزى تحت عنوان "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، وهى دراسة إطارها المحيط هو التاريخ، ولكنها في جوهرها تضم عدداً من ميادين الدراسات الإنسانية المختلفة، كالجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والعمارة والفنون والآداب والتخطيط، أو بعبارة أخرى ننقلها عن أستاذنا محمد عبد الله عنان[٧] متمثلة في قوله: "... فهذا الأثر فوق كونه عرضا مستفيضاً لجغرافية مصر والقاهرة والنيل القديمة، وسيرها منذ الفتح الإسلامى، هو مجمع فريد من صور العمرانية والاجتماعية والفنية في العصور الوسطى، ومعرض بديع لتاريخ مصر الاجتماعى، وأحوال المجتمع المصرى، وظواهره النفسية والأخلاقية، وحياته العامة.. وهذا التراث العمرانى والفنى الخالد، تراث المدينة الإسلامية في مصر، يعرضه لنا المقريزى في صور قوية باهرة ممتعة، وهو يتتبع فيما يكتب شجون الحديث. فإذا ملك أو أمير كبير يقترن اسمه بذكر هذه الصروح والآثار الخالدة أو تلك، وإذا حادث أو واقعة أو نادرة ترتبط بسيرتها، فإنه يستقصى كل ما يتعلق به أو بها من الأخبار، فينتقل بقارئه من المسجد والقصر إلى الأمير، ومن الأمير إلى الحرب، ومن هذه إلى المآدب والرياض، وهو خلال ذلك كله يعنى بعرض صور هامة من تاريخ مصر السياسى والاجتماعى والاقتصادى والفكرى، ويقدم إلينا المجتمع القاهرى في أثوابه المختلفة ذاهية وقائمة، ويعنى بشرح النظم السياسية والادارية والاقتصادية التى توالت على مصر، ورسوم البلاط القاهرى في عصوره المختلفة، وأحوال الخلفاء والسلاطين في الحياة العامة والخاصة، ومواكبهم ومآدبهم وأخلاقهم وأطوارهم، وأحوال المنشآت العامة كالثكنات والسجون والمعاهد والمدارس والمساجد والزوايا والتكايا وغيرها، وحياة الشعب الخاصة، وعادات الأفراد وتقاليدهم وأحوالهم في المعاملات والملبس والمآكل والأفراح والأتراح والجد والهزل".

هذه المساحة المعرفية الواسعة المتعددة الجوانب، عنونها المقريزى بـ "المواعظ والاعتبار"، ومن ثم فليس هناك اختلاف في الهدف – كما أشرنا منذ قليل – بين الدراسات

---

[٥] ألف ليلة وليلة، بيروت بدون تاريخ، جـ١ ص٥.

[٦] سيرة الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، المجلد الأول ص١٠.

[٧] مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة ١٩٣١، ص٥٠ – ٥١.

التاريخية الوثائقية والروايات الشفهية أو الموروث الشعبى، والمقريزى نفسه يعبر عن ذلك بقلمه الخاص حين يقول: "علم التاريخ من أجل العلوم قدراً، وأشرفها عند العقلاء مكانه وخطراً، لما يحويه من المواعظ، والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذا الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهى، لا جرم إن كانت الأنفس الفاضلة به رامقة، والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة".[8] وهذه العبارات التى أوردها المقريزى لا تبتعد كثيراً عما أورثه السير الشعبية التى تعد النموذج الحى المتجسد للرواية الشفهية، عن الهدف المبتغى من وراء سردها أو قصها على مسامع العامة.

غير أن هذا لا ينجو بنا بعيداً عن الجانب الوثائقى في الدراسات التاريخية، وهو عصبها، فكما أسلفنا من القول إن "الراوى" يبتدىء روايته بالقول عمن أخذ: "قال الراوى"، فإن المؤرخ يدعم دراسته وتاريخه بقوله "تحدثنا الوثيقة" أو "تخبرنا المصادر"، والباحث المدقق يفتتح مطالعته لأى كتاب في التاريخ، بالصفحات الأخيرة من الكتاب، بحثاً عن المصادر والوثائق التاريخية التى اعتمد عليها المؤلف في كتابه، وتحدد القيمة العلمية تبعاً لمدى اصالة تلك الوثائق والمصادر، ومن البديهى أن أى باحث أو مؤرخ لا يمكن مطلقاً أن يقف فوق جسر الصدق ما لم تكن الوثيقة مصدر بحثه وركيزة دراسته، شريطة أن تكون الوثيقة نفسها صادقة لم تمسسها يد التزييف، تلك قضية أخرى.

وقد وقف مؤرخنا الأشهر "ابن خلدون" على هذه الناحية وحدثنا عنها بكل الدقة عندما كتب في "مقدمته" يقول: "... والتاريخ في باطنه نظراً وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأمم وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس في الباطل وهموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقرها ووضعوها."[9]

وابن خلدون هنا كما هو ظاهر في عبارته، يفصل بين المؤرخ بكل ما تعنيه الكلمة في منزلة القضاء.. وكاتب التاريخ المتطفل على كتابته بكل ما تفصله كلماته من بعد عن الانتقاء.

ولنكمل حديث ابن خلدون لنرى إلى حد بعيد البعد عن الوثيقة في الدراسة التاريخية ضرباً من العبث، والعبث نفسه في عدم تمحيص كل ما يكتب، والتغاضى عن الدقة في كل ما يقال ويدون، وتلك آفة نفر ليس بالقليل ممن يتصدون لكتابة التاريخ، ومن ثم فإنه يمكننا القول قياسا على شهادة العلامة ابن خلدون، "كثيرون يكتبون التاريخ، وقليل منهم المؤرخون"، فالمؤرخ بالدرجة الأول قاض وليس قاصاً ولا مجرد ناقل، يقول العلامة مكملاً حديثه الذى

---

[8] المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة بدون تاريخ، الجزء الأول، ص٢.

[9] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المقدمة، بيروت بدون تاريخ، ص٤.

توقفنا عنده منذ قليل: "... واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا نزهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملى وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل".[١٠]

واضح تماماً أن ابن خلدون يقف موقفاً جاداً من أولئك الذين يكتبون التاريخ بأيديهم ويقولون إنما قال بهذا الأسلاف، ونحن على آثارهم مقتدون، دون تمحيص وتدقيق، ومناقشة، وتحليل، ونقد بعد كل ذلك عميق وأصيل. هؤلاء النفر لا يعدون من المؤرخين وإن حسبوا أنفسهم كذلك وإن عدهم أناس هكذا.

والذي يلفت النظر ويدل على فراسة العرب وسبقهم في العديد من ميادين المعرفة الإنسانية، أن ابن خلدون فصل في صدر مقدمته بين الرواية والتاريخ، أو بتعبير أكثر دقة بين التاريخ المروى أو الرواية الشفهية والتاريخ الوثائقى، وميدان هذا وذاك، وما يحتاجه عامة الناس والجمهور، وما يسعى إليه خاصة الدارسين وأعيانهم، وهذا بيت القصيد في بحثنا هذا، يقول: "... فن التاريخ من الفنون التى تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيه الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدى لنا شأن الخليفة كيف تقلب بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفى باطنه ...".[١١]

وهذه العبارات الأخيرة تنصرف دون مناقشة إلى الرواية الشفهية أو التاريخ المروى، الذى تنمو فيه الأقوال "بزيادة الروايات جيلاً بعد جيل، يضيف إليها راو بعد راو، ومحدث بعد آخر، ويتفنن كل منهم في إضافة قصة على هامش الرواية، أو طرفة لطيفة، أو مثل جرت به الألسنة مع الزمان، ويضيف إليها من عندياته ما يشوق السامعين، وتلك براعة في فن الإلقاء، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون بقوله "وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال"، حيث يتحلق الناس حول هذا الراوى أو ذاك في إصغاء عجيب.

وإذا كنا قد فصلنا بحزم بين من يكتبون التاريخ والمؤرخين، وأكدنا على أن المؤرخ هو الذى يضع الوثيقة نصب عينيه، مخضعاً إياها للتحليل والمناقشة والمقارنة والتمحيص

---

[١٠] ابن خلدون، المقدمة، ص٤.
[١١] المصدر نفسه، ص ٣- ٤.

والنقد، فإن هذا يدفعنا مباشرة إلى إثارة هذا السؤال الجوهرى.. أين موضع الرواية الشفهية من الكتابة التاريخية؟

لا يستطيع أحد أن ينكر أن التاريخ كان في أصل نشأته روايات شفهية جرت بها ألسنة الناس، أو تناقلها الرواة جيلاً بعد جيل، وتمثلت عند العرب في أشعارهم، حتى عد الشعر ديوان العرب، فسجلوا بالقريض أفراحهم وأتراحهم، ومجالس سمرهم، وحلهم وترحالهم، وأيامهم في الجاهلية والإسلام، وساعدت ملكة الحفظ لديهم في نقل هذا التاريخ والاحتفاظ به لفترة زمنية طويلة، والعرب هنا لم يبتعدوا عن الأصل التاريخى لكلمة Istoria اليونانية، والتى كان يقصد منها في بلد الإغريق قديماً البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة، وهى معرفة البلاد والعادات والمؤسسات السياسية المعاصرة أو الماضية، ثم تطورت الكلمة لتضم إلى ذلك معرفة الأحداث التى رافقت نمو هذه الظواهر.[١٢]

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن هذه المفاهيم لم تكن واردة في أول الأمر، بالمعنى الذى نقصده، لدى هؤلاء الشعراء العرب الذين تركوا شعرهم ودونوا فيه تلك الأحداث التى عايشوها أو حدثوا عنها فيما بعد تمجيداً وافتخاراً. فأيام العرب، ترجع في أصلها إلى الأدب أكثر مما ترجع إلى التاريخ، فقد كانت تروى بالدرجة الأولى لإيناس السامعين ولإمتاعهم؛ حقا لقد كانت تحتوى على عناصر تاريخية من حيث أنها سجلت أحداث كبرى (كحرب البسوس، وداحس الغبراء، وغير ذلك)، ومن حيث أنها اعتبرت مثل تلك الأحداث متصلة بنواح معنوية معينة،[١٣] وقد لعبت فنون وأشكال هذه "الأيام" و"القصائد" التى خلدتها، دوراً هاماً في تشكيل علم التاريخ عند المسلمين.

فمن الأمور التى لا يتطرق إليها الشك أن التاريخ الإسلامى نشأ في أول أمره معتمداً اعتماداً كاملاً على الرواية الشفهية، حتى عرف المشتغلون به بادىء ذى بدء بالرواة أو الإخباريين، ولم يكن هناك آنذاك ما ينتقص من قدر هذه الرواية لأن ملكة الحفظ العربية كانت لها السيادة على الكتابة أو التدوين إبان العصور الجاهلية وصدر الإسلام، وإن نظرة سريعة إلى كتب السيرة النبوية والمغازى نجدها كلها تورد أخبارها بقول مؤلفها: حدثنا فلان عن فلان، وحول هذا يقول الأستاذ أحمد أمين[١٤] "... لو تتبعت في ابن جرير الطبرى سلسلة رواياته وجدت أن الرواة الثالثة أو الأربعة الذين يتصلون به وبحياته كانوا في العصر العباسى، وهؤلاء يروون عمن قبلهم ممن كانوا في عهد الأمويين أو الخلفاء الراشدين، نعنى بذلك أن الحوادث التى دونت كانت معروفة في العصر الذى يؤرخ له، وابن اسحق وأمثاله إنما دووا ما كان معروفاً وجمعوه".

---

[١٢] روزنتال (ف) ، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلى، بيروت ١٩٨٣ ص١٦.

[١٣] المرجع السابق، ص٣٢.

[١٤] فجر الإسلام، القاهرة ١٩٦١ ص١٥٦.

من هنا كان أول ما دون في التاريخ الإسلامي – بطبيعة الحال – يعتمد على الذاكرة الإنسانية، أو بتعبير آخر، الرواية الشفهية، ولعل من يقرأ ما دون من الذاكرة يتجلى له أن أغلب التاريخ العربى الإسلامى الأول مستمد من السمع والمشاهدة، ومن ثم جاء تدوين المؤرخين الأوائل لما استوعبته الذاكرة بالنقل من فلان عن فلان من الحفاظ الموثوق بهم، وهو ما عرف بـــ "الإسناد" بمعنى دفع الخبر إلى قائله، وهكذا كان الحفاظ هم الوسطاء بين الخبر والمؤرخ.[١٥]

وهذه السلسلة الطويلة من "العنعنة" التى نشهدها مثلاً عند ابن هشام في السيرة النبوية، والواقدى في المغازى، والطبرى في تاريخ الرسل والملوك، تؤكدا أمرين أساسيين على قدر كبير من الأهمية، أولهما: الدور الكبير الذى لعبته الرواية الشفهية في تدوين التاريخ الإسلامى خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة على الأقل، والثانى: دور الرواة أو الحفاظ على هذه الروايات ونقلها جيلاً بعد جيل، مع محاولة التيقن الكامل من عدم انقطاع ثبت السند أو العنعنة حتى لا تمسى الرواية ضعيفة الإسناد فلا يؤخذ بها.

لا غرو إذن أن ينشأ علم التاريخ عند المسلمين في أحضان علم الحديث، لأن هذه الطريقة عينها هى التى اتبعت في جمع الأحاديث النبوية، ولما كان تحرى الدقة والأمانة حتماً مقضياً عند جمع هذه الأحاديث، فقد انسحب ذلك بالتالى على الروايات الشفهية التى تتصل بحياة الرسول وصحبه مكونة سيرته ومغازيه صلى الله عليه وسلم، ولما كان المسلمون حريصين في الناحيتين على التزام جادة الصدق والضبط في جمع مادتى الحديث والسيرة، فقد أصبح منهاج "الجرح والتعديل" ميزان الحقيقة في كل من هذه وتلك، وابن خلدون يشير إلى مثل هذه الناحية ويؤكد على ضرورة "البحث والروية" والبعد عن "الغفلة وضعف النظر"[١٦] ويشاركه في هذا الرأى "السخاوى".[١٧]

وقد حرص كثير من الخلفاء المسلمين على أن يكون إلى جوارهم دوماً من "يقص" عليهم أو "يروى" لهم أخبار الأمم السالفة التى سبقت الدعوة الإسلامية، وشيئاً عن أحوال ملوكهم وسادتهم، حتى أن الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان، كان كما يحدث عنه المسعودى "يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها، وسياستها لرهيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة... ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر من يواصل له الروايات الخاصة بسير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فتمر بسنعة كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات".

---

[١٥] عبد المنعم ماجد، الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣ ص٢٠٣ – ٢٠٤.

[١٦] ابن خلدون، المقدمة، ص٣١.

[١٧] للسخاوى، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة/ صالح أحمد العلى، بيروت بدون تاريخ، ص ٩٢ – ٩٣.

والموروثات الشعبية تحمل رؤية الشعب لتاريخه وتفسيره لمسيرته الحضارية، كما تشى بكل ما كان يحركه من قيم أو مثل عليا والنظام الأخلاقى الذى حكم حركته في الزمان والمكان.

والموروثات الشعبية تتضمن الأسطورة، السيرة الشعبية، والحكايات والألغاز، والأمثال والأغانى والنكات، وغيرها مما يعبر به الناس عن أنفسهم بشكل تلقائى.

ولعل الفرق الجوهرى بين التسجيل الرسمى للتاريخ والتسجيل الشعبى هو أن الأول قصد به أن يكون تاريخاً، أى أنه مقصود أن يصل للأجيال التالية على النحو الذى تمت به كتابته، أما التسجيل الشعبى فهو تسجيل شفاهى تراثى تتناقله الأجيال وتزيد عليه، وتعدل في مضمونه بما يخدم أهداف الجماعة الإنسانية، دون أن يقصد به أن يكون تاريخاً يقرأه الناس في الأجيال التالية، ذلك أن الموروثات الشعبية تعبير تلقائى عن الناس في حياتهم اليومية، وعن رأيهم في أحداث تاريخهم ورؤيتهم له، وإذا كنا نستطيع من خلال المصادر التاريخية التقليدية، أن نستعيد صورة الحدث التاريخى من ذمة الماضى، فإن هذه الصورة تظل باهتة لا حياة فيها ما لم نفهم أهل العصر الذى ندرسه من خلال عاطفتهم ووجدانهم وقيمهم الأخلاقية، ومثلهم العليا التى حركتهم آنذاك، والموروثات الشعبية مصدر هام للمؤرخ الذى يدرس التاريخ الاجتماعى، أو النتاج الثقافى لأمة من الأمم.[١٨]

ولعل أروع تعبير يمكن أن يؤتى به الآن، هو ما جرى على لسان طجورج ماكولى تريفيليان" G.M.Trivilian عندما قال: "لا تتألف روح الشعر في تدوين التاريخ من خيال يطوف في الفضاء، ولكنها تتألف من خيال يقتفى أثر الحقيقة ويلتصق بها، وبالنظر على أن الحقيقة قد وقعت فعلاً فإنها تجمع حولها سر الحياة والموت والزمن الذى لا يسير غوره، فعلم المؤرخ وبحثه يجدان الحقيقة، وخياله وفنه يوضحان مدلولها.[١٩]

ويصل الائتلاف بين الرواية الشفهية والموروث الشعبى ذروته ويصبحان شيئاً واحداً في السير أو الملاحم التى أشرنا إليها في صدر بحثنا هذا، وهى خاصة بالتراث العربى، ويقابلها في أوروبا أيضاً الكثير مثلها ويسبقها بعضها أحياناً، فالموروث الشعبى يجد ضالته في شخصية محورية تاريخية حقيقية فعلاً، لعبت دوراً معيناً في مسيرة التاريخ الإنسانى، وتنسج حوله خيوط روايات تكون "ملحمة" شعبية، ولا يخفى على أحد أن المشاعر الشعبية تبحث عن شخصية البطل الذى ترتجيه في حاضرها ولا تجده ماثلاً بين ظهرانيها، فتستدعيه من ذاكرة التاريخ الرسمى، وتصنع منه البطل الذى تتطلع إليه ليخرج بها بقوته الحارقة وذكائه المتقد وحيله البارعة وشخصيته الجذابة، من هذا الواقع الذى تحياه، وتنطلق به، إلى آفاق أخرى تؤملها أكثر إشراقاً وسعادة.

---

[١٨] قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، القاهرة ١٩٩٣، ص١٦ – ١٧.

[١٩] إيمرى نف، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، بيروت بدون تاريخ، ص٢.

وكان نظم الشعر كما يقول "جوردون شايلد" – من العوامل المساعدة في تذكر الأحداث حين كانت الكتابة غير مستعملة، وكان ذلك من الأسباب التى أدت إلى ظهور ملاحم البطولة والقصص الشعبية، ونمت تلك التقاليد الشعرية لازدياد تواتر الرواية المنقولة عنها، وكانت المبالغة مستحبة في الإشادة بالمفاخر والأمجاد لإثارة حواس المستمع وانتباهه، ومن الأمثلة الشائعة على ذلك ما جاء في التوارة مثل سفر القضاة مثلاً".[٢٠]

وأجدنى هنا ملزماً بأن القلم لــ "إيمرى نف Emery Neff."[٢١] ليلقى الضوء على ما قدمناه تواً فيقول: "إن الروايات المختلفة الكثيرة في نص الإلياذة والأوديسة التى جاءت في الشروح الهامشية القديمة، على مخطوط بالبندقية نشره العالم الفرنسى سنة ١٧٨٨، واقتباسات قدامى المؤلفين من شعر هوميروس ومنهم أفلاطون وأرسطو وفرجيل، وهى اقتباسات لم ترد في مخطوطاتنا، أقنعت 'ولف' Wolf (الذى كتب تقديماً لدراسة أعمال هومـــيروس عام ١٧٩٥) بأن فن الكتابة لم يكن معروفاً عند الإغريق في عصر هوميروس، وأعتقد "ولف" أن هوميروس جمع معظم الملحمتين شفوياً معتمداً على القصص الأسطورى القومى، إلا أن المنشدين قد أضافوا إلى جمعه وغيروا فيه طيلة أربعة قرون تقريباً، ونقلوه بطريق الحفظ حتى دون كتابة في أثينا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، بل إن النص قد تناوله بعد ذلك النحويون والناشرون بالتعديل، وهذا يؤكد الحقيقة الذائعة لقائله بأن الشعب الإغريقى كان حقيقة لا مجازاً هو الشاعر العظيم هوميروس!! وقد أكد المؤرخون في جملتهم أن الملاحم الهومرية ألفت وانتقلت بطريق الرواية الشفوية، بل إن قوة الذاكرة الخارقة عند الشعوب الأمية الحديثة، أثبتت إمكان هذا النقل الشفوى واحتماله، حتى ليقال إن الشيوخ في جزر "هبريديس" يحفظون من الشعر الغالى ما يفوق الإلياذة طولاً، وبالرغم من أن العلماء قد عجزوا حتى الآن عن الاتفاق على ما إذا كان للقصائد الهومرية مؤلف واحد أو أكثر، فإنه أصبح من الواضح أن القصائد المنسوبة إلى هوميروس أشبه بالملاحم الشعبية إلى حد كبير منها بالإنشاء المقصود الذى يقوم به شاعر واحد، كما هو الشأن في "إينيادة" "فرجيليوس". وينقل "إيمرى نف" عن "نيبور" Neibuhr قوله: "من المشكلات التى قد تستعصى على الحل إنشاء ملحمة شعرية لا تعتمد على موضوع عاش قروناً في الأغانى والقصص الشعبية باعتباره ملكاً شائعاً للأمة".[٢٢]

ويأخذ "هرنشو"[٢٣] Hearnshaw مع بحثه الرائع ليؤكد لنا هذا المعنى بقوله: "إن التاريخ من حيث هو سجل العصور الغابرة وديوانها الحافظ لأخبارها، قديم قدم اهتداء

---

[٢٠] شايلد (ج)، التاريخ، ترجمة عدلى برسوم عبد الملك، القاهرة بدون تاريخ، ص٥٢ – ٥٣.

[٢١] المؤرخون وروح الشعر، ص١٢١ – ١٢٢.

[٢٢] إيمرى نف، المؤرخون وروح الشعر، ص١٢٢.

[٢٣] هرنشو (ف)، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادى، القاهرة ١٩٤٤، ص١٥.

نحن هنا إذن أمام كم هائل من الروايات الشفهية تناقلها حفاظ العرب أمة بعد أمة، شعرا كان أو نثراً، وإن كان الشعر هو الغالب لسهولة حفظه، وقد وجد المؤرخون المسلمون الأوائل أمامهم كل هذه الروايات الشفهية فجمعوها، وزاد الأمر كثرة دخول الشعوب المختلفة ذات التاريخ في الإسلام مثل الفرس وجماعات من الروم والمصريين ونفر من بنى يهود، وهؤلاء جميعاً رووا تواريخهم، وحدثوا المسلمين بها وبتاريخ الأمم الأخرى، ويكفى نظرة واحدة إلى تاريخ الأمم والملوك للأمام الطبرى، وقد قدمته هنا بلفظ "الأمام" لأن الرجل كان مفسراً ومؤرخاً، وهذا ما أسلفنا عنه الحديث منذ قليل عند القول بأن المؤرخين المسلمين الأوائل كانوا رواة ومحدثين أو مفسرين، نقول إن نظرة واحدة إلى تاريخ الطبرى تكفى للوقوف على هذا الكم الهائل من الروايات الشفهية التى يوردها هؤلاء المؤرخون الأوائل بعد أن سمعوها وجمعوها، وهو حريص في الوقت ذاته على أن يرويها بسندها، فنراه يذكر مثلاً "... حدثنى ابن أبى سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال: "أو" أو "حدثنا شعيب عن سيف عن الربيع وأبى المجالد وأبى عثمان وأبى حارثة، قالوا:" وهكذا.

ورغم أن ابن خلدون يهاجم في مقدمته نفراً من المؤرخين الأوائل ويذكرهم بأسمائهم، لاعتمادهم على مجرد النقل لما سمعوا أو رأوا وتدوينهم لذلك دون تمحيص، إلا أن هذا لا يلغى مطلقاً الأهمية الكبيرة التى كانت عليها هذه الروايات الشفهية الذائعة والمنتشرة وفى الوقت نفسه المحفوظة شعرا بصفة خاصة أو نثراً، في كتابه التاريخ الإسلامى في أول الأمر. غير أن المسلمين لم يقفوا بتواريخهم عند هذه المرحلة، بل تجاوزوها بمراحل متعددة، ودخل التاريخ من بعد عندهم في مجال العلوم، بل اعتبروه – على حد قول السخاوى – من أحسن العلوم واشهدها، نذر السخاوى نفسه للدفاع عنه وذم من ذمه، وتبيان أهميته وأبعاده وأهدافه، في كتابه الذائع "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، وافرد له بن خلدون الصفحات الطوال في مقدمته الرائعة.

وتشكل الرواية الشفهية الركيزة الأساسية في الموروث الشعبى الذى يحكى مسيرة الشعوب نفسها، وطموحاتها وآلامها، ونبض الحياة الاجتماعية بكل جوانبها، والحياة الاقتصادية من حيث ممارسة الناس لها وتعايشهم في كنفها، بعيداً عن سيرة الحاكم سلطانه، ومن هذا المنطلق يلتف الموروث الشعبى حول جوهره، ويشكل الاثنان معاً – كما حدث في كثير من الأزمان وعند كثير من الشعوب، الأسطورة وهى التى خرج من رحمها التاريخ منذ البداية. وفى العصور الوسطى بصفة خاصة في الشرق الاسلامى أو الغرب المسيحى على السواء، يجد المؤرخ نفسه مدفوعا إلى الاعتماد أحياناً على بعض هذه الروايات أو الموروث الشعبى أو الأسطورة، ليكمل بأى منها ما نقص في المصادر أو الوثيقة التاريخية. ومن ثم فليس غريباً القول إن الرواية الشفهية تعد ضرورة أحياناً لتفسير ما غمض أو صعب فهمه في بعض جوانب الوثيقة التاريخية.

الإنسان إلى صناعة الكتابة، بل لقد كان الناس قبل ذلك العهد البعيد يتذاكرون قصة الأزمنة القديمة، ويتناقلونها ابناً عن أب على شكل روايات شفوية، وكان الغرض الذى من أجله تنحدر تلك القصة من جيل إلى جيل رواية شفوية، هو من غير نفس الغرض الذى ندري من أجله اليوم التاريخ ونكتبه" وهذا ما أشرنا غليه من قبل في صدر هذا البحث.

وتتسم الروايات الشفهية التى تكون الموروث الشعبى بالتلقائية والبساطة من ناحية، كما أنها تدور حول أمور تتعلق بثقافة المجتمع وتقاليده وعاداته وأخلاقه من ناحية أخرى، ويتم ذلك كله بأسلوب مثقل بالخيال والرموز الشعبية التى تخدم الأغراض والغايات الاجتماعية الثقافية للمجتمع، والموروث الشعبى يحمل أفكاراً ثابتة حقاً تمثل المنحى الثقافى للجماعة.

جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى

د. زينب عبد المجيد عبد القوى*

مصر

فوق المراعى المائية Water-meadows على ضفاف نهر التيمز Thames ونهر أيـزيس Isis عـند نقطـة الالتقاء بنهر شيرويل Cherwell تقع مدينة أكسفورد،[1] على بعد خمسـين ميلاً شمال غرب لندن بحذاء المنطقة العليا اليابسة لشبه جزيرة منخفضة بين مجرى نهـر شيرويل وأعلى التيمز من ناحية الشرق والغرب ، بينما من جهة الجنوب يؤدى انحدار إلى ممر من المراعى الرخوة التى تؤدى إلى جسر المدينة . وهى المنطقة التى يضيق عندها نهـر التـيمز قبل أن يتسع مجراه ويصبح عميقاً بعد اتصاله برافده شيرويل ، وهذه المنطقة كانـت فى الأصل عبارة عن مخاضة كان رعاه الثيران من الأنجلوسكسون الغربيين يعبرون الـنهر بقطعانهم عندها ، متجهين إلى الحقول الرخوة الواقعة على حافة المنحدر ، الذى يشكل لسـاناً أرضـياً بين نهر التيمز ورافده شيرويل . نشأت مدينة أكسفورد فوق هذا المكان التى يعـنى اسـمها "مخاضة الثيران" عند هذه النقطة التى تعتبر ملتقى ثلاثة طرق أحدها قادم من الشـمال ، والآخـر مـن الشرق ، والثالث من الغرب . وعلى الرغم من أن نهر التيمز كان الطـريق المائى الذى تتصل لندن من خلاله بقلب انجلترا ، فلم ينشأ على مجراه سوى مدينة أكسفورد.[٢]

وفى ضوء الغموض الذى يحيط بالتاريخ الباكر لنشأة مدينة أكسفورد التى لم يرد لها ذكـر فى المصادر التاريخية المعاصرة قبل عام ٩١٢م . حيث وردت أول إشارة بأنه فى هذا العـام قـام الملـك الأنجلوسكسونى إدوارد الكبير (٨٩٩-٩٢٤م) أثناء الصراع بين الممالك الانجلوسكسونية "بالاستيلاء على لندن وأكسفورد ، وجميع الأراضى التى أزعنت له بالطاعة

---

* مدرس تاريخ العصور الوسطى ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق.

[١] تظهر مدينة أكسفورد فى الوثائق الملكية والمصادر المعاصرة لتاريخ انجلترا فى العصور الوسطى باسم :
Oxoniensius, Oxoniensis, Oxoniam, Oxoniae, Oxineford; Oxeneforda,

ويدل أصل الاسم Oxen فى اللغة الانجليزية الحديثة على معنى الثيران ، وفى ضوء الطبيعة الجغرافية للمكان الذى شهد ميلاد المدينة فى الحقبة الانجلوسكسونية على أن هذا الاسم يعنى "مخاضة الثيران" انظر :
Historical letters of the Reign of Henry III, ed. by Shirley in (Rolles Series) London, 1866, Vol. II 1236-1273, pp. 251, 301; Roberti Grosseteste, Epistolae, ed. By Luard in (Rolles Series) London, 1861, p. 346; Stubbs, Select Charters and Other Illustrations of English : From the Earliest times to the Reign of Edward the First (Oxford, Ninth Edition, 1913) pp. 106, 199; The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, ed. By Stubbs in (Rolles Series) London, 1965, vol. I, pp. 35, 76, 332.

[٢] Mallet, History of the University of Oxford, London, 1968, vol. I, pp. 1, 2; Green, "Oxford in the Middle Ages", (ed.) in English Historians Selected Passages, Oxford, 1957, pp. 141-144; A Short History of the English People, London, 1960, Vol. I, p. 124;

ابراهيم الجزيرى ، مظاهر الحضارة فى انجلترا الانجلوسكسونية خلال عصر الملك الفريد العظيم ٨٧١-٨٩٩م . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، عام ٢٠٠١ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، حاشية رقم (٨٠) .

والولاء"[1] . وقبل ذلك التاريخ ووفقاً لتخمين المؤرخ باركر Parker كانت المدينة مجرد مكان حصين في قلعة هيل Castle Hill الأثر الوحيد الباقى من أكسفورد فى القرن العاشر[2] .

وقلما نسمع عن أكسفورد حتى القرن الحادى عشر . بيد أنه بدءً من هذا القرن غدت المدينة هى المكان المفضل لانعقاد مجلس الواتانجيموت Witenagemot ، أى مجلس الرجال الحكماء، أثناء حقبة الملكية الانجلوسكسونية (٤٥٠-١٠٦٦م) ، ومقراً لإقامة عدد من الملوك الانجلوسكسون مثل ايدموند الحديدى Edmund Ironside الذى لم يحكم سوى بضعة شهور من عام ١٠١٦م ، وكانيوت Canute (١٠١٦-١٠٣٥م) . وهارولد عام ١٠٦٦م . وغداة الغزو النورمانى لانجلترا عام ١٠٦٦م . ومن منطلق رغبة وليم الفاتح فى إحكام قبضته القوية على انجلترا . قام بتعيين البارون النورمانى روبرت دى أولى Robert d'ailly رئيساً لشركة أكسفورد ، حيث قام بإنشاء القلعة الشهيرة للمدينة عام ١٠٧١م . والتى صممت للأغراض الحربية والكنسية على السواء . حيث قام هذا البارون مع بارون نورمانى آخر يدعى روجرايفرى Roger d'Ivri ببناء كنيسة تعليمية Collegiate Church تكريساً للقديس جورج داخل القلعة عام ١٠٧٤م . ولم يلبث ابن أخيه أن أسس ديراً مهيباً فى أوسنى Oseney بين جزر نهر التيمز عام ١١٢٩م.[3]

فى ضوء ذلك نقول أن المدينة لم تحظ على المستوى الكنسى بأية هيبة تاريخية مثل كاتدرائيتى كانتربرى ويورك . ولم ترق إلى المرتبة الأسقفية التى من الممكن أن تضفى عليها هالة من القداسة والشهرة . وليس بها كنيسة كاتدرائية أو ديراً لأحد كبار القديسين ، باستثناء دير راهبات القديسة فريدازوايد St. Frideswide الذى تم تأسيسه عام ٧٢١م.[4] علاوة على عدد من الكنائس الأبروشية مثل كنيسة القديس مارتن التى تعد من أوائل الكنائس الأبروشية فى أكسفورد ؛ وكنيستها بالطبع هى كنيسة المدينة، وكنيسة القديسة مالدريد St. Mildred التى أقيمت تكريساً لقديسة من مملكة مرشيا Mercia أثناء الحقبة

---

[1] Roger Wendover, Flores Historiarum, ed. H.G.Hewlett, in Rolles Series, London, 1886-89, vol. I, p. 237; Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford, 1936, Vol. III, pp. 6, 7.

[2] Rashdall, op. cit., p. 7.

[3] Lyte, A History of the University of Oxford: From the Earliest Times to the Year 1530, London, 1886, p. 3; Mallet, op. cit., p. 17; Rashdall, op. cit., p. 7.

[4] يذكر المؤرخين رشدال وماليت اعتماد على حوليات دير القديسة فريدزوايد أسطورة فحواها أن فريدزوايد ابنة الملك ديدانيوس Didanus الذى حكم عام ٧٢٦م قد لاذت بالفرار من العاشق الذى طاردها ، يقال أنه ملك Leicesler الشرير ، حتى حصن فى غابة بينسى Binsey . حيث سالت منها الدماء . واستجابة لصلواتها . تفجر ينبوع من الماء فى هذا المكان ، وأصيب هذا الملك الجائر بالعمى . لتشهد المعجزات على مكانتها السماوية ، وندماً على خطيئة تم تأسيس هذا الدير فوق هذه البقعة . وللهدف من رواية هذه الأسطورة كما يذكر رشدال فى حديثه عن الوجود التاريخى لمدينة أكسفورد أن تأسيس هذا الدير يكون بمثابة إشارة باكرة بأن المدينة وجدت بعد ذلك ، انظر :
Rashdall , op.cit., Vol. III, p. 6; Mallet, op. cit., vol. I, p. 17.

الانجلوسكسونية، وكنيسة القديس بطرس فى الشرق ، وكنيسة القديسة مريم المجدلية خارج أسوار المدينة؛ ودير كنيسة القديس أوغسطين؛ وكنيسة القديس ميخائيل عند البوابة الشمالية للمدينة، ودير أبنجدون الذى امتدت ممتلكاته إلى هينكسى Hinksey ، ويتهام Wytham ، وغابة بيجلى Bagley[١] . وكان رئيس هذا الدير ، الذى يعتبر مؤسسة كبيرة وثرية ، يفرض علـى أصحاب القوارب فى أكسفورد ضريبة مرور تقدر بحوالى مائة من سمك الرنجة عن كل قارب يمر فى أيام الصوم الكبير[٢] .

علـى أية حال ، ففى داخل أروقة المدارس الملحقة بتلك المؤسسات الدينية يمكن أن نميز المراكز الأصلية للتعليم[٣] . ففى أيام القديس بندكت النورسى نفسه St. Benedict of Nursia (ت. سنة ٥٤٣م) صور العالم الأرستقراطى الرومانى كاسيودوروس Cassiodorus الأديرة باعتبارها أكثر الأماكن ملائمة للتعليم ، وأنها المراكز الأدبية فى المجتمع الجديد[٤] ، وقد تمكنت هذه المؤسسات من جذب العديد من الدارسين الفقراء من جميع أنحاء انجلترا ، إن المدارس القديمة ليس فى انجلترا فقط ، بل فى جميع أنحاء أوروبا كانت ملحقة بالأديرة أو الكاتدرائيات ، ونظراً لعدم وجود دليل مضاد فإن التناظر يرغمنا على حد تعبير المؤرخ الأنجليزى بودريك Brodrick على اعتبار الكنيسة الأم المرضعة للجامعة[٥] .

ففى الوقت الذى قدر لجامعات شمال أوروبا أن تنمو فى صلب المدارس المرتبطة بالمؤسسات الدينية سواء أكانت كاتدرائية أو ديرية أو كنسية فى ضوء ما اصطلح على تسميته بالمدرسة العامة Studium Generale ، والتى تطورت فيما بعد إلى جامعة والتى تمثل المرحلة الأولى من تاريخ نشأة الجامعات[٦] . مع الأخذ فى الاعتبار أن لفظ أو مصطلح الجامعة أو الجماعة Universilas لم يستخدم فى هذه الفترة الباكرة على الاطلاق . وإنما التعبير الذى شاع استخدامه فى نهاية القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر ، وعلى غرار نقابات التجار والصناع ومجالس المدن هو جماعة الدارسين Universitas

---

١ Mallet, op. cit., vol. I, p. 18, Lyte, p. 2.

٢ Mallet, op. cit., p. 17.

٣ Brodrick, A History of the University of Oxford, London, 1894, p. 2 ; Green, op. cit.,p.125.

٤ كانتور ، التاريخ الوسيط (ت. قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٧ ، جـ١ ، ص ٢٢٣ .

٥ Brodrick, op. cit,, p. 2; Rashdall, op. cit, p. 9.

٦ Mallet, op. cit., p. 3; Lyte, p. 4 ; Brodrick, op. cit, p. 2 ; Willson, A History of England (2nd. London, 1972) p. 121;

جوزيف نسيم يوسف ، نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٣ ، ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها فى النهضة الفكرية بأوروبا فى العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، قسم التاريخ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٧ .

Universitas Magistrorium et وجماعـــة الأســـاتذة والدارســـين ، Scholarium
.Scholarium[1]

وفـــى ضـــوء اســـتقراء الواقـــع التاريخى للحياة الأكاديمية فى القرنين الثانى عشر والثالـــث عشـــر والأصـــل التاريخى لكلمة جامعة ، التى كانت تستخدم آنذاك بمعنى الجماعة للدلالة على جماعة الدارسين سواء كانوا أساتذة أو طلاب؛ وليس بمعنى المكان الذى يقيم فيه هـــؤلاء أو حـــتى المـــدارس التى تجمعهم؛ أى ليس ثمة ضرورة أن تكون الجامعة مرتبطة بـــالمدارس . وفـــى هذا الصدد يذكر المؤرخ راشدال Rashdall أنه ليس من الضرورى فى الأســـاس الـــربط بين المؤسسة التى يشار إليها بكلمة الجماعة ، وتلك التى يشار إليها بمعنى المدرســـة العامـــة لأن جماعات الأساتذة والدارسين قد وجدت بالفعل قبل أن يخرج مصطلح المدرســـة العامـــة إلـــى حيز الاستخدام[2] . وتوجد بالفعل أمثلة قليلة تدل على وجود هذه مثل الجماعـــات أو الهيئات فى المدارس التى لم تصبح مدرسة عامة Studia generalia . وعلى أيـــة حـــال فقـــد كانـــت الجامعـــة فى الأساس عبارة عن نقابة تعليمية سواء من الأساتذة أو الدارســـين، ومـــثل هـــذه النقابات خرجت إلى حيز الوجود مثل النقابات الأخرى ، بدون أى تفويـــض واضح من الملك ، البابا ، الأمير ، أو رجل الدين . فقد جاء ظهورها عفوياً وتلقائياً مثل الموج الهادر الذى اكتسح مدن أوروبا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر.[3]

وفـــى ضوء ذلك كان مصطلح الجامعة ينطبق بشكل خاص على جموع الأشخاص الذيـــن يـــرتادون مراكز الدراسة الكبرى، ويستخدم بالفعل كمرادف لكلمة مدرسة Studium للدلالة على المؤسسة نفسها.[4]

وبـــالفعل فـــإن كلمـــة جامعـــة فى الفكر الانجليزى فى العصور الوسطى تدل على مؤسســـة تعليمـــية بمعـــنى المدرسة العامة ، ليس للدلالة على المكان الذى تدرس فيه جميع المواد، ولكن المكان الذى يتلاقى فيه الدارسون من جميع الجهات . وهذا الاستخدام للفظ يبدو أنـــه انجليزى الأصل ، لأن جامعة أكسفورد قد ذكرت بالفعل بمعنى المدرسة أو المدارس فى كـــل المراســـيم الملكية التى صدرت فى أعوام ١٢٣٨ ، ١٢٤٠ ، ١٢٥٣م . بينما كان المقر الأكـــبر للتعليم على ضفاف نهر السين حتى عام ١٢٦٣م يسمى فى المصادر المعاصرة باسم جماعة الأساتذة والدارسين[5] .

---

[1] Knowles, The Evolution of Medieval Thought, London, 1970, p. 153; Rashdall, op. cit., vol. I, pp. 5, 6; Lyte, op. cit., p. 4, Willson, op. cit., p. 121.

[2] Lyte, op. cit., p. 5; Rashdall, op. cit., vol. I, pp. 5, 15.

[3] Lyte, op. cit., p. I; Rashdall, op. cit., p. 15.

[4] Lyte, op. cit., p. 4.

[5] Lyte, op. cit., p. 4; Rashdall, op. cit., vol. I, p. 15.
سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، جـــ٢ ، النظم والحضارة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ١٧٥ .

وبالـــرغم من وجود شبه إجماع بين المؤرخين الإنجليز المحدثين على ارتباط أصل مـــدارس أكســـفورد بالكـــنائس الديرية ، فإن المؤرخ الإنجليزى رشدال Rashdall فى ثنايا حديثة عن الأصل التاريخى لجامعة أكسفورد يؤكد بأنه جاء متفرداً ، بمعنى أنها انفردت عن ســـائر جامعـــات شـــمال أوروبا بأنها لم ترتبط في تطورها بأية كنيسة كاتدرائية أو ديرية ، لاسيما وأن المدينة لم يوجد بها كنيسة كاتدرائية كما سبق الإشارة ، ولكن يمكن تبرير وجهة نظـــر هـــؤلاء المؤرخين الإنجليز من وجهة نظر المؤرخ رشدال بأن الأساتذة والدارسين فى مـــدارس أكسفورد كانوا تحت إشراف عضو ينتمى إلى المؤسسة الديرية ، على غرار أساتذة بـــاريس الذيـــن كـــانوا تحت سلطة ما اصطلح على تسميته باسم مستشار كاتدرائية نوتردام Chancellor of Notre Dame وأن المـــدارس الـــتى تأسســـت فـــى البداية قد وجدت فى المـــناطق المتاخمة لدير القديسة مارى ، وهى كنيسة أبروشية استخدمت بواسطة الجامعة من أجل اجتماعاتها، مما يعنى أن هذه المدارس لم توجد حتى فى المناطق المجاورة لدير القديسة فـــريدزوايد، والـــذى تأســـت المدينة فى ظله ، وبمجرد أن استكملت الجامعة تكوينها كان الأســـاتذة والطـــلاب تحت سلطة مستشار Cancellarius or Chancellor ، ينتخب رسمياً بواســـطة الأساتذة ، بيد أنه يستمد سلطته وصلاحيته من أسقف لنكولن Lincolniensis or Lincoln الذى تتبعه المدينة كنسياً.[1]

وفى ضوء الاستقراء التاريخى للتاريخ الباكر لجامعة أكسفورد فإن الباحث يتفق مع وجهـــة نظـــر المـــؤرخ رشدال ، وأؤكد على أن اصطلاح المدرسة العامة ليس المقصود به اعتبار أن جامعة أكسفورد كانت فى الأصل مدرسة ديرية ، ذلك أن المدارس الديرية الكثيرة فـــى أكســـفورد ، والتى سبق الإشارة إليها فى مقدمة هذه الدراسة ، شأن قريناتها فى شمال غرب أوروبا ، والتى اقتصرت الدراسة فيها على ما يسمى الفنون السبعة الحرة بمجموعتيها الثلاثـــية Trivium وتشـــمل الـــنحو والبلاغة والمنطق ، والرباعية Quadrivium وتشمل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى . وكان التعليم داخل أروقة هذه المدارس الديرية منصباً على الإنجيل واللاهوت ، ولا يستهدف غرضاً إلا إعداد النشئ ليصبحوا من رجال الدين.[2]

وفى محاولة لفض الاشتباك بصدد اعتبار جامعة أكسفورد في الأصل مدرسة ديرية، إنمـــا يـــنطوى من وجهة نظر الباحث فى ضوء هذه الدراسة على خطأ فادح ، لأن ارتباطها بالأديـــرة إنمـــا جـــاء من خلال أن الجامعة فى تاريخها الباكر لم يكن لها أبنية خاصة بها ، فاســـتخدمت فى إلقاء المحاضرات الغرف والقاعات الملحقة بالكنائس والأديرة ، والتى كانت خاضعة بدورها للإشراف الكنسى لأسقف لنكولن . ومن ثم فإن القول بأن جامعة أكسفورد قد

---

١ Rashdall, op. cit., vol. III, pp. 9-11.

٢ Mallet, op. cit., pp. 5-6.

جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، كانتور ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٨٧ .

خرجــت مــن عــباءة المدرسة العامة الملحقة بالأديرة أو الكنيسة ، ينبغى تفسيره وفهمه فى ضوء هذه الخلف.

ونتســـاءل هنا لماذا اتخذت أكسفورد من بين جميع المدن والأماكن فى المملكة لتقام بها أول وأعرق جامعة قومية ؟

لا مــراء أن مــدارس أكســفورد الــباكرة ، والتى تتوارى خلف ضباب كثيف من الغمــوض ، إنمـــا تديــن بشهرتها إلى الموقع الاستراتيجى للمدينة على ضفاف نهر التيمز ، وعلـــى الحدود بين مقاطعتى وسكس Wessex ومرشيا Mercia ، وبفضل هذا الموقع غدت أكسفورد ، أثناء فترة الصراع بين الممالك الانجلوسكسونية ، مدينة رئيسية يتبارى للاستيلاء علــيها ملــوك مقاطعــتى وسكس ومرشيا ، اللتين كانتا أكبر مقاطعات الشطر الجنوبى من المملكــة، حيث النصف الأكثر أهمية وحضارة فى المملكة[1]؛ كما يمكن الوصول إليها بسهولة مــن لندن . وبالتالى يكون موقعها ملائماً كمدينة جنوبية للدارسين القادمين من أقصى الشمال والغــرب ، إن الأهمية الاستراتيجية الناتجة عن هذا الموقع هى التى أدت فى عهد وليم الفاتح إلــى بــناء بــرج القلعة ، فى الغرب من المدينة ، والتى تعد واحدة من أفخم وأروع القلاع الانجلــيزية؛ عــلاوة على إقامة الأرل داخل قلعتها، والزيارات المتكررة للملوك الانجليز فى القرن الثانى عشر ، فقد قام هنرى الأول (١١٠٠-١١٣٥م) آخر ملوك الحقبة النورمانية ببناء قصــر بالقــرب مــن ضفة نهر التيمز عند بيمونت Beaumont ، الأمر الذى يعكس إيثار السلطة الملكية لهذه المدينة، التى تبوأت مكانتها كواحدة من المراكز الرئيسية للحياة السياسية فــى جــنوب انجلــترا، حيث أمست المكان الملائم لاجتماعات المجلس الكبير الذى اصطلح المؤرخــون علــى تســميته بالبرلمان، وأيضاً المجامع الكنسية ، وإضافة لهذا الثقل السياسى للمديــنة ، فإن الزيادة المطردة فى الأهمية التجارية للمدينة ، وانفرادها بوجود تجمع لعدد من أكثر اليهود الانجليز ثراء فى قلب المدينة، مما يشير إلى ازدهار تجارتها[2] . وفى هذا الصدد كــان بــرجوازية المدينة فخورين لتمتعهم بحرية مماثلة لتلك التى حظيت بها مدينة لندن[3] . وأخــيراً تعتــبر أكسفورد أفضل مدينة تعطى مثالاً للتغير الذى طرأ على أرضها على أيدى الــنورمان ، حيــث شهدت المدينة طفرة هائلة فى العمل الصناعى والتجارى ، وعالم المال والثروة .

---

[1] Rashdall, op. cit., p. 7; Mallet, op. cit., p. 15; Green, op. cit., p. 124.

[2] Rashdall, op. cit., p. 8; Mallet, op. cit., p. 16; Green, op. cit., p. 124-125.

[3] يقصد بذلك العهد أو الامتياز الذى ظفرت به أكسفورد فى عهد الملك هنرى الثانى (١١٥٤-١١٨٩م) . والذى تضمن منح مواطنى أكسفورد حرية التجارة بجميع اعفاءتها والرسوم المألوفة على الحقول والغابات والمراعى والممتلكات الأخرى . واعفاءهم من المكوس الجمركية فى جميع أنحاء انجلترا ونورماندى ، فى البر والبحر ، وعدم مقاضاة أحد ممن يقاضيهم خارج مدينة أكسفورد ، لمزيد من التفاصيل عن هذا العهد انظر :
Charter of Henry II to Oxford A.D., 1155-1162, Stubbs (ed.) op. cit., pp. 198-199.

وفى ضوء هذه المقومات فإن العقل لا يقبل فكرة أن تقام أولى الجامعات الانجليزية وأكثرها أهمية فى أى مكان آخر غير مدينة أكسفورد التى يحق لها أن تشعر بالرضا والزهو لهـذا المركز الأكاديمى الذى جاء مطابقاً وموقعها الملائم[١] ، الذى هيأ لها أن تكون واحدة من أكـثر المـدن ملائمـة لإيواء وإطعام الآلاف من الغرباء واحتضان تلك الجموع الهائلة من الدارسين.[٢]

إن الجامعـات الباكرة فى أوروبا لم تكن تنتمى إلى مؤسسين أشخاص ، ولا تواريخ مؤكدة لتأسيسها ، وحيث يقيم الأساتذة المشهورون يكون الارتحال إليهم من المناطق الموحشة والنائـية وسـط المخاطـر اليومـية للحياة فى العصور الوسطى. وتهفوا إليهم عقول وأفئدة الدارسين الذين يرتادون أماكنهم بحماس هائل وأعداد كبيرة ، وبالتالى ظهور ما اصطلح على تسميته "المدرسة العامة" حيث يجتمع الدارسون من جميع الجهات.[٣]

ومـن المؤكد وجود مدارس فى أكسفورد أثناء حكم الملك هنرى الأول ، إذ يستدل مـن الرسائل الخمسة Epistolae لثيوبالدستامبس Theobaldus Stampensis[٤] ، وتحديداً رسالتيه الموجهتين إلى كل من فاريتوس Pharitus رئيس دير أبنجدون Habendonensis or Abinagdon فـى انجلـترا (١١٠١-١١١٧م)، وروسلينوس Roscellinus أحد رجال الديـن فى انجلترا، الذى اضطر للفرار منها تحت وطأة معارضة من رجال اللاهوت ، يذكر

---

١ Rashdall, op. cit., p. 9.

٢ Rashdall, op. cit., p. 8.

٣ Mallet, op. cit., p. 2.

٤ أولى هذه الرسائل المنسوبة إلى ثيوبالد كانت موجهة إلى أسقف لنكولن ، وتتضمن تفنيد لاهوتى لاذع لهؤلاء الذين يشكون فـى الكتب المقدسة . والثانية إلى فاريتوس رئيس دير أبنجدون فى انجلترا بعنوان "الأطفال غير المعمدين لا يمكن أن يـنالوا السعادة الأبدية" إذ يقول فيها "... الأطفال غير المعمدين هم بلا شك من الهالكين ، أما المعمدون فإذا انتقلوا على الفـور ، فهم بالتأكيد من الخالصين . فإذا ما أراد أعداء الحقيقة أن ينبحوا ضد هذا الرأى الكاثوليكى ، فأنا على استعداد لانتقادهم كتابة وشفهياً كخطاة آثمين وكلاب لئيمة .." أما الرسالة الثالثة التى يذكر نفسه فيها كأستاذ فى جاين بفرنسا فقد كتـبها إلى مرجريت ملكة اسكتلندا التى توفيت عام ١٠٩٣م . ممجداً فيها سخائها إذ يقول : ".. إذا ما بدوت مقصراً فى تسجيل مديحى لكى ، فلا ترجعين ذلك قط إلى جفائى وكسلى ، لأنه لو تحولت جميع أعضائى إلى ألسنة ، ما استطاعت إزاء كل ما لديك من أمور تستحق الإشادة أن توفيها حقها من المديح .." ويختتم رسالته بأن يكون له شرف الانضمام إلى كهنـتها ، وأن يكـون لها بمثابة ملاك المشورة لكى تتفقه الأمور القويمة" والرسالة الرابعة إلى صديقه فيليب Philipp معزياً إياه لما يلقاه من إهانات قائلاً : ".. قال أحد الحكماء أفضل أن يعتبرنى الناس لئيماً لذنب يسير أقترفه علناً ، على أن يعتبرونى باراً ، مع ذنب جسيم أقترفه أمام الله .." وفى هذه الرسالة يقدم نفسه باعتباره استاذ فى جاين . أما الرسالة الخامسـة والأخـيرة عبارة عن تفنيد لادعاءات روسليوس ويلومه بشدة لقوله أن أبناء الكهنة الذين جاءوا نتيجة خطيئة الجسـد غـير صـالحين للكهنوت . إذ يقول فى رسالته : ".. إذا كنا مولودين من أب واحد ، ومن أحشاء كنيسة مقدسة واحدة" ، " لا مكان لكيل الاتهامات ، ولا داعى لتكبر هذا على ذاك .. إن الرب مخلصنا ، إنما تجسد فى صورة البشر وخدم الحر والعبد ، ليقدم المكافأة السماوية بتساوى المجد والكرامة لجميع الذين يؤمنون به .." ، لمزيد من التفاصيل انظر النص الكامل لهذه الرسائل الخمسة فى :
Theobaldus Stampensis, Epistolae, in Patrologia Latina, (ed.) Migne, Paris, 1854, Tome, CLXIII, pp. 759-770.

أنه كان استاذ فى أكسفورد "Magister Oxenefordiae"؛ فى حين يذكر نفسه فى رسالتين آخرتيـــن بأنه كان أستاذ فى جاين Gadumensis or Gaen[1] . ويستدل من مضمون رسائله بأنه رجل لاهوت شهير وليس راهباً ، وأنه فرنسى أو نورمانى ، وقام بالتدريس فى أكسفورد فى فترة ما قبل عام ١١١٧م ، تحت رعاية قساوسة دير القديسة فريدزاويد ، لعدد يتراوح بين ســتين أو مائة دارس تقريباً ، ويعتبر بالفعل أول الأساتذة الذين وردت أسمائهم فى السجلات الباكرة لمدارس أكسفورد.[2]

ولــم تلبث مدارس أكسفورد عام ١١٣٣م أن اجتذبت عالم لاهوت شهير من أساتذة بــاريس يدعـــى روبـــرت بوللوس أو بوللين Robert Pullus or pullen ، حيث مكث فى أكسفورد زهاء خمس سنوات محاضراً فى الكتاب المقدس؛ وجلس جون السالزبورى John of Salisbury أمامه كدارس.[3]

وبعـــد ســـنوات قلـــيلة مـــن رحيل روبرت بوللين ، جاء إلى انجلترا عالم القانون اللمـــباردى الشهير فاكاريوس Vacarius[4] . ووفقاً لرواية كل من جيرفاس راهب كاتدرائية كانـــتر بـــرى Gervasii Cantuariensis ، وروبرت تورين Roberti de Torugnion ،

---

[1] Loc. cit.

[2] Rashdall, op. cit., pp. 17, 18; Mallet, op. cit., pp. 20, 20

[3] كـــان روبـــرت بوللين انجليزياً من مقاطعة استر Exter ، من نتاج المدارس الفرنسية ، ومؤلف لكتاب "ثمانية كتب فى الأحكـــام Sententiorum Libre Octs . وعرض عليه هنرى بوكليرك Henry Beauclerc أحد رجال بلاط هنرى الـــثانى ، الـــذى كان تواقاً لخدمة هذا العالم المبجل ، وظيفة الأسقف ، بيد أنه "اكتفاء بالطعام والملبس" لم يبد قبولاً لأية وظـــيفة عليا أكثر من وظيفة رئيس شماسة روشيستر Rochester ، وبعد فترة من عودته إلى باريس توجه إلى روما ، حيث تم تعيينه عام ١١٥٤ مستشاراً للبلاط البابوى ، لمزيد من التفاصيل انظر :
Lyte, op. cit., p. 10; Bordrick, op. cit., p. 5; Mallet, op. cit., p. 21; Rashdall, op. cit., p. 18.

[4] ولد فاكاريوس الذى يعنى اسمه "راعى البقر" عام ١١١٥ أو ١١٢٠م ، فى اقليم لمبارديا . درس القانون فى مدرسة بافيا Pavea الـــتى تأسست لدراسة القانون عام ١١٢٠م . ومن المؤكد أنه جاء إلى انجلترا قبل عام ١١٤٩م ببضعة سنوات تلبـــية لرغـــبة تـــيوبالد رئـــيس أساقفة كانتربرى ، لمساندته فى تسوية نزاعه مع هنرى بلوا Henry of Blois أسقف وينشيســـتر ، الـــذى كـــان يرغب فى استرداد وظيفة ممثل البابوية فى انجلترا ، بيد أن المؤرخ ليبرمان Liebrmamn يدحض ما ذكره جيرفاس فى روايته بأن فاكاريوس جاء إلى انجلترا كمحامى للتقاضى والبت بين اثنين من رجال الكنيسة همـــا هنرى ورئيس الأساقفة حيث كان الاثنان من وجهة نظر ليبرمان بحاجة إلى سلاح القانون الكنسى فقط . الذى كان يـــدرس علـــى يد رجال الدين الانجلو نورمان قبل مجئ فاكاريوس بوقت طويل . وعاش فاكاريوس فترة من الوقت فى مدينة كانتربرى ، حيث المدارس مزدهرة ، وحيث اعتاد رجال القانون الإيطاليين أمثال فاكاريوس مساعدة الأساقفة فى مراســـلتهم للبلاط البابوى فى الدعاوى القانونية . وقد تملك الذعر الشديد الملك ستيفن الذى لم يستطع أن يتجاهل التقدم السريع فى مجال دراسة علم ينذر بتهديد الأسس الإقطاعية للملكية الانجلونورمانية ومن ثم يجب تفسير السياسة العدائية للملـــك ســـتيفن تجـــاه فاكاريوس فى ضوء الغريزة السياسية للملكية الانجليزية . وليس من منطلق الكراهية الشخصية لفاكاريوس ، لذا فقد طالبه الملك بالامتناع كلية عن إلقاء محاضراته ، كما صدر مرسوماً ملكياً يمنع الانجليز من امتلاك أية كتب عن القانون الأجنبى ، وتم إحراق عدد كبير من المخطوطات ، ولم تفلح هذه السياسة القمعية ورغم أنه لم يرتق أية وظيفة كنسية مهمة ، فقد حظى فى أخريات أيامه باحترام البابا ، ففى عام ١١٩٨ فرضه البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) للدعوة لحملة صليبية فى مقاطعة يورك بانجلترا ، لمزيد من للتفاصيل انظر :
Liebrmann, "Magister Vacarius" in E.H.R. April, 1896, pp. 305-314.

اللذين عاصرا حياة هذا العالم القادم من جامعة بولونيا بإيطاليا، فقد قام بالتدريس فى أكسفورد معلماً للقانون المدنى ، تحت رعاية ثيوبالد Theobald رئيس أساقفة كانتربرى عام ١١٤٩م، أثناء حكم الملك ستيفن (١١٣٥-١١٤٥م)[١] . ويعتبر بدون منازع أول معلم للقانون المدنى فى انجلـترا . لـذا ليس ثمة غرابة أن يرتاده أعداد كبيرة من الدارسين فى أكسفورد ، واستجابة للدارسـين الفقـراء قام بعمل ملخص دقيق فى تسعة كتب عرف باسم "كتاب الفقراء" Liber Pauperum، عبارة عن موجز لمجموعة القانون المدنى للإمبراطور جستنيان ، احتل مكانة بـارزة فى المواد الدراسية وحظى بالشعبية بعد تصنيفه ضمن الكتب المدرسية فى أكسفورد فى نهاية القرن الثانى عشر.[٢]

ومن الجدير بالذكر أنه بدون تشجيع التاج والكنيسة على السواء ما كان من الممكن أن تحقق مدارس أكسفورد الشهرة التى حظيت بها قبل نهاية القرن الثانى عشر.[٣] لاسيما بعد أن شـهدت أروقـتها قـيام واحـد من أبرز العلماء البولونيين – فاكاريوس – بالتدريس منذ أربعينيات هذا القرن ، وأن كثيرين مما عملوا فى الجهاز الإدارى الملكى ، فى الشطر الأخير من عهد هنرى الأول تلقوا تعليمهم فى فرنسا وإيطاليا ، ويذكر فى هذا الصدد أن الملك هنرى الأول أجـر لمدارس أكسفورد مزرعة المدينة مقابل إيجار سنوى قدره ثلاثة وستون جنيهاً ، وتـتألق مدارس أكسفورد بعد إنشاء دير أوسنى Oseney عام ١١٢٩م ، وضم كنيسة القديس جورج التعليمية إلى داخل القلعة واستخدامها فى إيواء الدارسين الشبان ، مما ساهم فى زيادة عدد طلبة أكسفورد[٤] .

وفى عهد هنرى الثانى (١١٥٤-١١٨٩م) ووفقاً لما تذكر المصادر المعاصرة ، فقد بـدا قصره وكأن هناك مدرسة كل يوم ، واقتداء بخطى أبيه جيوفرى بلانتجنت كونت انجو Anjou جمـع حولـه أبـرز المؤرخين ودارسى القانون ورجال الكنيسة من أشهر الرجال المتعلميـن فى عصره ، مثل جون السالزبورى ، وارتقاء أحد تلاميذ دير القديس البانس St. Albans نـيقولاس برسـكبير الكرسـى الرسـولي في روما تحت اسم البابا أدريان الرابع

---

١ Gervasii Cantuariensis, Actus Pontificum, ed. By William Stubbs, in the Hist, Wrks of Gervase of Canterbury, vol. II (Rolles Series) 1965, pp. 384, 385; Chronica Roberti de Torigneio, ed. by Richard Howlett, in the Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II and Richard I, vol. IV (Rolles Series) London, 1964, pp. 158-159; Rashdall, op. cit., p. 19; Lyte, op. cit., p. 10; Mallet, op. cit., p. 21, Bordricke, op. cit., p. 4; Davis, England Under the Normans and Angevins, 1066-1270, London, 1930, pp. 191, 192; Green, op. cit., p. 124.

٢ Chronica Roberti de Torigneio, p. 159; Liebrmann, op. cit., p. 309; Davis, op. cit., p. 192, Rashdall, op. cit., p. 21; Lyte, op. cit., p. 10; Mallet, op. cit., p. 21.

٣ Bordrick, op. cit., p. 6.

٤ Loc. cit;

كانتور ، المرجع السابق ، ص ٤٣٨ .

Adrian IV (١١٥٤-١١٥٩م) . وكانـت تلـك هى المرة الوحيدة فى التاريخ التى أدار فيها الشئون البابوية رجلاً انجليزياً.[١]

وغدا مقر رئيس أساقفة كانتربرى بمثابة مركز أدبى وعلمى زائع الصيت ، استحق أن يُنعـت باسـم "معسـكر الرب وبوابة السماء". وأطلق على انجلترا فى عهد هنرى الثانى "فـردوس الدارسين" دليلاً وبرهاناً على وجود نشاط تعليمى حقيقى علاوة على ذلك فقد ساهم التواجد الدائم للملك فى أكسفورد فى زيادة أهمية المدينة.[٢]

وفـى هـذا التوهج العلمى وفى ثنايا النزاع بين هنرى الثانى وتوماس بيكيت رئيس أسـاقفة كاتدرائـية كانتربرى على مدى الفترة من ١١٦٤-١١٧٢ . والذى أضطر فى أثناءه رئـيس الأساقفة للإقامة فى أحد الأديرة التابعة لطائفة السيسترشيان فى بونتجنى Pontigny بفرنسـا . وأيضاً النزاع السياسى بين هنرى الثانى والملك الفرنسى لويس السابع . فإن تاريخ جامعـة أكسـفورد يجـب أن يؤرخ من عهد هنرى الثانى[٣] ، فمن بين سلسلة المراسيم التى أصدرها الملك الإنجليزى ضد توماس بيكيت وأتباعه ، المرسوم الذى تضمن فقرة تنص على "مـن الآن فصـاعداً لا يسمح لأى شخص بالعبور من انجلتزا إلى القارة ، أو من القارة إلى انجلـترا ، بـدون إذن صريح من التاج ، ومن يخالف ذلك يقبض عليه ويسجن ، واستدعاء جمـيع رجال الدين الذين يمتلكون إيرادات فى انجلترا ، من خلال حكام المقاطعات ، للعودة فـى غضون ثلاثة أشهر ، إذا كانوا حريصين على أملاكهم وإيراداتهم ، وإذا لم يحضروا فى الوقـت المحـدد توضع أموالهم وممتلكاتهم فى قبضة الملك[٤] ، وقد أسفر ذلك عن عودة عدد كبـير مـن الأساتذة والدارسين معظمهم من رجال الدين إلى انجلترا إذعاناً للأمر الملكى عام ١١٦٧م، حيث أصبح من المتعذر على الدارسين الإنجليز الاستمرار فى دراستهم بفرنسا[٥] .

ويوجـد شـبه اجماع بين المؤرخين الانجليز المحدثين على أن تاريخ ميلاد جامعة أكسفورد باعتبارها "مدرسة عامة" يبدأ بهذه العودة الاضطرارية التى حدثت عام ١١٦٧ نتيجة للنزاع الكنسى والسياسى آنذاك . بيد أن الباحث يضيف إلى ذلك أن جامعة أكسفورد إنما تدين

---

١ Mallet, op. cit., p. 19;
كانتور ، المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .

٢ Mallet, op. cit., p. 19.

٣ Rashdall, op. cit., p. 23; Mallet, op. cit., p. 22.

٤ من الجدير بالذكر أن الفقرة الخاصة بعودة الدارسين ورجال الدين من فرنسا ، عبارة عن دمج للبند الثانى والثامن من هذا المرسوم الملكى الذى يتضمن عشرة بنود . انظر النص اللاتينى لهذا المرسوم فى :
Willeimo Cantuariensi, Vita S. Thome, in, Materials for the History of Thomas Becket, vol. I, (ed.) Robertson, (Rolles Series), London, 1965, pp. 53-55;
ولمزيد من التفاصيل عن النزاع بين هنرى الثانى وتوماس بيكيت انظر :
Knowles, Thomas Becket, Stanford, 1970, pp. 1-183.

٥ Rashdall, op. cit., p. 24;
سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

بنشأتها بل ووجدوها أيضاً إلى المدارس القديمة الملحقة بالأديرة أكثر من هذه الهجرة المفاجئة التى حدثت بعد مرسوم الملك هنرى الثانى مع الأخذ فى الاعتبار أن أصل جامعة أكسفورد كمدرسة عامة ملحقة بالأديرة لا يعنى أبداً كونها مدرسة ديرية كما سبق ذكره .

على أية حال ، فقد تطلع هؤلاء الأساتذة والدارسين العائدين للبحث عن مركز جديد للتعليم ، وتنظيم مقاعدهم فى مكان آخر ، ووجدوا فى أكسفورد المرفأ الملائم ، ومن ذلك الحين فصاعداً كثرت الأدلة والإشارات التاريخية بأن أكسفورد قد أصبحت بالفعل مكاناً للدراسة أى مدرسة عامة فى ضوء اصطلاح العصر ، تذخر بالأساتذة والدارسين والتخصصات من جميع الجهات ، وأحد مراكز التعليم الكبرى فى السنوات الأخيرة من حكم هنرى الثانى راعى الحركة الفكرية فى انجلترا آنذاك[١] .

إن أول إشارة عن مدارس أكسفورد بعد عام ١١٦٧ إنما وجدت فى ثنايا الوصف الشيق الذى تم سرده من قبل الرحالة والمؤرخ الويلزى جيرالد بارى Gerald de Barri ، الذى اشتهر بالاسم اللاتينى جيرالد كامبرنسيس Geraldus Cambrensis والذى يتحدث عن زيارته لأكسفورد عام ١١٨٦[٢] . عندما قرأ كتابه الرصين "طبوغرافية أيرلندا" أمام الأساتذة والدارسين المجتمعين فى أكسفورد على مدى ثلاثة أيام ، ووفقاً لراويته حيث يتحدث عن نفسه بضمير الغائب قائلاً : "عندما حان الوقت ، وتم انجاز العمل ، لم يرغب فى إخفاء علمه ومعرفته ، ويأبى أن يخفى شمعته تحت غطاء ، بل يود أن يضعها فى شمعدان ليشع ضوئها على الجميع ، لذا قرر قراءة كتابه علناً أمام جمع ضخم فى أكسفورد ، حيث يوجد بها أشهر رجال الاكليروس الإنجليز علماً ، وأمام هذا الحشد الكبير قسم عمله إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم استغرق يوماً ، واستغرقت القراءة ثلاثة أيام متتالية ، ففى اليوم الأول استقبل فى مقر إقامته الطلبة الفقراء من المدينة؛ وفى اليوم الثانى جميع الأساتذة والبارزين من تلاميذهم فى التخصصات Faculties المختلفة؛ وفى اليوم الثالث باقى الدارسين ، بالإضافة إلى الكثير من

---

١ Mallet, op. cit., p. 23.

٢ ولد جيرالد فى ويلز عام ١١٤٧ ، ورحل إلى باريس للدراسة ، ثم أصبح محاضراً مشهوراً فى المجموعة الثلاثية Trivium من الفنون السبعة الحرة ، وفى ضوء روايته عن تميزه كما ذكر فى حوليته ، أنه عندما كان أساتذة الآداب يرغبون فى اختيار نموذج للدارسين الممتازين ، كان الاختيار يقع عليه . وعندما عاد إلى موطنه الأصلى انجلترا ، أرتقى منصب رئيس شمامسة بريكون Brecon . بيد أنه لم يتمكن من ارتقاء منصب أسقف كنيسة القديس ديفيد ، ولم يترك مدارس باريس إلا بعد أن أتم دراسته فى القانون الكنسى واللاهوت ، وفى عام ١١٨٤م تم تعيينه واحداً من قساوسة الملك هنرى الثانى ، وبعدئذ أرسله الملك مرافقاً لابنه الأمير جون إلى ايرلندا ، وأسفرت هذه الرحلة عن كتابة أثنين من أهم أعماله هما وصف طبوغرافية ايرلندا ، والفتح الانجليزى لجزيرة ايرلندا . لمزيد من التفاصيل انظر :
Giraldus Cambrensis, Opera, (ed.) Brewer, vol. I, (Rolles Series) London, 1861, pp. 72-73; Rashdall, op. cit., p. 25; Lyte, op. cit., pp. 12, 13; Bordrick, op. cit., p. 6; Mallet, op. cit., p. 23.

الفرســـان وســـكان المديـــنة . وكان هذا عملاً نفيساً ونبيلاً ، يحتاج إلى شعراء العالم القديم لتمجيده وتخليده ، حيث لم يحدث ذلك من قبل في انجلترا"[1] .

لا مـــراء أن هـــذا الوصف إنما يزيح النقاب عن تأكيد راسخ لوجود مؤسسة علمية أكبر من مجرد مدرسة عادية سواء كانت كاتدرائية أو ديرية . وفى ثنايا هذا الوصف تتراءى أيضـــاً الســـمات المميزة للمؤسسة العلمية من خلال المدرسة العامة Studium generale . وهـــو الاصــطلاح الذى أطلق فى العصور الوسطى وفى انجلترا تحديداً على ما نعرفه اليوم باسم الجامعة . والتى يتطلب قيامها اجتماع الأساتذة والدارسين فى العديد من التخصصات فى مكان ما . وهذا ينطبق على هؤلاء المستمعين لقراءة جيرالد[2] . علاوة على ذلك ووفقاً لراوية المؤرخ رشدال أنه من بين الأشخاص الذين تم شفائهم بزيارة ضريح القديس توماس بيكيت ، شـــخص يدعـــى روبـــرت ، والذى تولى رئاسة دير القديسة فرايدزوايد فى أكسفـــورد عام ١١٤١م. حيـــث سمح له بمقعد للوعظ فى حضور الدارسين من مختلف أنحاء انجلترا . وكان أول من سمح له باستخدام مقعد عندما يقوم بالوعظ[3] .

وخـــتاماً لهـــذا الســـيل المـــتدفق من الأدلة التاريخية التى تعكس اجماع المؤرخين المحدثيـــن بـــأن البداية الحقيقية لظهور مؤسسة علمية فى أكسفورد ، إنما يرجع إلى الأحداث الـــتى أســـفرت عن الرحيل الجماعى للدارسين الإنجليز فى باريس بمقتضى المرسوم الملكى عـــام ١١٦٨م، وبالـــتالى الحرمان من حرية المرور إلى مركز كبير للتعليم الأوروبى . فمن الطبـــيعى أن تـــتذبذب أعداد الذاهبين إلى مدارس أكسفورد وتتأرجح مع كل تغيير يطرأ على العلاقـــات السياسية بين فرنسا وانجلترا، لاسيما فى الفترة من ١١٧٥-١١٨٥م؛ حيث شهدت هـــذه الفترة سلسلة متتالية من المنازعات بين المملكتين[4] . ولعل أبرز مثال على ذلك ما حدث للمـــؤرخ والرحالة جيرالد ويلز ، الذى منع نتيجة لهذا النزاع من الذهاب إلى باريس لدراسة اللاهوت عام ١١٩٢م[5] .

---

[1] Giraldus Cambrensis, op. cit., p. 73; Lyte, op. cit., pp. 13-14, B ordricke, op. cit., pp. 6,7; Mallet, op. cit., p. 24;

كان كتاب "طبوغرافية ايرلندا" بمثابة تجربة جديدة وفريدة ، بيد أنه لم يحظ بالقبول من جانب معاصريه ، من منطلق كيف يتســـلى لرئـــيس شماسة أن يبدد وقته فى تسجيل حياة الأيرلنديين المتصلبين فى الرأى ، ووصف المناظر الطبيعية وجمع التراث لبلد بربرى خام ، وأن ذلك مضيعة للوقت لا تليق برئيس الشماسة ، انظر : Lyte, op. cit., p. 13.

Lyte, op. cit., p. 13.

[2] Rashdall, op. cit., p. 25.

[3] Ibid, p. 28, Knowles, Thomas Becket, p. 23.

[4] Rashdall, op. cit., p. 30;

ولمزيد من التفاصيل عن النزاع والعلاقات السياسية بين انجلترا وفرنسا فى عهد هنرى الثانى انظر :

زينـــب عـــبد المجـــيد ، الانجلـــيز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ ، عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

[5] Giraldus Cambrensis, op. cit., Tome, I, p. 93.

علـــى أية حال ، بدأت مدارس أكسفورد التى أصبحت تذخر بالتخصصات والأساتذة والدارسين من جميع الجهات تحظى باهتمام السلطة الملكية ، وفى العامين السابع والثامن من عهـــد الملك ريتشارد الأول (١١٨٩-١١٩٩م) تميط السجلات الملكية اللثام عن الأموال التى كانــت تمـــنح لإعالـــة الدارسين فى مدارس أكسفورد من المنح والهبات الملكية . فقد منح ريتشـــارد الـــذى ولـــد فى قصر بيمونت Beaumont بأكسفورد مكافأة مالية أسبوعية تقدر بنصـــف مـــارك لدعـــم دارس فى أكسفورد من هنغاريا Hungary (المجر) يدعى نيقولاس Nicholas . وقد يبدو غريباً للوهلة الأولى أن أول دارس حفظت السجلات اسمه كان أجنبياً. بـــيد أنـــه يجب تفسير ذلك فى ضوء حقيقة أن جامعات العصور الوسطى بصفة عامة كانت تتسم بطابع عالمى وليس قومى[1] . ويشير المؤرخ ريتشارد ديفز Richard of Devizes فى حوليـــته عـــن الملـــك ريتشارد الأول لكثرة أعداد الدارسين فى أكسفورد ، وأن المدينة كانت تســـتطيع بالكـــاد إطعامهم[2] . وفى عام ١١٩٧ استضاف سامسون Samson رئيس والقديس إيدمونـــد St. Edmund فى بيورى[3]، عدداً كبيراً من أساتذة أكسفورد عند زيارتهم للمدينة . وفـــى هـــذا العـــام أيضاً قام توماس ماربرج Thomas de Morleberge رئيس دير إيفهام Evesham بتعلـــيم القـــانون الكنســـى والمدنـــى فـــى أكســـفورد[4] . ويؤكـــد الكسندر نيكام Alexander Neckam الـــذى كتب عام ١٢٠٠م تقارب واتصال مدارس أكسفورد بكل من سالرنو Salerno وبولونيا بإيطاليا، ومونبلييه Montpellier وباريس، وأدرك نتيجة لذلك أن نبوءة مرلين Merlin "بازدهار الحكمة والمعرفة فى أكسفورد " قد تحققت الآن[5] .

---

[1] يؤكـــد الطابع العالمى لجامعات العصور الوسطى المرسوم الهام الذى أصدره الإمبراطور الألمانى فريدريك بربروسا (١١٥٢-١١٩٠م) فى مجمع رونكاجليا Diet of Roncaglia عام ١١٥٨م . والذى نص صراحة على الإدارة الآمنة ، وحماية الدارسين الأجانب الذين ينتقلون أو يسافرون عبر أراضيه ، انظر :
Lyte, op. cit., p. 14; Mallet, op. cit., p. 14.

[2] Richard of Devizes, De Rebus Gestis Richari Primi, in the Chronicles of Stephen, Henry II, and Richard I, vol., III, p. 437.

[3] يعد دير القديس إيدموند واحداً من أعظم الأديرة فى انجلترا فى العصور الوسطى ، ويستدل من مقدمة الحولية الخاصة بهذا الدير ، والتى كتبت فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر . أن الملك كانيوت Canute (١٠١٣-١٠٣٦م) قام بتأسيسه تخلـيداً لذكرى القديس إيدموند ملك شرق انجليا Anglia ، الذى قتل أثناء محاربة الدانيين فى العشرين من نوفمبر عام ٨٧٠م . انظر تفاصيل ذلك فى :
The Chronicle of Bury St. Edmunds, pp. 1212-1310, (ed.) by Antonia Granseden, London, 1964, p. XI; Rashdall, op. cit., p. 32.

[4] Loc. Cit.

[5] يحتل الكسندر نيكام مكانة بارزة فى التاريخ الفكرى لانجلترا فى نهاية القرن الثانى عشر ، وأمضى سنوات كثيرة مدرساً فـــى أكسفورد ، وقس فى دير جيرنسيستر Girencester . ووفقاً لما ورد فى حوليته فقد ولد فى نفس الليلة التى شهدت ميلاد ريتشارد الأول ملك انجلترا ، فى الثالث عشر من سبتمبر عام ١١٥٧م وأمضى فترة حداثته وتلقى تعليمه الباكر فى دير القديس الباس St. Albans . وأمضى بعدئذ سنوات عديدة للدراسة فى باريس . وباعتباره من قساوسة دير القديس أغسطين فى جيرنسيستر فقد خدم كل من الملك والبابا ؛ ففى الثلاثين من أغسطس عام ١٢١٣ وأثناء وقوع المملكة تحت طائلة عقوبة اللعنة الكنسية ، أمره الملك جون (١١٩٩-١٢١٦م) بمرافقة جون هاستنجز John Hastings رئيس شرطة

لا مــراء أن جامعة أكسفورد فى أقدم مراحلها تدين بالكثير لجامعة باريس ، التى لم تـتخذ صــفتها الرســمية كجامعة إلا فى أوائل القرن الثالث عشر تحديداً عام ١٢٠٠م . ففى ضوء الروابط التى كانت تربط بين انجلترا وفرنسا من خلال الممتلكات الانجليزية فى فرنسا ممــثلة فــى دوقيات نورماندى ، بريتانى Brittany، أكوتين Aquitaine ، وكونتيات مين Maine ، أنجــو Anjou ، لــو مارش Le March وبواتو Poitou . وعلاوة على السيادة الفكرية لباريس فى أوروبا الغربية ، كان يتوجه إليها أكثر الشباب الإنجليز طموحاً فى القرن الثانى عشر مثل جون السالزبورى ، توماس بيكيت ، ستيفن لانجتون ، روبرت جروستيت ، روجــر بــيكون وغيرهم . وكان حتماً مقضياً أن يجلبوا معهم عند عودتهم إلى وطنهم أفكاراً مستمدة من تجربتهم فى باريس، والتى غدت نموذجاً للتنظيم الأكاديمى فى أكسفورد . لذا فمن الطبيعى أن تكون الكثير من النظم واللوائح الداخلية لجامعة أكسفورد مستقاه من ذلك المصدر . فعلــى غرار نظام الأروقة الأربعة فى جامعة باريس فى ضوء تقسيم الطلبة إلى مجموعات أربعــة تمــثل الــبلاد الــتى ينتمون إليها، وهى رواق الفرنسيين ، رواق الشماليين ، رواق البيكارديــن (الشمال والشمال الشرقى من فرنسا وهولندا) ورواق الإنجليز، تحول إلى رواق للدارســين الألمــان ، بعد انقطاع العلاقات السياسية والثقافية بين انجلترا وفرنسا غداة حرب المائة عام (١٣٣٧-١٤٥٣م)، قامت جامعة أو بمعنى أدق مدارس أكسفورد على أساس نظام الأروقــة الأربعــة . بــيد أن هذا التقسيم جاء قصير الأجل وسرعان ما اقتصر التقسيم على أســاس أبــناء الشمال Northermeris الذى يضم الدارسين القادمين من اسكتلندا . أما أبناء الجنوب Southermers فهم الطلاب القادمون من ويلز وأيرلندا[١] .

كــل رواق مــن هــؤلاء أى رواق أبناء الشمال ورواق أبناء الجنوب يقوم باختيار مراقب Proctor . بيد أن هذين المراقبين كان يتم اختيارهما من بين الأساتذة وتحديداً أساتذة الآداب ولــيس الدارسين . وهؤلاء المراقبين ورد ذكرهم لأول مرة عام ١٢٤٨م عند مثولهم أمــام الملــك هــنرى الثالث (١٢١٦-١٢٧١م) لتقديم شكاوى الجامعة ضد انتهاكات اليهود

نيلوورث Kenilworth للتحرى بصدد الحقوق الملكية فى دير نيلوورث . وفى نفس العام أى ١٢١٣م تولى رئاسة دير جيرنسيستر . وفى عام ١٢١٥م كان ضمن الحاشية الملكية التى تتأهب لحضور المجمع اللاتيرانى الرابع الذى دعى إليه البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) وعقد بمدينة روما عام ١٢١٥م . لمزيد من التفاصيل انظر الدراسة القيمة التى قام بها :

Russell, "Alexander Neckam in England", in E.H.R., vol. XLVIII,January, 1932, pp. 260-268; Rashdall, op. cit., p. 28.

[١] Lyte, op. cit., p. 15; Brodricke, op. cit., p. 7, 8; Mallet, op. cit., p. 40; Rashdall, op. cit., pp. 56, 57; Traill and Mann, Social England, Oxford, 1975, vol. I, pp. 613, 614; Willson, op. cit., p. 122.

نظــير سعداوى ، تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، دار النهضة العربية ١٩٦٨ ، ص ١١٧ . ولمزيد من التفاصيل عن الهيكل التنظيمى للدارسين فى جامعة باريس انظر ، ياسر عبد المعبود ، المرجع السابق ، ص ص ٥٤ - ٦٥ .

وســكان مديــنة أكسفورد[1] . ويتضح أيضاً من بنود اتفاق السلام الذى أبرم عام ١٢٧٤م بعد انــدلاع واحــدة من منازعات الشغب بين الدارسين من أبناء الشمال والجنوب ، والذى نص على ضرورة دمج هؤلاء الدارسين فى جماعة واحدة ، والتصويت أيضاً باعتبارهم أبناء أمة واحدة . وبهذا يتلاشى مبكراً التصنيف العرقى الذى شهدته أولى الجامعات الإنجليزية ، رمزاً وتأكيداً لإتمام الوحدة القومية التى كانت انجلترا أسبق الممالك الأوروبية فى تحقيقها[2] .

وفــى أواخــر عــام ١٢٠٨م شهدت مدينة أكسفورد حادثة كان لها أكبر الأثر على مســيرة تطور الجامعة ، ففى الوقت الذى كان فيه النزاع بين الملك جون (١١٩٩-١٢١٦م) والــبابا أنوســنت الثالث قد بلغ أوج ذروته، قتلت امرأة شابة فى بيت عرف فيما بعد وتخليداً لهــذه الحداثــة باسم قاعة العذراء "Maiden Hall" على يد أحد الدارسين فى أكسفورد مما أســفر عــن اندلاع ثورة من الغضب العارم من جانب سكان المدينة؛ حيث ألقى القبض على العديــد مــن الدارســين . وعندما يأس السكان من العثور على الطالب القاتل ، قبضوا على

---

[1] جاء أول ظهور للمراقبين Proctors فى طيات أحداث الشغب الذى اندلع فى مدينة أكسفورد فى مايو عام ١٢٤٨م . حيث تعــرض دارس اســكتلندى مرموق وحسن الخلق أثناء مروره بكنيسة القديس مارتن فى كارفاكس Carfax للهجوم من جانب أبناء المدينة ، وعند فراره إلى وسط المدينة فى الشارع الرئيسى إنهال عليه وابل من الحجارة وفضلات الذبائح من حوانيــت الجزاريــن . ولم يلبث أن سقط صريعاً متأثراً بالجراح التى لحقت به نتيجة الضرب المتكرر من مطارديه . ونظراً لعدم اكتراث المسئولين بالمدينة بهذا الأمر ، توقف أساتذة الجامعة عن إلقاء المحاضرات ، وأقسموا على مغادرة جميع الدارسين لمدينة أكسفورد إذا لم يتم القصاص . وعدم دفن جثة الطالب لحين تلق ردوداً ملائمة ومرضية من الملك وأسقف لنكولن . ولم يتوان روبرت جروستيست Robert Grossetest أسقف لنكولن (١٢٣٥-١٢٥٣م) لحظة واحدة فى إعلان عقوبة الحرمان الكنسى عن القتلة ، والبحث عنهم بمساعدة أبناء المدينة . بيد أن أساتذة الجامعة لم يقتنعوا بإنهاء المســألة عــند هذا الحد والإصرار على ضرورة الحصول على ضمان بعدم تكرار منازعات مماثلة . ومن ثم أرسلوا مراقبيــن ممثلين عنهم لعرض شكواهم أمام الملك فى وودستوك Woodstock . ولم يتردد الملك فى منح عهد يتضمن امتيازات للجامعة ، أمر فيه بضرورة أن يتم التحقيق فى أى أخطاء أو أضرار تقترف فى حق الدارسين فى أكسفورد ، بواســطة محلفيــن من أبناء المدينة ، وأشخاص محايدين من المناطق المجاورة . وفى حالة تعرض أى دارس للقتل أو الإصــابة الخطيرة من جانب أبناء المدينة ، تفرض غرامة على كل السكان . وعقاب النواب المحليين بشكل منفصل إذا ثبت تقصيرهم فى أداء واجباتهم . وأمر بضرورة أن يقسم كل عمدة Mayer ونائب Bailiff فى أكسفورد عند تولى مهام مناصــبهم علــى احترام حريات الجامعة وتقاليدها الراسخة ، وأن يدعى مستشار الجامعة دائماً لسماع أداء هذا القسم . وبهدف التغلب على أحد الأسباب الرئيسية للنزاع بين الجامعة والمدينة منع اليهود من تقاضى أكثر من ثلاثة وأربعين فى المائــة كفــائدة علــى القروض المقدمة للدارسين ، وأمر الملك أيضاً بضرورة الحضور الشخصى لكل من المستشار والمراقبين أو من خلال مندوبيهم عند توزيع الخبز والبيرة . ولمزيد من التفاصيل بهذا الشأن انظر :
Lyte, op. cit., pp. 43-44; Rashdall, op. cit., p. 57.

[2] شــهدت الفترة من ١٢٧٦-١٢٨٤ تكريس الاهتمام الرئيسى للملك إدوارد الأول (١٢٧٢-١٣٠٧م) لإخضاع ويلز . ففى عــام ١٢٨٤م أصدر قانوناً يقضى بضمها إلى التاج الانجليزى ، وتطبيق القوانين الانجليزية . وفى عام ١٣٠١ أضفى علــى أكبر أبنائه لقب أمير ويلز . وهو اللقب الذى لازم ولى العهد فى انجلترا حتى يومنا هذا . وجاءت جهوده فى هذا الصــدد تــتويجاً لجهود أسلافه الرامية لتوحيد الجزر البريطانية ويلز ، ايرلندا ، اسكتلندا فى مملكة واحدة ، لمزيد من التفاصيل انظر :
Chronicle of Reigns of Edward I and Edward II, vol. I (ed.) W. Stubbs in Rolles Series, London, 1881, p. 89; Rashddall, op. cit., p. 33-35.

زينب عبد المجيد ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ -٢٢٨ .

طالبيــن أبــرياء كانا يقيمان معه بدلاً منه، وتم ايداعهما السجن، وشنقهما بعد ذلك . ولم يكن مفاجأة من الملك الواقع تحت طائلة عقوبة الحرمان الكنسى والتهديد بالعزل من جانب البابا ، وفــى محاولــة لتهدئة غضب الجموع الثائرة أن يبدى موافقته على إعدام اثنين من الدارسين وحبس ثلاثة . ولم يتردد البابا فى وضع المدينة تحت طائلة عقوبة اللعنة وأعلن منع التدريس فــى أكســفورد . وأغلقت معظم مدارس أكسفورد[1] وعلى حد تعبير المؤرخ ماكسويل لوت Maxwell Lyte " بــدا لفــترة من الوقت كما لو أن التعليم الانجليزى سوف يضطر للرحيل عــن أكسفورد لمكان آخر أكثر هدوء"[2] . وبالفعل ذهب بعض الدارسين لمواصلة دراساتهم فــى بــاريس ، وتوجــه الــبعض الآخر إلى ريدنج Reading ، وميدستون Maidstone ، وكمبريدج Cambridge . بحيث لم يبق دارس واحد فى أكسفورد[3].

وفــى عام ١٢١٤م الذى شهد إذعان الملك جون للبابوية ، صدر أول مرسوم بابوى يتسم بكونه عهداً بالامتياز حق لجامعة أكسفورد أن تتباهى به ونص على :

".. تمــتع الدارســين فــى مــدارس أكسفورد لمدة عشر سنوات بالإعفاء التام من إيجــارات البــيوت التى يقيمون بها . وأن يقيم سكان المدينة مأدبة عشاء لمائة من الدارسين الفقــراء كل عام فى عيد القديس نيقولاس Nicholas راعى الدارسين وأن تدفع المدينة مبلغاً ســنوياً يقدر بحوالى اثنين وخمسين شلناً توزع على الدارسين الفقراء، وأن تدفع هذه الأموال إلــى رئيس دير أوزنى Oseney ، ورئيس دير القديسة فرايدزوايد، وأن يكون توزيعها من اختصــاص أســقف لنكولــن أو مستشاره . وأن يقسم سكان المدينة على تزويد الدارسين فى المستقبل بالمؤن بأسعار ملائمة . وفى حالة القبض على أى دارس فى المستقبل ينبغى تسليمه إلــى أسقف لنكولن ، أو إلى رئيس شماسة أكسفورد أو نائبه أو إلى المستشار المعين من قبل الأســقف للإشــراف على الدارسين ، أو لأى مندوب آخر معتمد من السلطة الأسقفية . وكل الأســاتذة الذين استمروا فى التدريس بعد انسحاب الطلاب بعد إحداث شغب ١٢٠٨م ، وفى تحد سافر للسلطة الكنسية والأكاديمية ، يمنعوا بمقتضى الأمر البابوى من التدريس لمدة ثلاث سنوات ، وحرية كل الأساتذة والدارسين فى العودة واستئناف محاضراتهم"[4] .

---

[1] Lyte, op. cit., p. 17; Brodricke, op. cit., p. 9; Rashdall, op. cit., p. 33.

[2] Lyte, op. cit., p. 16.

[3] Brodricke, op. cit., p. 9, Lyte, op. cit., p. 18.

[4] فــى ثــنايا أحداث عام ١٢٠٨م شرعت السلطات الكنسية فى أكسفورد فى وضع المدينة تحت طائلة حرمان كنسى أكثر صرامة من ذلك الحرمان الذى فرضه البابا أنوسنت الثالث على المملكة ، مما أدى إلى معاناة سكان المدينة روحياً ومادياً . فقــد ترتب على رحيل الدارسين عن المدينة ، ترك البيوت والقاعات التى يقيمون بها بلا مستأجرين . وركود النشاط التجارى بالمدينة . واستمر هذا الحال لأكثر من أربع سنوات ، حتى مجئ المبعوث البابوى نيكولاس Nicholas أسقف تسكاليوم Tusculum إلى انجلترا عام ١٢١٣م . وتقدم سكان المدينة إليه بالتماس مناشدين إياه بالعفو والحماية والتعهد بالالــتزام بقــراره . وبناء على أمره وتكفيراً عن أحداث عام ١٢٠٨م ، على سكان المدينة المتهمين بالمشاركة فى هذه الأحداث الحضور حفاة الأقدام ، عراة الأجساد ، حاملين الأسواط فى أيديهم ، إلى مقابر الطلاب القتلى ، وإعادة دفنهم فى

وفـــى ضوء هذا المرسوم البابوى الذى جاء تأكيداً وتتويجاً لاعتراف البابوية بحقوق الدارســـين فـــى أكســـفورد ، وتكفيراً عن الاعتداء الذى تعرض له الدارسون من قبل سكان المديـــنة عام ١٢٠٨م، يذكر المؤرخ الانجليزى ماليت Mallet أن كل الجامعات فى العصور الوسطى كانت تبتهج بالحصول على الحماية البابوية ، ودعم حقوقها بالتأييد البابوى . ومن ثم وعلـــى غرار جامعة باريس التى تدين للبابوية بأول اعتراف بوجودها كمؤسسة علمية، تدين جامعـــة أكسفورد للبابوية بأول عهد امتياز ، وبداية هذه الحصانات القوية التى جعلت جماعة الأساتذة والدارسين هى الأسمى تقريباً داخل أسوار المدينة[1] .

وتتراءى أهمية المرسوم البابوى عام ١٢١٤م فى أنه تضمن أول إشارة عن منصب المستشـــار Cancellarius or Chancellor، وأن تعيينه كان من اختصاص أسقف لنكولن . بيد أن مستشـــار الجامعـــة المشـــار إليه فى المرسوم كان موجوداً بالفعل تحت اسم رئيس المدارس Magister Scholarum or Head of the Schools . ويرى المؤرخ الانجليزى رشدال أن هذا النائب المعين من قبل أسقف لنكولن إن لم يكن ينتخب بواسطة الأساتذة أنفسهم ، كـــان على الأقل يتم اختياره من بينهم . لذا فقد بدا مركز المستشار فى أكسفورد من الناحية العملـــية مغايراً تماماً لمستشار جامعة باريس المقيم فى كاتدرائية نوتردام . ونظراً لأن مدينة أكسفورد تبعد عن أسقفية لنكولن بمسافة تناهز مائة وعشرين ميلاً، فقد وجد أساقفة لنكولن من الملائـــم والضـــرورى تعييـــن مستشـــار مستقل فى أكسفورد للإشراف وحماية رجال الدين الدارســـين بهـــا . ونظـــراً لعـــدم وجود كنيسة كاتدرائية أو أسقفية فى مدينة أكسفورد ، فإن الأسباب التى من الممكن أن تدفع المستشار للإصطدام مع الجامعة غير قائمة . وعلى النقيض مـــن جامعـــة بـــاريس لم يكن مستشار جامعة أكسفورد عضواً معادياً للجامعة ، وإنما يدين بوجـــوده للجامعـــة؛ لاسيما وأن أسقف لنكولن الذى يستمد منه سلطته وصلاحيته يقطن بعيداً متقلاً بأعباء أسقفيته الكبيرة الممتدة جنوباً حتى نهر التيمز . ومن ثم لم يكترث كثيراً بتفاصيل الإدارة فـــى مدارس أكسفورد . لتبدو مدارس أو جامعة أكسفورد من البداية أكثر استقلالاً ، وبمـــنأى عـــن قـــيود الجو الأسقفى الذى خيم بظلاله على جامعة باريس . وبالتالى ليس ثمة ضـــرورة لأن تلهـــث مدارس أكسفورد وراء استجداء التأييد البابوى للتحرر من نير السلطة الأســـقفية، لينـــتقل مستشـــار جامعـــة أكسفورد تدريجياً إلى مركز مدير أو رئيس الجامعة، والحصـــول بالـــتالى علـــى مركز فى جماعة الأساتذة Universitas Magistorium .وهو المركـــز الـــذى ظل مستشار كاتدرائية نوتردام فى باريس غيوراً دائماً للحرمان منه . وتظفر

مكان يتم اختياره بعناية . والتهديد بتجديد عقوبة الحرمان الكنسى بواسطة أسقف لنكولن فى حالة التقصير عن تنفيذ ذلك . وفور الإذعان لذلك تم رفع عقوبة الحرمان الكنسى وعودة الدارسين واستئناف المحاضرات فى أكسفورد ، انظر ذلك فى:
Lyte, op. cit., pp. 18, 19; Mallet, op. cit., p. 28; Brodricke, op. cit., pp. 9, 10; Rashdall, op. cit., pp. 34-35.

[1] Mallet, op. cit., p. 25.

الجامعة فى النهاية بالسلطات القضائية التى يتمتع بها المستشار والبت فى أى قضية يكون أحد الطلاب طرفاً فيها[1] .

علـــى أيـــة حال ، فإن مستشار الجامعة الذى تم الإشارة إليه لأول مرة فى المرسوم الـبابوى عـــام ١٢١٤م ، كان فى البداية يعين من قبل أسقف لنكولن الذى يستمد منه سلطته وصلاحيته بيد أنه من البداية كان يتم اختياره من بين الأساتذة باعتباره أستاذاً فى اللاهوت أو القـــانون الكنســـى . الأمـــر الـــذى جعل اعتماده على الأسقف – كما سنرى – يكاد يتضاءل ويتوارى والسلطات القضائية التى ظفر بها من الأسقف آلت إلى الجامعة[2] .

ويذكر المؤرخ الانجليزى بودريك Brodrick أن الجدل لا يزال قائماً بصدد التاريخ الذى غدت فيه مدارس أكسفورد جامعة لها مستشار خاص بها بالمعنى القانونى ، رغم وجود خـــتم يـــرجع تاريخـــه إلـــى عـــام ١٢٠٠م ويحمـــل عـــبارة Sigillum Cancellariet Universitatis Oxoniensis . ولـــم يتقرر على وجه اليقين ما إذا كان المستشارون الأوائل قـــد اســـتمدوا ســـلطتهم أساساً من أسقف لنكولن باعتباره أسقف الأبروشيه، أو كانوا مديرين منتخبين Elective Rectors للمدارس يتم اقرار انتخابهم بواسطة أسقف لنكولن . بيد أنه من المؤكـــد أن الرئـــيس الفعلـــى للجامعـــة أصبح يسمى مستشاراً Cancellarius وليس رئيس المـــدارس[3] . ويضـــيف إلى ذلك المؤرخ الانجليزى لوت Lyte بأنه حتى أوائل القرن الثالث عشـــر كان مستشارو المدارس فى أكسفورد يعملون ببساطة بصفتهم مندوبين عن الأسقف . ولكن خلفائهم – كما سنرى – بدأوا يذوبون تدريجياً فى الهيئة الأكاديمية وفى النهاية أصبحوا مستقلين تماماً عن السلطة الأسقفية[4] .

وبـــدءً مـــن منتصف القرن الثالث عشر كان المستشار يعامل باعتباره ممثلاً مستقلاً للجامعـــة ، بينما لم يكن النائب الرسمى للأسقف فى الجامعة هو المستشار بل رئيس شمامسة أكســـفورد Archdeacon ، الـــذى يمـــثل أعلى سلطة كنسية مقيمة بالمدينة . وتبدأ القائمة الرســـمية للمستشـــارين فى أكسفورد فى عام ١٢٢٠ عندما يذكر أسماء ثلاثة أشخاص شغلوا ذلك المنصب . وبدءً من هذه الفترة يمكن أن نحدد تاريخ انتخاب المستشار . وفى عام ١٣٢٢ أصبح ارتقاء منصب المستشار يتم بالانتخاب من خلال اجتماع كنسى ، رغم أنه ظل خاضعاً لفترة طويلة لإقرار تعيينه من جانب الأسقف[5] .

---

١ Ibid, p. 27; Lyte, op. cit., p. 19; Brodricke, op. cit., pp. 9, 11; Rashdall, op. cit., p. 52.
٢ Rashdall, op. cit., pp. 81, 82; Mallet, op. cit., p. 27.
٣ Brodrick, op. cit., pp. 11-12.
٤ Lyte, op. cit., p. 19.
٥ Brodrick, op. cit., p. 12.

وبـدءً من منتصف القرن الثالث عشر بدأت الجامعة فى تسجيل قوانينها . ولعل من أهـم القوانيـن فـى تلك الفترة رفض منح درجة اللاهوت لأى دارس إلا بعد الحصول على درجة الآداب أولاً[1] . ولهذا التشريع قصة!

فقـد قـدر للعقـد الثـانى من القرن الثالث عشر، وعلى حد تعبير المؤرخ ماليت Mallet ،أن يشـهد حدثـاً سـعيداً للروح والفكر فى أكسفورد . ففى العام الذى شهد اغتيال تومـاس بيكيت فى كاتدرائية كانتربرى عام ١١٧٠م ولد القديس دومنيك St. Dominic فى أسـبانيا . وبعـد ذلك بإحدى أو أثنى عشر عاماً ولد فى أسيس Assis بإيطاليا ورع آخر هو القديس فرانسيس St. Francis [2] .

وفى عام ١٢٢١م جاء إلى انجلترا مجموعة صغيرة من الرهبان الدومنيكان ، الذين اشـتهروا فـى انجلترا باسم الأخوة السود Black Friars . وبعد ذلك وفى عام ١٢٢٤ قدم الرهبان الفرنسيسكان الذين عرفوا باسم الأخوة الرماديين Grey Friars طبقاً لألوان مسوحهم الدينـية . وعلـى عكـس جماعات الرهبان الأقدم الذين يطيب لهم المقام فى المناطق النائية الهادئـة ، وبهدف الحصول على مريدين جدداً تجد الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان للإقامة فـى المدن المزدحمة ، لاسيما تلك التى بها جامعات . لذا ولوا وجوهم شطر أكسفورد . فقد رسـخ أقرانهم فى باريس أقدامهم فى ارتباط وثيق بالجامعة . ومن ثم كانوا تواقين للحصول على مكانة مماثلة فى المركز الرئيس للتعليم فى انجلترا . علاوة على الرغبة فى جذب المزيد لاعتـناق الديانـة المسيحية ، فقد كانت أكسفورد ملاذاً مفضلاً لليهود الذين سكنوا فى الجزء الجـنوبى مـن المدينـة بأعداد كبيرة . وكان الحى الواقع بين الشارع الرئيسى ودير القديسة فـريدزاويد معـروفاً بحـى اليهود . وقد حالف النجاح جهودهم طيلة الخمس وعشرون عاماً

---

١ Rashdall, op. cit., p. 69.

٢ من الجدير بالذكر أنه حتى بداية القرن الثالث عشر كان الهدف الأساسى للنظام الديرى يتمثل فى ضمان الخلاص لأرواح الرهبان ، وبعد انطفاء جذوة الحماس للعمل التبشيرى فى قلوبهم كرسوا أنفسهم تماماً لقاعدة أنانية فى الحياة والعزلة عن العالم الخارجى فى أروقة أديرتهم الفسيحة . ولم يعتبروا أن من واجبهم القيام بالوعظ علناً ، وزيارة المرضى ، وسماع اعترافات التائبين ، ومن ثم كان أثرهم ضئيلاً نسبياً على الناس . ونتيجة لفشل النزعة التطهرية فى القرن الحادى عشر ، والانسحاب الديرى فى القرن الثانى عشر فى تحقيق أهدافها من عوامل وتشجيع نمط جديد من النظام الديرى جاء مزيجاً بين نقيضين من النظم الديرية . هذا الشكل الجديد المنظم من النسك أتاح لأتباعه حياة تقليدية تتسم بالزهو والفقر والطاعة ، كما أتاح لهم فى الوقت نفسه أن يعملوا ويساهموا بشكل شخصى ومباشر فى خدمة ورفاهية المجتمع . وكانت التجارب الـتى مر بها هذا النظام الديرى الجديد هى الخلفية التى برزت منها جماعة الأخوة الفرنسيسكان والدومنيكان فى القرن الثالـث عشر . وبهدف العمل على نشر الكاثوليكية باقتلاع جذور الهرطقات الدينية ، وبرعاية البابوية وخدمة أهدافها ، اتجـه الرهـبان من هاتين التنظيمين إلى هداية الناس بمخاطبة فكرهم وعقولهم ، وتكملة العمل المعتاد لقساوسة الكنائس الأبروشية . لمزيد من التفاصيل بصدد ذلك انظر : Mallet, op. cit., p. 54;
Lyte, op. cit., p. 23; Rashdall, op. cit., p. 66; Green, op. cit., pp. 139-140;
كانـتور ، المرجع السابق ، ص ٥١٨ ، موريس كين ، حضارة أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، ص ١٦٢ .

الأولــى مــن إقامــتهم فى أكسفورد . وغدت لهذه الجماعات الدينية السيادة على حلبة الحياة الفكــرية فى القرن الثالث عشر ليس فقط فى انجلترا ولكن فى جميع أرجاء أوروبا، وصاروا رواد أجــراً فكــر فلسفى فى الكنيسة فى العصور الوسطى ويكفى الرهبان الفرنسيسكان فخراً أنهم قدموا آدم مارش وروجر بيكون فى عصر واحد[1] .

وفــى الوقــت الــذى بســطت فيه مدارس أكسفورد راحتيها للأخوة الفرنسيسكان والدومنــيكان لــتعلو بهمــا لا عليهما، بارتقاء اثنين منهم لمنصب رئيس أساقفة كانتربرى[2]، علاوة على التأييد الملكى[3]، لم يلبث أن بات الصدام بينهم وبين الجامعة قاب قوسين، بعد فترة قصــيرة ســاد فيها التفاهم والانسجام بينهم وبين الجامعة، قام خلالها الفرنسيسكان بالاستعانة بأساتذة اللاهوت العلمانيين فى مدارس أكسفورد للتدريس فى مدارسهم الديرية . بيد أنه بهدف وضــع حــد لــتكاثر الأساتذة من الأخوة ، وضمان سيطرة الجامعة على الخريجين منهم من جهــة، وإصــرار الرهــبان الفرنسيسكان والدومنيكان من جانبهم على رفض الحصول على

---

[1] فــور اســتقلال الأخــوة الدومنيكان فى قلب أكسفورد ارتبطوا مبكراً بالجامعة بتأسيس مدرسة للاهوت . وكذلك أقرانهم الفرنسيسكان ، والذين قدر عددهم لحظة وصولهم لانجلترا تسعة من الرهبان بزعامة اجنيليوس البيزى Agnellus of Pisa أربعة منهم من رجال الدين ، ثلاثة منهم انجليز الأصل ، فى حين كان الباقى علمانيين من الإيطاليين والفرنسيين . وسرعان مــا ذاع صيتهم ، وجذبوا لمدارسهم أعظم العلماء شهرة ، فهذا هو روبرت جروستيست (١١٧٥-١٢٥٣م) عالم اللاهوت البارز ، وأول محاضر فى مدارس الفرنسيسكان والراعى الحميم له فى انجلترا والذى نادى بأن سلطة الكتاب المقدس تسمو فوق البابا والمجامع الكنسية ونصوص الكنيسة ، وأول من أدرك ضرورة دراسة اللغتين اليونانية والعبرية . أيضاً آدم مارش Adam March الذى اعترف به واحداً من أبرز رجال الكنيسة فى منتصف القرن الثالث عشر . وأبدى تعاطفه مع قضية الأيــرل سيمون مونتفورى ، أثناء النزاع البارونى الشهير ، مخاطباً إياه بقوله "أن الرجل الحكيم أفضل من الرجل القوى ، وأن الذى يستطيع كبح جماح غضبه أفضل من الذى يعصف بالمدينة " . وأيضاً روجر بيكون Roger Bacon . أحد أساتذة أكســفورد البارزين . وأول انجليزى ينخرط فى صفوف الدومنيكان . وكرس نفسه لدراسة الكيمياء والفيزياء والرياضيات والميتافيزيقا . وذهب إلى باريس محاضراً فى فلسفة أرسطو ، وغير هؤلاء الكثير . ولمزيد من التفاصيل انظر :
The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, vol. I, p. 87; Little, the Franciscan Scfool At Oxford in the Thirteenth Century, (ed.) in Archivum Franciscanum Historicum, XIX, October, 1926, pp. 803-804; Mallet, op. cit., pp. 57-63, Lyte, op. cit., pp. 24-25; Rashdall, op. cit., p. 68; Brodrick, op. cit., p. 51, Lunt, op. cit., pp. 182-183.

[2] هذيــن الراهبيــن مــن الفرنسيسكان والدومنيكان اللذان ارتقيا منصب رئيس أساقفة كانتربرى هما روبرت كيلاردباى Robert Kilwardy ، وينتمى لطائفة الدومنيكان ، وارتقى منصب رئيس الأساقفة عام ١٢٧٢ ، وذاع صيته فى النحو والمنطق واللاهوت . أما الآخر فهو باتهام Patcham من طائفة الفرنسيسكان ولعب دوراً بارزاً فى الشئون السياسية . وتعلم فى أكسفورد العلوم واللاهوت والشعر والرياضيات . وقام الأول بزيارة الجامعة عام ١٢٧٧ ، والثانى عام ١٢٨٤ . وأسفرت هاتين الزيارتين عن إدانة الأخطاء الناجمة عن تدريس فلسفة أرسطو . لمزيد من التفاصيل انظر :
Mallet, op. cit., p. 70.

[3] فــيما يــتعلق بالدعم الملكى لهؤلاء فى عام ١٢٦٤م منح الملك هنرى الثالث Friars Minors برجاً صغيراً على سور المدينة القريب من مقرهم . وفى عام ١٢٥٨م منحهم عشرة شجرات بلوط لبناء مقر لمدارسهم . وكان من عادة الملوك الإنجلــيز عند زيارتهم للمدينة منح مبالغ مالية لمؤسسات الأخوة الموجودة بها . وأصبحت هذه الأموال فى نهاية القرن الثالــث عشــر تحــدد بمعدل أربعة دينار لكل راهب من الأخوة . ويتوج وجودهم فى انجلترا بتأسيس مدرسة اللاهوت بمحاضر من الفرنسيسكان فى دير كاتدرائية كانتربرى عام ١٢٧٥م ، الأمر الذى أثار مخاوف الرهبان فى الكاتدرائية ، انظر تفاصيل ذلك فى :
Gervasii Cantuariensis, op. cit., vol. II, p. 285; Little, op. cit., p. 819.

درجـات علمية فى أى تخصص باستثناء اللاهوت والقانون الكنسى، حيث كان هدفهم يرمى إلـى إعـداد الـرجال المتمرسين للعمل الرعوى . لذا أمرهم أعظم أساتذتهم بدراسة الكتاب المقـدس ولـيس كـتاب الأحكام Sentences لبطرس اللمباردى وكانت تقاليدهم تمنعهم من الحصول على درجات علمية فى الآداب[1] .

وأصـرت الجامعـة علـى أن التقاليد تقضى بأن المرشح للحصول على درجة فى اللاهـوت يجـب أن يكون متخرجاً فى الآداب ، وأثيرت هذه المشكلة بالفعل عام ١٢٥٣م . عـندما تقـدم الراهـب الفرنسيسكانى زائع الصيت توماس من يورك Thomas of York بالـتماس مـؤداه الترخيص له بالتخرج فى اللاهوت بيد أنه لم يدرس فى الآداب . وسمح له بالترخـيص بالـتدريس ، والحصـول على درجته فى اللاهوت لخبرته وكفاءته ، مما يجعله مؤهلاً لأن يمنح استثناء Graces يتبوأ بمقتضاه درجة ممارس استثنائى Ordinary regent فـى الكتاب المقدس . وفى محاولة لرأب الصدع وحسم النزاع أصدرت الجامعة قانوناً ينص علـى عدم السماح لأى شخص فيما بعد بالحصول على درجة فى اللاهوت ما لم يكن دارساً لـلآداب أولاً وأن يلقى محاضرة فى كتاب الأحكام لبطرس اللمباردى ، والذى يتطلب تعليماً فلسفياً فى الميتافيزيقا والجدل ، قبل أن يسمح له بأن يحاضر فى الكتاب المقدس[2] .

ونسـتطيع أن نقـول فـى ضـوء هـذا النزاع الذى اندلع بين الجامعة والرهبان الفرنسيسـكان والدومنـيكان ، لاسـيما بعد أن تم تعيين محكمين Arlitrators من الطرفين للـتعامل مع المسألة برمتها ، التى عرضت أمام البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥-١٣١٤م) عام ١٣١٣م، وإقـرار قـرار المحكميـن مـن جانب الملك إدوارد الثانى (١٣٠٧-١٣٢٧م) عام ١٣١٤م، بـأن الجامعة كسبت النقاط الرئيسية موضع الخلاف وتأييد قوانينها ودعم سلطتها . ومـن ناحية فقد قدمت تنازلاً يبدو باهتاً – من وجهة نظرى – للأخوة الرهبان مؤداه أن أى أسـتاذ يـرفض الاسـتثناء graces الذى يمنح الراهب الحق فى التخرج فى اللاهوت بدون الدراسـة فـى الآداب أولاً مطالـب بأن يبرهن للأساتذة الممارسين أو النظاميين Regent Masters بأن اعتراضه ليس قائماً على سوء نية أو قصد [3] . علاوة على قرار الجامعة بعدم تنفيذ القوانين إلا بناءً على تصويت أغلبية الأساتذة الممارسين فى التخصصات الثلاث الآداب

---

[1] Rashdall, op. cit., pp. 67-68; Mallet, op. cit., p. 72, Liule, op. cit., p. 823.

[2] من الجدير بالذكر أن الأخوة الدومنيكان والفرنسيسكان القائمين بتدريس اللاهوت فى مؤسساتهم التى خارج مدن الجامعة ، لـم يكـن الأمر يتطلب ترخيصاً من أى سلطة خارج مؤسستهم ، وذلك بمقتضى مرسوم البابا الكسندر الرابع (١٢٥٤-١٢٦١م) عـام ١٢٥٧م . والـبابا كليمنـت الرابع (١٢٦٥-١٢٦٨م) عام ١٢٦٥م . ولم يكن المحاضرين الفرنسيسكان خاضـعين بأيـة طريقة لمستشار الكنيسة الكاتدرائية فى الأسقفية التى يدرسون بها . بيد أنه فى أكسفورد لابد أن يحظى المحاضر من الأخوة الفرنسيسكان قبل الاعتراف به مدرساً بالموافقة من جانب كل من مؤسسته الدينية والجامعة . انظر :
Munimenta Academica, Rolls Series, ed. By Anstey, London, 1868, vol. I, p. 25, Little, op. cit., pp. 82, 822, Mallet, op. cit., p. 73, Lyte, op. cit., pp. 53, 54.

[3] Mallet, op. cit., pp. 74-75; Little, op. cit., p. 823, Rashdall, op. cit., p. 71.

والطب والقانون بدلاً من اثنين؛ بالإضافة إلى الأساتذة غير الممارسين أو المتفرغين Non Regent Masters . ويضيف المؤرخ رشدال بإيضاح أكثر أنه بناء على شكوى جماعات الرهبان المتسولين Mendicants Orders ، بأن القوانين كانت تصدر بدون اهتمام كاف من الأقسام أو التخصصات Faculties الرئيسية الآداب ، اللاهوت ، القانون والطب . فقد تقرر بأنه من الآن فصاعداً عدم إصدار أى قانون من قبل الجامعة إلا بناء على قرار الإجتماع العام للأساتذة الممارسين General Congregation of Regent Masters ، وأن تسلم مسودات القوانين المقترحة للأساتذة فى كل قسم قبيل التصويت فى الاجتماع بخمسة عشر يوماً . وحظيت هذه القرارات بموافقة الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان ، والإذعان للجامعة بيد أن النزاع بين الطرفين لم يتوارى تماماً، وظل يطفوا على السطح من حين لآخر[1] .

وفى سياق هذا العرض لا يفوتنا الحديث عن أقوى التحديات التى طرحتها حركة التعليم الجديدة فى هذه الجامعات الناشئة . لقد صارت مؤلفات أرسطو بمتناول الغرب بفضل الترجمات التى أعدت فى الأندلس وصقلية والبروفانس . وحتى الربع الأخير من القرن الثانى عشر كانت ترجمة هذه المؤلفات تتم نقلاً عن النصوص العربية ، وليس نقلاً عن النصوص اليونانية الأصلية[2] . وبحلول عام ١٢٠٠ بدأت ترجمة مؤلفات أرسطو عن اليونانية مباشرة . وكان توماس الأكوينى Thomas Aquinas العالم الدومنيكانى أول فيلسوف مسيحى يمتلك

---

[1] لا مراء أن النزاع بين الجامعة والرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان يعكس فى جوهره العداء الشديد بينهم ورجال الدين العلمانيين لا سيما وأن معظم أعضاء الجامعة فى أكسفورد مثل أقرانهم فى باريس كانوا من الكهنوت العلمانيين . ومن الجدير بالذكر أن نفقات الإجراءات القانونية للجامعة ضد الرهبان كانت تمول من خلال ضريبة على الأملاك الكنسية فى المملكة . وبعد تسوية القضايا الأكاديمية بين الطرفين ، تحول النزاع بينهما إلى مشكلة السن التى تسمح بها التنظيمات الرهبانية للانخراط فى سلك الرهبنة . وفى عام ١٣٥٨ أصدرت الجامعة قانون ضد ما أسمته خطف الأولاد الذين يقل عمرهم عن ثمانية عشر عاماً . للالتحاق بمؤسساتهم لتعليمهم التسول وتبديد الوقت ونص القانون صراحة بأن النبلاء والعوام يخشون إرسال أبناءهم إلى الجامعة ، مخافة اغوائهم من قبل الرهبان المتسولين بالانضمام إليهم قبل بلوغهم سن الرشد . مما يؤدى إلى تعكير صفو السلام فى الجامعة وقلة عدد الدارسين فيها . وإذا حدث عكس ذلك فلن يسمح لأى خريج من مدارس أديرة هؤلاء بإلقاء أو حضور محاضرات فى أكسفورد خلال العام التالى للاختطاف من وجهة نظر الجامعة . وهناك قوانين أخرى فى هذا الصدد . مما دفع البابا أوربان الخامس (١٣٦٢-١٣٧٠م) عام ١٣٥٦م للتدخل ضد الجامعة لصالح الرهبان وأمر رئيس أساقفة كانتربرى ، والأساقفة بالإصرار على قيام المستشار بإلغاء ما أسماه القوانين البغيضة . فى الوقت الذى ناشدت فيه الجامعة والمؤسسات الدينية الأربعة الدومنيكان الفرنسيسكان ، الأوغسطنيين ، والرهبان البيض Carmelites . الملك والبرلمان للتدخل مما أسفر عن صدور مرسوم بموافقة البرلمان تم بمقتضاه تخفيف القيود على قبول الدارسين فى تلك المؤسسات . مع حظر كل المراسيم البابوية ، أو استئناف الدعاوى التى يرفعها الرهبان على الجامعة فى بلاط روما ، وإعلان بطلانها ، واستمرت العداوة على حالها ، ولعل المصدر الأساسى لشعبية كالفن Wyclif كان يتمثل فى إنكاره الشديد للرهبان المتسولين . وكان انهيارهم من أهم نتائج الحركة التى تزعمها ، إلى جانب أسباب أخرى . لمزيد من التفاصيل بصدد تطور هذا النزاع انظر :

Brodrick, op. cit., p. 53; Rashdall, op. cit., pp. 74, 75; Green, op. cit., pp. 138-142, Mallet, op. cit., pp. 75-76.

[2] كانتور ، المرجع نفسه ، ص ٤٩٢ .

الترجمة الجديدة الكاملة في منتصف القرن الثالث عشر . وكانت هذه الترجمة بالطبع أكثر دقة من الترجمة اللاتينية المنقولة عن اللغة العربية[1] .

ومن الجدير بالذكر أنه عندما بدأت شروح ابن رشد لفلسفة أرسطو تتوفر بين أيدى المفكرين الغربيين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، اكتشفوا أنهم ليسوا أول من تناول مشكلة العلاقة بين العلم والدين، لأن بعضاً من أعظم العقول في العالم الإسلامي مثل ابن سينا وابن رشد كانوا قد تناولوا بالفعل نتائج الفكر الأرسطي على عقائدهم الأصلية . وكان على المفكرين المسيحيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر أن يختاروا بين رفض المذهب أو الفكر الأرسطي القائل بالفصل بين العلم والدين ، وبين محاولة إثبات الانسجام النهائي بينهما . ولم يتورع الفيلسوف العربي المسلم ابن رشد عن الفصل بين عالم العلم كما يمثله أرسطو وعالم الدين كما يمثله القرآن . وواجه التناقض بين العلم والدين بالاعتراف الصريح بوجود "حقيقة مزدوجة" . فهناك حقيقة واحدة للعلم ، وحقيقة أخرى للدين، وليس بمقدور العقل البشرى أن يوفق بينهما[2] .

ولعل العمل العظيم الذى صاغه توماس الاكويني باسم خلاصة اللاهوت Summa Theologiae ، والذى حاول من خلاله إظهار التوافق أو المزج بين العلم والدين . وجعل الفكر الأرسطي يتناغم مع حقائق الحياة المسيحية ، والبرهان على صحة العقيدة المسيحية بالفعل ، وأن الكشف عن الحقيقة يتدفق من خلال الكتاب المقدس والكنيسة ، بينما تنساب قوة العقل عبر قنوات الفلسفة وفكر أرسطو . بيد أن كل من العقل والكشف عن الحقيقة يستمدان مصدرهما من الرب . وعلى حد تعبير المؤرخ الانجليزى ماليت Mallet أن خلاصة اللاهوت هي في الحقيقة خلاصة الفلسفة Summa Philosphiae[3].

---

[1] من الجدير بالذكر أن الكسندر هالس Alexander of Hales . والذى يعد من أوائل الأساتذة الفرنسيسكان العظام ، أول لاهوتي يبدى ترحيباً بالفلسفة الجديدة في ثوبها العربي ، وكان انجليزياً لا يبارى في بلاغته ، ومكث طويلاً في مدارس باريس . ومن جهة أخرى فقد كان روبرت جروستيست أسقف لنكولن وعالم اللاهوت الشهير ، وآخرون للحصول على الترجمات الجديدة لمؤلفات أرسطو . ولا مراء أن الغزو اللاتيني والاستيلاء على القسطنطينية عام ١٢٠٤م جعل المصادر اليونانية أكثر شيوعاً . وأمست الترجمات المستقلة للمترجمين العرب لمؤلفات أرسطو في الميتافيزيقا والأخلاق والسياسة متداولة . ولمزيد من التفاصيل انظر :

Mallet, op. cit., p. 77;

كانتور ، المرجع السابق ، ص ٤٩٢- ٤٩٤ .

[2] نفس المؤلف ، نفس المرجع ، ص ٤٩٥- ٤٩٨ .

[3] Mallet, op. cit., p. 80.

كانتور ، المرجع نفسه ، ص ٦٢٩ .

وإلـــى توماس الاكوينى يرجع الفضل فى تغيير الآراء بصدد الخلافات القديمة حول مشــكلة الكلــيات Universals أو الأفكار المجردة . فقد تمسك هذا الدومنيكانى العظيم بمبدأ الفردية القائم على أساس أن الفردية توجد فى الجوهر وليس الشكل[1] .

وعـــن صـــدى تأثـــير هـــذه الفلســفة الأرسطية بهذه الشروح التى صاغها توماس الاكويـــنى، علـــى أروقة الدراسة فى مدارس أكسفورد ، وفى ضوء أن الأساتذة من الرهبان الدومنـــيكان ، كـــانوا يعـــتقدون منذ البداية أنه من الممكن التوفيق بين فلسفة أرسطو والفكر الكنسى الكاثوليكى. وكانوا بلا شك الأداة التى انتشرت بها فلسفة أرسطو على نطاق واسع فى انجلـــترا . وفـــى الوقت الذى أوصت فيه كلية الآداب فى باريس عام ١٢٥٤ بأن تصنف كل كـــتابات أرســـطو باعتـــبارها كتـــب مدرســـية Text Books ، وأن تكون فلسفته الطبيعية والميتافيزيقية هى "القاعدة الصائبة والمفيدة" ، نجد باتهام Patcham رئيس أساقفة كانتربرى، الـــذى ينتمى إلى الرهبان الفرنسيسكان ينكر صراحة ما أسماه البدع الدنيوية التى آتى بها هذا الدومنـــيكانى الكبـــير . أيضاً رئيس الأساقفة الذى جاء بعده ويدعى كيلوردباى Kilwardby بالـــرغم من انتماءه للرهبان الدومنيكان ، لم يتورع عن أن يدين صراحة هذه الآراء الفلسفية لـــتوماس أكويـــناس وفلسفة أرسطو برمتها أثناء زيارته لأكسفورد فى مارس عام ١٢٧٧م . ووافـــق الأســـاتذة فـــى أكسفورد على هذه الإدانة . بيد أن ذلك لم يمنع الدومنيكان والرهبان السيسترشـــيان والأوغسطينين الدارسين فى أكسفورد من تأييده وانتشار أفكاره . وتداول هذه الفلسفة التى سيطرت بالفعل على عقول الدارسين . ذلك أن الإغراء باكتشاف كنوز جديدة من العلـــم والمعـــرفة ، وســـحر وجاذبية هذه الفلسفة التى تحمل بصمة أكثر معلمى الماضى – أرسطو – تبجيلاً ومكانة برهن على أنه أقوى من أن يقاوم.[2]

---

[1] يذكر جون السالزبورى John of Salisbury الذى درس فى باريس بأن مدارس أكسفورد قبل تولى الملك هنرى الثانى الحكم مباشرة كانت مسرحاً لخلافات منطقية حول طبيعة الكليات . ويقصد بذلك هل المفاهيم العامة الكامنة فى أذهاننا مثل العدالـــة ، الحقيقة ، الجمال ، الكنيسة والدولة .. وغيرها لها وجود حقيقى خارج أذهاننا ؟ وهل المفاهيم الأكثر بساطة ، مـــثل شـــجرة ، حصان ، كرسى .. وغيرها لها وجود حقيقى خارج عقولنا أم مجرد تصورات عقلية خالصة . وانقسم العلمـــاء إلى قسمين القسم الأول الواقعيين أو المثاليين Realism من معتنقى فلسفة أفلاطون بأن الكليات هى أشياء لها وجودهـــا المســـتقل خارج نطاق العقل الإنسانى المفرد . والفريق الآخر عرف باسم الإسميين Nominalism بزعامة روســـيلين Rosselin أحـــد كبار الأساتذة البارزين فى المدارس الفرنسية وأعلن أن الكليات ليست أشياء ولكنها مجرد كلمات أو أسماء . لا تتمتع بأى وجود مستقل خارج نطاق العقل الإنسانى . حتى جاء أبيلارد وأظهر موقفاً معتدلاً بقوله أن الكليات ليست أشياء أو مصطلحات وإنما مفاهيم مفيدة ، ولكنها ليست حقيقية بالضرورة . ومن المؤكد أنه ألقى ظلالاً مـــن الشـــك حول حقيقة الدعم العقلى لتعاليم الدين من منطلق أن أفهم أولاً واقتنع ثانياً . ولمزيد من التفاصيل عن جون السالزبورى وتأثيره الفكرى انظر :

كانتور ، المرجع نفسه ، ص ص ٤٥٠ ، ٤٥٤ . وبصدد مشكلة الكليات انظر ص ٤٦٣ – ٤٦٦ ،

Brodrick, op. cit., p. 5, Mallet, op. cit., p. 80.

[2] Lyte, op. cit., p. 25, Mallet, op. cit., pp. 77, 81; Rashdall, op. cit., p. 122.

لا مــراء أن جامعة أكسفورد قد شهدت انطلاقة قوية فى عهد الملك هنرى الثالث (١٢١٦-١٢٧١م) . ففى ضوء أحداث الشغب التى اندلعت بين الدارسين وسكان مدينة باريس عــام ١٢٢٩م ، والــتى أسـفرت عــن تشتت جامعة باريس ، وفى الوقت الذى اقتضت فيه الالــتزامات القومية للمملكة ضرورة التأكيد على هيبة الملك باستعادة وانتزاع بقايا الممتلكات الإنجلــيزية فى فرنسا من الطبيعى أن يجد الملك فى ذلك الحدث فرصة سانحة لإذلال الملكية الفرنســية ، ووفقاً لرواية المؤرخ ماكسويل لويت وجه خطاباً رسمياً إلى أساتذة وطلبة باريس مبدياً تعاطفه معهم فى محنتهم ، والوعد بحريات وامتيازات جمة فى حالة حضورهم للدراسة فى انجلترا . وبدت تلك دعوة جذابة لاسيما للدارسين الانجليز فى باريس وأسفرت بالفعل عن حضــور لفيف من الأساتذة والدارسين إلى المدارس الشهيرة على الضفة الأخرى لنهر التيمز سواء فى أكسفورد أو كمبريدج.[١]

وكــان للــتدفق المفاجئ لهؤلاء الدارسين الأجانب أثر سيئ على النظام فى الجامعة الناشــئة ، فقــد تحدى بعض الطلبة المستشار والأساتذة علناً . وعبر أحد المؤرخين على تلك الفــئة المشاغبة من الدارسين بقوله "أن هؤلاء كانوا يعيشون بلا نظام ، ولم يكن لهم معلم إلا مــن يعلمهــم كــل صنوف الشر" ، مما اضطر الملك هنرى الثالث للتدخل بعد أن ساد عدم الاكتراث بالقانون فى أكسفورد . وفى عام ١٢٣١م أصدر عدة مراسيم تهدف إلى تقوية سلطة المستشار ، بمنحه حق سجن الطلبة المشاغبين فى قلعة أكسفورد ، وأن يكون اطلاق سراحهم حسب إرادته ، ومعاملتهم وفقاً للقانون الكنسى . وأمر حاكم المقاطعة بأن يعلن أن أى دارس لا يكون تحت إشراف أحد الأساتذة فى المدارس لا يمكن اعتباره دارساً . ومن ثم يتحتم على ما أسماهم الدارسين المزيفين Pseudo-clerks مغادرة المدينة فى غضون أسبوعين[٢] .

وفــى عام ١٢٣٨ وقع صدام بين الجامعة والمبعوث البابوى الكاردينال أوتو Otho المقيم فى دير أوزنى Oseney . ووفقاً لرواية المؤرخ متى الباريسى Matthew Paris ففى الثالــث والعشــرين مــن أبريل من العام المذكور توجه فريق من الدارسين إلى الدير لتحية المبعوث البابوى ، بيد أنهم ردوا على أعقابهم بفظاظة من جانب الحارس Janitor . فى نفس الوقــت ألقــى رئــيس طهاة المبعوث البابوى والذى كان شقيق المبعوث البابوى، إناءً مملوءً بالمــاء الســاخن فى وجه دارس أيرلندى فقير كان يستجدى الطعام على باب المطبخ . الأمر الــذى أثــار حنق الدارسين ، وقام أحد الدارسين من ويلز بتسديد قوس صوب رئيس الطهاة وأطلــق عليه سهماً أرداه قتيلاً فى الحال . وحاول آخرون إشعال النار فى البوابات الضخمة الموصــدة أمــامهم ، واتهام المبعوث البابوى بكل ما تجود به مفرادتهم من شتائم قائلين "أين

---

١ Matthew Paris's, English History from the Year 1235 to 1273, Trans from the Latin by Giles, London, 1852, vol. III, p. 149.

٢ Lyte, op. cit., p. 31.

ذلــك المرابى، ذلك المتاجر بالدين ، هذا المسرف المبدد للإيرادات ، المتعطش للمال ، الذى يخــدع الملــك ، الذى يثرى الأجانب من المال الذى ينهبه منا"[1] . مما دفع المبعوث البابوى للفــرار . وبإيعاذ من الملك تم إيداع عشرين أو ثلاثين من الدارسين بعضهم من أسر عريقة الســجن فى قلعة ولنجفورد Wallingfords . وبناء علي طلب المبعوث البابوى تم نقلهم فى عــربات مفــتوحة مــثل المجرميــن إلى قلعة لندن مكبلين بالقيود الحديدية . وأعلنت عقوبة الحــرمان الكنســى علــى كــل المسئولين على أحداث الشغب ، ومنع المحاضرات وتوقفت الجامعة، ووضعت المدينة تحت طائلة عقوبة اللعنة الكنسية[2] . وأعلن المبعوث البابوى مهدداً أنــه لــن يعيد الجامعة إلى عطفه إلا إذا استجدى كل أعضاء الجامعة العفو منه علناً . وبناء على ذلك تجمعوا فى كاتدرائية القديس بولس St. Paul فى لندن ، وساروا بمصاحبة الأساقفة الذين ناصروا قضيتهم إلى حيث يقيم المبعوث البابوى فى مشهد درامى . وبعد خلع أرديتهم ، وعباءاتهم ، وأحذمتهم، وأحذيتهم رمزاً للندم ، قبل خضوعهم . وأصدر فى التاسع والعشرين مــن مايو ١٢٣٨م مرسوماً تم بمقتضاه رفع عقوبة اللعنة ، واستئناف المحاضرات ، والعفو الشــامل لجميع الدارسين . بيد أنه اشترط أن يدفع كل منهم مبلغاً من المال يعادل نفقة أسبوع لروح شقيقه.[3]

ويشهد عام ١٢٤٤ أول خطوة مهمة على طريق إعلاء سلطة وصلاحية المستشار ، ففى هذا العام اندلع حادث شغب مغايراً تماماً فى نوعه لأحداث الشغب التى كانت تموج دوماً بهــا مديــنة أكسفورد فى العصور الوسطى . فقد قام الدارسون بهدف الانتقام لبعض أعمال الابــتزاز مــن جانــب الــيهود بمهاجمة حى اليهود بالمدينة ، ونهبوا بيوت دائنيهم العامرة بالخــيرات ، وأســفر ذلــك عن إيداع خمسة وأربعين من الدارسين السجن . وأصدر الملك مرســوماً لصــالح الجامعة يقضى بحق المستشار فى الانفراد بحسم كل المنازعات التى تثار بصـــدد إيجــارات البيوت التى يقيم بها الدارسين ، سعر الخيول ، المؤن ، الملابس ، وجميع العقود الخاصة بالمنقولات والتى يكون أحد الدارسين طرفاً فيها.[4]

---

[1] Matthew Paris's, op. cit., vol. I, pp. 126, 127; The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, vol. I, p. 35, Mallet, op. cit., p. 36, Rashdall, op. cit., p. 88.

[2] Matthew Paris's, op. cit., vol. I, p. 128.

[3] أســتطيع أن أقول أن هذه الأحداث التى جرت وقائعها بين الدارسين والمبعوث البابوى فى أكسفورد جاءت انعكاساً أيضاً لموجة عارمة من الأستياء عمت الأوساط السياسية والكنسية ضد الابتزازات المالية للبابوية ، والتى بلغت ذروتها فى عهد الملك هنرى الثالث . وكان المبعوث البابوى مدركاً لذلك ، الأمر الذى جعله من شقيقه رئيساً للطهاه له خوفاً من دس السم .. انظر :

Matthew Paris's, vol. I, p. 128, Mallet, op. cit., p. 36.

[4] Roberti Crosseteste . op.cit.,pp.lvii ,lviii ; The Chronicles of the Reigns of Edward I.and Edward II ,vol.I ,p.71 ; Lyte ,op.cit., p.42 ; Mallet , op.cit.,p.38 ; Rashdall , op.cit. , p.85.

واستحق هذا المرسوم الذى تم تأكيده وتجديده من جانب عدد كبير من الملوك الانجليز أن ينعت باسم العهد الأعظم أو ماجنا كارتا Magna Carta الجامعة . لأنه تضمن النواة الأولى لمعظم الامتيازات اللاحقة للجامعة . وأضفى على المستشار سلطة لا يستطيع أى مبعوث بابوى أو أسقف منحها أو إلغائها[1] .

وفى عام ١٢٤٥ وضع البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤م) الجامعة تحت حمايته الخاصة مؤكداً ضمان امتيازاتها المختلفة . وأصدر مرسوماً وعد فيه بعدم استدعاء الأساتذة والدارسين فى أكسفورد للمحاكمة خارج المدينة بواسطة الأسقفية المقدسة أو مبعوثيها بسبب أى اتفاقيات تبرم داخل المدينة[2] .

وتتأكد امتيازات الجامعة عام ١٢٥١ م نتيجة للنزاع بين الدارسين وأبناء المدينة ، الذى أسفر عن إيداع اثنين من الدارسين السجن ، وأغلقت المدارس مرة أخرى . لذا ناشدت الجامعة الملك هنرى الثالث الذى جاء إلى أكسفورد فى أوائل فبراير عام ١٢٥١م ، بأنه من الآن فصاعداً يجب نقل كل الدارسين المقبوض عليهم من قبل السلطة المدنية إلى الحبس تحت رعاية المستشار . وأبدى الملك وعداً بتسليم الدارسين الذين يتم القبض عليهم فى منازعات طفيفة إلى المستشار ، الذى يستطيع بصفته نائباً لأسقف لنكولن فى المدارس أن يفرض العقوبة ، ولكنه احتفظ للأسقف أو نائبه الذى تعينه خصيصاً لذلك ، بالسلطة الوحيدة على الدارسين المتهمين بجرائم خطيرة . بيد أن أعضاء الجامعة عبروا صراحة عن عدم رضاهم بهذه التسوية . وأبدى الملك من جانبه حزماً صارماً بهذا الصدد . وعندما تم إلقاء القبض على ثلاثة من الدارسين بعد ذلك بوقت قصير ، أمر الملك بضرورة تسليمهم للمستشار لكى تتم محاكمتهم طبقاً لتقاليد الجامعة إذا لم تكن الجروح قاتلة.[3]

وتتوالى امتيازات الجامعة فى القرن الثالث عشر ، فقد حظيت الجامعة بامتيازات أخرى عام ١٢٥٥م على حساب حريات المدينة . فقد أمر الملك بتعيين أربعة من حكماء المدينة ، وثمانية من أبناء المدينة لمساعدة حاكم المقاطعة والنواب فى مراعاة النظام . وأن يصبح كل مالك بيت مسئولاً عن أى شخص يقيم تحت سقف منزله أكثر من ثلاث ليال . وصدرت الأوامر لتجار الخمور ببيع النبيذ للدارسين وأبناء المدينة بنفس الأسعار . كما منع تجار التجزئة من اعتراض المؤن الواردة للأسواق أو شرائها بعد بيعها مرة أخرى قبل الساعة التاسعة صباحاً ، كما صدر مرسوماً يقضى بعدم صلاحية التحليل نصف السنوى للخبز والبيرة إلا إذا تم فى حضور مستشار الجامعة أو نائبه[4] . ونظراً لأن تعاطى الطلبة

---

١ Lyte, op. cit., p. 42.

٢ Munimenta Academica, (ed.) by Anstey, in (Rolls Series) London, 1868, pp. 26-28; Lyte, op. cit., p. 45.

٣ Brodrick, op. cit., p. 14; Lyte, op. cit., p. 45; Rashdall, op. cit., p. 85.

٤ Lyte, op. cit., p. 46.

للخمور يعتبر مصدراً دائماً للمتاعب ، وكان نصف أبناء أكسفورد يخمرون النبيذ ويبيعونه ، كما كان الشراب جزءاً من أى احتفال أكاديمى ، لذا كان من الطبيعى أن يكون المستشار ملزماً من التأكد بأن أصحاب الحانات فى أكسفورد يحافظون على جودة الخمور التى يبيعونها. بيد أن ذلك لم يمنعهم من صنع الخمور من مياه الجداول ، التى تصب فيها المجارى، وتصبح شوارع المدينة مسرحاً لشجار نتيجة لذلك . بيد أن أهم ما تضمنه عهد ١٢٥٥م أنه منح مستشار الجامعة حق استلام الدارسين المعتقلين فى سجن القلعة بسبب جرائم خطيرة ، وعقاب العلمانيين من سكان المدينة باعتقالهم إذا ألحقوا ضرراً بالدارسين حتى يتم تقديم التعويض الذى يراه الطرف المتضرر والمستشار والجامعة ملائماً[١] .

وفى عام ١٢٥٦م أقر الملك بضرورة أن يتم تقدير إيجار المنازل والغرف التى يسكنها الدارسون والمؤجرة من سكان المدينة ، بواسطة لجنة مشتركة من الدارسين وأبناء المدينة مرة كل خمس سنوات بدلاً من كل عشر سنوات[٢] .

لا مراء أن هذه الأحداث والتطورات إنما تؤكد أن جامعة أكسفورد التى حظيت بتأييد الملك ، والبابا وأسقف لنكولن على السواء ، غدت تحتل مكانة مرموقة فى عيون العالم فى منتصف القرن الثالث عشر ، والتى يتحدث عنها المؤرخ متى الباريسى باعتبارها المدرسة الثانية للكنيسة . ولتلك التسمية قصة .

فى عام ١٢٥٧ م أظهر هنرى ليكسنجتون Henry Lexington الذى خلف روبرت جروستيست فى منصب أسقف لنكولن ، ميولاً غير ودية تجاه الدارسين فى أكسفورد، وتوجه تسعة من معلمى الآداب لمقابلة الملك فى دير القديس البانز St. Albans لتقديم شكوى ضد ما اعتبروه اعتداء الأسقف على حريات الجامعة[٣] . وعقد المؤرخ متى الباريسى الذى كان آنذاك راهباً فى دير القديس البانز لقاء مع الملك ، وناصر قضيتهم بحماس وقال مخاطباً الملك : "سيدى ، باسم الاله اهتم بالكنيسة المتداعية بالفعل ، لأن جامعة باريس مدرسة كثيرين من الأساقفة أصابها صدع عظيم ، وإذا تعرضت جامعة أكسفورد وهى

---

[١] Lyte, op. cit., p. 46; Mallet, op. cit., p. 153.

[٢] Lyte, op. cit., p. 45.

[٣] كانت جامعة أكسفورد فى هذه المرحلة قد بدأت فى صياغة أعرافها غير المكتوبة إلى قوانين مكتوبة . وكان النزاع يدور حول هل يحق للجامعة إدارة أمورها بنفسها أم من خلال أسقف لنكولن ؟ ولأن الأساتذة كانوا يحاضرون بمقتضى الترخيص الذى يمنحه المستشار . فقد اعتبر الأسقف الجديد ذلك انتهاكاً لحقه الخاص ، مستنداً فى ذلك على أنه بناء على التماس سلفه روبرت جروستيست أعلن البابا أنوسنت الرابع مرسوماً يقضى بأن لا يسمح لأحد بالتدريس فى أى تخصص ما لم يخضع للاختبار والموافقة من جانب الأسقف أو نائبه . وهذا القرار يبرهن بوضوح على أن مستشار الجامعة ما زال يعتبر نائب للأسقفية . وبالرغم من أن المستشار يعتبر من الناحية النظرية نائباً للأسقف ، بيد أنه باعتباره أستاذاً فى اللاهوت والقانون الكنسى بالجامعة كان دوماً معبراً عن مصالح الجامعة . وسلطته تعلى فى المدى البعيد سلطة الجامعة . وبمرور الوقت فإن دمج السلطة الأكاديمية والكنسية ، المدنية والجنائية فى أيدى مستشار مدارس أكسفورد لم يحدث أن حصل عليها رئيس أى جامعة أخرى باستثناء جامعة كمبريدج . انظر ذلك فى :
Rashdall, op. cit., pp. 45, 116, 117; Lyte, op. cit., pp. 39, 40.

المدرســة الثانية للكنيسة ، وربما تكون أساس الكنيسة ذاته لنفس الصدع والاضطراب ، فإننا نخشى أن تنهار الكنيسة كلها".[1]

وبناء على ذلك صدرت الأوامر للمبعوثين من مدارس أكسفورد بالمثول أمام المجلس الكبير للملك ، والذى اصطلح المؤرخون على تسميته بالبرلمان ، والذى كان على وشك الانعقاد فى ويسمنيستر . وربما كانت نقطة الخلاف الأساسية بين أسقف لنكولن والجامعة ، أن الأسقف من منطلق تأكيد سلطته على الجامعة حاول منع المستشار من فرض عقوبة روحية بدون الحصول على إذن خاص منه . بيد أنه تم إقرار سلطة المستشار عام ١٢٦٢م بحقه بإصدار عقوبة الحرمان الكنسى ضد نواب المدينة ، فى حالة تجاوز سلطته باحتجاز الدارسين المتهمين فى سجن المدينة.[2]

وبالرغم من مؤازرة التاج للجامعة لم تلبث أن تعارضت حقوق المستشار مع حقوق التاج حول حسم القضايا التى تحدث بين اليهود والدارسين ، مع الأخذ فى الاعتبار أنه قبل إنشاء صندوق دير القديسة فرايدزوايد بمقتضى مرسوم البابا عام ١٢١٤ – والمشار إليه آنفاً – وغيره من الصناديق لتقديم القروض للدارسين الفقراء ، كان اليهود هم الفئة الوحيدة التى تقدم القروض فى مدينة أكسفورد وكانت لهم تعاملات ضخمة مع الدارسين خلال حكم هنرى الثالث[3] . ولم يكن القانون الكنسى المناهض للربا ينطبق على أعضاء الطائفة اليهودية . وكانت القضايا التى تنشب بينهم وبين المسيحيين تحال إلى محكمة مختلطة[4] . ورغم تحديد سعر الفائدة من جانب الملك بمقدار بنسين عن كل جنيه فإن الخلافات الكثيرة كانت تطفو على السطح بين الدائنين اليهود والمدنيين المسيحيين ، واللجوء لمستشار الجامعة للبت فيها . وفى عام ١٢٦٠م أخذ رئيس شرطة قلعة أكسفورد على عاتقه إثارة موضوع سلطة المستشار على اليهود ، مدعياً أنهم لا يشكلون جزء من المجتمع العادى للمدينة . وأحال الملك الأمر برمته إلى لجنة من المحلفين من سكان المدينة ، جاء قرارها رغم العداء بين المدينة والجامعة لصالح سلطة المستشار بموافقة كاملة من الملك ، بحق المستشار إقرار السلام بين الطرفين

[1] يذكر المؤرخ ماثيو الباريسى فى ثنايا حديثه عن مكانة أكسفورد فى القرن الثالث عشر ، بأنه فى عام ١٢٥٢م عرض بونيفاس رئيس أساقفة كانتر برى شكواه ضد أسقف وينشيستر أمام الجامعة "لكى يعلن ذلك الخطأ الذى لرتكبه الأسقف على حشود الدارسين المجتمعين هناك للدراسة من أنحاء متفرقة من العالم . لكى تعرف الأمم البعيدة بذلك الخطأ من حكايات الدارسين . وحضر إليه جمع غفير من الدارسين ، قابلوه بالترحاب باعتباره رئيساً للأساقفة ، وقدموا له كميات كبيرة من اللحم والشراب لطعامه ، وعندما لاحظ رئيس الأساقفة وحاشيته كرم ضيافتهم ، وفخامة مظهرهم ، وولائهم ، وجاذبية شخصياتهم ، اضطروا للاعتراف بأن جامعة أكسفورد جديرة بأن تصنف باعتبارها منافساً لجامعة باريس" انظر:
Matthew Paris, Chronica Majora, ed. Lusrd, Rolls Series, London, 1884; vol. IV, pp. 265, 353; vol. V, p. 618; Lyte, op. cit., p. 58.

[2] Loc. cit.

[3] Loc. cit.

[4] Stubbs, The Constitutional History of England, Oxford, 1873, vol. II, p. 530.

وتطبيق العمل السريع على أى منهما[1] . ويبدو من وجهة نظر الباحث أن قرار أبناء المدينة بالثناء على المستشار إنما كان بدافع الرغبة من جانبهم فى إذلال اليهود ، لأنهم بقدر ما كانوا يكرهون الدارسين ، فإن كراهيتهم لليهود كانت أشد وأقوى .

وللوقوف على أسباب المنازعات التى كانت تندلع دوماً فى أكسفورد بين الجامعة وتحديداً الدارسين وسكان المدينة ، يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن الجامعة فى النصف الأول من القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر لم يكن لها أبنية خاصة بها أو ممتلكات من أى نوع . فالمدارس التى كانت تلقى فيها المحاضرات والغرف التى يسكنها الطلبة كانت جميعها مستأجرة من سكان المدينة . وكان العمل الأكاديمى يتم فى الكنائس الأبروشية أو الديرية المستأجرة لهذا الغرض . وكان لفقر الجامعة فى هذه المرحلة ميزة تعويضية ، لأنه ترك للجامعة حرية الاستقرار فى المكان الذى تريده . وطالما أصبح العامل المادى عديم الجدوى ، حينئذ يكون باستطاعة الدارسين مغادرة أكسفورد وحينئذ ينطوى رحيلهم على خسارة مادية لسكان المدينة ويمثل فشلاً زريعاً لكل من الكنيسة والملكية . وإذا كان البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) تصريحاً رسمياً للأساتذة فى باريس بالتوقف عن إلقاء المحاضرات عندما تتعرض حريات الجامعة للخطر . ففى أكسفورد كان القلق العام فى المدارس يفهم على أنه يعنى أن الدارسين يمكن أن يتفرقوا إذا لم تلق شكواهم الاهتمام العاجل. ومن ثم فإن التهديد بمغادرة أكسفورد وإغلاق المدارس يصبح السلاح الذى يستطيعون إشهاره فى وجه سكان المدينة[2] ، لاسيما وأن أكسفورد على حد تعبير المؤرخ ماليت الوحيدة بين مدن انجلترا فى العصور الوسطى التى تضمنت مركزين يبدو وكأنهما يتمتعان بالحكم الذاتى Self-governing أى الجامعة والمدينة . وفى الوقت الذى كانت فيه نقابة التجار قادرة على حماية حريتها وإقرار حقوقها ضد الدارسين كانت الجامعة تحتاج دوماً إلى حماية التاج.[3]

وفى أثناء النزاع الشهير بين هنرى الثالث والبارونات الثائرين بزعامة الأيرل سيمون مونتفورت ، أبدت الجامعة تعاطفاً مع البارونات المعاديين للملك ، ولم تمانع فى منحهم قرضاً استهلك جزء كبيراً من النقود التى أوصى بها وليم درهام لمعلمى الآداب الفقراء. حينئذ أمر هنرى الثالث كل الدارسين مغادرة أكسفورد . وانضم عدد كبير منهم إلى البارونات . وغامر الملك باقتحام أكسفورد ، وأقسم تحت وطأة الغضب من الدمار الذى ألحقوه برجاله ، بأنه سوف يشنقهم جميعاً فور الاستيلاء على المدينة . بيد أن الملك لم ينفذ تهديده بناءً على استنكار أتباعه ، مخافة أن يؤدى ذلك إلى فقدان كل النبلاء والأتباع المؤيدين

---

١ Lyte, op. cit., pp. 58-59.
٢ Ibid; p. 41.
٣ Mallet, op. cit., pp. 39-40.

لــه ، فمــن لهــم أبناء وأقارب بين الدارسين . وبعد شهر واحد من وقوع الملك وولى عهده الأمــير إدوارد فــى الأسر على يد الأول فى معركة لويس Lewes بمقاطعة سكس ، والتى أدت إلــى قلب أوضاع الأطراف المتحاربة رأساً على عقب ، أصدر الأيرل المنتصر مراسيم باسم الملك يأمر بعودة الدارسين المشتتين إلى أكسفورد[1] .

ونســتطيع تفســير هذا الموقف العدائى للجامعة تجاه الملك رغم انحيازه لها وإعلاء شأنها فى عهده فى ضوء حقيقة أن الجامعة لم تكن بمنأى عن حالة الاستياء العام فى المملكة نتيجة تردى الأوضاع السياسية داخلياً وخارجياً فى عهد هنرى الثالث ، وربما إيمانهم بعدالة المطالــب البارونــية والتى قدمها الأيرل الثائر فى اجتماع المجلس الكبير الذى عقد فى مدينة أكسفورد عام ١٢٥٨ والتى عرفت فى التاريخ الانجليزى بشروط أكسفورد[2] .

علــى أية حال ، فقد حظى النصف الثانى من القرن الثالث عشر بأهمية خاصة فى تــاريخ تطور جامعة أكسفورد ، بظهور ما اصطلح على تسميته الكليات Colleges ، وهى مؤسســات خيرية ذات هدف تعليمى لإعالة الدارسين الفقراء . وخلال فترة العصور الوسطى كانت الغالبية العظمى من الدارسين العلمانيين يقيمون إما فى غرف مستأجرة من أبناء المدينة أو فى قاعات Halls مع الأخذ فى الاعتبار أن منع الدارسين من الإقامة فى بيوت الأهالى لم يــتم الغاءه إلا فى عهد الملك هنرى الخامس (١٤١٣-١٤٢٢م)[3] . ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الــدارس الثرى الذى ينتمى لأسرة عريقة يستطيع أن يأخذ مسكناً خاصاً به . فى حين أن الدارس الذى يعانى الفاقة يقيم فى حجرة منفردة مهملة أعلى البيت . ومن ثم نجد أن الدارسين الذيــن يجدون مشقة فى دفع تكاليف المعيشة لا يرون ثمة مهانة فى قبول المساعدة من رجل ثــرى ، حيــث نجد الكثير من الدارسين يدينون بالفعل إلى كاهن أو أحد النبلاء بالتعليم الذى يهيــئ لهم البداية الأولى للحياة . ولا مراء أن فكرة الكفالة على أساس دائم للإقامة فى بيوت بمــا فــيها الأكل والإقامة للدارسين الفقراء كانت بدون شك الدافع الرئيسى الذى أدى لظهور فكرة الكليات[4] .

وتــبدأ الجــذور التاريخية لنظام الكليات فى تاريخ أكسفورد الباكر بعدد من الملوك والنــبلاء والأســاقفة يدفعون نفقات تعليم الطلبة الفقراء الذين ولدوا فى ضياعهم الإقطاعية . وكان الأغنياء المتحمسين للتعليم يقررون إعالة عدد من الدارسين فى الجامعة ، وتوفير إقامة خاصــة لهــم ، ووضع القواعد لضبط سلوكهم ، فى عصر يعتبر التبرع أو الهبة Chantry بهــدف إعالــة دارس أو أكــثر من الأعمال النبيلة وتعبيراً عن التقوى والورع فى العصور

---

[1] Lyte, op. cit., pp. 65-66; Mallet, op. cit., pp. 52-53.

[2] ولمزيد من التفاصيل عن النزاع بين هنرى الثالث والبارونات انظر :
زينب عبد المجيد ، المرجع السابق ، ص ١٨٨- ١٨٩ .

[3] Rashdall, op. cit., p. 175.

[4] Rashdall, op. cit., p. 175; Mallet, op. cit., p. 84.

الوسطى[1] . ولعل أصدق مثال على ذلك ما قام به أحد الأثرياء ويدعى الآن باسيت Alan Basset ، حيث أوصى بمبلغ مائتى مارك تؤخذ من ضيعته ، تدفع بمعدل ثمان ماركات سنوياً لاثنين من القساوسة الذين يتولون إقامة القداس يومياً لروحه وروح زوجته ، وأيضاً للدراسة فى مدارس أكسفورد أو أى مكان آخر . ويجب الاعتراف بفضل آلان باسيت باعتباره أول من أقدم على وقف بعض المال للإنفاق على دارس فى أكسفورد [2] .

وفى عام ١٢٤٩ م أوصى وليام درهام William of Durham أحد أساتذة باريس البارزين بمبلغ ثلاثمائة وعشرة مارك لجامعة أكسفورد ، بهدف إعالة عشرة أو أكثر من معلمى الآداب من أبناء كونتية درهام فى منازل يتم توفيرها فى أكسفورد من هذا المال . وقد وضعت الجامعة هذه الأموال فى خزينة عرفت باسم صندوق وليم وليام درهام . أنفقت بعضاً منه فى منح قروض بدون فائدة للدارسين . وفى أثناء النزاع البارونى الشهير فى عهد هنرى الثالث اقترض البارونات الذين جاءوا لحضور اجتماع عام ١٢٦٤م[3] ، مبالغ ضخمة من ذلك الصندوق ، وفى ضوء ذلك لا يمكن اعتبار وليم درهام مؤسس لأقدم كلية فى أكسفورد ، لأنه لم يهدف أن يكون المتلقين لصدقاته فى شكل جماعة منظمة تتمتع بحقوق عامة . مع الأخذ فى الاعتبار أن لفظ كلية Collegium هو المرادف اللاتينى للكلمة التى تستخدم الآن بمعنى هيئة أو مؤسسة Corporation . ومن ثم فإن ما قام به وليم درهام عبارة عن منحة مالية Exhibition-fund تدار بواسطة الجامعة[4] .

ومن الجدير بالذكر أنه بالإضافة للمال الذى أوصى به وليم درهام ، وأموال أخرى من متبرعين آخرين ، تم فى عام ١٢٨٠م إنشاء ما يعرف باسم كلية الجامعة University College والتى عرفت آنذاك باسم الدار الكبرى للجامعة "Gtreat University Hall" عبارة عن مجموعة صغيرة مكونة من أربعة من المعلمين غير القادرين على العيش بمستوى رفيع مع دارسين آخرين ، ويتم اختيارهم بواسطة المستشار ومعلمى اللاهوت . وكانوا جميعاً مطالبين بدراسة اللاهوت ، ولأن الجامعة لم تعتزم أن يشكل هؤلاء الدارسون مؤسسة مستقلة عن الجامعة ، فقد كان مسموحاً لهم فقط بقدر محدود فى إدارة شئونهم . ويعين الزميل الأكبر سناً The Senior Fellow رئيساً Head . وكانت السلطة الفعلية كلية فى يد المستشار والأساتذة الممارسين Regent Masters فى اللاهوت . وحصل الدارسون المقيمين بها على مخصص سنوى مقداره خمسين شلنا لكل منهم سنوياً . وصدرت القوانين المنظمة للمقيمين بها وفقاً لقواعد صارمة عام ١٢٩٢ م . بيد أن مصطلح كلية لم يخرج إلى حيز الوجود إلا

---

١ Rashdall, op. cit., p. 175.
٢ Mallet, op. cit., p. 84; Rashdall, op. cit., p. 175.
٣ Brodrick, op. cit., p. 17; Lyte, op. cit., pp. 10, 71, Mallet, op. cit., p. 84
٤ Munimenta Academica, pp. 780-783; Lyte, op. cit., p. 87.

عام ١٢٨٠م ، لأن القوانين الباكرة التى أعدت من خلال الجامعة لإنشاء هذه المؤسسة صدرت فى هذا العام[١] .

وفى عام ١٢٦٠م خصص جون باليول John Balliol الذى يعد واحداً من أكثر بارونات الشمال قوة وثراء ، مبلغا من المال للإعالة الدائمة للدارسين الفقراء فى أكسفورد . وبعد وفاته زادت زوجته الأميرة الاسكتلندية ديرفورجيلا Dervorguilla من قيمة المنح المالية بما يكفى لإعالة ستة عشر دارساً بمرتب سنوى يقدر بسبعة وعشرين ماركاً لكل دارس. بيد أن مؤسسة باليول خصصت لدارسى الآداب فقط ، الذين بعد حصولهم على درجة الماجستير فى الآداب M.A لا يسمح لهم بالاستمرار وبالتالى ترك أماكنهم . وهؤلاء الدارسون تحت إشراف رئيس Principal كانوا يقومون بانتخابه.[٢]

ونظراً لأن المؤسس الأصلى قد أغفل أن يضع كليته أى مؤسسته تحت رعاية زائر حيث من المعتاد أن يكون أسقف لنكولن هو الزائر Visitor . كذا وبمقتضى قوانين عام ١٣٤٠م قسمت سلطة الزائر بين مستشار الجامعة وأسقف درهام واثنين من المدرسين . ولكن بمقتضى قانون تم إعداده تحت إشراف السلطة البابوية بواسطة سيمون سدبرى Simon Sudbury أسقف لندن عام ١٣٦٤م . جعل أسقف لندن زائر . ومن جهة أخرى فقد منحت القوانين البابوية الجديدة الكلية امتيازاً فريداً بعدئذ بحقها فى انتخاب زائرها.[٣]

وفى نفس الوقت أسس ولتر مرتون Walter Merton أسقف روشيستر Rochester مؤسسة تعليمية أى كلية ، من خلال تخصيص ريع ضياعه الإقطاعية فى مالدن Malden لإعالة أحد عشر دارساً من الحاصلين على درجة الليسانس فى الآداب للحصول على درجة الماجستير ، بدخل سنوى يقدر بأربعين شلن لكل منهم . وانطلاقاً من تقديره التام للنهضة الفكرية فى عصره وعدم استعداده لرؤية سيطرة المؤسسات الدينية على مؤسسته حيث المبشرين المتحمسين لخدمة الهيمنة والسيادة البابوية ، أنشأ مؤسسته بهدف تعليم رجال

---

[١] فى ضوء قوانين عام ١٢٩٢م ، ونظراً لقلة عدد الدارسين بكلية أودار الجامعة ، تم اتخاذ إجراء يتم بمقتضاه قبول دارسين آخرين من ذوى الأخلاق الطيبة للإقامة والسكن ولكن على نفقتهم الخاصة وعرف هؤلاء باسم العامة Commoners . أى الدارسين غير الأعضاء الأساسيين فى المؤسسة . وتم إنشاء مكتبة واستعارة الكتب وفقاً لشروط صارمة . وكانت اللغة اللاتينية هى لغة الحديث اليومى والعيش كدارسين وفقاً لأسلوب القديسين . وعدم الشجار أو استخدام الألفاظ البذيئة . وفرض نظام تدريجى للعقاب بمعنى أن من يهين زميله سراً تفرض عليه غرامة شلن ، وإذا كانت الإهانة أمام الزملاء تكون شلنين . وإذا حدثت الإهانة فى الشارع أو الكنيسة أو فى مكان للترفيه تكون الغرامة ستة شلن وثمانية دينار . وبمقتضى القوانين التكميلية الصادرة عام ١٣١١م سمح للدارسين بملأ الأماكن الشاغرة فى مؤسستهم . وللزملاء Fellows أى المعلمين الأربعة حق التصويت بصدد انتخاب الزملاء الآخرين فى المستقبل . بيد أن المستشار ومعلمى اللاهوت ومراقبى الجامعة لهم حق رفض الأشخاص المنتخبين . لمزيد من التفاصيل بصدد هذه القوانين انظر :
Munimenta Academica, vol. II, pp. 56-61; Lyte, op. cit., pp. 82-84; Brodricke, op. cit., p. 17; Mallet, op. cit., pp. 87-89.

[٢] Rashdall, op. cit., p. 181; Brodrick, op. cit., p. 17; Lyte, op. cit., p. 71; Mallet, op. cit., pp. 97-98.

[٣] Rashdall, op. cit., p. 182; Mallet, op. cit., pp. 102,104.

الديـن العلمانيين ، لإعداد مجموعة من الرجال القادرين على إسداء عمل جيد للكنيسة والدولة علـى السـواء . وتجسيداً لذلك أصدر تشريعاً يحث دارسيه جميعاً على دراسة الفنون الحرة والفلسفة قبل الإقدام على دراسة اللاهوت[١] .

ومـن الجديـر بالذكر أن الدارسين فيكلية مرتون كانوا خاضعين لإشراف مراقب Warden ، الـذى كان اختياره يقع على عاتق أقدم سبع دارسين ، ومن الممكن اختياره من بيـنهم إذا أرادوا ذلـك . بيد أنه كان يتم إبعاده حسب إرادة أسقف وينشيستر . ومن المقرر زيـادة عدد الدارسين تبعاً لزيادة الإيراد . وكانوا ملزمين باجتياز المقرر العادى فى الآداب ، والانـتقال بعده لدراسة اللاهوت . وللمراقب حق منح الترخيص لأربعة أو خمسة من الطلبة الممتازيـن من المقيمين بالمؤسسة لدراسة القانون الكنسى أو المدنى . ويبدو أن الطلبة الأكبر سـناً كانوا يعملون كمعلمين للأصغر سناً والذين كانوا تحت رعاية معلم النحو المقيم . وعند مخاطـبة بعضـهم بعضاً يستخدمون تعبير زميل Fellow . بيد أن هذه الكلمة لم تكن تعنى المعـنى الحـرفى الذى تدل عليه الآن . وإنما استخدمت بواسطة روبرت مرتون تعبيراً عن روح المسـاواة والصـداقة التى يجب أن تسود بين متلقى هباته . وكان انجاز العمل الإدارى مـنوطاً بعدد كبير من الدارسين المقيمين بالمؤسسة أمكن توظيفهم لإدارة شئون الكلية . يعمل ثلاثـة مـنهم أمناء للخزانة ، وخمسة آخرون لمراجعة الحسابات . والأكبر سناً فى كل قاعة dormitory يسمى عميد Dean . ويكون مسئولاً عن حسن سلوك وعمل الساكنين الآخرين. وفى عام ١٢٧٦م أصبح الزائر رئيس أساقفة كانتربرى[٢] .

وكـان يتم قبول الأولاد الفقراء من أقارب المؤسس بشرط ألا يزيد العدد على ثلاثة عشر ، وبرر مرتون الإحسان الذى أسبغه على أقاربه بأنهم كانوا سيحصلون على ممتلكاتهم بالقانون لأنه حرمهم من الميراث بمنح ممتلكاته لمؤسسة تعليمية[٣] .

ومن الجدير بالذكر أن الدارسين الأوائل فى كليات الجامعة ، باليول ، ومرتون كانوا يعيشـون فـى غرف منعزلة وحجرات عارية مكشوفة مكونة من طوابق من الطين . وكانوا يعانون دائماً من البرد . وحتى عهد أسرة تيودور (١٤٨٥-١٦٣٥م) لم تكن الطوابق الخشبية والحوائـط المكسـوة بالخشب ، والأسقف المغطاة بالجص قد بدأت بعد . وحتى عهد الملكة اليزابيث الأولى لم تكن التدفئة أو مفروشات الأسرة وفيرة . وبدأ بعدئذ تشييد أعداد هائلة من المداخن. وأصبحت الوسائد والمخدات شائعة الاستعمال[٤] .

---

١ Lyte, op. cit., pp. 72, 73; Brodrick, pp. 17, 18; Mallet, op. cit., pp. 113-116.

٢ Lyte, op. cit., pp. 73-80; Brodrick, op. cit., pp. 18-20; Rashdall, op. cit., p. 196.

٣ Lyte, op. cit., p. 80.

٤ Mallet, op. cit., p. 87.

لا مـــراء أن تأسيس ما اصطلح المؤرخون القدامى والمحدثون على تسميته بالكليات فـــى ضوء هذه الكليات الثلاث الباكرة يمثل حدثاً مهماً فى التاريخ الأكاديمى لجامعة أكسفورد فى القرن الثالث عشر.[١]

وبانـــتهاء الحرب البارونية وتأسيس هذه الكليات الباكرة بدأت فترة جديدة فى تاريخ ازدهـــار الجامعة واحتلت أكسفورد مكانتها بجانب باريس بين أشهر مراكز التعليم في الغرب الأوروبـــى وأصبح رجال التعليم فى أكسفورد زعماء للفكر الأوروبى . ويذكر فى هذا الصدد أن دانتى Dante استمع إلى المحاضرات فى أكسفورد وتجول فى شوارعها[٢] . وتتأكد مكانة أكســـفورد بحلـــول القرن الرابع عشر ، وتزداد توهجاً فى أعين أوروبا نتيجة لتدهور جامعة بـــاريس ، واحـــتجاج رجال التعليم فى أكسفورد بشدة على الاستبداد الروحى للبابوية ، التى أنحـــط شـــأنها وباتت أسيرة لنفوذ وتأثير الملكية الفرنسية فى أفينون Avignon زهاء ستين عاماً . وسرعان ما تبع عودة البابا إلى روما الانشقاق الكبير The great Schism (١٣٧٨-١٤١٧م) . وتناثر أشلاء الكرسى الرسولى بين عدد من البابوات فى روما ، أفنيون ، وبيزا فى آن واحد ، وفى الوقت الذى أجهدت فيه انجلترا طاقاتها فى حملات عسكرية مضنية ضد التاجيـــن الفرنسى والاسكتلندى . ورغم كل الأحداث السياسية التى مزقت القارة الأوروبية فى القـــرن الـــرابع عشر . فقد شهد هذا القرن ازدهارا كبيرا فى مجال الآداب والفنون والتعليم . ولم تكن جامعة أكسفورد بمنأى عن هذه الصحوة الفكرية ومواصلة مسيرة تطورها[٣] .

---

١ شـــهدت جامعـــة أكسفورد فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر مولد عدد كبير من الكليات مثل كلية اكستر Exter College عام ١٣١٤م ومؤسسها وولتر ستابلدون Walter Stapledon أسقف إكستر . وكلية أوريل Oriel عام ١٣٢٤ م . وكلـــية الملكـــة Queen College عام ١٣٤١م على يد روبرت أجلسفيلد Robert Egglesfied قس الملكة فيليبا Philippa زوجة الملك إدوارد الثالث (١٣٢٧-١٣٧٧م) . وكلية كانتربرى وأسسها سيمون سلاب Simon Islap رئيس أساقفة كانتربرى عام ١٣٦١م . والكلية الجديدة New College على يد وليام ويكهام William of Wykeham أسقف ونشيســـتر عـــام ١٣٧٩م . والذى حصل علي ترخيص من الملك ريتشارد الثانى (١٣٧٧-١٣٩٩م) بتأسيس كلية تتسع لســـبعين دارســـاً فى التخصصات المختلفة من الطلاب للفقراء والمعوقين ، الحاصلين على تعليم كاف فى النحو . وأن يكونوا دون العشرين من العمر . وأن يدرس عشرة منهم القانون المدنى ، وعشرة آخرون القانون الكنسى . أما الخمسون الـــباقون فقد تقرر أن يتجهوا لدراسة الفنون الحرة أو الفلسفة أو اللاهوت . وإذا كان وولتر مرتون هو المؤسس الحقيقة لـــنظام الكلـــيات الإنجليزية . يعتبر وليم ويكهام المؤسس الثانى . ثم تأسست كلية لنكولن عام ١٤٢٩م بواسطة ريتشارد فلـــمج كان أحد أتباع ويكلف Wyclifite ، للدفاع عن العقيدة الكاثوليكية ضد الهرطقة التى نجا من الوقوع فى براثنها على حد تعبيره . ووجدت كليات أخرى علاوة على عدد لا حصر له من الكليات الديرية . واعتقد أن الحديث تفصيلاً عن هذه الكليات أمر لا يتسع صفحات البحث للوفاء به ويحتاج إلى دراسة مستقلة . ولمزيد من التفاصيل انظر :
Brodrick, op. cit., pp. 31, 31; Rashdall, op. cit., pp. 185-222.

٢ Brodrick, op. cit., pp. 28-30; Lyte, op. cit., p. 138.

٣ Brodrick, op. cit., pp. 28-30; Lyte, op. cit., pp. 28-33.

ففى عام ١٣٢٢م طالبت الجامعة ليس فقط بحق انتخاب المستشار وإنما عزله أيضاً. ووافق أسقف لنكولن على التخلى عن حقه فى تعيين المستشار بدون تردد[1] . بيد أنه عندما تجدد النزاع ثانية عام ١٣٥٠م بين لنكولن، الذى أعاد مرة أخرى إثارة مسألة أحقيته فى تعيين المستشار ، لجأت الجامعة ، التى تحصنت بما تم الاتفاق عليه سابقاً، إلى رئيس الأساقفة ، الذى حث أسقفه على إقرار تعيين المستشار فى غضون ستة أيام فقط من انتخابه ، ليس ذلك فقط فقد بادر رئيس الأساقفة بإقرار تعيين المستشار دون مراعاة لأسقف لنكولن الذى أصر بدوره على أحقيته فى الانفراد بذلك وتأكيد مكانته الكنسية . وبث الأسقف الغاضب شكواه ضد رئيسه للبابا فى روما ، والذى انحاز بدوره للجامعة ، وبارك مسلك رئيس الأساقفة . وفى عام ١٣٦٧ ذهب البابا أربان الخامس (١٣٦٢-١٣٧٠م) إلى أبعد من ذلك بإلغاء إقرار التعيين كلية من جانب أسقف لنكولن ، وأن الانتخاب الشرعى للمستشار من خلال أساتذة الجامعة الممارسين Regent Masters يعد كافياً ، لتتحرر الجامعة نهائياً من ربقة السيطرة الأسقفية[2] . ولم يكن متوقعاً لرئيس شمامسة أكسفورد والذى يمثل أعلى سلطة كنسية مقيمة بالمدينة ، أن يكون أسعد حظاً من الأسقف فى الحد من تزايد سلطة المستشار ليحظى المستشار فى النهاية بصلاحية رئيس الشمامسة Archidiaconal على دارسيه .

---

[1] يرجع المؤرخين رشدال وماليت بداية النزاع بين أسقف لنكولن والجامعة إلى أيام الأسقف أوليفر ستون Oliver Sutton ، الذى أصبح منذ لحظة ارتقاءه المنصب الأسقفى متورطاً فى نزاع مع الجامعة . وفى مواجهة هذا الأسقف انعقد مجلس الجامعة Congregation عام ١٢٨٠م . وتم القسم على مراعاة الحقوق الأربعة التالية باعتبارها أساساً لسلطة وتقاليد الجامعة من البداية وهى ١- استدعاء الدارسين المتهمين فى قضايا مع أبناء المدينة أمام المستشار . ٢- إثبات صحة وصايا الدارسين أمر من اختصاص المستشار . ٣- حق الاستجواب والتحقيق فى القضايا المتعلقة بالجنوح الأخلاقى للدراسين والعقود التى يبرمها المعلمين من اختصاص الجامعة . ٤- عدم الالتماس من جانب المدرسين فى أى محكمة سوى محكمة المستشار . علاوة على ذلك أظهر المستشار والمراقبون إصراراً بأن سلطة الأسقف تنحصر فقط فى الاستئناف فى القضايا الأخلاقية التى باء اللجوء فيها للمستشار أو مجلس الجامعة بالفشل . وأصر الأسقف العنيد بدوره على ضرورة حضور المستشار شخصياً أمامه لإقرار أو اعتماد تعينه . واعترض على مطلب الجامعة بحق انتخاب مستشارها . مما أدى إلى نزاع حاد وتوقف فى المحاضرات فى أكسفورد . واضطر رئيس الجامعة – المستشار – لتحذيره بأن الجامعة لن ترضخ لهذا القيد غير المألوف" . وبناءً على تدخل الملك والبرلمان اضطر الأسقف للإذعان . بيد أنه فى أوائل القرن الرابع عشر احتج الأسقف الجديد Dalderly على ما أسماه مؤامرات الجامعة وتجاوزاتها . وأثار الصعوبات بصدد تعيين المستشار وذكر الأساتذة بأن عليهم ترشيح المستشار فقط ، وأن التعيين من سلطة الأسقف وحده ، وهدد بالحرمان الكنسى ضد كل من يصدر قوانين تلحق ضرراً بمركزه أو أسقفيته . بيد أن الجامعة لم تيأس حتى تجدد النزاع عام ١٣٢٢م . حيث وافق الأسقف كما أشرنا فى المتن على التخلى عن التعيين بدون تردد . بناءً على صيغة عرضية لكرامة الطرفين . وظلت مقبولة لمدة خمسين عاماً فقط . حيث تغاضى أسقف لنكولن عن الحضور الشخصى للمستشار ، وأنه قام بإقرار واعتماد تعيينه بدافع من كرمه فقط . لمزيد من التفاصيل انظر :
Mallet, op. cit., pp. 166, 167; Rashdall, op. cit., pp. 118-120.

[2] فى الوقت الذى استمرت فيه الصيغة التوفيقية التى أسفر عنها نزاع ١٣٢٢م بصدد إقرار تعيين المستشار – كما سبق ذكره – مقبولة لمدة خمسين عاماً من الطرفين . بيد أن هذه الفترة لم تمر دون نزاع من حين لآخر ففى عام ١٣٦٧م فوض الأسقف أقدم أساتذة اللاهوت Senior Professor لتوقيع عقوبة الحرمان الكنسى على هؤلاء الذين بالتآمر يطالبون بانتخاب المستشار انظر :
Munimenta Academica, pp. 168-172;
Mallet, op. cit., p. 167; Rashdall, op. cit., pp. 120-123, Brodrick, op. cit., p. 42.

ومـــن ناحية أخرى لم يتوان رئيس الأساقفة من البداية على التشجيع على استقلال الجامعة . وبالـــتالى لـــم يكن من السهل على الجامعة منازعة رئيس الأساقفة فى سلطته ، وآرائه بصدد العقيدة تحظى دوماً بالطاعة . وكانت زياراته الرسمية للجامعة باعتباره زائراً Visitor بمثابة أحـــداث أكاديمـــية هامة . بيد أنه فى نهاية القرن الرابع عشر أذعن رئيس الأساقفة كورتناى Courtenay لمرســـوم البابا بونيفاس التاسع (١٣٨٩-١٤٠٤م) الذى أعفى بمقتضاه الجامعة مـــن ســـلطة رئـــيس الأساقفة والأساقفة جميعاً . ولكن خليفته أرندل Arundel حصل على مســـاعدة الملـــك والبرلمان بتنحية هذا المرسوم جانباً ، وأقنع البابا جريجورى الثالث عشر (١٤٠٦-١٤١٥م) بإلغائه عام ١٤١١م.[١]

ونســـتطيع أن نقول فى ضوء ما سبق أن التباين بين السلطة التى يمارسها مستشار مـــدارس أكسفورد باعتباره نائباً لأسقف لنكولن ، والسلطة التى آلت إليه كرئيس لجماعة لها أساتذة سرعان ما تلاشت . ذلك أن اعتماده على الجامعة جعله من الناحية العملية مستقلاً أكثر فأكـــثر عن الأسقف الذى كان يستمد منه سلطته لاسيما وقد أثبت التاج دوماً أنه صديقاً حميماً للمستشار ، بل ساعده على توسيع نطاق حقوقه وحريته[٢] .

ومـــن الجديـــر بالذكر أن الأساتذة الممارسين الذين ينتخبون المستشار إنما يختارون عالمـــاً فـــى القانون الكنسى أو اللاهوت . ولهؤلاء الأساتذة ليس فقط حق الاختيار بل رفض المرشـــح لمنصـــب المستشار . وفى أثناء أجازته يعمل العضو، أى الأستاذ الأكبر سناً ، فى تخصص اللاهوت كنائب له . وفى حالة غياب المستشار عن أكسفورد من الممكن تعيين نائبه للقـــيام بمهامه ، بيد أن غيابه كان يمنع باستمرار بسبب الأضرار الكثيرة الناجمة عن ذلك لا ســـيما مـــن جانـــب أسقف لنكولن . لذا ووفقاً لما تمدنا به حولية معاصرة، قد يفقد المستشار منصـــبه إذا غـــاب عـــن أكسفورد شهراً[٣] . وإذا ثبت عجزه عن تحقيق العدالة يحق لمجلس الجامعـــة اســـتدعائه لـــتقويم أساليبه أو الرحيل . وبدءاً من عام ١٣٢٢ كان يتم انتخابه لمدة عاميـــن ، ومـــن الممكـــن إعادة انتخابه لفترة ثانية . ولم تصبح وظيفته دائمة إلا فى القرن الخامس عشر[٤] .

وعلـــى حد تعبير المؤرخ الانجليزى ماليت "بدا هذا المسئول المنتخب أى المستشار الـــذى يديـــن للأســـاتذة باستقلاله، وكأنه حاكماً حقيقياً أثناء فترة رئاسته للجامعة ، فقد كانت ســـلطاته واسعة وهيبته ليست موضوع شك ، مشاركاً فى حكم وإدارة المدينة ، فهو المسئول الوحيد عن توزيع الخبز ، النبيذ ، البيرة ، وفحص الموازين والمكاييل ، والتأكد من عدم بيع الطعام الفاسد ، وإدارة الشوارع ، وطرد كل الدارسين المثيرين للفوضى ومصادرة أسلحتهم .

---

١ Mallet, op. cit., pp. 167, 168.

٢ Mallet, op. cit., p. 169.

٣ Munimenta Academica, vol. II, p. 127; Mallet, op. cit., p. 170.

٤ Mallet, op. cit., p. 170.

وصـــار لزاماً على التجار الالتزام بقوانينه ، ويسعى الحرفيون للحصول على موافقته لتنظيم نقاباتهم ، وخضوع المتسيبون ذكوراً وإناثاً لعقابه . وكان العمدة ونواب المدينة ملزمين بتقديم العــون له فــى القــبض علــى المخالفين . والتزام حاكم المقاطعة بإيداعهم السجن بناءً على طلــبه"[1]. وتــتوج سلطة المستشار بالعهد الذى منحه الملك ريتشارد الثانى (١٣٧٧-١٣٩٩م) يمــنع بمقتضاه الملك ونوابه من النظر فى قضايا من اختصاص محكمة المستشار. وفى عام ١٤٠٦ مــنح الملــك هنرى الرابع (١٣٩٩-١٤١٣م) الجامعة امتيازاً يعطى للمستشار تعيين مسئول جديد باسم Seneschalor Steward ، له حق محاكمة أعضاء الجامعة وأبناء المدينة مــن زوى الامتــيازات الخاصة ، والاتباع الذين لم يتمتعوا بحصانة الدارسين مثل الكتاب ، الحلاقيــن ، الطهــاه ، الغســالين ، والحمالين .. الخ فى الجرائم الجنائية المتهم فيها هؤلاء ، والحكــم وفقــاً للقــانون العلمــانى . وتــم إقرار هذا الامتياز الذى لا يضاهى ، علاوة على الصــلاحية القديمــة لمحكمــة المستشار بمقتضى قانون برلمانى خاص . وأصبح المستشار الرئــيس المعترف به للمجلس الكبير Magna Congregatio or great Congregation ، أى مجلس الجامعة[2] .

علاوة على المستشار وفى ضوء الحديث عن الهيكل التنظيمى لجامعة أكسفورد كان يوجــد أثنيــن مــن المراقبين المنتخبين Proctors بواسطة قسم الآداب Faculty of Arts أحدهمــا يمثل المعلمين من أبناء الشمال ، والآخر من المعلمين من أبناء الجنوب كما سبق أن ذكــرنا فى بداية هذه الدراسة . وكانا بمثابة الرسميين للجامعة ككل ، وأقدم مسئولين تنفيذيين فى الجامعة . ومن مهامهما مساعدة المستشار فى أداء وظيفته ، وتنفيذ القوانين ، والإشراف علــى الانتخابات ، وتنظيم العمل الأكاديمى ، والمشاركة فى احتفالات التخرج ، وإعداد قوائم بأســماء المخالفين ، والتأكد من تنفيذ العقوبات والغرامات ، والإشراف على إنفاق وحسابات الجامعــة ، وتحصيل رسوم الدرجات العلمية . ويستطيعان إذا اتحدا استخدام الفيتو Veto أى الاعــتراض فــى مجال التشريع ، والدعوة إذا لزم الأمر لانعقاد مجلس الجامعة للتحقيق فى

---

[1] Ibid, pp. 170, 171; Brodrick, op. cit., p. 47.

[2] من الجدير بالذكر فى ضوء كثرة القضايا المعروضة للبت أمام المستشار لم يكن ثمة مراعاة تامة لتحقيق العدالة والنظام علــى وجه الدقة . وكان المتهمون فى الجرائم الكبرى يستفيدون من أخطائه . ونظراً لإصرار الأساتذة الممارسين على التقاضــى أمام المستشار أو من يفوضه بحيث أصبحت أعباء التقاضى تثقل كاهل المستشار أو نائبه . كان يتم الاستعانة بالدارسين الحاصلين على درجة البكالوريوس فى القانون الكنسى أو المدنى لمساعدة الدكاترة على اجتياز تلك المحاكمات. وكــان الاســتئناف يرفع للمستشار أولاً أو نائبه ثم إلى مجلس الأساتذة الممارسين وغير الممارسين . وكان حق الدفاع مكفولاً للدارسين . بيد أنهم كانوا على حذر من المحامين الذين يوكلونهم . لذا نص التشريع الجامعى على ضرورة البت سريعاً فى القضايا ، وكبح عدد المحامين الزائد عن الحد . لأنهم يشجعون على رفع القضايا بل وإخفاء الحقيقة من أجل الكسب المادى . لمزيد من التفاصيل انظر :
Munimentica Academica, pp. 231, 232; Mallet, op. cit., p. 174; Rashdall, op. cit., p. 103.

سلوك المستشار ، بل وإبعاده من منصبه أى أنها باعتبارهما ممثلين للأساتذة يمتلكان سلطة كبيرة فى عقاب والإطاحة برئيس الجامعة المبجل.[1]

وبعد المستشار والمراقبين يأتى ما اصطلح على تسميتهم Bedels أى المحضرين[2]. وعددهم ستة ، اثنان منهم ينتمون لقسم أو مدرسة اللاهوت ، واثنان عن مدرسة القانون ، واثنان عن مدرستى الطب والآداب . وهؤلاء بمثابة موظفين منتخبين من قبل الجامعة لتنفيذ أوامرها . ويظهرون فى كل الاحتفالات الرسمية بما فى ذلك الجنازات . والذهاب إلى المدارس لتسليم قرارات الجامعة ، وإحصاء الأصوات أثناء التصويت على القرارات فى مجلس الجامعة ، وتحصيل الغرامات واصطحاب المخالفين إلى السجن . وهؤلاء المحضرين تحدد أجورهم وفقاً للقانون . وثلاثة منهم من أصل عريق وأعلى مكانة من الثلاثة الآخرين ، لذا صار لزاماً عليهم إمداد زملائهم الأدنى بالطعام وعشرة شلنات سنوياً لشراء الأحذية . ونظراً لأهميتهم ليس غريباً أن تتدخل شخصيات مرموقة فى الترشيح لتلك الوظائف[3] .

وكانت إدارة الجامعة بأيدى الأساتذة سواء الأساتذة الممارسين The Masters Regents ، والأساتذة غير الممارسين أى المتفرغين Non Regents Masters أى الذين توقفوا عن التدريس . ولهؤلاء سلطة غير متاحة لأمثالهم فى أى مكان آخر عدا أكسفورد حيث يشاركون فى صياغة وإعداد القوانين ، وفى شئون الجامعة الهامة الأخرى . وكان مجلس قسم أو مدرسة الآداب يعرف أحياناً باسم The Black Congregation أى مجلس زوى البزة السوداء ويقصد بذلك لون الرداء الأكاديمى . وتتم دعوته للانعقاد بواسطة المراقبين للاجتماع على حده فى كنيسة القديسة ملدريد St.Mildred . ومنذ البداية رسخ هذا المجلس حقه بأن يستشار أولاً ، بمعنى أن كل قانون مقترح إصداره ، وحتى المقترحات الخاصة بتغيير القوانين ومنح الاستثناءات Graces يجب أن تعرض أولاً أمام هذا المجلس قبل اعتمادها من الجامعة ، علاوة على حق هذا المجلس بالاجماع رفض صدور أى قانون غير مرغوب فيه ، وأن القانون الذى لا يوافقون عليه لا ينفذ ، واعتراف الأقسام الرئيسية الأخرى اللاهوت ، القانون ، الطب ، بحق هذا المجلس فى التشاور والمستقل وليس عرقلة صدور قانون آخر . ومن المشكوك فيه على الأقل فى الأيام الباكرة من تاريخ جامعة أكسفورد أن يحظى أى قانون تم رفضه من جانب المعلمين الممارسين فى الآداب فى هذا

---

[1] Mallet, op. cit., p. 175; Rashdall, op. cit., p. 53.

[2] نظراً لأن هذا البحث موجه إلى القارئ العربى وجدت من الأفضل استخدام تعبير المحضرين كما سبق واستخدمت مصطلح الأروقة بدلاً من تعبير الأمم Nations المذكور فى المراجع الغربية الحديثة . الباحثة .

[3] فى ١٥٠١م من عهد الملك هنرى السابع تيودور (١٤٨٥-١٥٠٩م) تسبب انتخاب أحد المحضرين Bedels فى أكسفورد فى حدوث انقسام حاد فى الدوائر الملكية . ففى حين أيد أمير ويلز وأسقف لنكولن أحد المرشحين ، كانت جدة الأمير الليدى مرجريت تفضل مرشحاً آخر ، والملك والملكة يشجعان مرشحاً ثالثاً . وفاز مرشح لليدى مرجريت . انظر تفاصيل ذلك فى :
Munimenta Academica, p. 321-333; Rashdall, op. cit., p. 126; Mallet, op. cit., p. 176.

المجلس بموافقة الجامعة . بيد أنه بمرور الوقت تلاشت سلطة هذا المجلس وتوقفت اجتماعاتهم المستقلة[١] .

علاوة على هذا المجلس يوجد مجلس الأساتذة الممارسين لكل الكليات The Congregation of Regent Masters ، ويعرف باسم المجلس المصغر Parva Congregatio or Lesser Congregation ؛ وفيه يتم تناول كل ما يتعلق بعمل الجامعة مثل التمويل ، والإدارة ، المحاضرات ، الدراسة ، الدرجات العلمية ، ويعقد فى جناح المرنمين بكنيسة القديسة مارى . يأتى بعد ذلك المجلس الكبير Magna Congregatio or Great Congregation الذى يضم الأساتذة الممارسين وغير الممارسين ، والذى يعتبر بمثابة البرلمان الحقيقى للجامعة . وعلى حد تعبير المؤرخ رشدال الهيئة العليا المهيمنة على الجامعة القادرة على سن قانون دائم.[٢]

وعن كيفية العمل التشريعى فى الجامعة كان يتم صياغة القانون فى مجلس قسم الآداب أولاً . وفى البداية كان من الضرورى لإصدار أى قانون موافقة الأساتذة الممارسين وغير الممارسين فى الأقسام أو التخصصات Faculties الأربعة، الآداب ، اللاهوت ، القانون، الطب . بيد أنه فى القرن الرابع عشر أدخل مبدأ التصويت بالأغلبية ، وبعد ذلك غدا لكل كلية حق إصدار القوانين الخاصة بها . وإن كانت تفاصيل النظام والإدارة والتعليم بصفة عامة تتم من خلال المجلس الكبير أى مجلس الجامعة ، وتسرى على جميع الأقسام ، والتى لم يكن لها عمداء آنذاك.[٣]

وفيما يتعلق بتفاصيل النظام التعليمى ، بداية لم يتضح لنا أن الطالب المستجد كان يخضع لأى امتحان للقبول[٤] . ونظراً لعدم وجود نظام Matricula or Matriculation فى البداية ، أى الكشوف التى يدون فيها أسماء الدارسين المستجدين ، كان يطلب من كل طالب أن يسجل اسمه لدى أحد الأساتذة الممارسين ، واختيار الأستاذ الذى يجب أن يستمع إلى محاضراته ، والإصغاء لتحذير الطلبة القدامى بعدم التسرع فى اختياره ، ويعتبر ذلك أقدم

---

١ Rashdall, op. cit., p. 61; Brodrick, op. cit., p. 66; Mallet, op. cit., pp. 176, 178.
٢ Mallet, op. cit., p. 177; Rashdall, op. cit., p. 36.
٣ Rashdall, op. cit., p. 65; Mallet, op. cit., p. 179.
٤ Brodrick, op. cit., p. 21.

وأقــرب صــيغة بديلة لنظام القبول[1] . ومن جهة أخرى لم تكن سن طالب العصور الوسطى محددة ، فقد يكون فى أى سن ، وقد يكون غلاماً فى الثالثة عشرة من عمره.[2]

وكـــان الأساتذة يجلسون على مقاعد مرتفعة قليلاً عن الدارسين الذين يجلسون على وســـائد من القش على الأرض ، "بهدف نزع كل مشاعر الخيلاء والغرور من نفوسهم" على حد تعبير المؤرخ ماليت . بيد أن ذلك من وجهة نظر الباحث يرجع إلى فقر موارد وإمكانيات الجامعـــة فى البداية . وكانت الكتب موجودة فى شكل مخطوطات باهظة الثمن ، مكدسة فى حجـــرات شديدة البرودة فى الأديرة . وكان التدريس يتم بطريقة شفوية Viva voce ، حيث المدرســـون يقرأون والطلبة يستمعون ، قد يفهمون أو لا يفهمون . لذا كانت الفرصة الوحيدة لاكتســـاب المعرفة تعتمد على قوة الذاكرة ، والتعلق بشفاه المدرس – على حد تعبير المؤرخ بودريـــك Brodrick – الـــذى يحاضـــر لجمـــوع متباينة من الدارسين من مختلف الأعمار والقـــدرات . وكان التدريس باللغة اللاتينية ، التى يعد اتقانها أمراً ضرورياً ، باعتبارها اللغة المشتركة المتداولة بين المتعلمين آنذاك . ونستطيع التعرف على طريقة التدريس فى أكسفورد فـــى القـــرن الخامس عشر من قانون صدر عام ١٤٣١م ، يفرض على الأساتذة قراءة النص أولاً ، ثم شرحه بعدئذ ، ثم تناول الفقرات التى تحتاج إلى تعليق خاص ، بيد أن الخروج على الـــنص كـــان ممـــنوعاً . وكان التحليل والتقسيم الفرعى للنصوص ، ومعرفة وجهات النظر المؤيـــدة والمعارضة ، وطرح الاسئلة ، واقتراح الإجابات من الأساليب التى تروق للأساتذة والدارسين على السواء حتى أمست غريزة النقاش تسرى فى دمائهم[3] .

لامـــراء أن التعلـــيم الجـــامعى فى أكسفورد فى العصور الوسطى كان يتطلب وقتاً طويلاً وشاقاً للباحثين عن شرف نيل درجة علمية ، حيث يقضى الطالب فى تخصص الآداب أربـــع سنوات فى سماع المحاضرات التى تبدأ عادة فى الساعة الثامنة صباحاً؛ العامين الأول والـــثانى لدراســـة البلاغة والنحو والمنطق والفلسفة ويصبح بعدهما طالب الآداب سوفسطائياً عامـــاً Sophista generalis ، والعامين الثالث والرابع فى دراسة المنطق ، وفلسفة الأخلاق لأرســـطو ، والهندسة ، علاوة على محاضرتين مسائيتين فى اللغة اليونانية[4] . وبانتهاء العام

---

[1] فـــى البداية كان نظام Matricula أى الكشوف التى يدرج فيها أسماء الدارسين ، قاصراً على الجامعات التى قامت على أساس على رابطة الطلبة مثل بولونيا . بيد أن جامعة أكسفورد قامت على أساس رابطة الأساتذة . وعلى غرارها جامعة باريس كان للأساتذة قوائم أو كشوف خاصة بهم ، يتعرف من خلالها الطالب على الأساتذة ، وبالتالى اختيار الأستاذ الذى سوف يدرس على يديه . انظر تفاصيل ذلك فى :

Mallet, op. cit., p. 180.

[2] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥، جـ٦ ، ص ٤٩ .

[3] Mallet, op. cit., pp. 184; 186; Brodrick, op. cit., p. 22.

[4] للوقوف على التفاصيل الدقيقة بصدد المناهج الدراسية ومواعيد وأيام المحاضرات للدارسين فى الآداب انظر الدراسة القيمة الموجزة التى قام بها :

الـرابع يصـبح الطالـب مهيـئاً لاجتياز مناقشات فى النحو والمنطق مع أحد الاساتذة يسأل ويجيـب. وبنجاحه فى ذلك يكون مؤهلاً لمواجهة لجنة من أربعة أساتذة يتم اختيارهم سنوياً، لكـى يقـنعهم أنـه مـن كل الوجوه ، التعليم ، السلوك ، حتى الهيئة شخصاً ملائماً للتخرج Determination or Determination . ثـم يتوج ذلك باحتفال يضم الأصدقاء حيث تقدم الهدايـا النفيسة ، الأمر الذى يجعل من التخرج حدثاً لا ينسى فى حياة الطالب ، والذى ينتقل بذلـك إلى مصاف الخريجين ، وحصوله على درجة البكالوريوس فى الآداب Bachelor of Arts . وبـناء علـى تصـريح Licens من المستشار يبدأ فى إلقاء المحاضرات العارضة Cursory أى غـير الأساسية ، بجانب حضور المحاضرات لنفسه . وعند هذه الدرجة إن لم يكـن قـبلها كـان يتوقف الكثيرون من الدارسين فى أكسفورد[١] . وبعد ذلك كان يتعين على الطالـب أن يدرس ثلاث سنوات أخرى للحصول على درجة الماجستير، حيث كان يتلقى في العام الأول تكون المحاضرات صباحاً فى الميتافيزيقا والهندسة ، وفى المساء التاريخ واللغتين اليونانـية والعـبرية؛ والعامين الثانى والثالث فى دراسة الفلك والميتافيزيقا والفلسفة الطبيعية لأرسطو ، وأيضاً التاريخ واللغتين العبرية واليونانية، بهدف تمكين الخريج من دراسة الفنون الحرة السبعة بمجموعتيها الثلاثية والرباعية ، وتأهيله لتدريسها، علاوة على الفلسفة بفروعها الثلاثة واللغات والتاريخ[٢] . وبعدئذ يصبح الطالب جاهزاً للاستقبال فى صحبة الأساتذة . وفى احتفال رصين يتم دعوة تسعة من الاساتذة الممارسين بالاضافة إلى أستاذه الذى يقوم بتقديمه، لكـى يـتحدثوا من واقع معرفتهم الشخصية عن أخلاقياته وانجازاته ، فى حين يؤكد خمسة

Holland, T. "The Ancient Organisation ofUniversity of Oxford" Macmillan's Magazine, vol. XXXVI, Cambridge, 1877, pp. 203-210; Mallet, op. cit., p. 186; Brodrick, op. cit., pp. 62, 63; Rashdall, op. cit., p. 143.

١ Holland, op. cit., p. 207; Mallet, op. cit., p. 188.

٢ يذكـر المـؤرخ الانجلـيزى المعاصـر برودريـك Brodrick أن تاريخ إدخال منهج جامعى ، أو مجموعة من الكتب والموضـوعات – المقرر الدراسى – لكى يدرسها الطلبة للحصول على درجات فى التخصصات المختلفة ، يرجع إلى القوانين التى قدمها المبعوث البابوى للكاردينال روبرت دى كورسون Robert de Courcon لجامعة باريس ، فى بداية القرن الثالث عشر . بيد أن منهج جامعة أكسفورد كان يختلف قليلاً فى الفترة بين عصر رجال التعليم وعصر النهضة . وبمقتضى القانون الصادر عام ١٤٣١م كان المنهج الدراسى فى مدارس الآداب ، يتضمن علم النحو الذى احتل المرتبة الأولـى مـن خلال مؤلفات برسكيان Priscian ، ودوناتوس ، تدرس بهدف تلقين قواعد الإعراب أو علم العروض . وكانـت أشـعار فرجـيل Poetra Virgilii ، أوفيد Ovid ، ليفى Livy ، تاكيتوس Tacitus ، وغيرهم من الشعراء والمؤرخيـن الـرومان تدرس باعتبارها نماذج للأسلوب الأدبى . وكانت مصنفات The Categorise أرسطو وكتاب بورفـيرى Porphyry المعـروف باسـم Isagoge . وكتاب Topics لمؤلفه بؤثيوس هى الكتب الدراسية فى مدارس المـنطق ، كما كانت كتابات شيشرون Gicero ، وكونتليان Quntilian فى البلاغة . علاوة على مؤلفات كاسيدورس Cassiodorius ، أورسـيوس Orosius ، ومارتـيانوس كابيلا Murtianus Capella ، وايسيدورسيفيل Isidore Seville ، عـلاوة على مؤلفات أرسطو فى الفلسفة بفروعها الثلاثة الأخلاق ، الطبيعة ، الميتافيزيقا والتى تندرج تحت اسـم Nichomochen Ethics . وقـد احتل المنطق قمة الدراسات باعتباره أداة للجدل والإقناع بعد تكملته بالبلاغة ، لمزيد من التفاصيل أنظر :

Brodrick, op. cit., pp. 64, 65; Holland, op. cit., p. 207; Lyte, op. cit., p. 9; Mallet, op. cit., p.188.

آخرون صدق ما قاله هؤلاء الأساتذة . وفى نهاية مراسم الاحتفال يتقدم أمام المستشار ويقسم أمامه راكعاً على ركبتيه باسم الثالوث المقدس . ويصبح عضواً فى جماعة الأساتذة ، ويتسلم رمزاً لذلك الكتاب ، القلنسوة ، الخاتم ، وقبله المباركة من أستاذه[١] .

وتجـــدر الإشارة لحقيقة هامة مؤداها انفراد جامعتى أكسفورد وكمبريدج من بين كل جامعات أوروبا بعدم وجود ثمة شئ يشبه الامتحان بالمعنى الحديث . وكان النجاح فى اجتياز المناقشات بمثابة اختبار للكفاءة والجدارة وأيضاً المرادف الحقيقة للامتحان . ومن حق الأستاذ الممتحــن إيقاف الطالب فى حالة الخروج عن الموضوع ، والجنوح لموضوعات أخرى ، أو استخدام حجج غير مقنعة[٢] .

ونتيجة لزيادة أعداد الخريجين الراغبين فى الإعفاء من التدريس[٣] ، فقد نص القانون الصــادر عام ١٤٣١م بأن يقوم المراقبون فى نهاية كل فصل دراسى بحصر عدد الأساتذة الممارســين المستعدين للتدريس ، وتقسيمهم طبقاً للأقدمية إلى عشر مجموعات متساوية فى العـــدد قـــدر المستطاع ، على أن يقوم الأساتذة الأصغر سناً بتدريس علم النحو ، وتخصيص الموضـــوعات الرئيسية higest subjects للأساتذة القدامى، وعدم قيام أى شخص بتدريس أى كتب سوى تلك المنصوص عليها فى القانون، والتى سبق الإشارة إليها[٤] .

علـــى أية حال فإن الطالب الذى اجتاز المقرر الدراسى فى الآداب ، وأصبح استاذاً ممارســاً يســتطيع الانــتقال لدراســة التخصصات الأرفع والأسمى مثل الطب ، والقانون ، واللاهـــوت، حيــث مجـــالات الفكر الأرحب ، وهكذا أمست الدراسة فى الآداب أولاً أساساً للدراسة فى التخصصات الأخرى[٥] .

وهـــناك فروع أخرى من العلوم تم تدريسها فى أكسفورد فى العصور الوسطى مثل الطب . بيد أن موقف الكنيسة والأفكار المرتبطة بالفلسفة التعليمية Scholasticism ، حالت دون تطـــور علـــم الطـــب فى الاتجاه الصحيح ، حيث المناقشات الشفهية أهم من الملاحظة والبحـــث ، والطبيـــب بدون تنجيم أى بدون علم الفلك مثل العين التى لا ترى . حتى روجر بـــيكون اعـــتقد أن أهـــم الأدوية المركبة جزئياً من اللؤلؤ والأحجار يجب أن تتعرض لتأثير

---

[١] Holland, op. cit., p. 208; Mallet, op. cit., p. 189.

[٢] من الجدير بالذكر أن الطالب الذى لم يتقدم إلى مرحلة أبعد من درجة البكالوريوس كان يسمى السيد Dominus ، انظر حاشية رقم (٥) فى :

Mallet, op. cit., p. 188; Munimenta Academica, p. 246.

[٣] تجدر الإشارة أن الأساتذة الممارسين كانوا ملزمين بالتدريس لمدة عامين بعد التخرج ، إلا إذا تم إعفائهم من هذا الالتزام ، وفـــى هذه الحالة ينظر إليهم باعتبارهم أساتذة غير ممارسين Non Regents Masters . بيد أنه يتم دعوتهم لحضور اجتماع مجلس الجامعة أى الاجتماع الكبير للمدارس انظر :

Brodrick, op. cit., p. 66.

[٤] Ibid, pp. 65, 66.

[٥] Holland, op. cit., p. 209, Mallet, op. cit., pp. 189, 190.

السنجوم لمدة ثمانية أيام . ومن جهة أخرى لم تقدر الجراحة حق قدرها، فقد نظر إليها أطباء باريس في القرن الرابع عشر ، ويرجح أطباء أكسفورد باعتبارها فناً يدوياً وصنيعاً . وفي الوقت الذي كان بوسع الجراحين في أكسفورد الحصول على ترخيص بمزاولة المهنة ، لم يكن باستطاعتهم الحصول حتى على أدنى درجة علمية . ولم يكن وضعهم في أكسفورد يزيد عن وضع بائعي العقاقير والعطارين الذين يبيعون الأعشاب في الشارع الرئيسي بالمدينة . وكان التشريح ما يزال في المهد مصدراً للخوف[1]، رغم أنه في سالرنو عام ١٢٣٨ أمر الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني بتشريح جثة كل خمس سنوات . وكان أبقراط Hippocrates مؤسس الطب وجالين Galen هما الأساس . وهناك ذكر لكتب اسحاق اليهودي ، ونيقولاس السالرني[2] .

وفي الوقت الذي كانت القاعدة المعتادة تقضي بالتخرج من الآداب أولاً . لم تكن درجة الآداب للمشتغلين بالطب . ومن جهة أخرى فإن قضاء أربع سنوات من الدراسة للحصول على درجة البكالوريوس في الطب أمراً ضرورياً للموافقة على ممارسة الطب في أكسفورد . وبناء على امتحان يعقد من خلال الأساتذة الممارسين وللحصول على درجة الدكتوراه في الطب بالنسبة لأساتذة الآداب ، كان الأمر يتطلب قضاء عامين آخرين من الدراسة في الطب ، يرجح قضاءهما في الممارسة العملية . ووفقاً لما ورد في حولية أكاديمية معاصرة . فإن قضاء عامين في الممارسة المهنية قبل الحصول على درجة دكتور في الطب M.D أمراً مؤكداً بهدف منح بعض الخبرة العملية للحصول على هذه الدرجة . وكانت الممارسة في المستشفى أمراً متاحاً بيد أنها ضئيلة . وربما كانت تبذل بعض المحاولات للتعامل مع المرضى[3] .

على أية حال ، لم تبدأ الدراسة الأكاديمية لعلم الطب إلا في أوائل القرن السادس عشر بعد أن تلاشت سيطرة الكنيسة[4] .

علاوة على ذلك فقد حظيت دراسة القانون الروماني بشقيه المدني والكنسي بأهمية كبرى، وأمست مجموعة القوانين المدنية للإمبراطور جستنيان ، والديكرتيوم Decretum [1]

---

[1] Mallet, op. cit., p. 190.

[2] كان لجوء أبقراط إلى التجربة بمثابة حجر الأساس للعلوم الطبية في العصر الحديث . ثم جاء جالين بعده بحوالي ستمائة عام ليلقي بظلاله على تاريخ الطب لمدة تزيد عن ألف عام . وقد حظيت آرائه بالقبول لدى معظم علماء اللاهوت في العصور الوسطى سواء من اليهود أو المسيحيين أو المسلمين . وتضمنت مؤلفاته كل ما يرغب طلبة الطب معرفته علم النفس ، التشريح ، علم النبات . وكانت كتبه البالغ عددها اثنين وعشرين مجلداً في نسخها اللاتينية ، العربية ، السريانية ، العبرية تملأ المدارس في كل مكان . وكانت الترجمات العربية هي الجسر الرئيسي لعبور الطب اليوناني إلى أوروبا الغربية . انظر :

Munimenta Academica, vol. II, pp. 406-409; Mallet, op. cit., pp. 191, 192; Rashdall, op. cit., p. 156.

[3] Munimenta Academica, vol. II, p. 406; Mallet, op. cit., p. 190.

[4] Mallet, op. cit., p. 194.

تـدرس فـى مدارس القانون فى أكسفورد[٢]، وبات القانون المدنى الدراسة المفضلة للدارسين الأكـثر طموحاً ، باعتباره الطريق المؤدى إلى الثروة والمجد . فقد كتب روجر بيكون أشهر أسـاتذة أكسفورد عام ١٢٧١م قائلاً : "إن رجال القانون يحصدون كل المكافآت والوظائف ، فـى حيـن لا يمتلك دارسى اللاهوت والفلسفة الأموال اللازمة للعيش ، أو اقتناء الكتب ، أو لإجـراء الـتجارب اللازمـة لكشف أسرار العلم . ولا يمتلك رجال القانون الكنسى الوسائل الضـرورية للعـيش والدراسـة إلا على أساس معرفتهم السابقة بالقانون المدنى لأن دارسى القـانون المدنـى يزدادوا ثراء ومجداً بالعمل لدى جميع الأساقفة والأمراء .. لذا فإن اشتهاء دراسة القانون المدنى كان يجذب غالبية الدارسين، وأن المحامى المدنى أكثر جدارة من رجل اللاهـوت بالثناء فى كنيسة الرب . حتى لو كان عليماً بالقانون المدنى فقط، وجاهلاً بالقانون الكنسى واللاهوت، وسرعان ما يتم اختياره للوظائف الكنسية المرموقة"[٣] .

يؤكـد المؤرخ الأمريكى المعاصر نورمان كانتور ما ذكره العالم الانجليزى روجر بـيكون[٤]، بأنـه كـان بمقـدور من يتخرج من إحدى جامعات العصور الوسطى بعد دراسة القـانون ، أن يدخـل فى خدمة أى حاكم علمانى ، وأن يواصل تدريبه بعد تخرجه فى مجال القانون الكنسى بحيث يعمل فى خدمة الكنيسة . فإذا ما اتبع المسار الأول كان من المحتمل أن يصير يوماً الوزير الأول لأحد الملوك الأقوياء المتصارعين مع البابوية، وإذا ما اتخذ السبيل الـثانى أى دراسـة القـانون الكنسى كان من الممكن أن يختتم حياته العملية بارتقاء العرش

---

[١] تعـرف هذه المجموعة باسم قوانين جراتيان Decrtum Gratiani ، وهى عبارة عن مجموعة من القرارات والمراسيم والأحكـام الـبابوية . صدرت حول مختلف أمور نظام القانون الكنسى . وكانت فى الأصل خطابات بابوية مرسلة إلى الأسـاقفة إجابة على أسئلة أو تقارير أو دعاوى . وقد جمعها المشرع والمبعوث البابوى جراتيان سنة ١١٤٠-١١٤١م تحـت عنوان "ترتيب القوانين الكنسية المتنافرة" Concordantia Discordautium Canonum . والمجموعة تحتوى على ما يقرب من أربعة آلاف إشارة إلى مصادر كنسية عديدة ، مثل الدساتير الرسولية ونصوص آباء الكنيسة ، والقوانين الصـادرة عـن المجامع الكنسية ، فضلاً عن المراسيم البابوية Decretals سواء كانت أصلية أم مزورة . وجميع هذه المصـادر الـتى تتناول النظام الكنسى رتبت على نسق علمى وفقاً للمنهج المدرسى . وسرعان ما اعتبرت بمثابة كتاب أساسى فى القانون الكنسى فى مدارس القانون فى بولونيا وباريس وأكسفورد . وصارت مرجعاً ثقة فى المحاكم فى جميع أنحاء أوروبا . وهى تشكل الجزء الأول من "مجموعة القوانين الكنسية" Corpus Juris Canonici ، انظر كانتور ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٣٥ ، حاشية رقم (١) .

[٢] Mallet, op. cit., p. 194.

[٣] Lyte, op. cit., p. 55.

[٤] مـا ذكره روجر بيكون بصدد إعلاء أهمية دراسة القانون المدنى إنما جاء صدى لاستياء البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤م) . الـذى بـذل قصارى جهده لقصر دراسة القانون المدنى على تخوم الامبراطورية الرومانية المقدسة فقط . وأصدر مرسوماً عام ١٢٥٤م يقضى بألا يتقدم أى أستاذ فى القانون ، أو محامى ليس ضليعاً فى الفنون الحرة لأى وظيفة أو منصب كنسى من أى نوع فى فرنسا ، انجلترا ، اسكتلندا ، ويلز ، أسبانيا ، أو المجر . واقترح على حكام تلك البلاد تحريم كل المحاضرات فى القانون الرومانى القديم تحريماً مطلقاً فى كل الأماكن التى لا تعترف فى محاكمها العادية بذلك القـانون . بيد أن تلك الإجراءات القمعية لم تستطع الصمود أمام إقبال الدارسين على الدراسة المكثفة للقانون المدنى . انظر تفاصيل ذلك فى :

Lyte, op. cit., pp. 55, 56.

البابوى نفسه . وبحلول النصف الثانى من القرن الثانى عشر كانت البابوية تجند كل العاملين فى جهازها الإدارى تقريباً من خريجى مدارس القانون الأوروبية.[1]

وكانت درجة البكالوريوس فى القانون المدنى فى أكسفورد تتطلب أربع سنوات من الدراسة بالنسبة لأساتذة الآداب ، وست سنوات بالنسبة للآخرين؛ ودرجة الدكتوراه عامين أو ثلاثة من المحاضرات والمناقشات . ولم تكن القواعد الخاصة بالحصول على درجة البكالوريوس فى القانون الكنسى تشترط الحصول على درجة علمية فى الآداب . ولكن قضاء خمس سنوات فى دراسة القانون المدنى ، ودراسة كتاب الديكرتيوم لجراتيان ، ومراسيم البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) . وبالنسبة لدرجة الدكتوراه فى القانون الكنسى كان الأمر يتطلب قضاء عامين آخرين من الدراسة ، وعام آخر زيادة الذين لم يحصلوا على درجة فى القانون المدنى[2] .

أما بالنسبة للاهوت العلم الأرفع مقاماً، لم تكن ستة عشرة أو تسعة عشر عاماً من الدراسة بالشئ الكثير . وأساتذة الآداب الذين قضوا سبع سنوات فى الدراسة كان عليهم الدراسة لمدة سبع سنوات أخرى للحصول على درجة البكالوريوس في اللاهوت لكى يسمح لهم بإلقاء محاضرات عن كتاب الأحكام Sententiarum or Sentences لبطرس اللمباردى، الذى كان يحتل المرتبة الثانية بعد الإنجيل . ثم قضاء عامين آخرين من الدراسة للحصول على درجة الدكتوراه[3] . والدارسين الذين لم يكونوا من الخريجين فى الآداب كان عليهم قضاء عشر سنوات دراسة فى اللاهوت للحصول على درجة البكالوريوس فى اللاهوت، وثمان سنوات لدراسة الفنون الحرة أى قضاء ما يقرب من تسعة عشر عاماً على الأقل للحصول على درجة دكتوراه فى اللاهوت[4] .

وبالطبع فقد أمست تكاليف اجتياز هذا النظام الدراسى المسهب والمعقد ، والحصول على درجات علمية سواء فى الآداب ، الطب ، اللاهوت والقانون ، باهظة للغاية . وعلى حد تعبير المؤرخ ماليت "فإن الكثيرين من الرجال الذين ذهبوا إلى أكسفورد ، واحتشدوا فى كنائسها ، وغنوا فى حاناتها ، وتشاجروا فى دروبها ، وتناقشوا فى مدارسها، وجدوا المعايير الأكاديمية تفوق طاقتهم ، ولم يستطيعوا مواصلة التعليم باعتباره عبئاً على وقتهم ونقودهم"[5] .

---

[1] كانتور ، المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

[2] Munimenta Academica, vol. II, pp. 399, 400, Mallet, op. cit., pp. 194, 195;

ولمزيد من التفاصيل بصدد المنهج الدراسى فى القانون المدنى والكنسى انظر :

Rashdall, op. cit., pp. 156, 157.

[3] Munimenta Academica, vol. II, p. 389, Rashdall, op. cit., vol. II, pp. 158, 159; Mallet, op. cit., p. 195;

[4] Munimenta Academica, vol. II, pp. 389, 390.

[5] Mallet, op. cit., p. 201.

وكانـــت الرســـوم الخاصة بمنح الدرجات العلمية تتفاوت من تخصص لآخر ، ففى حين كانت الرسوم الخاصة بالآداب تقتصر على إقامة وليمة للأساتذة لمدة أسبوع، بينما كانت درجـــة الـــبكالوريوس فـــى القرن الخامس عشر فى أى تخصص تمنح مقابل أربعة بنسات ، وبالنســـبة للدرجـــات الأعلـــى كانـــت الرسوم باهظة . لذا اتخذت بعض التدابير لتوفيق هذه التكاليف مع قدرة المرشحين لهذه الدرجات على الدفع . وكان الأستاذ الجديد فى الآداب يبتهج بالتخلص من عبء إطعام الأساتذة الممارسين مقابل ما يعادل عشرون جنيهاً . وكان مسموحاً للخريجين الأثرياء بدفع نفقات تخرج زملائهم الفقراء[١] .

وفيما يتعلق بمرتبات الأساتذة فى مدارس أكسفورد فقد اعتمدت أساساً على الرسوم الـــتى تؤخـــذ مـــن الدارسين[٢] ، ووفقاً للنظام السائد – كما سبق الإشارة – بأن يقوم الطالب باختـــيار الأستاذ الذى سيدرس على يديه ، ودفع رسوم للجامعة مقابل ذلك ، ونتيجة لذلك فإذا لـــم يكن بوسع الأستاذ أن يجتذب الطلاب لمحاضراته لا يعود له شئ آخر يعول عليه ، ولابد لحـــياته أن تنتهى بالفشل الذريع والفقر المدقع . ومن المحتمل أن هذه الرسوم لم تكن عالية، فقـــد كـــان الطالـــب يدفع أثنى عشر بنساً فى العام أو ثلاثة بنسات فى الفصل الدراسى مقابل محاضرات المنطق . والحد الأدنى لرسوم المحاضرات فى الفيزياء ثمانية عشر بنساً . وتقدر رســـوم الدراســـة فـــى النحو بثمانية بنسات فى الفصل الدراسى الواحد . وفى التخصصات الرئيســـية عامـــة مـــثل الآداب ، الطب ، اللاهوت ، القانون، كانت الرسوم أعلى، ولم يكن مسموحاً للأساتذة بتخفيفها . وفى القرن الخامس عشر كانت الرسوم فى مدارس الآداب تجمع وتوزع بالتساوى على الأساتذة الممارسين، بيد أنها لم تكن كبيرة بالشكل الكافى.[٣]

وفى الجامعات ذات الأصل الكنسى ، وأحياناً الجامعات ذات الأصل العلمانى ، نجد كثـــير مـــن الأســـاتذة يشـــغلون وظائف كنسية ذات دخل ، وذلك بصفتهم رجال دين وليس باعتـــبارهم أساتذة . ومن ثم جرت العادة فى القرن الثالث عشر على ألا يطلب الأساتذة الذين يتقاضون مرتبات من وظائفهم الكنسية رسوماً من الطلبة . بيد أن ذلك بالطبع لا يعنى مجانية التعليم للدارسين . وفى عام ١٣٢٢م واقتداء بما حدث فى باريس التمست جامعة أكسفورد من الـــبابا جـــون الثانى والعشرون (١٣١٦-١٣٣٤م) منح نفس الامتيازات التى أسبغتها البابوية على دكاترة الفلسفة واللاهوت فى باريس أى الإنعام عليهم بوظائف كنسية[٤] .

---

١ Ibid, p. 196.

٢ لمزيد من التفاصيل بصدد مرتبات الأساتذة ورسوم الدارسين فى جامعات العصور الوسطى انظر الدراسة القيمة التى قام بها :

Gaines Post, "Master's Salaries and Student-Fees inMediaeval Universities", Speculum, vol. 7, 1932, pp. 181-198.

٣ Mallet, op. cit., p. 199.

٤ حظى أساتذة اللاهوت فى مدارس باريس بأهمية خاصة ، ففى عام ١٣١٦ أمر البابا جون الثانى والعشرون أساقفة الكنيسة بـــتزويد الأساتذة والدارسين للاهوت فى باريس بوظائف كنسية ذات دخل لمواجهة تدهور التعليم . وبدأت جامعة باريس

لامـــراء أن الحاجـــة إلـــى توفير مرتبات كافية للأساتذة ، والنفقات الباهظة للتعليم الجـــامعى مـــن العوامل التى عرقلت التعليم فى مدارس أكسفورد منذ نشأتها . ومن ثم تأتى أهمية التبرعات والتى بدونها كان فشل التعليم الجامعى مؤكداً . وفى هذا الصدد يذكر المؤرخ الانجلـــيزى المعاصـــر آلان جوبان Alan Gobban "تدين جامعتى أكسفورد وكمبريدج فى العصـــور الوســطى بدرجة كبيرة لسخاء العديد من المتبرعين من أصول اجتماعية متباينة ، الملـــوك ، الملكـــات ، رؤســـاء الأســـاقفة ، الأســـاقفة ، رجـــال الدين ، النبلاء ، التجار ، والـــبرجوازية . وبدون الدور المحورى لهؤلاء المتبرعين ما استطاعت الجامعات الانجليزية فـــى العصـــور الوســطى أن تتخطى الوضع الذى كانت عليه فى أوائل القرن الثالث عشر ، محصـــورة فـــى إطار مجموعة من الأساتذة والدارسين يعيشون ، ويتعلمون ، ويدرسون فى أماكن مزدحمة وغير ملائمة تماماً".[1]

وبالرغم من المساهمة الفعالة التى أسدتها الملكية الانجليزية للمجتمع الأكاديمى بوجه عـــام، فقـــد تراءى التبرع الملكى فى صورة أقل من المتوقع منه ، فيما يتعلق بالدعم المادى للدارســـين ، إن الدعـــم الملكى للدارسين فى القرن الثالث عشر لاسيما فى عهد الملك هنرى الثالث ، إنما جاء انعكاساً لخدمة الأغراض السياسية للملكية الانجليزية ، ولم يخرج عن كونه آداة دبلوماســـية لدعم إبرام سلسلة من التحالفات العسكرية مع البارونات الفرنسيين المجاورين لخصـــمه اللـــدود الملك الفرنسى بتقديم منح دراسية لأبنائهم وأقاربهم؛ وعلى سبيل المثال لا الحصـــر فقد دعم تحالفه العسكرى مع كونت أفرجين Auvergne بتقديم منحة دراسية لشقيق الكونت ، والإنعام عليه بوظيفة كنسية بهدف توفير دخل ثابت أثناء الدراسة . أيضاً هناك منح نقدية قدمت لعدد من الأقارب وأبناء العاملين فى الحاشية الملكية لهنرى الثالث وأشهر هؤلاء إيمـــر لوزجـــنان Aymer of Lusignan الأخ غـــير الشقيق للملك هنرى الثالث، الذى جاء للدراســـة فى مدارس أكسفورد عام ١٢٤٧م، حيث تم منحه مبلغ مائتى مارك نقداً وامتيازات أخرى[2] .

وكانـــت المـــبالغ المالية التى تمنح للدارسين باستثناء أقارب الملك المقربين تتراوح عادة بين خمس وعشر ليرات سنوياً . وكان الملك إدوارد الأول قد أرسل اثنين من النبلاء من جاسكونى للدراسة فى أكسفورد ، وخصص لهما خمسة وثلاثون ماركاً فى العام ، علاوة على

تحمل إلى بلاط روما قوائم بأسماء المرشحين الذين يرجى من البابا الانعام بوظائف كنسية ذات دخل . انظر :
Gaines post, op. cit., p. 186.

[1] Goblan, "English University Benefactors in the Middle Ages", History, July 2001, vol. 86, pp. 288, 289.

[2] Lyte, op. cit., p. 14;
ولمزيد من التفاصيل عن الدعم الملكى للدارسين فى القرن الثالث عشر انظر الدراسة المهمة التى قام بها :
Pegues, "Royal Support of Students in the Thirteenth Century" Speculum, January, 1956, pp. 457-462; Lyte, op. cit., p. 42.

أثنى عشر جنيهاً لكل منهما . ونظراً لأن الملكية الانجليزية تمثل متبرع متقلب الأحوال نوعاً مـــا للجامعات الانجليزية، فقد وجدت الجامعة عوضاً عن ذلك فى تبرعات العائلات من أسر النبلاء . وتشير الاحصائيات على مدى الفترة من ١٣٠٧-١٤٨٥م وجود ما لا يقل عن ثمانية وثمانون فرداً من اثنين وأربعين من عائلات النبلاء كانوا يدرسون فى الجامعات الانجليزية ، أثنيـــن وستين منهم فى أكسفورد ، وتسعة عشرة فى كمبريدج ، مما أضفى على الجامعة بعداً سياسياً واجتماعياً، وتخفيف بعض الأعباء التى ينوء بها كاهل أقرانهم من الدارسين الفقراء[1].

ومن جهة أخرى تعكس تبرعات الأساقفة الإنجليز دورهم الحاسم فى تطور الجامعة أكـــثر مـــن أى فئة أخرى فى المجتمع الإنجليزى ، بتأسيس الكليات لإعالة الدارسين الفقراء وتقاضـــى مخصصـــات مالية ، كما سبق الإشارة[2] . وفى عام ١٢٨٨م تكفل أسقف هيرفورد Herford بـــنفقات دراســـة شابين فى أكسفورد بلغت فى أسبوعين ما يقرب من أربعة عشر جنـــيهاً . بيد أن التبرع بتأسيس كليات لم يكن قاصراً على رجال الكنيسة فقط، فهناك سيدات مـــن طبقة النبلاء ممثلين فى أرملتين على درجة من الثراء هما اليزابيث بورج الأبنة لأيرل كلارى وحفيدة الملك إدوارد الأول ، وصديقتها الحميمة مارى كونتية بيمبروك Pembroke الحفيدة الكبرى للملك هنرى الثالث[3] .

وتحتل خزائن أو صناديق القروض Loan Chest مكانة بارزة فى مجال التبرعات للجامعـــات الانجلـــيزية . فقـــد قامـــت فكرتها على أساس تقديم قروض بدون فائدة للأساتذة والدارسين على السواء مقابل إيداع رهن مثل مخطوط ، الكتاب المقدس ، رداء ، كوب ، أو صـــليب ، كضمان للنقود المقدمة إذا لم تسدد فى غضون إثنى عشر شهراً . ويتم بيع الرهن فـــى حالـــة الإخفاق فى السداد، والأموال الباقية من بيع الرهن تعاد للمقترض الذى لم يستطع الســـداد ، وفـــى حالـــة وفاته تمنح لعامة الناس لصالح روحه . وفى الأيام الأولى من إنشاء خزائـــن القروض كان حق الاقتراض قاصراً فقط على الدارسين الذين لا يزيد دخلهم السنوى علـــى ماركين اثنين . بيد أن معظم المتقدمين بعد ذلك كانوا من الدارسين الذين لا يملكون أى إيـــرادات . ويعتبر إنشاء هذه الصناديق علامة بارزة للحد من نشاط اليهود الذين قبل إبعادهم

---

[1] Gobban, op. cit., pp. 295, 296; Mallet, op. cit., p. 141.

[2] لمزيد من التفاصيل بصدد الدخل الذى يتقاضاه الدارسون المقيمين بكليات أكسفورد انظر :
Munimenta Academica, vol. I, pp. 55, 556; 655; Gobban, op. cit., p. 296.

[3] يرجع أول ظهور لخزائن القروض فى عام ١٢٤٠م ، حين أمر روبرت جروستيت أسقف لنكولن بإيرادات جديدة للجامعة تقدر بمبلغ أثنان وخمسين شلن فى العام . وأن أى إضافات أخرى سوف تودع فى خزائن رئيس دير القديسة فرايدزوايد ، ووضع هذه الخزانة تحت رعاية رجل دين يعين بواسطة رئيس الدير وبموافقة المستشار ، وأثنان من الرجال الثقاة الذين تنتخـــبهم الجامعـــة . وحددت القروض بمبلغ مارك واحد ، وثلاثين شلن ، وأربع بنسات للأستاذ ، ثمانية شلنات لطالب البكالوريوس ، وخمس شلنات للسفسطائى أى الذى أمضى عامين فقط من الدراسة فى الآداب . ويعتبر تأسيسها ضرورة ملحة آنذاك انظر :
Munimenta, Academica, vol. II, pp. 8, 10; Mallet, op. cit., p. 34.

مــن انجلــترا عام ١٢٩٠م يتقاضون فوائد باهظة على القروض المقدمة للدارسين الإنجليز . وكان مؤسس خزائن القروض من جموع شتى ، أثنان كانا رؤساء أساقفة كانتربرى ، وخمسة أســاقفة ، وأثــنان مــن القساوســة فــى حين تضم قائمة المتبرعين بتأسيسها من المؤسسين العلمانيين إليانور القشتالية Eleanor of Castile زوجة الملك إدوارد الأول توماس بيفورت Thomas Beaufort دوق إكســتر Exeter ، إيــلا لونجسبى Ela Longespee كونتيسة ورســيك Warmick ، وهــنرى لاســى Henry of Lacy أيــرل لندن وغيرهم . بحيث استطاعت الجامعة فى غضون مائة عام من إنشاء أول صندوق لتقديم القروض عام ١٢٤٠م أن تتــباهى بالكثــير من الأموال التى تم وقفها للجامعة، والتى تقدم للمقترضين خدمة لا تقدر بثمن، واستحقت بالفعل أن تكون تخليداً لدافعيها[١] .

وهــناك تبرعات لدفع مرتبات للمحاضرين فى مدارس أكسفورد فى القرن الخامس عشــر ، مقدمة من أشقاء الملك هنرى الخامس (١٤١٣-١٤٢٢م) وهماجون دوق بيدفورد ، وهمفــرى دوق جوسيســت Humphrey of Clouceste . وقام همفرى عام ١٤٣٦م بدفع مرتــبات محاضــرين فى الفنون الحرة والفلسفة بفروعها الثلاثة . بيد أنه فشل فى استمرارية توفــير الدخــل المطلوب لهم، وتوقف التبرع بوفاة الدوق . وفى السنوات الأخيرة من القرن الخــامس عشــر قامــت الليدى مرجريت كونتيسة ريتشموند Richmond وأم الملك هنرى السابع بمنح وقف مالى لمنصب أستاذ فى اللاهوت . أيضاً قدم الملك هنرى السابع منح مالى لدفــع مرتــبات أســاتذة فى اللاهوت والقانون المدنى والطب واللغتين اليونانية والعبرية عام ١٥٤٢م[٢] .

واتخــذ التــبرع صــوراً أخرى مثل المساهمة فى تشييد أبنية للجامعة ، مثلما فعل تومــاس جوبهــام Thomas Gobham أســقف وركســتر Worcester بتمويل بناء دار اجــتماعات الجامعة فى أكسفورد، وفى عام ١٣٢٠ اعتزم وضع كتبه فى حجرة فوقها للعمل كمكتبة للجامعة[٣] .

وتحتل التبرعات مكان الصدارة فى تمويل بناء مدرسة اللاهوت فى أكسفورد ملحقاً بهــا مكتبة الدوق همفرى فوقها . واستغرق إتمام ذلك ما يقرب من خمس وستون عاماً حتى خرج إلى حيز الاستخدام عام ١٤٨٨م . ومن الجدير بالذكر أن أغلبية هؤلاء المتبرعين فعلوا ذلــك اســتجابة لالتماســات الجامعة طلباً للمال . وأخيراً جون راسل John Russell أسقف لنكولــن ، ومستشــار الجامعة والمحاضر السابق فى القانون الكنسى فى مدارس أكسفورد ،

---

١ Gobban, op. cit., p. 299; Mallet, op. cit., p. 34.

٢ Rashdall, op. cit., p. 163; Mallet, op. cit., p. 199; Gobban, op. cit., p. 303.

٣ Rashdall, op. cit., p. 164; Gobban, op. cit., p. 303.

يعتـــبر واحـــداً مـــن العديد من الأساقفة الذين تبرعوا لإعادة بناء مدارس القانون الكنسى فى أكسفورد فى الفترة بين ١٤٨٢ و ١٤٩٠م.[١]

وهكـــذا قدر للتبرعات أن تساهم بقسط كبير فى أن يكون للجامعة أبنيتها المستقلة . وبـــدون تحفـــظ نســـتطيع فى ضوء ما سبق أن نؤرخ وجود مبانى مستقلة للجامعة بدءاً من منتصـــف القـــرن الخامس عشر بعد أن كان التدريس يتم قبل ذلك فى أروقة الغرف الملحقة بالكنائس والأديرة حيث كانت كنيسة القديسة مارى مركز حياة الجامعة .

وأخـــيراً ، وختاماً لهذه الدراسة يتفق الباحث مع ما ذكره المؤرخون المحدثون بأنه بـــدون تلـــك التـــبرعات مـــن المنح الدائمة كان فشل التعليم الجامعى مؤكداً . بيد أن رسائل الدارســـين فى مدارس أكسفورد إلى زويهم كانت تئن دوماً بحاجتهم الماسة للمال، ناهيك عن الطـــلاب الفقـــراء الذين اضطروا للحصول على ترخيص من المستشار للإستجداء والتماس الصدقات التى لم تكن عيباً آنذاك.[٢]

---

١ Gobban, op. cit., p. 304.

٢ لمزيد من التفاصيل بصدد شكاوى الدارسين وحياتهم انظر :

Haskins, "The Life of Medieval Students as Illustrated by Their Letters" A.H.R., vol 3; January, 1898; pp. 203-229; Richardson, "Business Training in Medieval Oxford". A.H.R., vol. XLVI, January, 1941, pp. 259-270; Mallet; op. cit., p. 303;

هاسكنز ، نشأة الجامعات ، ترجمة : جوزيف نسيم يوسف ، ص ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

أولاً : المصادر الأجنبية :

- Annales Londonienses and Annales Paulini, The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, (ed.) William Stubbs, Rolles Series, London, 1965.
- Auctor Willeimo Cantuariensi, Vita S: Thomae, (ed.) Robertson, in Materials for the History of Thomas Becket, Vol. I, Rolles Series, London, 1965.
- Charter of Henry II to Oxford, A.D., 1155-1162, (ed.) W. Stubbs, Select Charters, Oxford, 1921.
- Chronica Roberti de Torigneio; (ed.) Richard Howlett, in the Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II and Richad I, Vol. IV, Rolles Series, London, 1964.
- The Chronicle of Bury St. Edmunds 1212-1301 (ed.) by Antonia Granseden, London, 1964.
- The Chronicle of Reigns of Edward I and Edward II, Vol. I (ed.) W. Stubbs, Rolles Series, London, 1881.
- Gervasii Cantuariensis Opera, Actus Pontificum (ed.) W. Stubbs, in the Historical Works of Gervase of Canterburi, Vol. II, Rolles Series, London, 1965.
- Giraldus Cambrensis, Opera, (ed.) Brewer, Vol. I, Rolles Series, London, 1861.
- Matthew Paris's, Chronica Majora, (ed.) Luard, Vol. IV., Rolles Series, London, 1884.
- Matthew Paris's, English History from the Year 1235 to 1273, Trans. From the Latin by Giles, Vol. III, London, 1852.
- Munimenta Academica; (ed.) Anstey, Vol. II, London, 1868.
- Richard of Devizes, De Rebus Gestis Richari Primi, in Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II and Richard I (ed.) R. Howlette, Vol. III, Rolles, Series, 1964.
- Roberti Grosseteste, Epistolae, (ed.) Luard, Rolles Series, London, 1861.
- Roger Wendover, Elores Historiarum, (ed.) H.G. Hewlett, 3 Vols., Rolles Series, London, 1886.
- Rolles Series, The Chronicles and Memorials of Grest Britain and Ireland during the Middle Ages, London, 1858.
- Royal and Other Historical Letters of the Reign of Henry III, (ed.) Shirly, Vol., I, 1216-1235, Rolles Series, 1862.
- Theobaldus Stampensis, Epistolae, *Patrologia Latina*, (ed.) Migne, Paris, 1854, CLX III, pp. 759-770.

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- Brodrick, G.G., A History of the University of Oxford, London, 1984.
- Davis, H.W.G., England Under the Normans and Angevins 1066-1272, London, 1930.
- Gobban, A. B., "English University Benefactors in the Middle Ages", *History*, July, 2001, Vol. 86, pp. 287-312.
- Green, J.R., Ashort History of the English People, Vol. I., London, 1960.
- Green, J.R., "Oxford in the Middle Ages", English Historians Selected Passages, Oxford University Press, 1957, pp. 141-144.
- Hashins, G.H., "The Life of Medieval Students as Illustrated by Their Letters", *A.H.R.*, Vol. 3, January, 1989, pp. 203-229.
- Holland, T.E., "The Ancient Organisation of the University of Oxford"., *Macmllan's Magazine*, Vol. XXXVI, Cambridge, 1877, pp. 203-210.
- Knowles, D., The Evolution of Medieval Thought, London, 1970.
- Knowles, D., Thomas Becket, Stanford, 1970.
- Liebrmann, F., "Magister Vacarius", *E.H.R.*, April, 1896, pp. 305-314.
- Little, A.G., "The Franciscan School at Oxford in the Thirteenth Century", *Archivum Franciscanum Historicum*, Annus XIX, October, 1926, pp. 803-874.
- Lunt, W.E., A History of England, London, 1928.
- Lyte, H.G.M., A History of the University of Oxford: from the Earlest Times to the Year 1530, London, 1886.
- Mallet, G.E., A History of the University of Oxford, Vol. I The Mediaeval University and the Colleges Founded in the Middle Ages, London, 1968.
- Pegues, F., "Royal Support of Students in the Thirteenth Century", *Speculum*, January, 1956, pp. 454-462.
- Post, G., "Master's Salaries and Student-Fees in Mediaeval Universities", *Speculum*, Vol. 7, April, 1932, pp. 181-198.
- Rashdall, H., The Universites of Europe in the Middle Ages, Vol. III, Oxford, 1936.
- Richardson, H.G., "Business Training in Medieval Oxford", *A.H.R.*, Vol. XLVI, January, 1941, pp. 259-270.
- Russell, J.G., "Alexander Neckham in England"., *E.H.R.*, Vol. XLVIII, January, 1932, pp. 260-268.

- Stubbs, W., The Constitutional History of England, Vol. II, Oxford, 1873.
- Stubbs, W., Select Charters and Other Illustrations of English Constitutional History from the Earliest Times to the Reign of Edward the First, Oxford, 1921.
- Traill, H.D., Mann, J.S., Social England: from the Earliest Times to the Present Day, Vol. I, Oxford, 1965.
- Willson, D.H., A History of England, London, 1972.

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

- ابراهـيم الجزيـرى ، مظاهر الحضارة في انجلترا الأنجلوسكسونية خلال عصر الملك الفريد العظيم ٨٧١-٨٩٩م . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة طنطا ، كلية الآداب ، ٢٠٠١م .
- جوزيـف نسـيم يوسـف ، نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ، ١٩٨٤م .
- ديورانت (ويل) قصة الحضارة ، جـ٦ من المجلد الرابع ، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- زينب عبد المجيد عبد القوى ، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩-١٢٩١م ، عيـن للدراسـات والـبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
- سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، جـ٢ ، النظم والحضارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م .
- كانـتور (نورمان . ف) التاريخ الوسيط ، جـ٢ ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسـات والـبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ٢٠٠٢م .
- موريـس كين ، حضارة أوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- نظـير سعداوى ، تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨م .
- ياسـر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها فى النهضة الفكرية بأوروبا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ٢٠٠٣م .

مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الإنترنت

عبد العزيز رمضان*

مصر

شهدت الدراسات البيزنطية طفرة ملحوظة خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين ، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى إقبال عدد كبير من الباحثين الأوربيين والأمريكيين وكذلك الروس على التخصص في هذا المجال ، واصبح كل يوم يمر بظهور بحث أو كتاب جديد ، وبصورة موازية حرص المتخصصون والمؤسسات والمراكز المتخصصة على مواكبة ثورة الاتصالات والمعلوماتية التي شهدها عالمنا المعاصر في الآونة الأخيرة ، وذلك من خلال الإفادة من شبكة الاتصالات العالمية Internet في نشر أحدث البحوث والمراجع ، واطلاع الباحثين في مختلف أنحاء العالم بأخر الإصدارات ، والإعلان عن المؤتمرات الدولية وأماكن انعقادها وموعدها والبحوث التي ستلقى من خلالها ، وكذلك أخر أخبار المراكز البحثية و المنح الدراسية و الاكتشافات الأثرية ، و أخبار المتخصصين أنفسهم .

وهذه الدراسة مجرد محاولة لإطلاع الباحثين المصريين والعرب على أهم المواقع المتخصصة في مجال الدراسات البيزنطية ، وما تحتويه من إصدارات وقوائم ببليوجرافية ومقالات بحثية وغيرها .

ويعتبر موقع مؤسسة Dumbarton Oaks والمسمى www.doaks.org بالولايات المتحدة الأمريكية من المواقع الهامة و الأكثر إفادة للمتخصصين ، إذ يقدم خدمات بحثية مجانية تتيح للباحث الاطلاع على أخر إصدارات المؤسسة و أسعارها و طريقة الحصول عليها ، وكذلك أخر المؤتمرات العلمية التي عقدت أو في طريقها إلي ذلك مستقبلا ، سواء في مؤسسة الدومبارتون ، أو في غيرها من الجامعات والمؤسسات والمراكز البحثية المتخصصة ، ومحاور هذه المؤتمرات وكيفية الاشتراك بها ، وفى حالة اكتمال البرنامج تقدم أسماء المشاركين فى المؤتمر و عناوين البحوث التي ستلقى به ؛ كذلك يقدم صورا إلكترونية مجانية لأهم منشورات المؤسسة من الدراسات والمصادر المترجمة وأعمال المؤتمرات العلمية التي تعقد فيها ، والتي لا يستطيع الباحث نسخها على جهاز الحاسب الآلي الخاص به إلا عن طريق برنامج Acrobat Reader (PDF) ، كما يقدم قوائم ببليوجرافية لموضوعات بعينها ، أو لرسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت أو سجلت في الجامعات الأمريكية .

---

* مدرس م. تاريخ العصور الوسطى ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

أشكر صديقي الدكتور طارق منصور الذي اقترح على فكرة هذا البحث ، ولماها في ذهني بعد أن كانت جنينا يلح إلى الخروج للنور ، فله مني كل شكر وإعزاز وتقدير .

كذلــك يقــدم موقــع مركــز دراســات العصــور الوســطى بجامعــة فوردهــام Fordham University Center for Medieval Studies www.fordham.edu الــذي يشــرف عليه الباحث الكندي باول هالسال Paul Halsal ، وهــو باحــث له نشاط ببليوجرافي كبير ، خدمات مجانية للباحثين ، ولعل أهم ما يقدمه هذا الموقــع هــو كــتاب تاريخ العصور الوسطى المصدري Medieval Source Book الذي يعــرض نصــوص كثير من المصادر البيزنطية المترجمة إلي اللغة الإنجليزية ، سواء أكانت هــذه المصــادر كــتابات تاريخــية أو هجيوجرافــية أو كنسية ، كما يقدم هذا الموقع قوائم ببليوجرافية عن موضوعات معينة .

ومــن أهــم المواقع المتخصصة في الدراسات البيزنطية على شبكة الإنترنت، موقع جمعــية الارتقــاء الدراســات البيزنطــية Society for the Promotion of Byzantine Studies- www.byzantium.ac.ukSPBS بإنجلــترا ، والــذي يقــدم أخر أخبار النشاط البحثي الجاري والمستقبلي ، وتقارير عن مؤتمرات الجمعية التي عقدت أو ستعقد فيما بعــد ، وبــرامج هذه المؤتمرات والمشاركين بها ، و يقدم كذلك قائمة بما نشرته الجمعية من أعمــال هــذه المؤتمــرات أو التــي لا زالت تحت الطبع ، بالإضافة إلى قوائم مرتبة أبجديا لمنشورات أعضاء الجمعية من الكتب والمقالات في الدوريات المتخصصة ، سواء المنشورة حديثا أو التي لا تزال في إطار الإعداد أو حتى التي لا تزال مجرد فكرة لم توضع بعد موضع التنفــيذ ، كذلــك يقدم أرشيفا لمنشورات الأعضاء الكاملة يتم البحث فيه وفقا للترتيب الأبجدي لأســمائهم ، ويقدم تقارير عن الرحلات والدراسات الميدانية الحديثة والحالية التي تتم في أسيا الصــغرى والــيونان ، بالإضافة إلى أرشيفا يحتوى على ملخصات أبحاث الدراسات الميدانية الســابقة وما توصلت إليه من نتائج ، وفضلا عن ذلك يقدم مشاريع ترجمة المصادر والتأليف المشــترك ، كمــا يعلن هذا الموقع بصفة دورية عن المناهج الدراسية في الأقسام والمعاهد الجامعــية الإنجليزية المتخصصة في الدراسات البيزنطية ، سواء لطلاب مرحلة الليسانس أو مــرحلة الدراسات العليا ، وعن فرص المنح البحثية التي تتيحها الجمعية للباحثين والدارسين ، وأيضــا تلــك التــي تقدمها المراكز والمعاهد الجامعية الأخرى ، بالإضافة إلى قائمة بجميع المجموعــات والمصادر والدوريات والدراسات المتاحة في مكتبات لندن ، الأكاديمية منها أو التجارية ، وأخيرا يقدم قائمة بأهم المواقع المتخصصة المتصلة به .

القوائم الببليوجرافية Bibliography

تقدم المواقع المتخصصة في الدراسات البيزنطية خدمات ببليوجرافية قيمة للباحثين ، منها قوائم عن " الدراسات البيزنطية فى مدارس الدراسات العليا بشمال أمريكا تحت عنوان" Resources for Byzantine Studies in North American Graduate School الذي يوجد على موقع مؤسسة الدومبارتون ، ويقدم قائمة بأسماء الأقسام والمعاهد ومدارس الدراسات العليا المتخصصة في مجال الدراسات البيزنطية بأربعة وثلاثين جامعة ، ورؤساءها وأعضاء هيئة التدريس بها ، و المناهج الدراسية المقررة على الدارسين ، وعدد الدارسين الحاليين المسجلين في درجة الماجستير والدكتوراه ، وعدد الرسائل التي نوقشت خلال العشر سنوات الماضية.

كذلك يقدم موقع الدومبارتون خدمة البحث في فهارس مكتبتها ، عن طريق استخدام مفاتيح الدخول Key Wards إما باسم المؤلف أو عنوان الكتاب أو بالموضوع ، كما يقدم دليلا بكيفية استخدام المكتبة من قبل زائريها ، والوصول إلى المصادر والمجموعات الموجودة بالمكتبة .

ويقدم هذا الموقع أيضا الخدمات الشرائية للباحثين لأحدث المنشورات ، والخصومات التي يمكن الحصول عليها ، وذلك من خلال قائمتين تحمل إحداها عنوان Publications والأخرى New Titles ، و يتم تحديثهما بصفة دورية كلما صدرت دراسات أحدث .

ومن أهم القوائم المتاحة على هذا الموقع أيضا ، قائمة بعناوين رسائل الماجستير والدكتوراه التي سجلت أو نوقشت في الجامعات الأمريكية ، بالإضافة إلى أسم صاحب الرسالة والأستاذ المشرف ، و أسم الجامعة والقسم الذي سجلت أو نوقشت فيه ، وهذه القائمة تحمل عنوان Byzantine Dissertations in North America ، و تضم قسمين رئيسيين، الأول بعنوان رسائل تحت الإعداد Dissertations in Progress ، ويحتوى على ٥٩ رسالة مسجلة حاليا في التخصصات التالية :

الأدب والآثار Art and Archaeology ، و تاريخ الأدب والآثار Art History and Architecture ، والتاريخ History ، وتاريخ المسرح History of Theater ، وتاريخ العلم History of Science ، واللغة والأدب Language and Literature ، والديانة Religion ، واللاهوت Theology and Liturgy .

أما القسم الثاني فيحمل عنوان " رسائل نوقشت منذ عام ١٩٩٥م " Dissertations Completed Since 1995 ، ويضم عناوين ٥٤ رسالة نوقشت في نفس التخصصات السابقة بالإضافة إلى تخصصات أخرى هي : الكتابة التاريخية Historiography ، والموسيقى Music ، وجدير بالذكر أن أخر تحديث updated لهذه القائمة تم فى سبتمبر ٢٠٠١م .

وعلـــى موقـــع الدومـــبارتون أيضا توجد قائمة ببليوجرافية خاصة بالمرأة البيزنطية Bibliography on Women in Byzantium ، التـــي يقـــوم علـــى نشـــرها مديرة شعبة الدراسات البيزنطية بالمؤسسة ، أ.د. مارى أليس تالبوت Alice-Mary Talbot ، ويشارك فـــيها عـــدد كبـــير من المتخصصين ، وتعد هذه القائمة استكمالا لقوائم أخرى عن المرأة في العصـــر الرومانـــي المـــتأخر والبيزنطـــي الباكر ، وهى Bibliography on Women in Antiquity ، و Bibliography on Women in Late Antiquity ، و المنشـــورتان على موقع porterj@duke.usak.ca ، .

ومـــن قوائـــم الببليوجرافيا المتاحة على شبكة الإنترنت ، قائمة " المصادر البيزنطية المـــترجمة " Byzantine Sourses in Translation ، والتي يقدمها هالسال Halsal على موقـــع فوردهـــام www.fordham.edu ، وتتميز هذه القائمة بأنها تتيح للباحث عناوين المصـــادر البيزنطية المترجمة إلى اللغات الأوربية الحديثة ، كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروســـية والإيطالـــية وغـــيرها من اللغات ، وقد اتبع هالسال في عرض هذه القائمة أسلوبا مـــنظما يتـــيح للباحـــث الوصـــول مباشـــرة إلى ما يبتغيه ، حيث بدأها بمجموعات المصادر البيزنطـــية ســـواء بلغاتها الأصلية أو المترجمة ، وبعد ذلك الكتابات التاريخية والحوليات ، ثم الوثـــائق السياســـية ، والوثـــائق القانونية ، ثم المصادر التي وصفت مدينة القسطنطينية ، ثم وثـــائق تـــاريخ الكنيسة ، و أدب اللاهوت ، ثم الأدب البيزنطي ، و مجموعات الرسائل ، والكـــتابات الفلســـفية ، والكـــتابات العلمـــية ، ثم المصادر الأجنبية التي تحدثت عن التاريخ البيزنطـــي ، وبعـــد ذلك يقدم هالسال قائمة أخرى بعناوين أهم الدراسات الحديثة . وفيما يلي محاور القائمة كما توجد على شبكة الإنترنت :

A: Byzantine Source Collections

TABLE I Byzantine Source Collections - In Original Languages
TABLE II Byzantine Source Collections - In Translation

B: Byzantine Historiography

TABLE I Byzantine Historians
TABLE II Byzantine Chroniclers
TABLE III The Greek Tradition
TABLE IV The Latin Tradition

C: Byzantine Political Documents

TABLE I Byzantine Political Structures
TABLE II Fiscal Texts
TABLE III Byzantine Military Texts

D: Byzantine Legal Documents

TABLE I Byzantine Legal Texts - Collections and Codes
TABLE II Byzantine Legal Texts - Decrees, Edicts

E: Byzantium - Contemporary Descriptions

F: Byzantine Church History Documents

TABLE I Church Document Collections
TABLE II Church Councils
TABLE III Monastic Documents
TABLE III Church History Documents
TABLE IV Liturgical Documents
TABLE V Canon Law

G: Byzantine Theological Literature [post 500 CE]

TABLE I Where to Find Texts of 4th and 5th-century Christian Writers
TABLE II Discourses/Treatises
TABLE III Sermons and Homilies
TABLE IV Spirituality
TABLE IV Controversy with: Heretics; Latins; Jews; and Muslims

H: Byzantine Literature

TABLE I Poetry
TABLE II Other Fictional Literature
TABLE III Criticism and Belles Lettres
TABLE IV Selected Secondary Works

I: Byzantine Letter Collections

J: Byzantine Philosophy

K: Byzantine Science

L: Non-Greek Sources for Byzantine History

TABLE I Eastern Sources
[Arabic, Armenian, Coptic, Persian, Syriac,Turkish]
TABLE II Northern and Western Sources
[Latin, Russian, Slavonic, Western Vernaculars]
TABLE III Crusades

M: Modern Byzantine History Writing

TABLE I Byzantine History: Overviews
TABLE II Byzantine History: Specific Periods
-----Postscript: Byzantine Jewry
TABLE III Byzantine History: Military

وعلـــى موقـــع فوردهام أيضا توجد قائمة ببليوجرافية أعدها هالسال عن مجموعات الوثائق والمخطوطات البيزنطية ، وتحمل عنوان :
Byzantine Manuscript Indices : Bibliography

كما يوجد على نفس الموقع مقال لهالسال بعنوان " تقليد الكتابة التاريخية البيزنطية " The Byzantine Historiography Tradition ، ملحقـــا بـــه قائمـــة بأســـماء المصادر التاريخية والحوليات البيزنطية سواء المترجمة إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، أو التي لا تزال بلغاتها الأصلية .

كمـــا يقـــدم موقـــع جامعـــة نوتـــردام University of Notre Dame www.byzantine.nd.edu قائمـــة كبـــيرة تحـــتوى علـــى عناويـــن جمـــيع المجموعات والمخطوطـــات والمصـــادر والدراسات الموجودة بمكتبة معهد العصور الوسطى والدراسات البيزنطـــية بالجامعة Institute of Medieval and Byzantine Studies ، مع كود ورقم التصـــنيف و عـــدد النســـخ ، وتحمل هذه القائمة عنوان Byzantine Studies at Notre Dame .

كذلـــك يوجـــد على موقع جامعة شمال فلوريدا University of North Florida www.unf.edu قائمة ببليوجرافية كبيرة عن القديس البيزنطي : The Byzantine Saint A Bibliography ، و يعـــرض فـــيها لعناويـــن سير القديسين والقديسات ، و أهم البحوث والدراسات التي تتناول هذا الموضوع . والمحاور الرئيسية لهذه القائمة كما توجد على شبكة الإنترنت كالتالي :

- What is a Saint?
  - Sainthood: General

- Hagiography: General
    - Canonization: General
    - Byzantine Sainthood: General
    - Byzantine Hagiography
    - Byzantine Sainthood: Saint-Making/Canonization
    - Locating Information on Saints
    - Internet Bibliographies
- Biography
- The Novel
- The Pagan Holy Man
- Martyrs: Pagan and Christian Sources
- The Life of Anthony
- Early Monasticism I: Egypt and Pachomius
- Early Monasticism II: Palestine
- Early Monasticism III: Syria
- The Christian Holy Man in Society: Ascetics
- The Christian Holy Man in Society II: Bishops
- Women Saints I: The Early Church
- Women Saints II: The Byzantine Period
- Thaumaturgy (Wonder-Working), Miracles and Healing
- From Hagiography to Legend
- The Metaphrastic Effort
- Middle Byzantine Sainthood
- Later Byzantine Sainthood
- Byzantine Monasticism and Sainthood
- Post-Byzantine Greek Saints
- The Theotokos
- Saints in Art
- Saints in Liturgy
- Slavic Saints
- Major Collections

كذلـك يوجد على موقع الدومبارتون قائمة بأسماء القديسين والقديسات البيزنطيين ، وبـيانات النصوص الأصلية لسيرهم ، وما ترجم منها إلى اللغات الأوربية الحديثة ، أو ما هو في إطار الترجمة حاليا in preperation ، و اسم من يعمل في هذه الترجمة ، وهذه القائمة من إعداد أ.د. أليس مارى تالبوت وتحمل عنوان :

Survey of Translations of Byzantine Saints' Lives

سير القديسين Hagiography

تزخـــر مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الإنترنت بالعديد من النصوص الكاملة لعـــدد مـــن ســـير القديسين والقديسات ، بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات الخاصة بهذا المجال ، ولعل أشهر هذه الدراسات " قاعدة بيانات الكتابات الهجيوجرافية " Hagiography Database علـــى موقع الدومبارتون ، والتي تحتوى على نصوصا كاملة باللغة اليونانية لكافة سير القديسين والقديسات البيزنطية من القرن الثامن وحتى القرن العاشر ، بالإضافة إلى مقدمة هامة تحتوى على أسماء قديسين وقديسات هذه الفترة مرتبة ترتيبا أبجديا ، وبعض المعلومات الأساسية عن كل منهم ، وقد تم نشرها حديثا في إصدار يحمل عنوان

Dumbarton Oaks Hagiography Database of 8th –10th.Centuries

وعلـــى موقع الدومبارتون أيضا توجد نصوص كاملة لبعض السير المترجمة حديثا إلى اللغة الإنجليزية ، مثل سيرة القديسة ماريا \ مارينوس St. Maria\ Marinos (القرن الخـــامس) ، والقديســـة ماتـــرونا البرجية St. Matrona of Perge (القرن السادس) ، والقديســـة ماريـــا المصـــرية St.Mary of Egypt (القـــرن الرابع والخامس) ، والقديسة ثيوكتيستى الليسبوسية St.Theoktiste of Lesbos (القرن التاسع) ، و القديسة اليزابيث St. Elisabeth of Wonderworker (القـــرن الخـــامس) ، والقديسة أثاناسيا الايجينية St.Athanasia of Aegina (القرن التاسع) ، والقديسة ثيودورا السالونيكية Theodora of Thessalonike (القـــرن العاشر) ، والقديسة ماريا الصغرى Mary the Younger (القرن St. Thomais of Lesbos (القرن التاسع والعاشر) ، والقديسة ثومايس الليسبوسية العاشر St. Theodora of Arta (القرن الثالث عشر) وهذه ، والقديسة ثيودورا الأرتية الســـير تـــم نشـــرها ســـنة ١٩٩٦م فـــي كـــتاب واحـــد يحمل عنوان Holy Women of Byzantium : Ten Saints Lives in English Translation ، وقامت على نشره أ.د. تالـــبوت ضمن سلسلة Byzantine Saints Lives in Translation التي تصدرها مؤسسة الدومبارتون ، وعلى نفس الموقع يوجد النص الكامل لسيرة القديس لازاروس من جبل جاليزيون St. Lazaros of Mt. Galesion (القرن الحادي عشر) مترجمة إلي الإنجليزية ، والتـــي نشـــرت فـــي نفـــس السلســـلة تحت عنوان The Life of St. Lazaros of Mt. Galesion : An 11th .Century Pillar Saint.

وعلـــى موقـــع فوردهام نشر هالسال النصوص الكاملة لعدد من السير سواء بلغتها الأصـــلية أو مـــترجمة إلى الإنجليزية ، وقد اعتمد فيها على السير المترجمة بالفعل من قبل آخريـــن ، ليقدم هذه الترجمات إلى أكبر قطاع ممكن من الباحثين ، خاصة و أن بعضها نشر في كتب نفذت طبعتها أو في رسائل علمية لم تنشر بعد ، ولذلك يشير في نهاية كل سيرة إلى بيانات الترجمة الأصلية لها ، وهى كالتالي :

Clarke , W.H., The Life of St. Macrina , London , 1916.

- سير القديسين دانييل الاستيليتى St. Daniel the Stylite (القرن الخامس) ، و ثيودور سـيكيون St. Theodore Sykeon (القـرن السابع) ، و يوحنا المعطاء St.John the Almsgiver (القرن السابع) ، المأخوذة من كتاب :

London , 1948. ،Baynes , N., Three Byzantine Saints

- سـيرة القديسـة ماترونا البرجية Matrona of Perge (القرن السادس) المأخوذة من رسالة دكتوراه للباحث الليبي خليفة بن ناصر

Khalifa Ben Naser ,Gender and Sanctity in Early Byzantine Monasticism , Arbor University Microfilms

- سيرة القديسة ايرينى الصغرى St. Irene the Younger (القرن التاسع) المأخوذة من كتاب :

Rosenqvist , J.O., The Life of St. Irene Abbess of Chrysobalanton , Uppsala ,1986.

- الخمسـة فصـول الأولى من سيرة القديسة ماريا الصغرى St. Mary the Younger (القرن التاسع و العاشر) ترجمة هالسال .

- الـنص اليونانـي الأصلي لسيرة القديسة ثومايس الليسبوسية St. Thomais of Lesbos (القرن العاشر).

- سيرة القديس روميلوس St. Romylos (القرن الرابع عشر) والمأخوذة من المقال التالي
M.Bartusis ; Kh. Ben Naser ; A. Laiou , Days and Deeds of a Hesychast Saint: A Translation of the Greek Life of Saint Romylos Byzantine Studies/Etudes Byzantines, 9:1 (1982), 24-47

ومـن أهم مجموعات السير المنشورة على موقع فوردهام ، كتاب The Golden Legend or Lives of Saints ، والـذي يـتكون مـن سبع مجلدات تتناول سير القديسين والقديسـات مـنذ ظهـور المسيحية إلى القرن الثالث عشر ، بالإضافة إلى جزء خاص ببدء الخليقة وقصص الأنبياء ، وقد قام على جمعه أسقف جنوه جاكوبوس دى فوراجينى Jacobus de Voragine سـنة ١٢٧٥م ، ونشـر لأول مرة سنة ١٤٧٠م ، وترجمه وليم كاكستون William Caxton إلـى الإنجلـيزية ونشـره سنة ١٤٨٣م ، وأعيد نشره مرارا حتى عام ١٩٣١م ، و أهمـية هـذا الكـتاب بالنسبة للباحثين في مجال الدراسات البيزنطية ، يكمن في عرضه لمجموعة من سير قديسي وقديسات بيزنطة و مصر والشام إبان فترة الحكم الروماني والبيزنطـي ، ومنهم على سبيل المثال القديسة ماريا المصرية Mary of Egypt ، والقديسة ثـيودورا السكندرية Theodora of Alexandria التي عاشت في عصر الإمبراطور زينون

Zeno ، و القديس جورجوني Gorgone في عصر الإمبراطور دقلديانوس ، والقديس البيزنطي يوحنا خريسوستوم John Chrysostom ، وغيرهم كثيرين ·

كذلك يقدم موقع معهد العصور الوسطى والدراسات البيزنطية بجامعة نوتردام عام ٢٠٠١م أول ترجمة إنجليزية لسيرة القديس جورج أماستريس The Life of St. George of Amastris (القرن التاسع) ، و التي لم تنشر بعد في آي إصدار ، وقد قام على ترجمتها عدد من الباحثين المتخصصين بالمعهد ، وهم ديفيد جينكينز David Jenkins ، وستيفانوس الكيسوبولوس Stephanos Alexopoulos و سارة ديفيد Sarah David ، ودارين هايتون Darin Hayton ، و أندريا ستيرك Andrea Sterk ، اعتمادا على النص اليوناني الأصلي الموجود على موقع الدومبارتون في Dumbarton Oaks Hagiography Database ·

كذلك هناك دراسة قيمة للباحث توماس هيد Thomas Head ، عن تطور كتابة سير القديسات في العصور الوسطى ، وعنوانها " Women and Hagiography in Medieval Christianity " ، ويتناول فيها بعض سير القديسات البيزنطيات ، كما يلحق هذه الدراسة بقائمة ببليوجرافية تعرض لأهم الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع ·

المصادر التاريخية Historical Sources

تقدم المواقع المتخصصة على شبكة الإنترنت النصوص الكاملة لعدد من المصادر التاريخية البيزنطية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية ، وهى كالتالي :

- يوسيبيوس القيساري ، سيرة الإمبراطور قسطنطين
Eusebius of Caesarea , The Life of the Blessed Emperor Constantine

------------------------ قصيدة مديح فى الإمبراطور قسطنطين
Eusebius of Caesarea , Orotion in Praise of the Emperor Constantine

والمأخوذتان من كتاب :

Nicene and Post-Nicene Fathers, 2nd Series, ed. P. Schaff and H. Wace, (Edinburgh: repr. Grand Rapids MI: Wm. B. Eerdmans, 1955) Vol. I .

- بروكوبيوس ، التاريخ السري
Procopius of Caesarea , The Secret History

والمأخوذ عن كتاب :

Procopius: Secret History, translated by Richard Atwater, (Chicago: P. Covici, 1927; New York: Covici Friede, 1927), reprinted, Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, ١٩٦١.

– ليوتبراند الكريمونى ، تقرير سفارته إلى القسطنطينية ٩٦٣م
Liutprand of Cremona: Report of his Mission to Constantinople
والمأخوذ عن :
Ernest F. Henderson, , Select Historical Documents of the Middle Ages , (London: George Bell, 1910), pp. ٤٤٠-٤٧٧.

– مزمنة مؤرخ القرن الحادي عشر ميخائيل بسللوس
Michael Psellus: Chronographia
والمأخوذة عن :

Michael Psellus: Chronographia, trans E.R.A Sewter, (New Haven: Yale University Press, 1953)

وهـــناك دراســـة متخصصـــة عن بسللوس على موقع نوتردام تحمل عنوان " رؤى بسللوس الفلســـفية " The Philosophical Views of Michael Psellos ، تـــرجمها ديفيد جينكينز David Jenkins إلى الإنجليزية عن الأصل الروسي للباحث فالدينبيرلج V.Valdenber

Философсќие Взгляды Михаила Лселла , Византийский Сборник (1945)249-55.

– آنا كومنينا ، الألكسياد
Anna Komnena The Alexiad

والمأخوذ عن
Anna Comnena (Komnene). The Alexiad. Edited and translated by Elizabeth A. Dawes. London: Routledge, Kegan, Paul, ١٩٢٨.

– فلهاردوين ، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية
Geoffrey de Villehardouin , Memoirs or Chronicle of The Fourth Crusade and The Conquest of Constantinople.
والمـــأخوذة عن ترجمة Frank T. Marzials والتي تحمل نفس العنوان ، والمنشورة بلندن ١٩٠٨م.

كذلك يقدم موقع فوردهام نصوصا مختارة من بعض المصادر التاريخية ، وهى كالتالي :

– نصـــوص مـــن حولية مؤرخ القرن الثالث عشر ثيودوروس سكوتاريوتيس Theodoros Skoutariotes ، التـــي تحمل عنوان Synopsis Chronika ، وتتحدث عن أباطرة القرن

الحـــادي عشر ابتداء بباسيل الثاني وحتى رومانوس السابع ديوجينيس ، وقد ترجمها نيكوس كونكونـــاس Nikos Konkounas اعــتمادا علـــى الـــنص اليونانـــي الأصـــلي الوارد في Konstantine Sathas, Messaioniki Bibliothiki, vol. VI , pages ١٥٩-١٦٧.
هـــذا بالإضـــافة إلـــى النصوص الخاصة بهؤلاء الأباطرة عند كل من ميخائيل بسللوس في مزمنـــته ، وميخائـــيل اطالـــياتس فـــي تاريخه ، مترجمة إلى الإنجليزية اعتمادا على ترجمة بسللوس السالفة الذكر ، وعلى النص الأصلي لاطالياتس

Attaliates, Historia , ed , E. Bekker, CSHB, (Boon, 1864)

كذلك يعرض لنا موقع فوردهام نصوصا كاملة أو مختارة من بعض المصادر العربية والروسية والأرمينية ، والمتعلقة بالتاريخ البيزنطي ، وهى كالتالي :-

بأوستوس بوزانداقى ، تاريخ الأرمن ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرن الخامس)

Pawstos Buzandaci , History of the Armenians (full text)-
غزار بأربيقى ، تاريخ الأرمن ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرن الخامس)

- Ghazar Parbeci , History of the Armenians (full text)
سيبوس ، التاريخ ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرن السابع)

Sebos , History (full text)
- يوحنا ماميكونيان ، ترجمة روبرت بيدروسيان ، تاريخ تارون (القرن العاشر)

John Mamikonean , History of Taron (full text)
- أريستاكيس اللستيفرتى ، ترجمة روبرت بيدروسيان ، التاريخ (القرن الحادي عشر)

Aristakes Lastivertci , History (full text)
- الحولية الجورجية ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرنين الثاني عشر والثالث عشر)

The Georgian Chronicle (full text)
- كيراكوس جاندزاكيتسى ، تاريخ الأرمن (القرن الثالث عشر)

- Kirakos Gandzaketsi , History of the Armenians (full text)
توفما ميتسوبيتسى ، تاريخ تيمورلنك و خلفائه

(Tovma Metsobetsi , History of Tamerlane and his Successors (full text

- نصـــوص مخـــتارة من حولية نوفجورود The Chronicle of Novgorod ، والحولية الروســـية الأولـــى Russian Primary Chronicle ، وجمـــيعها خاصة بالعلاقات البيزنطية الروسية أو بالتاريخ الروسي المحلى ٠

- نصـــوص مختارة من وصف بعض الرحالة والسفراء العرب للقسطنطينية ، كوصف سفارة عربـــية مـــن البلاط العباسي إلى الإمبراطور باسيل الأول فى نهاية القرن العاشر An Arab Ambassador in Constantinople ، ووصـــف الـــرحالة المسلم ابن بطوطة للقسطنطينية فـــي منتصـــف القرن الرابع عشر ، بالإضافة إلى وصف الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي لها النصف الثاني من القرن الثاني عشر ٠

المصادر العسكرية Military Sources

يقـــدم لنا نوقع الدومبارتون مصدرا عسكريا هاما نشرته المؤسسة حديثا ، وهو " مالك الحزين البيزنطي : فن الحصار " ، ويضم مخطوطتين تم نسخهما في القرن العاشر الميلادي

Heron of Byzantium , Siegecraft , Two Tenth - Century Instructional Manuals

النصوص التشريعية Legal Texts

يقـــدم موقـــع فوردهـــام عـــددا كبـــيرا من النصوص القانونية المختارة من تشريعات الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Codex Theodosianus والإمبراطور جستنيان Institutes و Digest و Codex Justinianus و Novellae ، خاصـــة بالأوضـــاع القانونية لليهود والعبـــيد والأطفال والزواج المختلط بين العبيد والأحرار ووضعية الأراضي الزراعية ، كذلك يقدم النص الكامل لقانون الفلاح والمنشور في :-

W. Ashburner, trans., "The Farmer's law", Journal of Hellenic Studies, 32 (1912), 87-95

موقع فوردهام نصوصا مقتبسة من تشريعات ليو الثالث المعروفة بالايكلوجا تخص كذلك يقدم المتفق عليها في كتابة عقود الزواج ،والجرائم الجنسية المقترفة من قبل أحد الزوجين الصـــيغة أو الاغتصاب بالإكراه ، وهى مأخوذة من :-

Freshfield, E., trans., A Manual of Roman Law : The 'Ecloga" (Cambridge, 1926) pp. 72-74 ; 108-12.

Religious Sources المصادر الدينية

أولا : المواعظ والرسائل Letters and Homilies :-

يعرض موقع فوردهام عددا كبيرا من المواعظ الرسائل الدينية للقديس يوحنا الذهبي الفم John Chrysostom (القرنين الرابع والخامس) ، ويوحنا الدمشقي John of Damascus ، ويوحنا موسخوس John Moschos ، ويوحنا كليماخوس John Klimakos ، وثيودور رئيس رهبان دير ستوديوس القسطنطيني Theodore of Studious (القرن التاسع).

ثانيا : لوائح تنظيم الأديرة البيزنطية

Byzantine Monastic Foundation Documents

وهي مجموعة كاملة لكافة اللوائح والوثائق الخاصة بالأديرة البيزنطية الباقية من القرن السابع وحتى نهاية القرن الخامس عشر (٦١ وثيقة) ، وهو عمل قام على ترجمته من اليونانية القديمة والحديثة والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية فريق عمل يضم عددا كبيرا من المتخصصين في مجال الدراسات البيزنطية ، وقد نشرته مؤسسة الدومبارتون فيما يزيد عن ٢٤٠٠ صفحة تضمهم ثلاث مجلدات ، كما أتاحت نسخة منه على موقعها ليفيد منه أكبر عدد ممكن من الباحثين ، وبيان محتواها كالتالي :-

Introduction / 122k

Early Monastic Rules / 122k

Chapter One: Traditional Private Religious Foundations / 61k

Introduction

Seventh Century

1. Apa Abraham: Testament of Apa Abraham, Bishop of Hermonthis, for the Monastery of St. Phoibammon near Thebes, Egypt (trans. Leslie S. B. MacCoull) / 61k

Eighth Century

2. Pantelleria: Typikon of John for the Monastery of St. John the Forerunner on Pantelleria (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 61k

Ninth Century

3. Theodore Studites: Testament of Theodore the Studite for the Monastery of St. John Stoudios in Constantinople (trans. Timothy Miller) / 92k

4. Stoudios: Rule of the Monastery of St. John Stoudios in Constantinople (trans. Timothy Miller) / 153k

Tenth Century

5. Euthymios: Testament of Euthymios for the Monasteries of Psamathia and Ta Agathou (trans. Patricia Karlin-Hayter) / 31k

6. Rila: Testament of John of Rila (trans. Ilija Iliev) / 61k

7. Latros: Testament of Paul the Younger for the Monastery of the Mother of God tou Stylou on Mount Latros (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 61k

Eleventh Century

8. John Xenos: Testament of John Xenos for the Monastery of the Mother of God Antiphonetria of Myriokephala on Crete (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 31k

9. Galesios: Testament of Lazarus of Mount Galesios (trans. Patricia Karlin-Hayter) / 92k

10. Eleousa: Rule of Manuel, Bishop of Stroumitza, for the Monastery of the Mother of God Eleousa (trans. Anastasius Bandy) / 122k

Chapter Two: Athonite Monasteries / 61k

Introduction

Tenth Century

38. Kellibara I: Typikon of Michael VIII Palaiologos for the Monastery of St. Demetrios of the Palaiologoi-Kellibara in Constantinople (trans. George Dennis) / 92k

39. Lips: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Lips in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 153k

40. Anargyroi: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Sts. Kosmas and Damian in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 61k

Chapter Eight: Later Private Religious Foundations / 61k

Introduction

Twelfth Century

41. Docheiariou: Rule of Neophytos for the Monastery of St. Michael the Archangel of Docheiariou on Mount Athos (trans. Robert Allison) / 61k

42. Sabas: Founder's Typikon of the Sabas Monastery near Jerusalem (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 61k

43. Kasoulon: Rule of Nicholas for the Monastery of St. Nicholas of Kasoulon near Otranto (trans. Timothy Miller) / 61k

44. Karyes: Typikon of Sabbas the Serbian for the Kellion of St. Sabbas at Karyes on Mount Athos (trans. George Dennis) / 61k

Thirteenth Century

45. Neophytos: Testamentary Rule of Neophytos for the Hermitage of the Holy Cross near Ktima in Cyprus (trans. Catia Galatariotou) / 153k

Fourteenth Century

46. Akropolites: Testament of Constantine Akropolites for the Monastery of the Resurrection (Anastasis) in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 61k

47. Philanthropos: Typikon of Irene Choumnaina Palaiologina for the Convent of Christ Philanthropos in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 61k

48. Prodromos: Testament of Neilos for the Monastery of St. John the Forerunner (Prodromos) on Mount Athos (trans. Stephen Reinert) / 31k

49. Geromeri: Testament of Neilos Erichiotes for the Monastery of the Mother of God Hodegetria in Geromeri (trans. George Dennis) / 61k

50. Gerasimos: Testament of Gerasimos for the Small Monastery of St. Euthymios in Jerusalem (trans. George Dennis) / 31k

51. Koutloumousi: Testaments of Chariton for the Monastery of Christ Savior of Koutloumousi on Mount Athos (trans. George Dennis) / 122k

52. Choumnos: Rule and Testament of Makarios Choumnos for the Nea Mone of the Mother of God in Thessalonike (trans. Alice-Mary Talbot) / 92k

53. Meteora: Canonical Rule of Athanasios the Meteorite for the Monastery of the Transfiguration (Metamorphosis) (trans. George Dennis) / 61k

Fifteenth Century

54. Neilos Damilas: Testament and Typikon of Neilos Damilas for the Convent of the Mother of God Pantanassa at Baionaia on Crete (trans. Alice-Mary Talbot) / 92k

Chapter Nine: Independent and Self-Governing Monasteries of the Fourteenth and Fifteenth Centuries / 61k

Introduction

Fourteenth Century

55. Athanasios I: Rule of Patriarch Athanasios I (trans. Timothy Miller) / 61k

56. Kellibara II: Typikon of Andronikos II Palaiologos for the Monastery of St. Demetrios-Kellibara in Constantinople (trans. George Dennis) / 31k

57. Bebaia Elpis: Typikon of Theodora Synadene for the Convent of the Mother of God Bebaia Elpis in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 275k

58. Menoikeion. Typikon of Joachim, Metropolitan of Zichna, for the Monastery of St. John the Forerunner on Mount Menoikeion near Serres (trans. Timothy Miller) / 153k

Fifteenth Century

59. Manuel II: Typikon of Emperor Manuel II Palaiologos for the Monasteries of Mount Athos (trans. George Dennis) / 61k

60. Charsianeites: Testament of Patriarch Matthew I for the Monastery of Charsianeites Dedicated to the Mother of God Nea Peribleptos (trans. Alice-Mary Talbot) / 183k

61. Eleousa Inv.: Inventory of the Monastery of the Mother of God Eleousa in Stroumitza (trans. Anastasius Bandy, with Nancy Sevcenko) / 61

Glossary / 61k (Text revised 7/8/99)

Appendix A: Concordance with Previous Lists / 31k

Appendix B: The Regulation of Diet in the Byzantine Monastic Foundation Documents / 92k

Appendix C: Topical Interrelationships of the Families of the Typika of the Byzantine Monastic Reform Movement / 31k

General Bibliography / 92k

Indexes (draft texts)

People and Places

General Index

أخـــيرا يقدم موقع الدومبارتون خدمة أخرى للباحثين في مجال الدراسات البيزنطية ، تتمـــثل فـــي إتاحته لنصوص كاملة لبعض الإصدارات الحديثة للمؤسسة ، بالإضافة إلى أعداد دوريـــة Dumbarton Oaks Papers بدايـــة من العدد رقم ٥٣ الصادر في عام ١٩٩٩م ، وفيما يلي قائمة بهذه الإصدارات المتاحة ومحتوياتها :-

- الـــتاريخ الاقتصادي لبيزنطة من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر ، نشر أنجليكى لايو (ثلاث أجزاء)

The Economic History of Byzantium from the 7th Through the 15th Century

والبحوث المنشورة به هي :

Preface

Introduction

Angeliki E. Laiou | Writing the Economic History of Byzantium

Angeliki E. Laiou | Political History: An Outline

Part One: The Natural Environment, Resources, Communications, and Production Techniques

Bernard Geyer | Physical Factors in the Evolution of the Landscape and Land Use

Angeliki E. Laiou | The Human Resources

Anna Avramea | Land and Sea Communications, Fourth--Fifteenth Centuries

George Makris | Ships

Anthony Bryer | The Means of Agricultural Production: Muscle and Tools

Klaus-Peter Matschke | Mining

Maria K. Papathanassiou | Metallurgy and Metalworking Techniques

Jean-Pierre Sodini | Marble and Stoneworking in Byzantium, Seventh--Fifteenth Centuries

Anna Muthesius | Essential Processes, Looms, and Technical Aspects of the Production of Silk Textiles

Part Two: The Sixth Century, Background

Cécile Morrisson and Jean-Pierre Sodini | The Sixth-Century Economy

Case Study
James Russell | Anemourion

Part Three: Structures, Organization, and Development of Production

Agriculture
Jacques Lefort | The Rural Economy, Seventh--Twelfth Centuries

Angeliki E. Laiou | The Agrarian Economy, Thirteenth--Fifteenth Centuries

Pierre Toubert | Byzantium and the Mediterranean Agrarian Civilization

Volume 2

Urban Economy
Gilbert Dagron | The Urban Economy, Sevent--Twelfth Centuries

Klaus-Peter Matschke | The Late Byzantine Urban Economy, Thirteenth--Fifteenth Centuries

Charalambos Bouras | Aspects of the Byzantine City, Eighth--Fifteenth Centuries

Paul Magdalino | Medieval Constantinople: Built Environment and Urban Development

Charalambos Bouras | Master Craftsmen, Craftsmen, and Building Activities in Byzantium

Anthony Cutler | The Industries of Art

Nicolas Oikonomides | Writing Materials, Documents, and Books

Véronique François and Jean-Michel Spieser | Pottery and Glass in Byzantium

Christopher Entwistle | Byzantine Weights

Case Studies
Clive Foss and Jane Ayer Scott | Sardis

Klaus Rheidt | The Urban Economy of Pergamon

Aspasia Louvi-Kizi | Thebes

Maria Kazanaki-Lappa | Medieval Athens

G. D. R. Sanders | Corinth

Vasso Penna | Numismatic Circulation in Corinth from 976 to 1204

Anne Bortoli and Michel Kazanski | Kherson and Its Region

Ivan Jordanov | Preslav

Konstantin Dochev | Turnovo, Sixth--Fourteenth Centuries

Part Four: Exchange, Trade, and Markets

Angeliki E. Laiou | Economic and Non-Economic Exchange

Angeliki E. Laiou | Exchange and Trade, Seventh--Twelfth Centuries

Klaus-Peter Matschke | Commerce, Trade, Markets, and Money, Thirteenth--Fifteenth Centuries

John Day | The Levant Trade in the Middle Ages

Cécile Morrisson and Jean-Claude Cheynet | Prices and Wages in the Byzantine World

Special Topics
Haris Kalligas | Monemvasia, Seventh--Fifteenth Centuries

Part Five: Economic Institutions and the State

Cécile Morrisson | Byzantine Money: Its Production and Circulation

John Day | A Note on Monetary Mechanisms, East and West

Nicolas Oikonomides | The Role of the Byzantine State in the Economy

Legal Aspects of the Economy
Eleutheria Papagianni | Legal Institutions and Practice in Matters of Ecclesiastical Property

Eleutheria Papagianni | Protimesis (Preemption) in Byzantium

Eleutheria Papagianni | Byzantine Legislation on Economic Activity Relative to Social Class

Demetrios Gofas | The Byzantine Law of Interest

Olga Maridaki-Karatza | Legal Aspects of the Financing of Trade

Part Six: General Traits of the Byzantine Economy

Angeliki E. Laiou | Economic Thought and Ideology

Angeliki E. Laiou | The Byzantine Economy: An Overview

List of Abbreviations

- العملات البيزنطية ، تأليف فيليب جريرسون

Ph. Grierson , Byzantine Coinage

-السحر البيزنطي ، نشر هنرى ماجيورى

Byzantine Magic , ed. H. Maguire

ومحتواه كالتالي:

Henry Maguire, Introduction

Matthew W. Dickie, The Fathers of the Church and the Evil Eye
James Russell, The Archaeological Context of Magic in the Early Byzantine Period
Henry Maguire, Magic and the Christian Image
Alexander Kazhdan, Holy and Unholy Miracle Workers
John Duffy, Reactions of Two Byzantine Intellectuals to the Theory and Practice of Magic: Michael Psellos and Michael Italikos
Marie Theres Fögen, Balsamon on Magic: From Roman Secular Law to Byzantine Canon Law
Richard P. H. Greenfield, A Contribution to the Study of Palaeologan Magic
Robert Mathiesen, Magic in Slavia Orthodoxa: The Written Tradition
Abbreviations and Index

- الحدائق البيزنطية

Byzantine Garden Culture

ومحتواه كالتالي :

The Study of Byzantine Gardens:Some Questions and Observations from a Garden Historian
Joachim Wolschke-Bulmahn

The Scholarship of Byzantine Gardens
Antony Littlewood

Paradise Withdrawn
Henry Maguire

Byzantine Monastic Horticulture:The Textual Evidence
Alice-Mary Talbot

Wild Animals in the Byzantine Park
Nancy P.Sevcenko

Byzantine Gardens and Horticulture in the Late Byzantine Period,1204 1453: The Secular Sources
Costas N.Constantinides

Theodore Hyrtakenos ' Description of the Garden of St.Anna and the Ekphrasis of Gardens
Mary-Lyon Dolezal and Maria Mavroudi

Kepopoiïa: Garden Making and Garden Culture in the Geoponika
Robert Rodgers

Herbs of the Field and Herbs of the Garden in Byzantine Medicinal Pharmacy
John Scarborough

The Vienna Dioskorides and Anicia Juliana
Leslie Brubaker

Possible Future Directions
Antony Littlewood

Bibliography

General Index

Index of Greek Words

-الحروب الصليبية من وجهتي نظر بيزنطة والعالم الإسلامي ، نشر انجليكى لايو

ومحتواه كالتالي :-

I Introduction

Giles Constable
The Historiography of the Crusades

II Crusades and Holy War

Roy Parviz Mottahedeh and Ridwan al-Sayyid
The Idea of the Jihad in Islam before the Crusades

George T.Dennis
Defenders of the Christian People:Holy War in Byzantium

III Approaches and Attitudes

M.C.Lyons

The Land of War:Europe in the Arab Hero Cycles

Nadia Maria El-Cheikh
Byzantium through the Islamic Prism from the Twelfth to the Thirteenth Century

Robert W.Thomson
The Crusaders through Armenian Eyes

Alexander Kazhdan Ý
Latins and Franks in Byzantium:Perception and Reality from the Eleventh to the Twelfth Century

Elizabeth Jeffreys and Michael Jeffreys
The "Wild Beast from the West ":Immediate Literary Reactions in Byzantium to the Second Crusade

Tia M.Kolbaba
Byzantine Perceptions of Latin Religious "Errors ":Themes and Changes from 850 to 1350

IV The Crusades and the Economy of the Eastern Mediterranean

Olivia Remie Constable
Funduq,Fondaco,and Khan in the Wake of Christian Commerce and Crusade

Angeliki E.Laiou,with an Appendix by Cécile Morrisson
Byzantine Trade with Christians and Muslims and the Crusades

David Jacoby
Changing Economic Patterns in Latin Romania:The Impact of the West

V Art and Architecture

Oleg Grabar
The Crusades and the Development of Islamic Art

Charalambos Bouras
The Impact of Frankish Architecture on Thirteenth-Century Byzantine Architecture

Sharon E.J.Gerstel

الحجابة زمن سلاطين المماليك

٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م*

د. محاسن الوقاد*

مصر

عــرف عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ – ٩٢٣هـــ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م، عديداً من الوظـــائف العســكرية والديوانية والدينية، ومن بين هذه الوظائف، كانت وظيفة الحجابة التى وضـــعها القلقشـــندى فى المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية، التى تحتل مكانة رفيعة في المجـــتمع المملوكـــى، والـــتى رغـــم أهميتها في ذلك العصر فأنها لم تحظ باهتمام الباحثين. ويلاحـــظ أن أغلـــب الدراسات التى تناولت العصر المملوكى بالبحث والدراسة، لم تتعرض لـــلإدارة الســـلطانية إلا بشكل مقتضب؛ أما عن موضوع الحجابة إبان ذلك العصر، فلم تحظ حـــتى الآن باهتمام الباحثين، ولذلك أخذت على عاتقى القيام بعمل دراسة تتناول الحجابة زمن سلاطين المماليك، مالها وما عليها فى المجتمع المملوكى.

بادىء ذى بدء ينبغى علينا تعريف الحجابة لغة واصطلاحاً، ثم بيان دراسة جذورها التاريخية حتى عصر سلاطين المماليك.

الحجـــاب فـــي اللغـــة الِســـتر، وهو من ألقاب النساء، وكان يوصف بالمناعة فيقال "الحجـــاب المنـــيع" وقـــد ورد فـــي نـــص للمقريزى قوله "الِستر الرفيع"؛ فقيل "الستر الرفيع والحجاب المنيع الملكة الرحيمة، عصمة الدنيا والدين".[١]

وحَجَـــب بيـــنهما – حجـــباً حالَ و ــ الشيء: ستره و – فلانا: منعه من الدخول أو المـــيراث، احتجب: استتر (استحجبَه) ولاه الحجابَة، والحاجبُ: البواب (ج) حجبة، وحُجَّاب، وحـــرفة الحاجـــب (الحَجْـــبُ): المنع و – (شرعاً): منع الشخص من الميراث كله أو بعضه لوجود شخص آخر.[٢]

---

* أتقـــدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذى ا.د. احمد عبد الرازق على ما أعطاني من وقته لمناقشة كثير من النقاط حول هـــذا البحث، كما أتقدم إلى ا.د. قاسم عبده قاسم بالشكر والتقدير على كرم سيادته وما قدمه لى من ملاحظ وتعليقات مهمة أفادت البحث.

* مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، جامعة عين شمس.

1 المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، نشرة محمد مصطفى زيادة، جـــ١ ق٢، القاهرة ١٩٣٦م، ص٣٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٢م، جـــ١ ق٢، ص٢٨٦، حيث يشيران إلى أن الملكة شجر الدر كانت تطلق عليها هذه الألقاب في دعاء الخطبة أثناء فترة سلطنتها.

2 الفـــيروز ابادى، القاموس المحيط، القاهرة ١٩٧٧م، جـــ١ ص١٨١؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط١ ١٩٨٠م، ص١٣٥؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٥٧م، ص٢٥١.

والحاجب اسم فاعل من الحجب وهو المانع من الدخول، وهو في أصله اسم وظيفة تطلق على من يقف بين الإمام يبلغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الأذن منه[3]، وقيل للستر حجاب لأنه يمنع المشاهدة وقيل للبواب حاجب لأنه يمنع من الدخول، وجمع الحاجب حجاب.[4]

أما في القرآن الكريم فللفظ معنى "الستر" فقد جاء في سورة الأحزاب "وإذَا سَأَلْتموهُنّ متاعاً فسألوهُنّ من وراء حِجابٌ"[5] ، وسيفصل في الآخرة حجاب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار "وبينهما حجابٌ"[6] والظاهر أن اللفظ في هذا المقام مرادف للأعراف ولذلك فسر من قديم بأنه "سور" إشارة لما ورد في سورة الحديد[7] وجاء في سورة فصلت[8] أن الكافرين قالوا للنبى "ومن بيننا وبَينَكَ حِجَابٌ" وجاء في سورة الشورى[9] "وما كَانَ لَبشَرٍ أن يُكَلّمهُ اللهُ إلاّ وحياً أو مِن وراء حَجابٍ" كما كان الحال مع موسى.[10]

والحجابة موضوعها أن صاحبها كانت مهمته أن يفصل بين الأمراء والجند أحياناً برأيه هو فقط، وأحياناً بعد مراجعة السلطان أو النائب إن كان، وصار له أتباع من الحجاب قد يزيدون عن عشرة؛ وكانت مهمتهم جميعاً لا تتعدى المحاكمات والخدمة؛ وقد كان أعلاهم الحاجب الثانى الذى كان يسمى حاجب الميسرة، وكان المصرف في الحكم في القاهرة، ويليه حاجب ثالث وهكذا.[11]

ويعتبر الحاجب أحد أفراد الحاشية التى تحيط بالقضاة[12]، وكانت مهمتهم الأساسية حراسة باب القاضى[13]، وطلب الإذن لذوى الحاجات[14]، وتنظيم المجلس، ومنع الناس من

---

3 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥١.

4 الفيومى، كتاب المصباح المنير، القاهرة ١٩٢٦م، ص١٦٦ - ١٦٧.

5 سورة الأحزاب الآية ٥٣.

6 سورة الأعراف الآية ٤٦.

7 الطبرى، التفسير، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، بدون تاريخ، جـ٢٧، ص١٦.

8 سورة فصلت الآية ٥.

9 سورة الشورى الآية ٥١.

10 الطبرى، التفسير، جـ٢٥، ص٢٥؛ دائرة المعارف الإسلامية، م٧، القاهرة ١٩٣٣م، ص٣١٠ - ٣١١.

11 القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، جـ٤، ص١٩، جـ٥، ص٤٤٩؛ ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، ط١، ١٩٠٦م، ص٢٤٧؛ المقريزى، السلوك، جـ١ ق٣، ص٨٠٧ هامش ٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، أعلام العرب عدد ١٤، القاهرة ١٩٦٣م، على إبراهيم حسن، الجيش والبحرية في عصر المماليك، القاهرة، بدون تاريخ ص٥.

12 ابن حجر، رفع الأصر عن قضاة مصر، ص١٣٧؛ جمال جرجس يوسف،القضاء في العصر المملوكى مع تحقيق مخطوطة نزهة النظار في قضاة الأمصار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٧٢م، ص ١٠١ - ٢٠١.

13 حسن إبراهيم، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة ١٩٤٤م، ص٣٥٦.

14 السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد على النجار، أبو زيد شلبى، ط١، القاهرة ١٩٤٨م، ص٦٠ - ٦١؛ انظر أيضا عبد الخالق حسين محمد، النظم القضائية في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة القاهرة، كلية دار العلوم ١٩٨١، ص ٢٥٢.

المزاحمة، أو إساءة الأدب، ولو أدى إلى استعمال السوط لتأديب المخالفين للنظم؛ وكان بعض القضـــاة يبالغ في تحجبه وعدم الظهور للناس والاكتفاء بحكم نوابه، وكانت الأمانة أهم صفاته حتى لا يجد الخصوم سبيلاً على التأثير فيه عن طريق الرشوة.[١٥]

أمـــا فيما يتعلق بالحجابة في صدر الإسلام، فقد عرفت وظيفة الحجابة في مكة قبل الإســـلام، وكانت تعنى حراسة الكعبة وحفظ مفتاحها، ثم عرفت في الإسلام بدلالة جديدة، إذ أصـــبح الحاجب يطلق على من يقوم بين الوالي وبين الناس ويطلب لهم الإذن لمقابلته وينظم عملية الاتصال به.[١٦] وعلى الرغم من أن الخلفاء الراشدين لم يمنعوا أحداً من الدخول عليهم، إلا أن كـــل خلـــيفة مـــنهم أتخذ حاجباً طوال مدة خلافته، فيذكر المؤرخون أنه كان لأبى بكر حاجب يسمى "شديداً" وحاجب لعمر بن الخطاب اسمه "يرفأ"، وحاجب لعثمان بن عفان "مولاه" "حمران"، ولعلى بن أبى طالب حاجب يسمى "قنبر" وهكذا في كل خليفة.[١٧]

وتجدر الإشارة على أن وظيفة الحجابة بلغت شأنا كبيرا بعد محاولة الخوارج اغتيال كـــل مـــن الإمـــام علـــى بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان، لاسيما أن الرعية قد أخذوا يـــتزاحمون علـــى بـــاب الخليفة لأسباب شتى مما أضطر خلفاء بنى أمية وولاتهم إلى اتخاذ الحُجّـــاب.[١٨] وقد اسمّرت الحجابة في الدولة العباسية، بل وازدادت أهميتها وسلطتها تدريجياً، فقويـــت بذلك شوكة الحجاب فصاروا يمنعون الناس عن مقابلة الخليفة إلا فى الأمور المهمة، إذ صـــار بين الناس والخليفة داران: دار الخاصة ودار العامة يقابل كل فئة في مكانة على ما يـــراه الحاجـــب، ثم تطور الأمر فصار الحجاب يحجرون على الخليفة نفسه ويمنعون البطانة وسائر الأولياء من مقابلته بحجة المبالغة في الاحترام.[١٩]

---

15 عرنوس، تاريخ القضاء في الإسلام، ص١٢٨.

16 ابـــن خلدون، المقدمة، ط٥ بيروت ١٩٨٤م، ص٢٢٤؛ القلقشندى، ضوء الصبح، ص٣٤١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، القاهرة، ١٩٩٦م، جـــ١، ص٣٦٠ – ٣٦١.

17 القلقشـــندى، صـــبح الأعشى، جـــ٥، ص٤٤٩؛ حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ط١ القاهرة ١٩٣٩م، ١٨٦.

18 القلقشـــندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص٢٧٧؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٩١؛ على إبراهيم، تاريخ المماليك، ص١٩١؛ النظم الإسلامية، ص١٨٦.

19 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص٢٧٧؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٩١؛ حسن إبراهيم، النظم الإسلامية، ص١٨٧؛ جـــرجى زيـــدان، تاريخ التمدن الاسلامى، طبعة دار الهلال، القاهرة ١٩٨٦م، جـــ١، ص٢٥٩، وقد كان للواثق أبو جعفر هارون حاجبه ابتاح، وللمعتز حاجبه سماء، وللمهدى حاجبه باك باك وللمعتضد حاجبه صالح الأمين وللمكتفى حاجبه خفيف السمرقندى، كما كان للمقتدر حاجب يدعى سوسنا وللقاهر حاجباً يدعى على، وللراضى حاجب يدعى محمد بن ياقوت وكذلك للمستكفى والمطيع وهكذا، انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٣.

وقد عرفت الحجابة في مصر الإسلامية على عهد الدولة الطولونية، وأطلق على من يتولاها اسم "حاجب الباب"[20]، وفى زمن الدولة الفاطمية كان متوليها يطلق عليه فى ذلك الحين اسم "صاحب الباب"[21]، ثم عرفت من بعدهم في عهد الدولة الأيوبية وأطلق على صاحبها اسم حاجب أمير المؤمنين،[22] وقد عرفها الأيوبيون عن طريق دولة الأتابكية والدولة النورية.[23]

وفى عصر المماليك عظمت الحجابة حتى أصبحت تضاهى وظيفة نيابة السلطنة في الأهمية والمرتبة، ولعل هذا ما دفع القلقشندى ليضعها في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية التى يشغلها الأمراء، حيث قسم هذه الوظائف إلى خمس وعشرين وظيفة وهى على التوالى: النيابة،[24] الأتابكية،[25] رأس نوبة،[26] أمير مجلس،[27] أمير سلاح،[28] أمير آخور،[29] الدوادارية،[30] الحجوبية، أمير جاندار،[31] الأستادارية.[32]

---

20 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص١٦٦. Zaky- Mohamed Hassan, *Les Tulunides*, Paris, 1933, pp. 193-194.

21 ابن الصيرفى، قانون ديون الرسائل، ط١، القاهرة ١٩٠٥م، ص١٦٦؛ *The Encyclopedia of Islam*, Leiden 1986, vol 3, p.47.

22 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٣١٤.

23 القلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٤٧؛ *The Encyclopedia of Islam*, vol. 3, p.47.

24 يسمى صاحب هذه الوظيفة نائب السلطنة، والنائب الكافل، وكافل الممالك الإسلامية وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما يعلم عليه السلطان، وهناك نواب أقل درجة أشبة بالحكام المحليين، لا يختص الواحد منهم إلا بما يتعلق بحدود نيابته، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٦، سعيد عاشور، العصر المماليكى في مصر والشام، القاهرة ط٢ ١٩٧٦م، ص٤٨٣؛ انظر ايضاً ليلى عبد الجواد، نائب السلطنة في القاهرة عصر دولة المماليك البحرية، مجلة المؤرخ المصرى، القاهرة العدد ١ يناير ١٩٨٨م، كلية الآداب جامعة القاهرة، ص١٥٩ – ٢١٩؛ محمد عبد الغنى الأشقر، نائب السلطنة المملوكية في مصر ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م، سلسلة تاريخ المصريين العدد ١٥٨، القاهرة ١٩٩٩م.

25 أتابك لفظ تركى، معناه مربى الملك وكان آل سلجوق إذا امتاز أحد ولاتهم وأرادوا تشريفه اضفوا عليه هذا اللقب أمعاناً في تكريمه، وقد استطاع بعض أولئك الأتابكية تأسيس بيوت حاكمة صغيرة عندما ضعفت دولة السلاجقة وعرفت هذه الدويلات الصغيرة باسم الأتابكيات، النويرى، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٨٥م، جـ٢٧، ص١١؛ محمد الأشقر، نائب السطنة، ص٥٤ هامش ٢٠؛ قتيبة الشهابى، معجم أرباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الرشيدى حتى بدايات القرن العشرين، دمشق، ١٩٩٥م، ص١٥- ١٦.

26 رأس نوبة وظيفة يقوم أصحابها بالحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء، واحد منهم مقدم ألف وثلاثة طبلخاناة. القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٨؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤٤٠.

27 يتولى صاحب هذه الوظيفة أمر مجلس السلطان أو الأمير، كما كان يتحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٨، جـ٥، ص٤٥٥؛ حسن الباشا، الفنون الاسلامية، جـ١، ص٢٥٩ وما بعدها؛ سعيد عاشور العصر المماليكى، ص٤١٥.

28 أمير سلاح هو المختص بحمل السلاح للسلطان في المجامع الجامعة والمتحدث في السلاح خانة السلطانية وما يستعمل بها، وما يقدم إليها، ويطلق منها، وقد صنفه القلقشندى في المرتبة الخامسة بين كبرى الوظائف التى يشغلها عسكريون بالقصر السلطانى، ثم علت مرتبته فصار يلى أتابك العساكر مباشرة كما يفهم من ابن شاهين الظاهرى، حسن الباشا، الفنون الاسلامية، جـ١، ص٢٢٤ وما بعدها، أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٩.

وحـــتى لا يحدث ما خشيه المانعون لاتخاذ "الحجاب"، خوفا من رشوتهم أو تمييزهم بيـــن الـــناس، اشـــترط فيمن يشغل هذه الوظيفة صفات من أهمها وأبرزها: العدالة، والعفة والأمانـــة. بالإضـــافة إلى حسن المنظر، وسلامة المخبر، ومعرفته بمقادير الناس، وبعده عن الهوى والمعصية، واعتدال أخلاقه بين الشراسة واللين.

كما كان يوصى القضاة في سجلات تعيينهم أن يكون الحاجب: "تقى الجيب، مأمون المشـــهد والغيـــب، مستشـــعر التقوى، في السر والنجوى، سالكاً للطريقة المثلى، غير متجهم للناس... فلينتخبه من بين أصحابه، وممن يرتضيه من أمثاله وأضرابه".

ويـــبدو أن عـــدم الاذن لبعض الشخصيات في الدخول على القاضى كان يؤلمها فقد ذكر القاضى "سراج الدين يونس الأرمنتى قاضى قائلاً: جئت إلى قاضى القضاة تقى الدين بن دقـــيق العـــيد المـــتوفى سنة ٧٠٢، واردت الدخول فمنعنى الحاجب، وجاء الجلال العسلوجى فأدخله وغيره، فتألمت وأخذت ورقة وكتبت فيها:

"قل للتقى الذى رعيته *** راضون عن علمه وعن عمله"

"انظر إلى بابك... *** يلوح من خلله"

"باطنه رحمة وظاهره *** يأتى إليك من قبله"

ثم دخلت وجعلت الورقة في الدواة، وظننت أنه ما رأنى وقمت، فقال: اجلس، ما في هـــذه الورقـــة؟ فقلت: يقرؤها سيدنا، فقال: أقرأها أنت، فكررت عليه وهو يرد على، فقرأتها فقال: ما حملك على هذا؟ فحكيت له، فقال: هل وقف عليها أحد؟ فقلت: لا فقال: قطعها. [٣٣]

ويستشف من المصادر المملوكية المعاصرة أن عدد شاغلى هذه الوظيفة من الحجاب كـــان فـــي تزايد مستمر طوال العصر المملوكى؛ ويشير المقريزى في عام ٧٨٣هـــ/١٣٨١م

---

29 أمـــير آخـــور، وظيفة يقوم صاحبها بالأشراف على أسطبل السلطان أو الأمير ورعاية ما فيها من خيل وبغال وجمال، وكانـــت مهمته خطيرة في السلم والحرب فقد كان عليه أن يكون متأهباً دائماً لسفر السلطان أو إنتقاله في ليل أو نهار، وأن يعد موكب السلطان حسب ما جرت به العادة. انظر سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤١٤؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك الاسلامية، ص٤٠؛ حسن الباشا، الفنون الاسلامية، ص١٧٤ وما بعدها.

30 الدوادار أى ممسك الدواة والوظيفة اسمها الدوادارية وصاحبها يعمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى إليه، سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤٣٨.

31 الجـــاندار الأمـــير الذى كان يستأذن السلطان في دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامهم إلى الديوان، كما كان يشترك مع الدوادار في تقديم البريد. لمزيد من التفاصيل انظر حسن الباشا، الفنون الاسلامية، جـــ١، ص١٩٥ وما بعدها؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤٢٦؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك الاسلامية ص٤١.

32 الاســـتادار، وظـــيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وهو الذى كان يمشى بطلب السلطان في الأسفار وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك من المماليك وغيرهم. القلقشندى، صبح الأعشى جـــ٤، ص٢٠، جـــ٥ ص٤٥٧؛ حسن الباشا، الفنون الاسلامية، جـــ١، ص٣٩ وما بعدها؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص٤١.

33 عبد الخالق حسين، النظم القضائية في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٥٢-٢٥٣.

بأنه "كان العادة أولاً أن يوجد حاجب واحد، ثم أستقر حاجب الحجاب وحاجب ثان ثم زيد في الأيام الإشرافية حاجب ثالث."[٣٤]

وبعــد أقــل من عام يعود المقريزى فيذكرنا في حوادث عام ٧٨٤هــ/١٣٨٢م أنه "خلــع على الأمير منكلى الطرخانى مزيد حاجباً رابعاً وخلع على الأمير جلبان العلائى فكان حاجب خامس، ولم يعهد قبل ذلك خمسة حجاب في الدولة التركية"[٣٥] فعد ذلك من النوادر كما يذكر ابن أياس".[٣٦]

وإذا كــان المقريزى يبدى دهشته على تلك الزيادة فإن ابن تغرى بردى يعلق على ذلك بقوله "وعد ذلك من الاشياء التى استحدثها الملك الظاهر برقوق".[٣٧]

وفــى عــام ٧٩٣هـــــ/١٣٩٠م خلع السلطان برقوق على الأمير قطلوبغا الصفوى واستقر حاجب الحجاب، وخلع على الأمير بتخاص واستقر حاجب ميسرة، وعلى الأمير قديد واستقر حاجباً ثالثاً وعلى باشاه واستقر حاجباً رابعاً.[٣٨]

وفــى عام ٧٩٦هــ/١٣٩٣م قدم البريد يحمل أخباراً بتعيين سيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى حاجباً ثالثاً، وفى العام التالى ٧٩٧هــ/١٣٩٤م أنعم على الأمير فارس بن قطلق خجا بإمرة مائة وتقدمة ألف وخلع عليه واستقر حاجب الحجاب عوضاً عن الأمير بتخاص المستقر في نيابة الكرك.[٣٩]

وبعــد ثمانــية أعــوام ، وفى عام ٨٠٢هــ/١٣٩٩م، يحدثنا الصيرفى أنه: "في يوم الــثلاثاء سابع عشرة خلع على الأمير منكلى بغا الدوادار فاستقر حاجبا... فصارت الحجاب سبعة في الديار المصرية".[٤٠]

وفــى الــيوم الــتالى مباشرة أى في يوم ثمان عشر من ربيع الأخر عام ٨٠٢هــ/١٣٩٩م يشــير المقريــزى بقوله "خلع السلطان الناصر فرج على أحد الأمراء فاستقر حاجباً ثامناً"، ولم يعهد بمصر مثل ذلك فيما سلف".[٤١]

---

34 المقريزى، السلوك، جــ٣، ق٢، ص٤٤١.

35 المقريــزى، السلوك، جــ٣ ق٢، ص٤٤٢، ٤٤٨٠؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جــ١، ص٥١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جــ١١، ص٢٢٨.

36 ابن إياس، بدائع الزهور، جــ١ ق٢، ص٣٢٣ – ٣٢٤.

37 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جــ١١، ص٢٢٨.

38 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ١، ص٣٢٥.

39 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ١، ص٤٠٠، ٤١٧.

40 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ٢، ص٤١ – ٤٢.

41 المقريزى، السلوك، جــ٣ ق٣، ص٩٩٦؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جــ٢، ص٤٢؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جــ٦٢، ص١٩٧.

ويــبدو أن عــدد الحجــاب قد ظل على هذا المنوال في التزايد المطرد على أن بلغ عددهــم في أواخر عصر المماليك الجراكسة إلى ما يقرب من عشرين حاجبا، كانوا جميعهم من غير الأمراء.[42]

ويعلــق ابــن تغرى بردى على ذلك بقوله:"والسُكات أجملُ فإن تلك الحجاب الثمانية كــان فــيهم ثلاثة أمراء ألوف وثلاثة طبلخاناه، وأما يومنا هذا ففيه بمصر أزيد من عشرين حاجــبا، ما فيهم أمير خمسة بل الجميع أجناد، وفيهم من جنديته غير كاملة، والحاجب الثانى أمير عشرة فسبحان الحكيم الستار".[43]

ومما يلفت النظر أن هذه الزيادة في عدد حجاب مصر المملوكية قد بدأت في أواخر القــرن الثامــن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، ثم أخذت صورة سريعة ومطردة، فلم يمض ســوى اقل من عشرين عاماً فقط إلا وكان عدد الحجاب قد وصل إلى ثمانية حجاب وهو أمر أدهــش بعض المعاصرين لهذه الأحداث فنجد المقريزى، إضافة إلى ابن تغرى بردى، يعبر عن دهشته بقوله "وهذا بخلاف العادة".[44]

ولعلنا إذا دققنا النظر فى الأمر وبحثنا عن السبب الخفى الذى ساعد على هذا التزايد المطــرد فــى عدد الحجاب لما اندهشنا مثلهما، ذلك لأنه إذا كان القلقشندى قد وضع وظيفة الحجابــة في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية، إلا أن مجرى الأحداث يشير إلى أن هذه الوظــيفة قــد تعاظمــت أهميتها بدرجة كبيرة عقب إلغاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون وظيفة نائب السلطنة عام ٧٢٧هــ/١٣٢٦م.

وتؤيــد الأحــداث هذا الرأى، فيحدثنا ابن تغرى بردى بقوله "وأما الحجوبية فوظيفة جلــيلة في الدولة التركية وليست هى الوظيفة التى يليها حجبة الخلفاء، فأولئك كانوا يحجبون الــناس عن الدخول على الخليفة، وليس من شأنهم الحكم بين الناس والأمر والنهى، وهو مما جــدده السلطان الظاهر بيبرس، لكنها عظمت في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى عدلت النيابة.[45]

ولــم يقتصر الأمر على مجرد أن الحجابة قد عدلت وظيفة نيابة السلطنة، بل وصل إلــى درجــة أن حلت محلها في المرتبة والأهمية، بحيث انتقلت إلى من يشغلها اختصاصات نائــب الســلطنة،[46] ولعله في حديث ابن تغرى بردى عن أُلماس حاجب الحجاب ما يؤيد ما

---

42 ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤، ص٣٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جــ١٢، ص١٩٧؛ عــبد المــنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه، القاهرة ١٩٨٢م، ص٤٥ – ٤٦.

43 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جــ١٢، ص١٩٧.

44 المقريزى، السلوك، جــ١ ق٣، ص٣٠١؛ ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة، جــ١٢، ص١٩٧ وما بعدها.

45 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جــ٨، ص٨٥؛ محمد الأشقر، نائب السلطنة، ص٢٥١.

46 القلقشندى، ضوء الصبح، ص٣١٤.

يذهب إليه الباحث؛ إذ يخبرنا في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م بأن ألماس هذا "قد ولى الحجوبية وليس بالديار المصرية نائب سلطنة فعظم أمر ألماس في الحجوبيه، فصار هو فى محل النيابة... ويركبون الأمراء وينزلون فى خدمته ويجلس فى باب القلعة فى منزلة النائب، والحجاب والأمراء وقوف بين يديه".[٤٧]

ومما يؤيد وجهة نظر الباحث هى أن الزيادة السريعة في عدد الحجاب بمصر في هذه المدة اليسيرة قد ارتبطت بصورة أو بأخرى بإلغاء السلطان الناصر محمد لوظيفة نائب السلطنة مما ترتب عليه تعاظم أهمية الحجابة، يضاف إلى ذلك أن الفترة الفاصلة بين كليهما لا تتعدى فترة النصف قرن إلا قليلاً.

وقد برز في عهد سلطنة الناصر محمد الثالثة طائفة من الحجاب المميزين، فكثيراً ما كان السلطان يوليهم هذه الوظيفة ماداموا حائزين لرضاه، فإذا غضب عليهم عزلهم واستبدل بهم غيرهم أو أمر بالقبض عليهم. ونتبين ذلك من كثرة عدد الحجاب الذين تولوا هذا المنصب في تلك الفترة من عام ٧٠٩ – ٧٤٠هـ/١٣٠٩ – ١٣٣٩م إذا بلغ عددهم أربعة عشر حاجبا على ما رواه صاحب "تاريخ سلاطين المماليك" وهم سنقر الكمالى، بكتمر الحسامى، لاجين العمرى، الطنبغا محمد بن الوزيرى، طينال بيبرس، ألماس الجاشنكير، قطلوبغا المعزى، أمير مسعود بن الخطير، جاريك قفجق، أيدغدى الخوارزمى، أقول، محمود ابن خطير، برسبغا.[٤٨]

ومما تجدر الإشارة إليه أن تزايد عدد الحجاب في العصر المملوكى لم يقتصر على الديار المصرية فحسب بل، وصلت هذه الزيادة على سائر نيابات وأقاليم الدولة، فيذكر القلقشندى "أنه وجد في نيابة دمشق على عهد المنصور قلاوون ثلاثة حجاب، وربما كانوا أربعة ثم تزايدوا في أيام الظاهر برقوق واصبحوا خمسة أو ستة، بينما وصلوا في نيابة حلب إلى أربعة حجاب، أما في طرابلس فكان عددهم ثلاثة، وبالنسبة لحماة فوصل عددهم إلى أثنين".[٤٩]

ويلاحظ أن نسبة تزايد عدد الحجاب في نيابات السلطنة المملوكية لا يمكن مقارنتها بمصر، وذلك يرجع إلى بعض الاعتبارات الخاصة بوضعية مصر على اعتبارها حاضرة الحكم المملوكى، فقد وجد بها نظام إدارى معقد ومتسع، فضلاً عن الأهمية الكبرى التى تمتعت بها مصر بالنسبة لسلاطين المماليك.

ونتيجة لتزايد عدد الحجاب في مصر المملوكية كان لابد وأن يقابله من ناحية أخرى تزايد مستويات ومراتب الوظيفة، فقد أصبحنا نسمع عن الحجوبية الأولى أو الكبرى وحاجب

---

47 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٠٧ – ١٠٨.

48 زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص١٤٧ – ١٤٨؛ على إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك، ص١٩٢.

49 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٨٦.

الحجـــاب، الـــذى يعتبر منصبه من أهم مناصب السلطنة عدا نائب السلطنة، وكان يعبر عن حاجـب الحجـــاب في ديوان الإنشاء بأمير، أما عن التسمية ذاتها فترجع إلى أنه كان لحاجب الحجـــاب أعوانـــه يساعدونه في أداء عمله، إذ كان يتبعه عدد من الحجاب فيأتى بعده مباشرة نائبه وكان كلاهما أمير مائة مقدم ألف.[٥٠]

وتـــأتى بعـــد ذلـــك الحجوبية الثانية أو الصغرى أو حاجب الميسرة وهو أحد أتباع حاجب الحجاب وكان يتصرف بالحكم في القاهرة،[٥١] ثم يأتى بعده حاجب ثالث ورابع وخامس وهكـــذا إلـــى ما يزيد عن عشرة برسم المحاكمات والخدمة؛[٥٢] وقد بلغ عددهم أواخر عصر سلاطين المماليك عشرين حاجبا كان جميعهم من غير الأمراء[٥٣] كما ذكرنا انفاً.

وقـــد ترتـــب على تعدد مراتب ومستويات وظيفة الحجابة في العصر المملوكى، أن تفاوتـــت الشـــروط الـــتى يجـــب توافرها في شاغلى هذه الوظيفة من مرتبة لأخرى، فيشير القلقشـــندى إلى أن الذى جرت به العادة خمسة حجاب أثنان من مقدمى الألوف أولهما حاجب الحجـــاب ونائـــبه[٥٤] ويضع ابن شاهين حاجب الحجاب في المرتبة السابعة بين الأمراء أرباب الســـيوف الـــتى تقضى وظائفهم أن يكونوا من جملة أمراء الطبلخاناه، ويضع الحاجب الثالث وســـبعة حجـــاب بين الأمراء العشرينات والعشروات.[55] أى أنه كلما تناقصت درجة ومرتبة الوظيفة كلما تناقصت أمرة شاغلها.

ومـــن الجدير بالذكر أن وجود الحجاب في عصر دولة سلاطين المماليك لم يقتصر علـــى القاهـــرة حاضـــرة الدولـــة فحســـب، بـــل وجد الحجاب في سائر أقاليم الدولة، فوجد بالإســـكندرية حاجب كان يسمى رسميا "الحاجب بثغر الإسكندرية المحروسة" وكان يكتب إليه عـــن الأبـــواب السلطانية،[٥٦] وكان إما برتبة طبلخاناه أو أمير عشرة، وفى الحالة الأولى كان يكاتـــب "بالمجلس السامى" وفى الحالة الثانية "بمجلس الأمير"، وكان يوجد على جانبه حاجب برتبة جندى.[٥٧]

---

50 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص١٩؛ ضوء الصبح، ٢٤٥، ٢٤٩.

51 حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـــ١، ص٣٨٨.

52 Van Berchem, M., *Materiaux pour un corpus inscriptorum, arabicarum, Egypte*, I, Le Caire 1894-1903 p. 567.

53 ابن شاهين، زبدة كشف المالك، ص١١٥.

54 القلقشندى، صبح الأعشى،جـــ٤، ص١٩؛ ضوء الصبح، ص٢٤٧.

55 ابـــن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٤ – ١١٥؛ العمرى، التعريف بالمصطلح الشريف، ط بيروت ١٩٨٨م، ص ١٠٣ – ١٠٤.

56 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٧، ص١٥٦؛ ضوء الصبح، ص٢٧٤.

57 القلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٧٤.

أمـــا عن نيابة الوجه القبلي والبحرى فلم تكن على قاعدة النيابات الأخرى من حيث ترتيب الحجاب أو ركوب المواكب.[٥٨]

وقـــد عرفت وظيفة الحاجب في النيابات خارج الديار المصرية، بمراتبها المختلفة، ففـــي دمشق كان حاجب الحجاب عادة برتبة أمير مائة مقدم ألف، أما الحاجبان الثانى والثالث فكـــان كلاهما برتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرة وفى بعض الأحيان كان يعين بدمشق أربعة حجـــاب أحدهـــم الحجـــاب برتـــبة أمير مائة مقدم ألف، أما الثلاثة الباقون فكان منهم أمراء طبلخاناه أو طبلخانات وعشرون وعشرة وغير ذلك.[٥٩]

وكـــان ترتيـــبهم في المواكب أن يكون حاجب الحجاب والذى يليه في الرتبة ميمنة والـــثانى ميسرة؛ وهكذا كان الحال في حلب على ما يبدو؛ أما في غزة فكان حاجب الحجاب برتـــبة أمـــير طـــبلخاناه، ومن دونه أمير عشرة، ووجد في طرابلس أيضاً حجاب من أرباب الســـيوف وكـــان بها ثلاثة حجاب أكبرهم أمير طبلخاناه وهو صاحب الحجاب، أما الآخران فكـــان كلاهمـــا أمير عشرة، كما كان حاجب الحجاب في نيابة حماة أمير طبلخاناه، بينما كان الثانى أمير عشرة[٦٠] ويبدو، طبقاً للمصادر المملوكية، أن وظيفة الحجابة قد ظهرت في عصر الدولـــة المملوكية في عام ٦٤٨هـــ/١٢٥٠م؛ والدليل على ذلك عندما ركب الملكان الأشرف والمعـــز بالصـــناجق السلطانية[٦١] وشقا القاهرة والمعز يحجب الأشرف، والأمراء تتناوب في حمل الغاشية[٦٢] واحدا بعد واحد، والمقصود هنا أن المعز أيبك كان يؤدى وظيفة الحاجب في ذلك الموكب، أى أنه كان راكباً أمامه بعصا في يده.[٦٣]

وإن كـــان ابـــن إياس قد ذكر في حوادث عام ٦٩٤هـــ/ ١٢٩٤م بقوله "لما تسلطن كتـــبغا أخلـــع على الأمير بهادر، وجعله حاجب الحجاب، وهو أول من أحدث هذه الوظيفة، وجعلهـــا وظـــيفة كبـــيرة، ولـــم يكن قبل ذلك شيء يقال له حاجب الحجاب فعظم أمرها من يومئذ."[٦٤]

---

58 القلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٦٦.

59 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٨٦، ضوء الصبح، ص٣٢٩ - ٣٣٠.

60 القلقشـــندى، صـــبح الأعشى، جــ٨، ص٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـــ١، ص٣٨٩، ٣٩٣.

61 الصناجق للسلطانية، من شعار السلطنة، وهى عبارة عن رايات صفر صغار، المقريزى، السلوك، جـــ١ ق٢، ص٤٤٣، هـــ١.

62 من شعار السلطنة، وهى غاشية سرج من أديم محزوز بالذهب، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب، تحمل بين يديه (أى السلطان) عند الركوب في المواكب الحفلة، كالميادين والأعياد ونحوها. المقريزى، السلوك، جـــ١ ق٢، ص٤٤٣ هـــ١.

63 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٥١؛ المقريزى، السلوك، جــــ١ ق٢، ص٣٧٠.

64 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق١، ص٣٨٧.

رسوم الحجابة ونظمها:

جرت العادة عند تعيين أحد الحجاب بالقاهرة فإنه يكتب له تقليد بذلك حسب تقاليد ذلك العصر، والدليل على ذلك أن مراسيم السلاطين كانت توجه فى بعض الأحيان إلى النواب والحجاب، كما يتضح من وثيقة باسم السلطان الغورى بتاريخ سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م جاء فيها "مرسوم شريف إلى كل واقف عليه وناظر إليه من الجنابات العالية والمجالس السامية النواب والحجاب... ضاعف الله تعالى نعمة الجنابات العالية وأعز المجالس السامية"[٦٥] وكان إذا عين أمير المائة نائباً كتب له عن السلطان مرسوماً فى قطع النصف بالمجلس العالى، ويفتتح بالحمد لله، في حين كان مرسوم الطبلخاناه يكتب فى قطع النصف بالمجلس السامى بالياء، ومرسوم أمير العشرة فى قطع الثلث.[٦٦]

وتجدر الإشارة إلى ترتيب موكب الحاجب مع نائب السطنة، فقد كان الحجاب يسيرون وراء نائب السلطنة في يومى الاثنين والخميس، ويمر النائب راكباً حتى يأتى إلى مقعد مرتفع عن الأرض به دكة صغيرة مصنوعة من الخشب، فيترجل على جانب المقعد ويجلس على تلك الدكة، ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة معدة لجلوسه، فيجلس على يسار النائب قاضى القضاة الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى والحنبلى ثم قاضى العسكر الشافعى يليه الحنبلى، ومفتى دار العدل الشافعى ثم الحنفى ثم الوزير صفا مستقيماً، ويجلس كاتب السر أمام النائب على مقربه منه وعن يمينه ناظر الجيش ثم كتاب الدست على ترتيب منازلهم في مقابلة الصف الذى فيه قضاة القضاة ومن معهم، ويجلس باقى الموقعين بين الصفين مقابل صاحب الحجاب حتى يصلوهما فيصيرون كالحلقة المستديرة، ويقف الحجاب الصغار أسفل حاجب الحجاب، وترفع القصص،[٦٧] فيأخذها الحجاب الصغار ويناولونها لحاجب الحجاب، الذى يناولها بدوره لكاتب السر فيقرؤها عليه، ثم ينفض المجلس ويمد السماط فيأكلون وينصرفون.[٦٨]

الألقاب والخلع والزى:

أمدتنا المصادر التاريخية بالعديد من الألقاب الخاصة بالحجاب فى العصر المملوكى، وفيما يلى عرض لهذه الألقاب كما وردت في المصادر المملوكية المعاصرة.

كانت ألقاب أمراء المئين التى تدخل فيها فئة الحجاب يخاطبون بأجل الألقاب، ونظراً إلى انقسام أمراء المئين إلى طبقات فيما بينهم فإن ألقابهم كانت تتفاوت أيضاً تبعاً لذلك. وقد ذكر ابن فضل الله العمرى أن ألقاب أمراء المئين بالأبواب السلطانية كانت الجناب

65 حسن الباشا، الألقاب، ص٣٨٩.

66 حسن الباشا، الألقاب، ص٢٥٧.

67 القصص جمع قصة وهى الطلب أو الالتماس. انظر على إبراهيم، تاريخ المماليك، ص٢٤٤.

68 القلقشندى، ضوء الصبح، ص٣٢٤ – ٣٣٠.

الكريم ثم الجناب العالى ثم المجلس العالى، وبدمشق الجناب العالى ثم المجلس العالى، وبحلب المجلس العالى ثم المجلس السامى بالياء، وبطرابلس السامى بالياء.[٦٩]

كما نعت الحاجب بأوصاف مختلفة فظهر مثلاً حاجب أجل، وحاجب أعظم، وحاجب بــزركَ، وحاجب أعلى، وحاجب كبير، وحاجب الحجاب، وأمير حاجب، وحاجب ثان وثالث ورابــع، وحاجب ميمنة، وحاجب ميسرة، وحاجب خاص،[٧٠] وحاجب دار،[٧١] وكان يعين بعد لفظــة الحاجب اسم الإقليم الذى يعمل به مثل الحاجب بثغر الإسكندرية المحروسة، والحاجب بحمــاة المحروسة، وحاجب الشام، وحاجب المملكة الحلبية، وحاجب النوبة. كما كان يضاف إلـــى لفظة الحاجب اسم الوظيفة أو الديوان الذى يعمل به كأن يقال حاجب القاضى، وحاجب الديوان.[٧٢]

والحاجب الثانى هو نائب حاجب الحجاب في عصر سلاطين المماليك، وكان يسمى أيضاً الميمنة.[٧٣]

أمـــا حاجــب الحجاب فهى مشتقة من وظيفة الحاجب وهى تعنى من غير شك كبير الحجاب ورئيسهم، وقد ظهرت لأول مرة في عام ٣٢٩هــ/ ٩٤٠م حين خلع الخليفة العباسى المتقى على بدر الخرشنى وقلده الحجابة وجعله حاجب حجاب.[٧٤]

ويــبدو أنـــه منذ القرن ٦هــ/ ١٢م كان حاجب الحجاب يسمى أحياناً بأمير حاجب وبأمير حاجب الحجاب مما يشير إلى سعة نفوذه وازدياد سلطانه.[٧٥]

واســتعمل حاجب الحجاب في عصر المماليك بدلالة كبير الحجاب سواء في الديار المصــرية أو في النيابات الشامية مثل دمشق وحلب، ولو أن التعريف الرسمى لهذه الوظيفة كـــان "أمــير حاجــب"، كما كان يطلق عليه أيضاً اسم أمير حاجب الحجاب وكان يشغل هذه الوظيفة أمير برتبة أمير مائة مقدم ألف.[٧٦]

أما عن الحاجب الكبير، فقد وردت صيغة الحجوبية الكبرى، في كتابات على الآثار العربــية ترجع إلى أواخر عصر المماليك منها كتابة أثرية بمرسوم من حوالى سنة ٨٧٢هــ/ ١٤٦٧م بالمدرسة الشمسية بطرابلس باسم السلطان الأشرف أبى النصر قايتباى أشير فيه إلى

---

69 ابن فضل الله العمرى، التعريف بالمصطلح، ص٧٣ – ٧٤؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٨.

70 انظر مثلاً الراوندى، راحة الصدور، ص٤٦٢، ٥٠٥؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٤٠٣.

71 انظــر البيهقى (أبو الفضل)، تاريخ البيهقى، ترجمة إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٥٥

72 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، جـ١ ص٤٠٢ – ٤٠٣.

73 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٤٠٣.

74 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٢٧٢؛ حسن الباشا، الألقاب الاسلامية، ص٤٠٥.

75 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٤٠٦.

76 الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٤٠٧.

إيطـال "معلـوم الحجوبـية الكبرى" بطرابلس وقدره ١٣ درهماً على النحيرة، ومرسوم أخر بـتاريخ الثاني من المحرم سنة ٩٠٨هـ/٨ يوليو ١٥٠٢م بجامع طرابلس باسم حاكم طرابلس جـاء فيه "برسم الدخان وما يستأديه من يكون متكلماً في ديوان الحجوبية الكبرى واستادارية الديـوان الشـريف..." ويتضح من الكتابة الأولى أنه كان يأخذ بطرابلس ضريبة على الذبائح تذهـب إلـى الحاجب الكبير أشير إليها بمعلوم الحجوبية الكبرى، وقد أبطلها السلطان قايتباى بهـذا المرسـوم؛ أمـا الكتابة الأثرية الثانية فتذكر ديوان الحجوبية الكبرى والمشرف عليه، وتشـير أيضـاً إلـى أن المشـرف على هذا الديوان كان يفرض له ضريبة على الدخان أى الصناعات التى تسبب دخاناً.[٧٧]

كـان الحاجـب لا يمارس مهام منصبه قبل أن يخلع عليه السلطان خلعة التشريف وحسبنا دليلاً على ذلك ما جاء في المصادر من أن السلطان الظاهر بيبرس خلع على الملوك والأمـراء والـبحرية والحجاب وأرباب العمائم والوزراء والقضاة وحضروا بالخلع وذلك في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م.[٧٨]

وفـي عـام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م أطلق السلطان من التشاريف ما عم به سائر من في خدمـته مـن ملك وأمير ووزير ومقدمي الحلقة ومقدمي المماليك والبيوت السلطانية، وجميع الكتاب والقضاة، وسائر أرباب الوظائف.[٧٩]

وفي عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م فوض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فركب بشعار السلطنة[٨٠] من قلعة الجبل إلى باب النصر وعبر القاهرة وخرج من باب زويلة إلى القلعة وسائر الأمراء وغيرهم في خدمته، وخلع على سائر أهل الدولة.[٨١]

وتخـبرنا المصادر المملوكية أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنعم على الأمير سـيف الديـن أُلماس أمير حاجب بأطلس كامل وعلى كل من الأمير سيف الدين أقول وبدر الدين مسعود بن خطير بخلعة طرد كامل وذلك في عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م.[٨٢]

---

77 Van Berchem, *Materiaux pour un corpus*, v. 25, pp. 59,73,74.

78 المقريزى، السلوك، جـ١ ق٢، ص٥١٩.

79 المقريزى، السلوك، جـ١ ق٢، ص٦١٢.

80 المقصـود بشـعار السلطة أنواع الملابس والأدوات والترتيبات التى كان السلطان يظهر بها في المواكب الحفلة، مثل موكب السلطنة وموكب الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل وموكب صلاة العيدين ونحوها. المقريزى، السلوك، جـ١ ق٢، ص٤٤٣ هامش ١.

81 القلقشـندى، صـبح الأعشى، جـ٤، ص٥٢، ٥٤، جـ١١، ص٤٢٦؛ السخاوى، التبر المسبوك، ص٢٠٨؛ المقريزى، السـلوك، جـ١ ق٢، ص٥٧٠؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٨ – ١٠٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧٢؛ ماجد، نظم سلاطين المماليك، جـ٢، ص٦٥.

82 المقريزى، السلوك، جـ١ ق٣، ص٧٤٥.

ونقـرأ فـي المصادر المملوكية أيضاً في أحداث عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م أن السلطان الناصـر فرج خلع على الأمير مبارك شاه الحاجب بنيابة الوجه القبلي ورسم له أن يحكم من جزيرة القط إلى أسوان ويولى من يختار ويعزل من الولاة من يختار.[٨٣]

ويشير ابن إياس في أحداث عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م "خلع السلطان على الأمير نوروز وركـبا فرسا خاصاً بسرج وكنفوش ذهب وطلع الأمير جكم وهو خائف، ولم يطلع قنباى ولا قـرقماش، وجهـز إلـيهما خلعتان على أن يكون قنباى نائباً بحماة، وقرقماش حاجباً بدمشق، ونزل جكم بغير خلعة".[٨٤]

وفـى عـام ٨٠٨هــ/ ١٤٠٥م خلع السلطان برقوق على الأمير ألطنبغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، فلبس التشريف وباشر العمل من الغد.[٨٥]

ويخـبرنا ابن إياس أيضاً في أحداث عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨ بأن السلطان جقمق خلع على الأمير يشبك المشد حاجب الحجاب، وقد حضر التجريدة وهو مريض ثم عوفى.[٨٦]

ويشـير السخاوى في حوادث عام ٨٥٠هـ/ ١٤٠٢م بأنه خلع السلطان جقمق على جانبك اليشبكى بكامليه بسمور طوش عند استقراره حاجبا وشاد دواوين بالإضافة إلى ولايته، وقـيد له فـرس بسرج ذهب وكنبوش زركش،[٨٧] ولعله من الصعوبة بمكان، بل من المتعذر تمامـاً تحديد الأجزاء التى كانت تتألف منها الخلعة، فهذه الكلمة لا تعنى بالضرورة الملابس فقط ولكنها تعنى أشياء أخرى، قد تكون فرسا كامل القماش، وإن كان أميزها الملابس،[٨٨] التى تـتألف مـن فوقـانى من الأطلس الاحمر[٨٩] الرومى من آسيا الصغرى وتحته أطلس أصفر رومي وعلى الفوقانى طراز زركش ذهب وتحته سنجاب[٩٠] وله سجف من ظاهره مع الغشاء

---

83 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٣، ص١٠٠٣..

84 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٥١.

85 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٤٧، العينى، السيف المهد، ص٢٤٧.

86 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٩٦.

87 السخاوى، التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الأميرية ١٨٩٦م، ص١٤٧ – ١٤٨.

88 القلقشـندى، صـبح الأعشـى، جـ٤، ص٥٢ – ٥٤، جـ١١، ص٤٢٦، المقريزى، السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٧٠؛ زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص٩٧، ١٦٣، ٢١١؛ النويرى، حوادث ٧١١هـ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧٢؛ مـاجد، نظـم دولة المماليك، جـ٢، ص٦٥؛ ماير (ل.م)، الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتى، مراجعة عبد الرحمن فهمى، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٠٣.

89 يقال حرير أطلس، يعنى حريرية، خيوط ستان اى حرير ناعم جداً، عن هذه الكلمة انظر Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, I, Leiden,1881 ,p. 281.

90 السـنجاب، حيوان أكبر من الفأر وشعره في غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسه المتنعمون وهو شديد الحيل، إذا أبصـر الاشعة صعد الشجرة العالية وفيها يأوى ومنها يأكل ويوجد كثير في بلاد الصقالبة والترك وهو سريع الحركة عن الإنسـان، وأحسن جلوده الأزرق الأملس. الدميرى، حياة الحيوان الكبرى، ط٢، ١٣١٣هـ/١٨٩٥؛ ومن ذيله فروة نفيسة كانـت تسـتعمل لتزين الملابس كالقماقم، المقريزى، السلوك، جـ٢ ق١، ص٩٨؛ Dozy, *Supplement*, I, p.634؛ ماير، الملابس المملوكية، ١٠٥.

قـــندس،[٩١] وكلوته زركش بذهب وكلاليب ذهب وشاش لانس[٩٢] رفيع موصول به، في طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان، مع نقوش باهرة من الحرير الملون، مع منطقة ذهب، ثم تخـتلف أحــوال المــنطقة بحســب مقاديرهم، فأعلاها ما عمل بين عمدها[٩٣] بواكير وسطا ومرصعة بالبلخش والزمرد واللؤلؤ، ثم ما كان ببيكارية[٩٤] واحدة من غير ترصيع.[٩٥]

ودون هــذه الرتبة في الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه، وقد يكون من نــوع لونـــه تفاوت بينهما، وتحت سنجاب بقندس إلا أن الحياصة والشاش لا يكونان بطراف رقم، بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب والحياصة لا تكون ببيكارية.[٩٦]

بالإضـــافة إلى ذلك كان أمراء المئين (الحجاب) يمنحون تشاريف أخرى في أوقات خاصة تكون عبارة عن أقبية من الحرير والكنجي أو نحوه.[٩٧]

وكان من عادة السلطان أن يعد لكل عيد خلعة على أنها لمبلوسه من نسبة خلع أكابر المئين، ولكنه لم يلبسها، وإنما كان يختص بها بعض أمراء المئين يخلعها عليه.[٩٨]

أمـــا عن الإنعامات التى كان يمنحها السلطان، فقد كانت تتفاوت بحسب مزية المنعم عليه عند السلطان وقربه منه.[٩٩]

وكـــان لخاصـــة أمراء المئين، ومنهم الحجاب بطبيعة الحال، أنواع من الإنعامات: كالعقـــارات الضـــخمة الـــتى ربمـــا أنفق على بعضها فوق مائة ألف دينار وكساوى القماش المنوع، وكان السلطان إذا خرج إلى الصيد أنعم على أكابر أمراء المئين سنا وقدرا كل واحد

---

91 القـــندس، وقـــندز، نـــوع مـــن الجـــرو الأوربـــى يســـتخدم جلده، انظر ماير، الملابس المملوكية، ص٤٧، هامش ٤؛ Dozy, *Supplement*, p. 410

92 عن هذه الكلمة انظر Dozy, *Supplement*, p. 551.

93 أسماء دروع، ربما قد تكون مبطلة، عن هذه الكلمة انظر Dozy, *Supplement*, p.542.

94 ببيكاية، جمعها بواكير وهى قطع معدنية هندسية مرصعة بالزمرد واللؤلؤ، انظر Dozy, *Supplement*, p.136.

95 القلقشـــندى، صـــبح الأعشـــى جـــ٤، ص٥٢ – ٥٣؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٢٧٧ – ٢٧٨؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١٠٥؛ ودون هذه الرتبة في الخلع نوع يسمى طردوحش يعمل بدار الطراز بالإسكندرية والقاهرة ودمشق وهو مجـــوخ جاخـــات مزين بأشرطة مكتوبة بالقاب السلطان، يفصل بين هذه الجاخات نقوش، وطراز من القصب، وعليه فرو سنجاب وقندس، وتحت القباء الطرد وحش قباء من المفرج الإسكندرانى الطرح، وكلوته زركش بكلاليب وشاش، وحياصة ذهـــب، فتارة تكون ببيكارية، وتارة لا يكون بها بيكارية، انظر المقريزى، السلوك، جـــ١ ق٣، ص٧٨٨، هامش٢، ماير، الملابس المملوكية، ص١٠٦.

96 ماير، الملابس المملوكية، ص ١٠٦ – ١٠٧.

97 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٥٢ – ٥٣.

98 العمـــرى، مسالك الأبصار، جـ١، ص٥٥، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، جـــ١ ص٢٥٥؛ وكان السلطان يخلع على أكابـــر الأمراء في الميادين خلعة من المفرج المذهب، كما كان أمراء المئين ينالهم حظ كبير من الكسوة، فكان السلطان إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض أمراء المئين، وكان يفرق في كل موكب ميدان على أميرين، بالـــنوبة، حتى يأتى على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع نوبته في ذلك، للقلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٦١؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٥، القلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٦٢، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٩.

99 القلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٦٢، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٦.

مــنهم بألف مثقال من الذهب، هذا وقد كان أمراء المئين يحظون بأكثر إنعامات السلطان من الخـيول، ذلـك أنه قد جرت عادة السلطان أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين كل سنة، أما المرة الأولى فعند خروجه إلى مرابط خيوله على القرط في أواخر ربيعها حين كان ينعم على الأخصاء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم، وكان خيول أمراء المئين منهم مســرجة ملجمة كنابيش من زركش، وأما المرة الثانية فكانت عند لعب الكرة بالميدان الكبير، وكانـت خـيول أمراء المئين في هذه المناسبة مثلها مثل خيول الطبلخانات – مسرجة ملجمة بفضــة يسيرة بلا كنابيش، وكانت لخاصة المقربين من أمراء المئين والطبلخانات زيادات في ذلك بحيث كان يصل بعضهم على مائة فرس في كل سنة.[١٠٠]

وكــان أمــراء المئيــن يحظون بأقرب الأماكن إلى السلطان عند جلوسه في بعض المناسبات مثل جلوسه على السماط بالأيوان الكبير.[١٠١]

أما بالنسبة لمن يعين حديثاً في منصب من المناصب وكان يحصل أحياناً على خلعة تســمى "خلعــة الاستقرار"[١٠٢] وإذا امتدت خدمة أحد الموظفين الرسمية أو ثبت في وظيفة ثم حامــت حوــله بعض الشكوك، ثم أريد استمراره مع ذلك في العمل فكان يحصل أحياناً على خلعــة تســمى "خلعة الاستمرار"[١٠٣] وعند وصول موظف كبير من أحد الأقاليم وجب تهنئته بســلامة الوصول بأن يخلع عليه "خلعة القدوم"[١٠٤] وعند استئذانه في الرحيل عن السلطان قبل ســفره وجب منحه "خلعة السفر"[١٠٥] وإذا استقبل السلطان أميرا في مجلسه بعد تغيبه لمرضه، كــان يمــنح ثوب التشريف يطلق عليه "خلعة العافية"[١٠٦] للدلالة على شفاء الأمير وفى حالة الصــفح عن أمير معزول وجب أن يمنح "خلعة الرضاء"[١٠٧] أو "خلعة الرضا"،[١٠٨] وكانت هذه الخلعــة تمــنح أحياناً دون أن يشغل صاحبها آية وظيفة.[١٠٩] وحتى الإقالة كانت تعتبر فرصة لتقديم خلعة يطلق عليها "خلعة العزل".[١١٠]

---

100 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٥٤؛ ضوء الصبح، ص٢٦١؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٦.

101 القلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٦٢؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٧.

102 السخاوى، التبر المسبوك، ص٣٨٤.

103 السخاوى، التبر المسبوك، ص٢١٥، ٣٨٩.

104 السخاوى، التبر المسبوك، ص٩٦.

105 زيترشين، تاريخ المماليك، صفحة ٩٨؛ المقريزى، السلوك، جـ٤ ق٢، ص٨٦٥؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١٠٩.

106 ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

107 السخاوى، التبر المسبوك، ص٤٥؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

108 السخاوى، التبر المسبوك، ص٣٧؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

109 الســخاوى، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، جـ٧، ص١٩٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢ ص١٦٢؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

110 ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

وكـــان رفض خلعة التشريف يعتبر إساءة خطيرة، إذ كان ذلك يعنى إعلان العصيان أو على الأقل المجاهرة بالعداء وعلى العكس من ذلك كان قبول خلعة التشريف علامة للتعبير عن الخضوع والولاء للسلطان.[١١١]

وكانـــت ثـــياب التشـــريف تصـــنع أصلاً في المصانع السلطانية، ولكن في العصر الجركســـى كانـــت تصنع خاصة وتباع في سوق الشرابشيين[١١٢] في القاهرة، وبمضى الوقت حـــرم بيعها في السوق الحرة، ووضعت تحت رقابة "ناظر الخاص"[١١٣] واصبح لا يمكن لأى شخص ابتياعها عدا السلطان نفسه، الذى كان يمكنه شراء تلك الثياب من السوق رأسا.[١١٤]

وأخـــيراً نستشـــف من المصادر أن المناطق أى الأحزمة كان ضمن خلع التشريف، حيـــث كـــان السلطان هو صاحب الحق الوحيد في منح المناطق إلى الأمراء كجزء من خلع التشريف.[١١٥]

أمـــا عـــن أزياء الحجاب فلم تمدنا المصادر المعاصرة بمعلومات مباشرة عن زى الحجاب ولكن يمكن للباحث أن يستشف بصورة غير مباشرة عن هذه المصادر ما كان يرتديه الحجـــاب، حيـــث كان الحجاب من أمراء المئين ومقدمى الألوف والطبلخاناة، ولذلك فإن ما تحدثـــت عـــنه المصادر المملوكية المعاصرة بشأن ملابس هؤلاء يمكن تطبيقها بالقياس على الحجاب.

أمدتـــنا المصادر التاريخية بوصف تفصيلى لزى أمراء المئين،[١١٦] الذى كان يختار مـــنهم الحجـــاب، وكان هذا الذى يتميز بالأناقة الباهرة حتى قال المقريزى عنهم "أنهم تأنقوا وتفاخـــروا فيه".[١١٧] فكانوا يلبسون فوق ثيابهم ثوبين متميزين: القباء[١١٨] "الفوقانى" أقصر من

---

111 ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠ – ١١١.

112 الشرابشـــيين، لفظ فارسى من كلمة شربوش ومعناه غطاء للرأس وهى معربة عامية بمعنى طربوش، محمد التونجى، المعجم الذهبى، بيروت، ١٩٦٩، ص٣٤١، والشرابشيين مفردها شربوش وهو شىء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الـــرأس بغـــير عمامـــة، المقريزى، الخطط ، جـــ٣، ص١٦٠، وفى دوزى قلنسوة يرتديها الأمراء بغير عمامة، وقد بطل اســـتخدامها في الدولة الجراكسية، انظر محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية في مصر المملوكية، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٥٢، القاهرة ١٩٩٩م، ص٩٧. وايضاً Dozy, *Dictionnaire*, pp. 220 223

113 ناظر وجمعه نظار، وهم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين الذين شاركوا الوزير في تصريف أعماله، وناظر الخاص ينظر في خاص أموال السلطان. انظر سعيد عاشور، العصر المماليكى في مصر والشام، ط٢ ١٩٧٦م ص٤٨٠.

114 المقريزى، الخطط، جـــ٢ ص٩٩؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١١٣.

115 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤ ص٤؛ المقريزى، السلوك، جـــ١ ق٢، ص٧٤٥.

116 القلقشـــندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٥٢؛ المقريزى، الخطط، جـــ٣ ص٣٦٩؛ السيوطى، حسن المحاضرة، جـــ٢، ص١٤؛ ماجد نظم المماليك، جـــ٢، ص٥٢.

117 المقريزى، إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٤٠م، ص٦٩.

118 القباء جمع أقبية، ثوب يلبس فوق الثياب سمى بذلك لإجتماع أطرافه. انظر العمرى، مسالك الأبصار، ص٣٤؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٤٠؛ Dozy, *Supplément* , I, p. 352.

"التحـــتانى" ويكـــون طوله وأكمامه أقصر بلا تفاوت كبير عرف فيما بعد بالسلارى،[119] نسبة إلـــى الأمـــير سلار نائب السلطنة، الذى أوجده، وكان قبل ذلك عبارة عن بغلطاق[120] يزدان بـــاللؤلؤ والجواهـــر، والقباء التحتانى من قماش أملس أطلس ايضاً، لونه اصفر، محلى بشعر سنجاب ومبطن داخله وأطراد بسجف[121] بفرو قندس.

وفـــى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٨هـــ/ ١٢٩٨م شرع الأمراء في ارتـــداء "أقبية قصيرة الأكمام" فوق القباء، ولكن أكمامها أكثر اتساعاً من أكمام القباء التحتانى الضيقة.[122]

ويخـــبرنا العينى في أحداث عام ٦٩٣هـــ/١٢٩٣م أن الحاجب جمال الدين الموصلى حين مات كانت عليه أقبية أطلس وكلوتات زركش.[123]

ومـــن المحـــتمل أن يكـــون هذا القباء كان مطابقاً تماماً للقباء السلارى الذى أدخله الأمير سلار[124] نائب سلطنة الناصر محمد بن قلاوون لأن القباء "السلارى" أو السلارية كان يطـــابق معطفا عرف من قبل "بالبغلطاق"، هذا وقد ورد وصف الأردية الفوقانية ذات الأكمام الضـــيقة وانـــه كـــان يلبس تحت البغلطاق الفرجية وكان من المألوف وقبل أيام سلار توزيع الأرديـــة "البغلطاق" كمنح وهدايا،[125] ثم اصبح من المألوف عمل "السلارى" من ألوان مختلفة ومـــن خامـــات متنوعة، مثل القطن البعلبكى، من فراء السنجاب الرمادى، ومن الأطلس ذى الخـــيوط المعدنية، وكان يحلى أحياناً بزخارف فخمة وأحياناً آخر تنثر عليه اللآلىء والأحجار الكـــريمة،[126] وكانـــت التخفيفة مع السلارى يعتبران من الأزياء المملوكية الصميمة، أما في

---

119 وصف القباء السلارى بأنه قصير الطول والكم، المقريزى، الخطط، جـــ٣، ص١٦٠ وايضاً Dozy, *Supplément*, I, p. 678.

120 بغلطـــاق، جمعهـــا بغالطيق أو بغالطق وهي لفظة فارسية تعنى قباء له كم قصير من قماش بعلبك. العمرى، مسالك الأبصار، ص٣٤؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٤٤، هامش ٥.

121 انظر Dozy, *Supplément*, I, p.43.

122 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٤٠؛ المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٢٠٧.

123 العينى، عقد الجمان، في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٩٠، جـــ٣، ص٢٢٥.

124 المقريزى، السلوك، جـــ٢ ق١، ص٩٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـــ٢، ص١٧٩ - ١٨٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص١٥٥؛ محمد عبد العزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة ١٩٦٠م، ص٣٨؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، جـــ١، ص١٢٨.

125 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٤٠، المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٢١٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١، ص ١٥٥؛ مايـــر، الملابـــس المملوكية، ص٤٤؛ Dozy,R., *Noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, pp. 81- 82, 84; Quatremére,M., *Histoire des sultans mamlouks, de l'Égypt*, Paris, 1845, pp. 70-71.

126 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص٣٥١؛ ماجد، نظم المماليك، جـــ٢، ص٧٥.

عصـــر المماليك الجراكسة، فقد شاعت الملوطة وهى عبارة عن عباءة عارية، كانت خاصة بأمراء المئين وكان يلبس فوقانى غير مزرور له ياقة معها "تخفيفة صغيرة".[١٢٧]

وفـــى فصـــل الشـــتاء وبخاصـــة في الأيام الممطرة، كان الأمراء يرتدون عباءات مصـــنوعة من خامة خشنة لها وبر يطلق عليه اسم "جوقة" ولكن في ايام المماليك الجراكسة تغيرت الأمور تغيراً عظيماً واصبح يرتديها عامة الناس.[١٢٨]

وفـــى الشـــتاء أيضاً كانت تصنع الملابس من الصوف الملون أو من الحرير غالى الثمـــن، وكانت تبطن بالفراء، وجرت العادة أن يستعمل الأمراء فراء السمور[١٢٩] والوشق[١٣٠] والقماقم[١٣١] والفنك أى السنار والسنجاب والرمادى والقندس.[١٣٢]

وفـــى فصل الصيف كانت جميع الملابس "الفوقانية" بيضاء وتصنع من قماش رخو يطلق عليه اسم "نصافى" أو ما يماثله من أقمشة أخرى.[١٣٣]

أمـــا مناطق الأمراء أى أحزمتهم التى عرفت أيضاً باسم الحياصة[١٣٤] فكانت تصنع من معدن ثمين أفخمها ما كان من الفضة المطلية بالذهب وصنعت أحياناً من الذهب الخالص

---

127 مـــن المعـــروف أن الملوطة صارت أيضاً رداء لغير العسكريين، ابن إياس، بدائع الزهور، جــ٣، ص٣٠٥، ٣٠٧، ٣٥١؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٤٥.

128 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٩٨.

129 الســـمور، بفـــتح السين والميم المشّددة المضمومة وهو حيوان برى يشبه السنور وزعم بعض الناس أنه النمس، وهو حـــيوان جـــرىء ليس في الحيوانات أجرأ منه على الإنسان، لا يؤخذ إلا بالحيل ولحمه حار والترك يأكلونه وجلده لا يدبغ كسائر الجلود. الدميرى، حياة الحيوان، ص٢٨؛ ويتخذ منه نفيس الفراء التى يلبسها الملوك وأكابر الأعيان لحسنها ودفائها، ولحســـنه مـــا كان منه شديد النعومة مائلاً إلى السواد. القلقشندى، صبح الأعشى، جــ٢، ص٤٩؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص١٠١ هامش ١١٤ .

130 الوشق، نوع من فراء الذئاب. الدميرى، حياة الحيوان، جــ٢، ص٣٢٤.محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص١٠١.

131 القماقم، حيوان يشبه السنجاب إلا أنه أبرد منه مزاجاً وأرطب ولهذا هو أبيض ويشبه جلده جلد الفنك وهو أعز قيمة من الســـنجاب، تؤخـــذ منه الفراء التى تستعمل في الزينة عند الأغنياء كسلاطين المماليك وأمرائهم وأشباههم من الأثرياء في القاهـــرة في العصور الوسطى. الدميرى، حياة الحيوان، جــ٢، ص١٩٧؛ المقريزى، السلوك، جــ٢ ق١، ص٩٨؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص١٠١.

132 القلقشندى، صبح الأعشى، جــ٤، ص٤٠؛ المقريزى، الخطط، جــ٢، ص٢١٧، السخاوى، التبر المسبوك، ص٣٤٦.

133 القلقشندى، صبح الأعشى، جــ٤، ص٤٠؛ ابن إياس بدائع الزهور، جــ٤، ص٢٥٩، ٢٦٢.

134 المقريزى، الخطط، جــ٢، ص٩٩؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جــ٤، ص٤٠؛ والحياصة، المنطقة بكسر الميم. وهى ما يشد في الوسط وهى من الآلات القديمة فقد روى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه كان له منطقة، ولم يستخدم الحياصة الملوك، وإنما يلبسها الملك للأمراء عند إلباسهم الخلع والتشاريف وتختلف بحسب درجة الأمير، فمنها ما يكون من ذهب مرصع بالفصوص ومنها ما ليس كذلك. القلقشندى، صبح الأعشى، جــ٢ ص١٣٤؛ وكان السلطان إذا ركب للعـــب الكـــرة وزع حوائص من ذهب على بعض الأمراء، القلقشندى، صبح الأعشى، جــ٤، ص٥٥؛ والحياصة سير في الحزام، والحياصة سير طويل يُشد به حزام الدابة، ابن منظور، لسان العرب، جــ٧، ص٢٨٥؛ والحوائص مفردها حياصة ويقصد بها الحزام الذى يوضع حول الوسط ويكون مرصعاً بالأحجار الكريمة انظر Dozy, *Dictionnaire*,pp.145-146-147 أيضاً العمرى، مسالك الأبصار، ص٣٥ هامش١؛ ماجد، نظم المماليك، جــ٢، ص٣٤، ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٧ هامش ٤ وكان لها سوق اسمه الحوائصيين وهى المناطق، انظر الخطط جــ٣، ص١٦٦.

المرصـــع[١٣٥] بحجـــر اليشم وكان من المألوف أن ترصع بالأحجار الكريمة،[١٣٦] ومن ثم كان للمناطق أو الحوائص قيمة عظيمة الشأن.[١٣٧]

ففـــي عـــام ٧٢٠هـــــ/ ١٣٢٠م ارتدى الأمير ألُماس الحاجب أطلساً كاملاً بكلوته زركش وحياصة ذهب بمناسبة نزوله مع نائب السلطنة بمصر الأمير سيف الدين أرغون.[١٣٨]

وفـــي عام ٧٣٢هــ/ ١٣٣١م أرتدى الأمير سيف الدين ألُماس الحاجب أطلس تمام بحياصة مجوهرة بمناسبة زواج ابن السلطان الناصر محمد.[١٣٩]

وجـــرت العادة أن يشد السيف علي القباء من الجانب الأيسر، أما الصولق[١٤٠] والكذلـــك،[١٤١] فكان يشدان إلى الجانب الأيمن، ويفهم من المصادر المملوكية أن الصولق الذى كان يرتديه الأمراء، كان مصنوعا من الجلد البلغارى الأسود، وكان أحياناً كبير الحجم بقدر يتسع لأكثر من نصف ويبة من الغلال ومفروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع.[١٤٢]

أما فيما يتعلق بأغطية الرأس فنلاحظ أن الشربوش كانت له المكانة الأولى، إذ يعتبر بصـــفة خاصـــة الطابع المميز لطبقة الأمير، وقد وصف المقريزى الشربوش بأنه "مثل شيء يشبه التاج" ويبدو كما لو كان مثلث الشكل يوضع على الرأس بغير عمامة (أى لا يلف حوله مـــنديل) وتشـــير المصـــادر التاريخية إلى أن لبس الشربوش قد وجد في عصر الأيوبين أو الممالـــيك البحرية، على حين يؤكد المقريزى أن لبس الشربوش قد أبطل في عصر المماليك الجراكسة.[١٤٣]

135 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٤٠؛ ماجد، نظم المماليك، جـــ٢، ص٧٦.

136 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٤٠؛ المقريزى، السلوك، جـــ١ ق٣، ص٧٢٦.

137 المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٩٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١، ص١٧٣؛ وفي خلال عصر المماليك البحرية، أى في أيام المنصور قلاوون كان الأمراء يرتدون حوائص تساوى الواحد منها ٣٠٠ دينار، ويعتبر السلطان الناصر محمد بن قـــلاوون أول مـــن أدخل الحوائص الذهبية من أجل الأمراء. وظل استخدام المناطق شائعا في عصر خلفائه وأيام السلطان الناصر فرج، كما كان بعضها يرصع بالأحجار الكريمة، ويبدو أن الحوائص كانت أكثر قطع الملابس رواجا، وكان الأمراء يحرصـــون علـــى ارتـــداء الحوائص المرصعة بالأحجار الكريمة. القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٤٠؛ المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٩٩، ص١٧٧، ٢١٦.

138 ابن إيبك، كنز الدرر، جـــ٩، ص٢٩٨.

139 ابن إيبك، كنز الدرر، جـــ٩، ص٣٦٠.

140 الصـــولق، حقيبة من الجلد، مفرد صوالق - ربما لوضع المال وغيره. العمرى، مسالك الأبصار، ص٣٥ هامش ٢؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤ ص٤٤؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٤٠ هامش ٤؛ Dozy, *Supplément*, I, p.848

141 الكذلك، خنجر، القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٤٤؛ Dozy, *Supplément* ,II, p.463.

142 القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٤، ص٤٠؛ المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٩٨.

143 المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٩٩؛ السلوك، جـــ١ ق٢، ص٤٩٣؛ هامش ١ ص٢٥١ هامش ١، ص٥٠١.

وإلى جانب الشربوش كانت هناك الكلوتة وهى أخف من الشربوش العادى ولكنها لا تقل عنه مكانة من الناحية الرسمية[144] وأضحت الكلوتة رمزا لأمراء المئين، وكان السلطان يرتدى كلوته صفراء وهى خاصة أيضا بالأمراء وباقى العسكريين، يحيط بحافتها شريط وبند يطلق عليه اسم "تضريب" وأبازيم تطلق عليها اسم كلاليب وتلبس دون عمامة.[145]

وفى عصر المماليك البحرية كانت الكلوتة صغيرة الحجم، وتصنع عادة من الصوف الملطى يحيط بحافتها شريط عريض، وظلت لفترة قصيرة يلف حولها منديل صغير.[146] وواصل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، ما قام به أبوه من إصلاح فى الزى فغير لباس الرأس الذى كان يصنع أحياناً من خامة صوفية خشنة وأصدر أمره إلى أمرائه بالظهور بين مماليكهم بالكلوتة المطرزة زركش أو حسب ما أورده القلقشندى، بكلوتة حمراء والعمائم من فوقها.[147]

وقد وجد نوع آخر من لباس الرأس وهو "الطاقية" وجمعها "طواقى" وكانت تشبه "الكوفية" التى كان يلبسها أصلا الصبيان والبنات ثم لبسها الرجال والنساء. وفى عهد سلاطين المماليك الجراكسة لبسها الأمراء من جميع الطبقات وكانت تصنع عادة من ألوان مختلفة، وكان ارتفاعها يبلغ سدس ذراع تقريباً، وقمتها مدورة ومسطحة، وفى عصر السلطان فرج بن برقوق عرف نوع من الطواقى التى أطلقت عليها المصادر التاريخية اسم الطواقى الجراكسة، وحدث تغير بسيط في الجزء العلوى فيها فصنع غالباً على هيئة قبة صغيرة، كثر فيها الحشو بمادة الورق وزينت بفراء القندس بعرض ثمن ذراع تقريباً.[148]

أما عن لباس القدم فقد اشتمل غالباً على حذاء برقبة طويلة يطلق عليه اسم "خف"،[149] وكان المألوف صنع خف الشتاء من جلد أصفر اللون يطلق عليه اسم "أديم"[150]

---

144 العمرى، مسالك الأبصار، ص٣٤ هامش ٦، والكلوتة جمعها كلوتات، وهى غطاء للرأس يلبس وحده أو بعمامة؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٣٩؛ السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص١١٠، ١١١؛ والكلوتة كلمة فارسية انظر Dozy, *Supplément* , II, p.484 ويقال أيضاً الكلاوت مفردها كولاه أو كلاه أو كلا لنظر زيترشتين، تاريخ المماليك، ص٢١١؛ المقريزى، السلوك، جـ١ ق٢، ص٤٩٣، جـ٢ ق١، ص٨٠ هامش ١؛ ماير، الملابس المملوكية، ص

145 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٦، ص٣٩؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٩٨، ٢١٧.

146 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٦؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٢١٧.

147 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٤٠؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٩٨-٩٩.

148 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٠٤.

149 حذاء برقبة طويلة، العمرى، مسالك الأبصار، ص٣٤، هامش ٨؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٦٣ هامش ٥.

150 أدَمَ أدما أصلح وألفَ والصانعُ الجلد، أصلحه بنزع الزائد من أدمته الأديم: الجلد وأديمُ كل شيء: ظاهر إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، طبعة ١٩٧٢م، جـ١ ص١٠؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ١١٤.

مستورد من الطائف، أو من جلد أسود مستورد من بلغاريا؛ وكانت الأخفاف ذات الرقاب تلبس أيضاً في فصل الصيف، وكانت تزود أحياناً بأربطة؛ وكان يرتبط بالخف مهاميز[١٢٥] مكفتة بالفضة أو الذهب، إلا أن هذا كان سارياً فقط في عصر المماليك البحرية، أما في أواخر عصر المماليك الجراكسة فقد غدا من المستحيل التمادى في مثل هذا البذخ[١٢٦] وكان من المعتاد ارتداء حذاء فوق الخف يطلق عليه اسم "سقمان".[١٢٧]

إقطاعات ورواتب الحجاب:

أنتقل النظام الإقطاعي كاملاً عن السلاجقة إلى الدولة الأتابكية، فالدولة الأيوبية ثم إلى دولة المماليك، وهى الدولة الإقطاعية الكبرى؛ ويعتبر عصر سلاطين المماليك العصر الذى اكتملت فيه النظم الإقطاعية آنذاك، فقد نشأ المماليك في ظل هذا النظام زمن الأيوبيين وأقاموا دولتهم الكبرى على أنقاض سادتهم من الأيوبيين، واعتبرت الأرض ملكاً للسلطان وجنوده، وكانت القاعدة العامة في التوزيع الإقطاعى، وحدة القيراط إذا كان خراج مصر يقسم إلى أربعة وعشرين قيراط يوزع أجزاؤها على القرى توزيعا متناسبا مع طاقتها، وفى عصر المماليك، اختص السلطان بأربعة قراريط "للكلف والرواتب وغيرها" على حين أن عشرة قراريط للأمراء والاطلاقات أى المنح والزيادات، أما العشر الباقية فهى للتوزيع بين الأجناد.[١٢٨]

وكان الإقطاع بالنسبة للحجاب، دليلاً واضحاً على قدر منازلهم وقوة نفوذهم، وقد كانت الإقطاعات بلادلوأراضى يستغلها مقطعها ويتصرف فيها كيفما يشاء. على أن الإقطاعات لم تقتصر على مختلف أنواع الأراضى بل تعدتها إلى جميع موارد الدولة، من خراج الأراضى، والجزية وزكاة المواشى والمعادن والعشر وغير ذلك من المكوس على اختلاف أصنافها، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهاتها ويختلف باختلاف حال أربابها، ويفهم من المصادر التاريخية أن السلطان أحياناً كان ينعم بإقطاع الحاجب على حاجب آخر ويسمى هذا إقطاع النقل، ومن ذلك ما حدث في عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م عند قدوم الأمير تنكز نائب الشام إلى القاهرة ومعه بعض مماليكه والأمير بدر الدين بن مسعود الخطير أحد حجاب

---

125 المهاميز مفردها مهماز، والمهماز آلة من حديد تكون في رجل الفارس فوق كعبه وفوق الخف، ومؤخرة اصبع محدب الرأس إذا أصاب جانب الفرس تحركت واسرعت في المشى، وهي من الذهب أو الفضة وأحياناً حديد مطلى بالذهب أو الفضة. للقلقشندى، صبح الأعشى، جـ٢، ص١٣٦؛ العمرى، مسالك الأبصار، ص٣٤ هامش٧؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٩٧-٩٨، ٢١٧؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٦٤، هاشم١؛ ماجد، نظم المماليك، جـ٢، ص٩٨، محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ٩٧.

126 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٤١؛ ماجد، نظم المماليك، جـ٢، ص٩٨.

127 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٩٨؛ عن هذه الكلمة انظر، Dozy, Supplément, I, p.73.

128 إبراهيم طرخان، النظم الاقطاعية، ص٣٠،٢٣، ٦٣-٦٤.

دمشق، فشكا منه وسأل أن يكون حاجبا صغيراً رفيقاً للأمير ألماس الحاجب وأنعم بإقطاعه على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير.[١٢٩]

وكثيراً ما كان يأخذ الحاجب موجود بعض الأمراء ومن ذلك ما حدث عام ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦م فقد أخلع على الأمير سودون الشيخونى واستقر حاجب الحجاب، وأنعم عليه بجميع موجود الأمير مبارك شاه، وفى عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م أخلع على الأمير سودون الشيخونى للمرة الثانية وقرر حاجب حجاب، وأنعم عليه بإقطاع الأمير تغرى برمش.[١٣٠]

وفى عام ٨٠٧هـ/١٤٠٤م قبض على الأمير جركسي الحاجب، وانعم بموجوده على الأمير قرا يوسف، وفى نفس العام تنكر جكم على الأمير تنكربغا حاجب طرابلس وأخذ موجوده ثم قتل.[١٣١] وهذا يدل على أن الحجاب نالوا الإقطاعات مثلهم في ذلك مثل موظفى دولة المماليك.

وجرت العادة أن يقوم السلطان بتوزيع براءات الإقطاع، سواء أكانت أمثلة[١٣٢] أم مناشير،[١٣٣] إنما الغالب توزيع الأمثلة وهى أولى وثائق الإقطاع، وربما كان ذلك لسهولة تغيير ما يحتمل حدوثه من تغير في الإقطاع، إذا شكا المقطع أو تظلم أو بدا لولى الأمر بما يستدعى ذلك، وربما اقتصر السلطان على توزيع مثالات الأمراء المقدمين، والعادة أن توزع براءات الإقطاع على أيدى النواب أو ينتدبهم السلطان لهذا الأمر، وسواء أكان التوزيع في مصر أم خارجها فإنه يتم في موكب حافل، ففى مصر يعقد هذا الحفل بالقلعة، ويعرف بيوم العرض، أو مجلس العرض.[١٣٤]

وفى ختام الحديث عن إقطاع الحجاب لا يفوتنا أن نتحدث عن الراتب الذى كان يتمتع به الحاجب، وقد عرض بعض المؤرخين المحدثين للدخل الذى تمتع به المملوك منذ شرائه وحتى ارتقائه المناصب العليا بالدولة، وترقيته إلى الرتب العليا بالدولة "أعنى الحجابة" وما في مستواها نقلاً عن القلقشندى والمقريزى، فمثلاً كان مرتب كل منهم كما يلى:

	الحد الأدنى	الحد الأقصى	
مقدم الحلقة	٢٥٠	١,٥٠٠	دينار

129 المقريزى، السلوك، جـ٢ ق١، ص٢٨١.

130 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٩٠، ٣٠٢.

131 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧١٢.

132 الأمثلة، انظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٦٣، ص٦٥، ٩٦، ١٩١.

133 منشور وجمعه مناشير، وهى في الأصل كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات لا تحتاج إلى ختم كالمكاتبات الخاصة بالولاية ومنح الإقطاعات انظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ١٣، ص١٥٨؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى ص٤٧٧.

134 المقريزى، السلوك، جـ١ ق٣، ص٨٤٤، ٨٤٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٩٣ - ٩٥، جـ١٠ هامش ٤؛ على إبراهيم حسن، الجيش والبحرية في عصر المماليك، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٦.

أمير عشرة (الحاجب الثالث وسبعة حجاب)	٧,٠٠٠	٩,٠٠٠	دينار
أمير أربعين طبلخاناة (الحاجب الثانى)	٢٣,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	دينار
أمير مائة مقدم ألف (حاجب الحجاب)	٨٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	دينار

كل هذا بخلاف ما كان مقرراً لكل منهم من اللحم والتوابل والعليق والزيت والكسوة والشمع لكل منهم على قدر منازلهم.[١٣٥]

أما عن النفقة التى كان يقوم بمنحها السلطان للحجاب عند السفر، فتشير المصادر المملوكية المعاصرة في حوادث عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أن السلطان منح الحاجب أيدكار مبلغ ألف وأربعمائة دينار ذهب وستين ألف درهم فضة.[١٣٦]

وفيما يتعلق بالنفقة التى أرسلها السلطان للأمراء في عام ٨٩٣هـ/١٣٩٠م فقد وصفها ابن إياس بقوله "بعث السلطان نفقات الأمراء المقدمين والعشرات فبلغت النفقة على الأمراء خاصة دون الجند مائة ألف دينار وثلاثة آلاف دينار، وكان الأمراء المعينون للتجريدة أحد عشر أميرا مقدم ألف ومنهم تانى بك الجمالى حاجب الحجاب، ثم نفق على الجند فأعطى لكل مملوك مائة دينار وجامكية أربعة شهور ثمانية آلاف درهم وثمن جمل سبعة أشرفية، فكانت جملة النفقة على الأمراء والجند نحوا من ألف ألف دينار حتى عُد ذلك من النوادر، ولم يُسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الدول الماضية أن أحداً من السلاطين فعل مثل

---

135 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٥٠؛ المقريزى، الخطط، جـ٢ ص٣٥٠ – ٣٥١؛ على إبراهيم دراسات في تاريخ المماليك، ص٣٤٦؛ محمود نديم، أحمد فهمى، الفن الحربى للجيش المصرى في العصر المملوكى البحرى، القاهرة، كلية الآداب ١٩٧٣م، ص٤٠؛ جمال جرجس، القضاء، ص١٤٥؛ Ayalon, D., *Studies on the Structure of Mamluks Army*, XVI, I, pp. 37-38, 257-296.

136 ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص١٨٧؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢٥٩.

ذلـــك، فكانت نفقة الأتابكى أزبك وحده ثلاثين ألف دينار، وكانت عادة نفقة الأتابكية إلى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ولم يسمع بأوسع من هذه النفقة قط، فكان كما يقال:

تهب الألوف ولا تهاب ألوفها . . هان العدوّ لديك والدينار[137]

وفيما يتعلق بالنفقة التى منحها السلطان للحجاب عند خروجهم للتجريدات العسكرية، فيـــبدو أنها قد تقلصت عما مضى، فنقرأ في المصادر في حوادث عام ٩٢٢هــ/ ١٥١٦م ما نصه "أرسل السلطان نفقة الأمراء المقدمين، فأرسل إلى الأمير أنصباى حاجب الحجاب أربعة آلاف ديـــنار" ويتعجـــب ابن إياس من ذلك بقوله:"وأين هذه النفقة من النفقة التى كان يرسلها الأشرف قايتباى للأمراء المقدمين عند خروجهم على تجاريد ابن عثمان، فكان يرسل للأتابكى أزبك عشرين ألف دينار وأمير مجلس مثل ذلك وبقية الأمراء أرباب الوظائف لكل واحد منهم خمســة عشـــر ألف دينار وبقية الأمراء المقدمين لكل واحد منهم عشرة آلاف دينار حتى عُد ذلـــك مـــن النوادر الغريبة ولم يفعل الأشرف قايتباى ذلك إلا في آخر تجاريد ابن عثمان عام ٨٩٥هــ/ ١٤٨٩م فبلغت نفقة الأمراء قاطبة دون الجند مائة ألف دينار وكسور."[138]

وأحياناً كان السلطان يفرق على الأمراء التقادم الآتى من مشايخ العربان مثلما حدث فـــي عام ٩١٨هـــ/ ١٥١٢م فقد فرق السلطان الغورى على الأمراء التقادم التى حصل عليها، فـــأعطى الأتابكى سودون العجمى ثلاثمائة دينار وفرسين وخمسين رأس غنم وخمس بقرات، وأعطـــى الأمـــير أركماس أمير مجلس مائتى دينار وفرس وأربعين رأس غنم وأربع بقرات، وأعطـــى الأمير أنصباى حاجب الحجاب مثل ذلك، ثم خلع على الأمراء المقدمين من أرباب الوظائف كاملة مخملة أحمر بسمور، وألبس بقية الأمراء المقدمين كوامل صوف بسمور قبل صعوده إلى القلعة.[139]

وقـــد يبدو لنا من خلال هذا العرض أن الدخل الذى كان يدره الحجاب في حد ذاته دخـــلاً جيداً، ومع ذلك فقد كان نهمهم وطمعهم في المزيد من العائد المادى من أبرز الدوافع التى دفعتهم إلى ظلم الرعية وإلى المزيد من الرشوة.

ويخبرنا المقريزى في خططه بقوله: "وصار الحاجب اليوم اسماً لجماعة من الأمراء ينتصـــبون للحكم بين الناس لا لغرض إلا لتضمين أبوابهم بمال مقرر كل يوم على رأس نوبة النقباء، وفيهم غير واحد ليس لهم آمرة الإقطاع وإنما يرتزقون من مظالم العباد".[140]

ويوضـــح لنا أيضاً فى كتابه السلوك الأساليب التى اتبعها الحجاب فى ابتزاز أموال العامـــة بقوله: "وأما الحجاب فإنهم وأعوانهم قد انتصبوا لأخذ الأموال بغير حق من كل شاك

---

137 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص٢٥١ – ٢٥٢.

138 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٥، ص٣، ٢٩.

139 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٤، ص٢٩٤.

140 المقريزى، الخطط، جـــ٣ طبعة بولاق، ص٦٠.

إلـــيهم ومشكو عليه من أحد من الحجاب إلا وفي بابه رجل يقال له رأس نوبة، يضمن له في كـــل يـــوم قدراً معلوماً من المال يقوم له به ومن هذا المال المضمون يقيم أوده، فيسقط رأس نوبـــة على النقباء الذين تحت يده ما ضمنه للحاجب وما لابد له من صرفه على عياله ومؤن فرســـه وأجـــرة سائسها، وما أعتاده الحجاب من المحرمات التى لا يتركونها ما وجدوا إليها ســـبيلاً، ومـــا يرصـــده ويدخره عنده عدة له في وقت مكروه ينزل به في عزله أو مصادرة الحاجب له أو غير ذلك من العوارض، فيتناول من كل واحد من النقباء شيئاً مقرراً عليه عند مضـــيه فـــي طلـــب غريم يقال له الإطلاق، فإذا حضر الغريم فتح عليه رأس نوبة أبوابا من أنواع مكرهم الذى تفقهوا فيه، فيحتاج إلى بذل المال له ولدوادار الحاجب وللحاجب بحسب ما يقتضيه رأيهم، فربما بلغ الغرم في الشكوى الآلاف من الدراهم، فأنهم يسلسلون قضايا ظلمهم حـــتى يستمر المشكو في الترسيم الأيام والأشهر وجميع ما يتحصل للحجاب من هذه الوجوه فإنهم يصرفونه فيما لا تجيزه أمة من الأمم من أنواع قبائح المحرمات ولا يكلفون حمل شيء منه إلى السلطان".[١٤١]

ونلاحـــظ أن الـــنص الـــذى ذكره المقريزى لا يحتاج إلى آية إضافة أو تعليق فمن الواضح أن المشكو البائس المغلوب على أمره عليه أن يدفع للنقيب الذى يحضره لرأس النوبة ولـــدوا دار الحاجـــب وللحاجب نفسه، أى أن هذا الجيش الجرار من الأعوان يعيش على ظلم من يوقعه حظه وبؤس قدره بين أيديهم من عامة الشعب المطحون.[١٤٢]

وقـــد كانت هذه التكاليف ترهق عامة الشعب، ونظراً للشكاوى الكثيرة المتلاحقة فإن المراســـيم والأوامـــر كانـــت تصـــدر بهدف الحد من استبداد الحجاب بعامة الشعب، فيحدثنا المقريـــزى بقو له "نـــودى فـــي الناس من قطع طيبغا الحاجب خبزه وقت العصر فليحضر ويأخذه".[١٤٣]

أمـــا ابن حجر العسقلانى فيخبرنا أنه في عام ٨٨٣هــ/ ١٤٧٨م بأنه "أمر السلطان القضاة والحجاب وغيرهم أن لا يحبسوا أحدا على دين واستمر ذلك على شوال منها".[١٤٤]

أمـــا ابـــن إياس فيذكر في حوادث عام ٨٩١هــ/ ١٤٨٦م "رسم السلطان على لسان القاضـــى كاتب السر ابن مزهر بأن يجمع رؤس النوب والنقباء الذين بأبواب الأحكام، ويكتب علـــيهم قسائم بأنهم لا يأخذون من الأخصام إذا طلبوا من أبوابهم أكثر من نصفين فضة لكل نقيب حسبما رسم السلطان بذلك، فجمعهم وكتب عليهم قسائم بذلك، فأقام هذا الأمر مدة يسيرة

---

141 المقريزى، السلوك، جـــ٤ ق١، ص٣٩٠، ٣٩٢.

142 اسـماعيل عبد المنعم قاسم، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الارستقراطية المملوكية في مصر زمن سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير- جامعة عين شمس، كلية الآداب ١٩٨٨غير منشورة، ص٢٠٩.

143 المقريزى، السلوك، جـــ٣ ق١، ص١٣٩.

144 ابن حجر، أبناء الغمر، جـــ٣، ص٤٣٩.

ثم عادوا لما كانوا عليه".[145] وقيل: لا شيء أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب، وإذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم، وإذا عظم الحجاب هجمت على الظلم. ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم:

سأهجركم حتى يلين حجابكم . . على أنه لابدّ سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهر إنها . . وإن لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر:

أمرت بالتسهيل في الإذن لى . . ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن ترانى بعدها عائدا . . ولن تراه بعدها مستأذنا[146]

ولعل هذه الصورة التى أوضح الباحث معالمها تبين مدى التدهور الذى آلت إليه وظيفة الحجابة زمن سلاطين المماليك، بعد أن أقبل الحجاب وأعوانهم على أخذ الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل واستغلالهم أبشع إستغلال ومدى ما عاناه الشعب من جراء حكم الحجاب.

اختصاصات الحجاب

أولا : الحجاب والقضاء :

اتسعت سلطة الحجاب في العصر المملوكى وأزداد نطاقها، ويبدو أن اتساع سلطة الحجاب زمن سلاطين المماليك كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بغير حساب على هذه الوظيفة، فقد حدثتنا المصادر المعاصرة بأن عمل الحجاب في هذه الفترة لم يقتصر على استئذان السلطان للمقابلة بل شمل إدخال الناس على السلطان وهو جالس في قصره بالقلعة، ولم تقتصر مهمته على ذلك فحسب، بل شملت مهام أخرى كثيرة، فقد كانت حاجب الحجاب بمثابة قاض كبير له أعمال، وكان عمله في بادىء أمره الفصل في الخصومات المدينة وفى جميع ضروب النزاع الذى يقع بين الجنود والمماليك والأمراء إما بنفسه أو بعد استشارة السلطان أو النائب، فينصف ضعيفهم من قويهم، والحكم بين الأمراء في المسائل الديوانية وأمور الإقطاعات، وإليه تقديم ما يرد وما يعرض على السلطان، وعرض الجند وما ناسب ذلك، وكان الحاجب يقف أحياناً بين يدى السلطان في المواكب ليبلغه رغبات رعيته ومطالبهم، كما كان يركب أمامه وهو يعمل عصا في يده وينظر في المظالم، إلا أنه يمكن القول بأن نفوذ الحاجب حتى الآن لم تتعد نطاق القضاء الحربى، إذ أن حاجب الحجاب كان بمثابة رئيس للمحكمة الإدارية في الجيش، وكان السلطان يستشيره في الحالات الخطيرة

---

145 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٨.
146 الأبشيهى، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت ١٩٨٣، جـ١ ص٢٠٩ – ٢١٠.

الشـــأن، وقـــد يعقـــد مجلسه بحضور الأمراء وكاتب الجيش وناظر الجيش ويكون نظره في مخاصمات المماليك ومشاكلهم التى بينهم وبين الديوان.[١٤٧]

وكـــان مـــن ضـــمن اختصاصات الحاجب أحياناً الحكم بين الأجناد والكتاب وأعيان التجار.[١٤٨]

أما فيما يتعلق بالقضاء المدنى أو الشرعى فنقرأ في المصادر المملوكية بأنه لم يكن للحاجـب حـق النظر في الأمور الشرعية كالفصل في الخصومات التى تقع بين الزوجين أو الحكم في قضايا الديوان، حيث كان ذلك من أدق اختصاصات قضاة الشرع.[١٤٩]

ومن الجدير بالذكر أن أحكام الحجاب لم تكن مقتبسة من أحكام الدين الإسلامى، بل كان يمزج فيها بين رأيه الشخصى وبين بعض القوانين السابقة المرعية عند أمم غير إسلامية مثل التتار القدامى.[١٥٠]

ويشـــير المقريـــزى إلـــى أن الحاجب كان يحكم بين المغول الذين استوطنوا مصر حسب قوانين الياسة أو اليسق[١٥١] فيذكر بقوله: "كانت أحكام الحجاب أولاً يقال لها حكم الياسة وهى لفظة شيطانية لا يعرف أكثر أهل زماننا اليوم أصلها ويتساهلون في التلفظ بها ويقولون في هذا الأمر مما لا يمشى في الأحكام الشرعية وإنما هو من حكم الياسة".[١٥٢]

---

[147] المقريـــزى، الخطـــط، جـــ٣، ص٣٧٩؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك دراسة عن الرشوة للقاهرة ١٩٧٩م، ص٥٦.

[148] المقريزى، السلوك، جـــ٣ ق١، ص٣٣٠؛ أحمد عبد الرازق، شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٢م، ص٢٨-٢٩.

[149] المقريزى، الخطط، جـــ٣، ص٦٠.

[150] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٤٧م، جـــ١، ص٥٤.

[151] ويروى المقريزى عن الياسة أن جنكيز خان القائم بدولة التتر في الشرق قد قرر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب أسماه (ياســـة) ونقشه في صفائح من الفولاذ وجعله شريعة لقومه فألتزموه بعده، وكان جنكيز خان لا يتدين بشىء من أديان أهل الأرض فصارت الياسة حكما يتباقى في أعقابه، وجملة ما شرعه جنكيز خان أنه من زنى قتل ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن، ومن لاط قتل ومن بال في الماء أو على الرماد قتل، ومن تعمد الكذب أو السحر أو تجسس على أحد أو دخل بين أثنين يتخاصمان فأعان أحدهما على الأخر قتل، ومن وجد عبدا هاربا أو أسيرا قد هرب ولم يرده على ما كان في يده قتل، ومـــن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل، وإن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه إلى أن يموت ثم يؤكل لحمه، وإن من ذبح حيوان كذبيحة المسلمين ذبح إلى غير ذلك من الأحكام". Irwin-Robert, *The Middle East in the Middle Ages the Early Mamluk Sultans 1250-1382*, London, 1986, pp. 52-53.
Poliak. A. N, *Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and Lebanon*, 1250-1900, London, 1939, pp. 14-15.

[152] المقريزى، الخطط، جـــ٣، ص٦٣ وعن الياسة انظر Ayalon, D, "The Great Yâssa of Chiñgiz Khân", SI, XXXVI, 1972. Hassanein Rabie, *The Financial System of Egypt A.H.564-741/A.D.1169-1941* London, 1972, p.61.

وقــد حرف أهل مصر كلمة ياسة إلى سياسة ثم أدخلوا عليها الألف واللام فصارت (السياسة) وأصبح يقصد بها كل الأحكام التى لا تدخل في نطاق الشرع.

أمــا عــن السبب الذى من أجله عهد للحجاب أن يحكموا بأحكام الياسة بين المغول الذيــن استوطنوا مصر، هو أنه بعد واقعة عين جالوت الشهيرة وهزيمة التتار أسر منهم خلقاً كثــيراً صاروا بمصر والشام، ثم كثر الوافدون منهم في أيام السلطان الظاهر بيبرس وملأوا مصــر والشــام، وخطب للملك يوشى بن جنكيز خان على منابر مصر فغصت أرض مصر والشــام بطوائف المغول وانتشرت عاداتهم وطرائقهم بها، ويشير المقريزى عن ملوك مصر وأمــرائها وعساكرها في دولة المماليك ما نصه: "قد ملئت قلوبهم رعباً من جنكيز خان وبنيه وامتزج بدمهم ولحمهم مهابتهم وتعظيمهم، وكانوا إنما دبوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن فجمعوا بيــن الحــق والباطل وضموا الجيد إلى الردىء" ولعل المقريزى قد أراد بذلك أن يمهد لبداية العمــل بأحكــام الياسة في مصر فنجده يعود ويخبرنا بأنهم "أى ملوك مصر فوضوا لقاضى القضـــاة كــل مـــا يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج. وناطوا به أمر الأوقــاف والايـــتام وجعلوا إليه النظر في القضايا الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون ونحــو ذلــك واحتاجوا في ذلك لأنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكيز خان والاقتداء بحكم الياسة ولذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم فيما اختلفوا من عوايديهم والأخذ على يد قويهم وإنصاف الضعيف منهم على مقتضى ما في الياسة".[153]

وكما أشار الباحث من قبل أن وظيفة الحجابة قد تعاظمت عقب إلغاء الناصر محمد بــن قلاوون وظيفة نائب السلطنة عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، وتؤيد الأحداث هذا الرأى، ويمكن تصـــور فداحة ذلك الحدث من سلطات الحاجب واختصاصاته التى زادت بصورة لم تعهد من قــبل، فأصــبح مجلــس نظره ينظر في كل جليل وحقير، بل أصبح يغير على أعمال القضاة العاديـــة، وأتــيح له أن يــتدخل في أدق اختصاصات القاضى وينظر في خصومات المدنيين فضــلاً عــن خصومات المماليك، التى كانت من اختصاصاته، وبذلك بدأ نفوذ الحاجب يمتد تدريجــياً مـــن القضـــاء الحـــربى إلى القضاء المدنى، وأصبح يتدخل في أدق الاختصاصات القضـــائية ويذكـــر بعض المؤرخين أن ابتداء حكم الحجاب بين الناس بمصـــر كان في عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م أثناء سلطنة الكامل شعبان حين عين الأمير سيف الدين بيغرا أمير حاجب

---

[153] المقريزى، الخطط، جـ٣، ص٦٣.

Poliak, *Feudalism in Egypt*, pp. 14-15.

كبــير يحكـــم بين الناس.[154] كما كان نائب السلطنة يحكم، فكان يجلس بين يديه موقعان من موقعي السلطان لمكاتبة الولاة بالأعمال ونحوهم، ثم عين السلطان الأمير رسلان بصل حاجبا ثالــثاً مـــع بيغرا يحكم بالقاهرة، ولم تكن العادة قد جرت من قبل أن يحكم الحجاب بين الناس غــير أمـــير حاجب كبيراً أو حاجب الحجاب، ولم تلبث أن انكمشت سلطة الحاجب إلى العادة القديمة في سلطنة المظفر حاجي بن الناصر حسين استقر سيف الدين أرقطاى نائب السلطنة، ولكـــن حيـــن تولـــى الأمـــير سيف الدين جرجى الحجابة في سلطنة الملك الصالح صالح بن قلاوون رسم له أن يتحدث في أرباب الديوان ويفصلهم عن عزمائهم بأحكام السياسية،[155] ولم تكـــن عـــادة الحجـــاب فيما تقدم أن يحكموا في الأمور الشرعية، وكان سبب ذلك تظلم تجار العجـــم للسلطان الصالح صالح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧٥٣هـــ/ ١٣٥٢م مـــنُ تلاعـــب التجار بالقاهرة بالأحكام الشرعية، مما أدى إلى عدم دفع أثمان بضائعهم بحجة الإعسار والإفلاس، فأمر السلطان الأمير جرجى أمير حاجب بإرغام التجار على تسديد أثمان البضـــائع الـــتى اشـــتروها مـــن تجار العجم دون الالتجاء إلى القضاء الشرعي، ومنع قضاة الشريعة من الفصل في أمر التجار والمدنيين، ومنذ ذلك الوقت تمكن الحجاب من التحكم على الناس بما شاءوا.[156]

ومـــنذ هـــذه اللحظة حدث تطور خطير في النظام القضائى في مصر زمن سلاطين المماليـــك، واصبح الحاجب يحكم في الأمور الشرعية التى كانت من شأن القضاة فيما مضى، أى أن الأمـــراء المماليـــك أربـــاب السيوف تدخلوا في القضايا والأحكام الشرعية التى كانت مقصـــورة علـــى القضاة، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل القضاء بإضافة عنصر جديد على

---

154 المعروف نقلاً عن المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٢١٩، أن وظيفة الحجوبية الكبرى – حاجب الحجاب – اقتصرت فيما سلف من تاريخ الدولة المملوكية على " النظر في مخاصمات الأجناد واختلافهم في أمور الاقطاعات، ونحو ذلك غير أنه لم يكـــن عجـــبا أن تؤدى أحوال ذلك العصر إلى امتداد هذه الوظيفة أو غيرها من الوظائف إلى غير ما اختصت به، لأسباب تنافســـية شخصية مثلما حدث حين عين السلطان شعبان صديقه الأمير بيغرا حاجباً كبيراً، وجعل له الحكم بين الناس، كما جعل له سلطة مكاتبة الولاة في مختلف الأعمال والأقاليم، وهذا فيما يبدو فضلاً عن قديم لختصاص الحجوبية الكبرى، حتى صـــارت هـــذه الوظيفة تلى نيابة السلطنة. انظر أيضاً السلوك، جـــ٢ ق٣ ص٦٨٤ هامش ٤ *The Encyclopaedia of Islam*, vol, 3 p.4.

155 المقصود بأحكام السياسية هنا السلطة القضائية الممنوحة في دولة سلاطين المماليك لمتولى الحجوبية الكبرى والحجاب عامـــة للحكم في قضايا المماليك والأمراء، حسب قانون مستقل عن حدود الشريعة الإسلامية، وأصل هذا النوع من القضاء المملوكى هو الشريعة المغولية – أى الياسة التى ترجع إلى ايام جنكيز خان كما ذكرنا سابقاً المقريزى، السلوك، جـــ٢ ق٣ هـــامش١؛ الخطط، جـــ٢، ص٢١٩؛ Poliak, *Feudalism in Egypt, Syria, Palestine*, and Lebanon, 1250-1900, London, 1939, pp.14-15; *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, p.48.

156 المقريـــزى، الخطط، جـــ٢، ص٢١٩-٢٢٠؛ السلوك، جـــ٢ ق٣، ص٨٦٣-٨٦٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـــ١٠، ص١٢٢؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٠٧-٢٠٨.

أربـــاب الشـــرع وهـــو طائفة الحجاب التى أخذت تتدخل في الأحكام الشرعية وتزاحم قضاة الشرع فيها.

تلك هى الطفرة التى حدثت في حياة الحجاب، والنكسة التى حدثت في حياة القضاة، وقـــد شكل هذا الحدث ظاهرة خلال دولة المماليك وما أوجدته من صراعات وحزازات فيما بين القضاء والأمراء.[١٥٧]

والجديـــر بالملاحظة هو أن القضاء لم يكن يطلق عليه شرعياً إلا نادراً لأنه لم يكن فـــي البلاد قضاء غير شرعى، فلم تكن هناك حاجة إلى تمييزه، غير أن القضاة كان يقال لهم أحياناً قضاة شرع، لما لكلمة شرعى في بعض المواقف والأحيان من تأثير ومعنى خاص.[١٥٨]

وإذا كـــان الأمـــر قد بدأ بالسماح للحجاب بالفصل في اختصاصات القضاة، فقد زاد الأمـــر بزيادة عدد الحجاب وما يعنيه ذلك من زيادة التدخل، فيشير المقريزى في حوادث عام ٧٧٩هـــ/ ١٣٧٧م خلع على الأمير سودون الشيخونى والأمير بلوط الصرغتمشى واستقرا حاجبين كباراً يحكمان بين الناس.[١٥٩] وفى نفس العام خلع السلطان المنصور على بن الأشرف شـــعبان على الأمير خليل بن عرام واستقر حاجب الحجاب، وعلى الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر واستقر حاجباً ثانياً.[١٦٠]

ونقرأ في كتاب السلوك أيضاً في حوادث عام ٧٨٤هـــ/ ١٣٨٢م ما يلى:"وخلع على الأمـــير مـــنكلى الطـــرخانى فزيد حاجب رابع وخلع على الأمير جلبان العلائى فكان حاجباً خامساً، ولم يعهد قبل ذلك خمسة حجاب في الدولة التركية"،[١٦١] بل إن ابن قاضى شهبة يشير أن عدد الحجاب قد وصل إلى ثمانية.[١٦٢]

وإذا كـــان الحجـــاب قـــد تصدوا للفصل في قضايا الديوان وهذا من صميم الأعمال الشرعية، فإن المقريزى يروى لنا لوناً جديداً من التدخل أيضاً في أخص الأمور الشرعية ألا وهو الفصل في قضايا الزندقة والكفر والإلحاد، فقد اتهم شخص بأمور توجب الكفر، وهذا من صـــميم اختصـــاص قضاة الشرع، وهكذا، فيجد الباحث أن الحجاب قد استحوذوا على الفصل فـــى القضـــايا الدينـــية الشـــرعية بفروعها المختلفة، فإذا كانوا قد اختصوا بالنظر في قضايا الديوان، وذلك فى عام ٧٥٣هـــ/ ١٣٥٢م، فإنهم فى عام ٧٩١هـــ/ ١٣٨٨م نظروا فى قضايا الإلحاد والزندقة.[١٦٣]

---

157 جمال جرجس، القضاء في العصر المملوكى، ص١٤٦.

158 محمود رزق، عصر سلاطين المماليك، جـــ١، ص٥٣.

159 المقريزى، السلوك، جـــ٣ ق١، ص٣٠٤.

160 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص٢٠٥.

161 المقريزى، السلوك، جـــ٣ ق٢، ص٤٨٠.

162 ابن قاضى شهبة، الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، ص١٥٩.

163 المقريزى، السلوك، جـــ٣ ق٢، ص٦٣٦-٦٣٧.

وفـــى نفس العام أى ٧٩١هــ/ ١٣٨٨م ذكر المقريزى أن "الأمير الكبير حكم بحقن دم رجل وإطلاقه فأفرج عنه ولم يعهد قط أن أحداً من أمراء الترك ولا ملوكهم حكم فى شيء مـــن الأمور التى من عادة القضاة الحكم فيها".[١٦٤] والمقريزى هنا لا يخفى دهشته وعجبه من هذا الحدث.

ويجول بخلد الباحث سؤال: هل كان تدخل الحجاب في الفصل في القضايا الشرعية عمـــلاً اقتضـــته المصلحة العامة؟ للإجابة عن هذا التساؤل يجب دراسة سيرة الحجاب ومدى اســـتغلالهم لمـــثل هذه الامتيازات القضائية، والدور الذى أسهموا فيه بالنسبة للقضاء، وكذلك أعمالهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم بالقضاة.

ويخـــبرنا المقريزى بالحالة قبل أن ينظر الحجاب في الأحكام الشرعية، والحالة بعد ذلـــك ومـــدى استغلالهم للنفوذ القضائى الذى تيسر لهم بمقتضى هذه الامتيازات، فيقول " هذا وستر الحياة يومئذ مسدول وظل العدل صاف وجناب الشريعة محترم وناموس الحشمة مهاب فلا يكاد أحد يزيغ عن الحق ولا يخرج عن قضية الحياء إن لم يكن له وازع من دين كان له نـــاه مـــن عقـــل ثم تقلص ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وكشر الجور أنيابه وقلت المبالاة وذهـــب الحـــياء والحشمة من الناس، حتى فعل من شاء ما شاء وتعنت منذ عهد المحن التى كانـــت في عام ٨٠٦هــ/ ١٤٠٣م الحجاب وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكماً خفى معه نور الهدى وتسلطوا على الناس مقتا من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون".[١٦٥]

ولعل أول بادرة تطالعنا بها كتب التاريخ المملوكى المعاصرة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الحجاب قاموا بدور الوسيط الذى يقرب وجهات النظر فيما بين السلاطين والطالبين للرشـــا بـــل وقـــد مـــارس الحجاب أنفسهم أخذ أموال الناس بغير حق وأصبح نظرهم مجالاً للرشـــوة، فتســـلطوا على المتقاضين،[١٦٦] حتى أصبحت وظيفة الحجابة تعرف برذالة الحاجب وسفالته، وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله.[١٦٧]

والملاحـــظ دائماً أن تزايد سلطة الحجاب كانت تتناسب عكسياً واحترامهم ومهابتهم للقضـــاء، فـــيذكر المقريـــزى مـــا نصه: "ولقد عهدنا دائماً أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهـــم يفرّ من باب الحاجب ويصير إلى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحـــد بعـــد ذلـــك فى أخذه من باب القاضى، وكان فيهم من يقيم الأشهر والأعوام فى ترسيم القاضـــى حمايـــة له من أيدى الحجاب، ثم تغير ما هنالك وصار الحاجب اليوم يحكم فى كل

---

164 المقريزى، السلوك، جــ٣ ق٢، ص٦٣٧.

165 المقريزى، الخطط، جــ٢، ص٢٢١.

166 إسماعيل عبد المنعم، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية ص٢٠٩.

167 المقريزى، الخطط، جــ٢، ص٢٢٠.

جليل وحقير من الناس سواء كان الحكم شرعياً أو سياسياً، وإن تعرض قاض من قضاة الشرع لأخذ غريم من باب الحاجب لم يمكن من ذلك، ونقيب الحاجب اليوم مع رذالة الحاجب وسفالته وتظاهره من المنكر بما لم يمكن يعهد مثله، فإنه يأخذ الغريم من باب القاضى ويتحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار فلا ينكر ذلك أحد البته".[168]

وقد أراد المقريزى بهذا النص أن يسوق لنا مثالاً بالغ الأهمية لما كانت عليه مكانة الحجاب في عصره، ومكانة القضاة طوال العصور، وما أصبحت عليه في عهده، فهو يحكى لنا عن مظاهر الاحترام والتبجيل التى حظى بها القضاة والقضاء، وليس أدل على ذلك من أن من خاف على نفسه من ظلم أو قهر أو جور ولجأ إلى منزل أحد القضاة أمن على نفسه وروحه لأنه يصبح في حماية الشرع.

ومثلما أخذ الحجاب حق الفصل في القضايا الشرعية، وتسلطوا على المتقاضين، فإن الأمر انعكس كذلك بالنسبة لمكانة القضاة واحترامهم، فقد ضاعت هذه المكانة، واختفى ذلك الاحترام، واخذ الحجاب يطاردون المستجيرين، بل وذهبوا يعتدون على منازل القضاة، واستشرى خطرهم على أبعد من ذلك فكانوا يعزلونهم.

وقد سجل لنا المقريزى في عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩ أى بعد ثلاثين عاما من بداية السماح للحجاب بالفصل بين أصحاب الدعاوى الشرعية واقعة تدعم بالتأكيد ما يرمى إليه الباحث فيذكر ما نصه: وأما السكندرى فإن رجلا احتمى به خوفا من بطش الأمير مأمور الحاجب، كما جرت العادة بأن من خاف جور من يعتدى عليه يركن إلى قاض من القضاة، فيصير في حماة الشرع النبوى ما أقام، ولا يجسر أحد على أخذه من ذلك القاضى، احتراماً له وتعظيماً لحرمة الدين، فشكى الأمير مأمور ذلك إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم بعزله وطلب الرجل المحتمى بالقاضى، وضربه ضرباً مبرحاً بالمقارع، هو وولده، وشهرهما بالقاهرة، ونودى عليها: هذا جزاء من يتجاهى على الحاجب. فكان هذا أيضاً من الحوادث التى لم تعهد، واتضع بها جانب القضاة، وانبسطت أيدى الحجاب في الأحكام بما تهوى أنفسهم وزين لهم شيطانهم بغير علم ولا دين يردعهم.[169]

وأحياناً كانت سلطة القضاة تسير مع سلطة الحجاب جانباً إلى جانب، فيشير الصيرفى في حوادث عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م ما نصه: "اجتمع قضاة القضاة وحاجب الحجاب بالمدرسة الصالحية بين القصرين وأحضروا الأمير الطنبغا دوادار جنتمر وقد اجتمع من الخلق عدد كبير وأدعى عليه قاضى القضاة المالكى ما يوجب إراقة دمه فضربت عنقه".[170]

---

168 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٢١٩ – ٢٢٠.

169 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٣٦٠-٣٦١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٤٥.

170 ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٣٢٩.

لـم يكن تسلط الحجاب ونفوذهم القضائى بخافيا عن القضاة، ولم يخف كبار القضاة التصــريح بانــتقاد تصــرفات الحجــاب؛ وقــد كانت المشكلة الحقيقية فيما بينهم هى تقسيم الاختصاصات، وعادة كان يلجأ المتخاصم إلى القاضى رمز القوة والنفوذ فلمن تكون الغلبة؟!. لعل في رواية ابن حجر العسقلانى الإجابة الشافية لهذه التساؤلات، إذ يخبرنا في حوادث عام ٨٢٣هــ/ ١٤٢٠م أن "القاضى الحنفى لجأ إليه أحد الأشخاص يشكو له غريمه ولجأ خصمه إلــى الحاجــب الكبير، فلما أرسل القاضى الحنفى إلى الحاجب الكبير يطلب من عنده غريمه، فضرب الحاجب الرسول".[١٧١]

وفــى الحقيقة إن السماح للحجاب بالحكم في الأمور الشرعية وتمسكهم بهذا الحق لم يكن راجعاً على تضلعهم الدينى أو لتدينهم أو لنصرة الحق إذ أن مؤرخى تلك الحقبة يؤكدون ذلــك فيشير المقريزى بقوله: "أنهم يحكمون بغير علم ولا دين"[١٧٢] والكارثة الكبرى أنهم كانوا يحكمــون إسمياً وفقاً للمذاهب الأربعة وهم أبعد الناس عن الفقة وأجهلهم بالدين ولعل خير ما يدلــل على قصورهم الفقهى وجهلهم المطبق بالشريعة الإسلامية، ما رواه ابن حجر في عام ٨٣٦هــ/ ١٤٣٢م فقــد اتهم أحد الفقهاء وسيق إلى المحاكمة أمام الأمير قرقماش الشعبانى الحاجــب وعــرف بالموضــوع أحــد أصدقاء الفقيه، فذهب إلى الأمير الذى بادره بقوله ما حاجــتك؟ قــال: هذا الفقيه الواقف تحت مقعدك ادفعه من غريمه إلى قاضى من قضاة الشرع فقال: أو لست أنا احكم بالشرع؟ فقال لا! لأنك لا تعرفه فأستعظم ذلك القول فقال له: "شخص وجب عليه قطع يده اليمنى فلما أريد قطعها أخرج يسراه من كمه الأيمن فقطعت، فما حكم الله فــي ذلــك؛ أيسقط قطع يمناه أم لا؟ وماذا يجب في قطع يسراه؛ فبهت قليلاً قرقماش قليلاً ثم قال: خذ صاحبك وأمضى" فقال سلام عليك، وأخذ صاحبه ومضى".[١٧٣]

ورغم قصور بعض الحجاب الفقهى، وجهلهم بالعلوم الشرعية، إلا أنهم لم يتراجعوا أو يتورعوا فى الحكم فيها.

وممــا يــدل على تدخل الحجاب في اختصاصات القضاة بصورة سافرة والحكم في بعــض القضــايا المــتعلقة بزنا الرجل بالمرأة ما يرويه ابن إياس في حوادث عام ٩١٩هــ/ ١٥١٣م أن شخصــاً من نواب الحنفية يدعى غرس الدين خليل كانت له زوجة حسناء فاجها شــخص من نواب الشافعية يدعى نور الدين على المشالى، وأثناء صعود الرجل للمرأة شاهده شــميس ابن أخت القاضي نور الدين الدمياطى وكان يهوى هذه المرأة وهى تتمنع عليه، مما أدى بــه إلــى أن توجه إلى الإمام الليث واعلم خليل زوج المرأة، فقبض عليها هى والرجل، وذهــب إلــى دار حاجــب الحجاب ومثلوا بين يديه، فأمر الحاجب بضرب الرجل والمرأة،

---

171 ابن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٩٤م، جــ٣، ص٢١٩.

172 المقريزى، الخطط، جــ٢، ص ٢١٩ وما بعدها.

173 ابن حجر، إنباء الغمر، جــ٣، ص٥٠٢؛ جمال جرجس، القضاء، ص١٥٨ – ١٥٩.

واشـــهرهما في القاهرة، وكان يوماً مهولاً؛ ثم رجعوا إلى بيت الحاجب فقرر على المرأة مائة دينار لحاجب الحجاب، ولما علم السلطان الغورى بحكاية المرأة أرسل لمثول القضاة الأربعة بين يديه ووبخهم بالكلام بقوله: "والله افتخرتم يا قضاة الشرع نُوابكم شئ يشرب الخمر وشئ يـــزنى وشـــئ يبيع الأوقاف، وفى ذلك تسميعة لقاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة" ثم طلب المحضر الذى كتبه القاضى شمس الدين برجمها فوافق السلطان، وأسفرت القضية على شـــنق الـــرجل والمـــرأة.[١٧٤] ولعل ذلك يؤدى بنا إلى التساؤل التالى ما هى الدوافع الحقيقية الكامـــنة وراء تشـــبث الحجـــاب بالســـلطات القضائية المخولة إليهم رغم جهلهم التام بالعلوم القضائية والشرعية؟ ولعل تفسير ذلك هون طمع الحجاب في الحصول على الأموال وأرزاق العباد والسيطرة على ثروات مصر وخيراتها.

الحُجاب والمراسم السلطانية:

لـــم تقتصـــر ســـلطات واختصاصات الحجاب على الشئون القضائية فحسب، سواء أكانـــت تدخـــل فى نطاق القضاء العسكرى أو نطاق القضاء المدنى أو الشرعى، بل تطرقت اختصاصـــاته إلى مجالات أبعد من ذلك بكثير، مثل استقبال السفراء والوفود الرسمية القادمة إلى مصر من النيابات والممالك الخارجية. وقد وصف لنا القلقشندى وصفاً شاملاً عن طريقة استقبال السفراء الذين يفدون إلى مصر في مهمات رسمية من قبل الملوك وعن كيفية إنزالهم فـــي دار الضـــيافة ومقامهم فيها، وكيف كانوا يمثلون بين يدى السلطان لعرض ما معهم من الكتـــب علـــيه بقوله: "ولقد جرت العادة أنه إذا وصل رسول من ملك من الملوك إلى أطراف مملكـــته، كاتب نائب تلك الجهة السلطان وعرفه بوفوده واستأذنه فى حضور الأشخاص إليه، فتـــبرز المراسيم السلطانية بحضوره، فإذا وقع الشعور بحضوره، فإن كان المرسل ذا مكانة عظيمة من الملوك خرج بعض أكابر الأمراء كالنائب وحاجب الحجاب ونحوهما للقائه وأنزل بقصور السلطان".[١٧٥]

وقـــد كان الحجاب أنفسهم بمثابة رسل وسفراء من قبل السلطان إلى الملوك والحكام فـــي الممالك الخارجية فيشير المقريزى في عام ٦٣٣هـــ/ ١٢٣٥م بقوله "سافر الأمير ناصر الجزرى الحاجب إلى اليمن من جهة عيذاب في الرسالة عن السلطان" ويحدثنا كذلك في نفس العام عن "توجه شجاع الدين بن الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولاً".[١٧٦]

وأحياناً كان الحاجب يكلف بأن يتم ذلك في سرية تامة فيحدثنا المقريزى أنه في عام ٦٨١هـــــ/ ١٢٨٢م "رسم السلطان لحاجبين باستقبال رسل الملك أحمد أغا سلطان بن هولاكو

---

[174] ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٢٣٠ وما بعدها.

[175] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص٥٨ – ٥٩؛ على إبراهيم حسن تاريخ المماليك، ص٢٠٩؛ *The Encyclopedia of Islam*, p.48.

[176] المقريزى، السلوك، جـ١ ق٢، ص٥٣٨؛ على إبراهيم، تاريخ المماليك ص٢٠٦.

وأمـــرهما بـــأن يبالغا في الاحتراز على الرسل وإخفائهم عن كل أحد، فاحترز عليهم حتى لم يشاهدهم أحد وسارا بهم في الليل حتى قدموا قلعة الجبل".[177]

وتطالعــنا أغلــب الكــتابات المملوكية المعاصرة بالعديد من المواقف التى قام فيها حاجــب الحجاب باستقبال أهم السفراء الوافدين إلى مصر فيشير الصيرفى في عام ٧٩٦هــ/ ١٣٩٣ بأنه "ركب السلطان للقاء غياث الدين أحمد بن أويس، فوصل إلى مطعم الطيور فجلس فيه حتى دنا ابن أويس، فلما رأى السلطان ترك عن جواده ومشى خطوات عديدة، فمشى إليه الأمــير بــتخاص حاجب الحجاب ومن حضر مع السلطان من الأمراء، وسلموا عليه وصار الأمير بتخاص يعلمه باسم كل أمير ووظيفته ومنزلته وهم يقبلون يده".[178]

ويشير ابن إياس في حوادث ٧٩٩هــ/ ١٣٩٦م بأنه "قدمت رسل ابن عثمان، متملك الــروم إلــى ســاحل بولاق، فخرج إليهم الحاجب بالخيول السلطانية حتى ركبوها على حين أنزلوا بدار أعدت لهم".[179]

وأحــياناً كان الحجاب يسافرون مع الرسل كما حدث في عام ٨٠٦هــ/ ١٤٠٣م فقد خلع على رسل تمرلنك وعين للسفر معهم منكلى بغا أحد الحجاب.[180]

ولعلــه مــن الواضــح تماماً أن الأمر يشبه إلى حد كبير طريقة استقبال السفارات والوفــود الرسمية، وان الحاجب كان بمثابة مندوبٍ عن السلطان لاستقبال الشخصيات المهمة التى تفد على مصر آنذاك.

بالإضــافة إلــى اختصاصات الحجاب السابقة كان من مهام الحجاب أيضاً الخروج لاستقبال زوجات السلاطين، ومن ذلك ما يرويه المقريزى في أحداث عام ٧٢٠هــ/ ١٣٢٠م حيــن خــرج الأمير أقبغا عبد الواحد وبعض الحجاب لاستقبال الخاتون دلنبية زوجة السلطان الناصــر محمد بن قلاوون، فركبت الخاتون في الحراقة[181] السلطانية الكبرى وركبت حاشيتها فــي الحــراريق الأخــرى واستقر ركابها عند ساحل مصر حيث حملت إلى القلعة في عجلة موشاة بالذهب والطنافس.[182]

إلــى جانــب هذه الاختصاصات كانت توجد بعض الأعمال والأشغال الثانوية التى يتولى الحاجب القيام بها إلى أجل مسمى فتطالعنا أغلب الكتابات المملوكية المعاصرة بأنه كان

---

177 المقريزى، السلوك، جــ١ ق٣، ص٧٠٧.

178 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ١، ص٣٧٥.

179 ابن إياس، بدائع الزهور، جــ١ ق٢، ص٤٨٨.

180 ابن إياس، بدائع الزهور، جــ١ ق٢، ص٦٨٦.

181 حراقة وجمعها حراريق: نوع من السفن الحربية استخدمت لحمل الأسلحة النار (كالنار الأغريقية)، وكان بها مرام تلقى مــنها النيران على العدو. واستخدم نوع منها في النيل أثناء الاستعراضات التى تقام في الحفلات العامة مثل الاحتفال بكسر الخليج، سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤٣٠؛ Quatremére, *Histoire des sultans mamlouks*, p.143.

182 المقريزى، السلوك، جــ٢ ق١، ص٢٠٤ – ٢٠٥.

يخـــتار الحاجب في كثير من الأوقات من قبل السلطان وينتدب لنيابة الغيبة في القاهرة، وذلك حيـــنما يكـــون السلطان مضطراً إلى مغادرة الديار المصرية، لأى سبب كان، وغالباً ما كان ينتاب في حكم القاهرة وينزل في بيت منجك اليوسفى،[١٨٣] بل وقد رسم لأحد الحجاب أن يقيم بداره في باب السلسلة أثناء نيابته للغيبة.[١٨٤]

وفـــى عام ٧٩٣هـــ/ ١٣٩٠م جاءت الأخبار بأن منطاش تزايد أمره فخرج السلطان بـــرقوق للقائـــه وترك بالقاهرة بعض الأمراء مثل قطلوبغا الصفوى حاجب الحجاب، والأمير بتخاص السودونى ومن الحجاب والأمراء العشراوات عشرين أميرا.[١٨٥]

ونقرأ في المصادر المعاصرة ايضاً أنه في عام ٨٠٢هـــ/ ١٣٩٩م استناب السلطان بالديـــار المصـــرية الأمـــير بيـــبرس ابن عمته وبعض الأمراء المقدمين منهم الأمير أقباى الطـــرنطاى حاجـــب الحجاب الذى نزل في بيت منجك اليوسفى، كما ترك الأمير مبارك شاه الظاهرى الحاجب وكاشف الجيزة.[١٨٦]

وفـــى عـــام ٨٠٤هـــ/ ١٤٠١م خرجت العساكر المصرية إلى عرب تروجة وترك الســـلطان فـــرج بـــن بـــرقوق بالقاهرة أميرين أحدهما بيبرس أتابك العساكر والأخر بشباى الحاجب الثانى وبعض الأمراء الصغار.[١٨٧]

ويشير ابن إياس في أحداث عام ٨٤٨هـــ/ ١٤٤٤م أن القاهرة تعرضت لفتنة كبرى ارتجـــت لها الأرض وذلك عندما جاء رسول من عند شاه رخ بن تمرلنك ومع هدايا للسلطان احتوت على كسوة للكعبة فأمر السلطان بإخفائها عن الأمراء وأرباب الدولة، فتسامع الأمراء بذلـــك، وتحركـــت طائفة من المماليك الجلبان ونهبوا الدار التى نزل بها الرسول هم والعوام، فلمـــا بلـــغ الســـلطان ذلك، رسم لحاجب الحجاب والوالى أن يدركوا رد النهب، وقام حاجب الحجاب بالقبض على جماعة من المماليك والعوام وهدأت الفتنة.[١٨٨]

وفـــى أثناء سفر السلطان فرج ترك بالقاهرة نائب الغيبة الأمير أرغون أمير آخور في باب السلسلة وفى القاهرة الأمير إينال الصصلانى الحاجب الثانى.[١٨٩]

---

183 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ٢، ص٤٨، ٣٤٠.

184 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جــ٩، ص١٠٢.

185 ابن إياس، بدائع الزهور، جــ١ ق٢، ص٤٤٦.

186 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ٢، ص٤٨.

187 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ٢، ص١٤٥.

188 ابن إياس، بدائع الزهور، جــ٢، ص٢٤٤-٢٤٥.

189 الصيرفى، نزهة النفوس، جــ٢، ص٢٦٤.

وقد امتدت أعمال الحجاب أيضاً إلى الخروج لاستقبال النواب ومن ذلك ما حدث عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م فقد وصل الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب فرسم السلطان برقوق للأمير سودون النائب والحجاب وأعيان السلطنة بالخروج لاستقباله.[189]

ومن مهام الحجاب أيضاً القيام بخدمة القضاة ففى عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م خلع على الشيخ الأمام الفقية جمال الدين يوسف بن القاضي شرف الدين الملطي واستقر قاضى القضاة الحنفية ونزل في خدمته كاتب السر بدر السراتى والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمربغا المنجكى حاجب ميسرة وغيرهم من الأكابر والأعيان.[190]

بالإضافة إلى اختصاصات الحجاب السابقة كان من مهام الحجاب أيضاً الخروج وراء المحمل، ففى عام ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م عُين كزل العجمى الحاجب بإمارة الحاج وجبى من الحاج مالاً كثيراً.[191]

وفى عام ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م أدير المحمل ولم يكن له بهجة بسبب انشغال الناس بسفر السلطان الأشرف برسباى، وقد أمر السلطان جماعة من الأمراء بالخروج وراءه منهم الأمير قرقماش الشعبانى حاجب الحجاب.[192]

وفى عام ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل برسباى البجاسى حاجب الحجاب.[193]

ويشير ابن إياس أيضاً في أحداث عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م إلى تعيين إينال الفقية الحاجب الثانى بالركب الأول للمحمل[194] ونقرأ في المصادر المملوكية المعاصرة أيضاً في حوادث عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م أن السلطان الغورى عين الأمير طومان باى حاجب ثان فى آمرة الحاج بالركب الأول وكان من أمراء الطبلخاناة.[195]

ويفهم من الصيرفى أن اختصاصات الحجاب امتدت إلى الصعود إلى القلعة مع جهاز أبناء الأمراء، ومن ذلك ما حدث عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م فقد صعد جهاز الست فاطمة بنت الأمير منجك إلى القلعة، وكان أمام الجهاز الأمير إيدكار ماشى الحاجب، واعتبر ذلك من الأيام المشهودة.[196]

---

[189] الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٣٢٢.
[190] الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٤٦١.
[191] ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٧٩.
[192] ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص٤٩١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٤٥.
[193] ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٤٩.
[194] ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٧٠.
[195] ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٣٠٩، ٣٦٠.
[196] الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٩٤.

بالإضـــافة إلـــى اختصاصــــات الحجاب السابقة كان من عادة الحجاب المشى وراء زوجات السلاطين والأمراء أثناء صعودهن ونزولهن من القلعة، ففى عام ٩٠٦هــ/ ١٥٠٠م صـــعدت خونـــد الخاصكية زوجة العادل طومان باى في محفة زركش وكان أمامها الرؤس والنوب والحجاب والخاصكية، وهم بالشاس والقماش بالإضافة إلى الوالى ونقيب الجيوش.[١٩٧]

مهام الحجاب العسكرية:

وقـــد امـــتدت أعمـــال الحجاب أيضاً إلى القيام بأعمال التعبئة العسكرية حيث كانوا يحـــثون الـــناس علـــى الجهاد في سبيل الله، ومن ذلك ما يرويه ابن إياس في أحداث في عام ٨٠٣هــــ/ ١٤٠٠م حيث ركب شيخ الإسلام وقضاة القضاة، والأمير أقباى حاجب الحجاب، والأمير مبارك شاه الحاجب ونودى بالقاهرة "بالجهاد في سبيل الله، لعدوكم الأكبر تمرلنك فإنه أخذ البلاد ووصل إلى حلب، وقتل الأطفال على صدور الأمهات، وأسر العباد، وأخرب الدور والمســـاجد والجوامـــع وجعلها إسطبلات للدواب وهو قاصدكم يخرب بلادكم، ويقتل رجالكم وأطفالكم، ويسبى حريمكم..".[١٩٨]

وأحـــياناً كان الحاجب يستناب لشغل إحدى الوظائف العسكرية كوضع مؤقت إلى أن يتم شغل هذه الوظيفة، فيحدثنا ابن تغرى بردى في حوادث عام ٧٤٣هــ/ ١٣٤٢م بأنه طلب الأمير قبلاى الحاجب ورسم له بالتوجه لحفظ الكرك إلى أن يتم تعين نائب جديد.[١٩٩]

وقـــد امتدت أعمال الحجاب أيضاً إلى الخروج على رأس التجريدات الحربية، فنقرأ في المصادر المعاصرة أنه في عام ٧١٤هــ/ ١٣١٤م خرج العسكر من القاهرة ومعهم ركن الدين بيبرس الحاجب ووصلوا إلى دمشق وأقاموا بها حتى نهاية العام.[٢٠٠]

وفـــى عام ٧٢٥هــ/ ١٣٢٤م أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون تجريدة إلى اليمن مع الأميرين ركن الدين بيبرس الحاجب وطينال الحاجب.[٢٠١]

ونقرأ في المصادر المعاصرة أيضاً عن تجريدة أخرى عام ٧٨٢هــ/ ١٣٨٠م حيث عيـــن الأتـــابك[٢٠٢] بـــرقوق تجريدة عظيمة للخروج إلى العربان وكان من بين أفرادها الأمير مأمور القلمطاوى حاجب الحجاب.[٢٠٣]

---

[197] ابن إياس، بدائع الزهور، جــ٣، ص٤٧٢.

[198] ابن إياس، بدائع الزهور، جــ١ ق٢، ص٦٠١.

[199] ابن تغرى بردى، النجوم، جــ١٠، ص٩٣.

[200] المقريزى، السلوك، جــ١ ق٢، ص١٣٩.

[201] ابن إيبك، كنز الدرر، جــ٩، ص٣١٨.

[202] أتابك أى مقدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكى، القلقشندى، صبح الأعشى، جــ٤ ص١٨؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤٠٩.

[203] ابن إياس، بدائع الزهور، جــ١ ق٢، ص٢٦٦ – ٢٦٧.

وتشـــير المصـــادر أيضـــاً إلى تجريدة في عام ٧٩١هـــ/ ١٣٨٨م متجهة إلى حلب بصحبة الأمراء المقدمين وأيدكار العمرى حاجب الحجاب.[٢٠٤]

وتخـــبرنا المصـــادر أيضاً عن تجريدة تمت في عام ٨٠١هـــ/ ١٣٩٨م، حيث رسم السـلطان بـــرقوق بتجهيز ستة من الأمراء المقدمين وعدد من أمراء الطبلخانات والعشرات. وكان تمربغا المنجكي أمير حاجب من بين الأمراء المقدمين، ورسم لكل واحد من الطبلخانات بعشرة آلاف درهم، ولكل من العشرات بخمسة آلاف درهم فشرعوا في التجهيز للسفر.[٢٠٥]

وهـــناك تجـــريدة خرجت في عام ٨٠٣هـــ/ ١٤٠٠م حيث برز المرسوم السلطانى للأمير أسنبغا الحاجب بالقاهرة بالتوجه إلى الشام وحلب لمحاربة تيمورلنك.[٢٠٦]

وفى عام ٨٠٥هـــ/ ١٤٠٢م تم تعيين جريدة لمحاربة الفرنج، وكان من بين أفرادها جماعـــة من الأمراء المقدمين وأمراء الطبلخاناة[٢٠٧] والمماليك السلطانية وآقباى حاجب حجاب القاهرة ويشباى الحاجب واتجهوا جميعاً إلى دمياط والإسكندرية.[٢٠٨]

وتشـــير المصادر المملوكية إلى تجريدة خرجت إلى الرّها في عام ٨٣٤هـــ/ ١٤٣٠ م، وقد اشترك فيها الأمير قرقماش الشعبانى حاجب الحجاب.[٢٠٩]

أمـــا تجـــريدة عـــام ٨٤١هـــ/ ١٤٣٧م فقد خرجت إلى حلب، وعين فيها ثمانية من الأمراء المقدمين وكان يشبك المشد الشعبانى حاجب الحجاب من ضمن أفرادها.[٢١٠]

وفى عام ٨٥٦هـــ/ ١٤٥٢م خرجت تجريدة إلى البحيرة وكان باشى العسكر خشقدم حاجب الحجاب على رأسها.[٢١١]

وتجـــريدة عـــام ٨٦٧هـــ/ ١٤٦٢م المتجه إلى قبرص، وكان باشى العسكر الأمير بردبك البجمقدار حاجب الحجاب.[٢١٢]

وبالنســـبة لتجريدة عام ٨٦٨هـــ/ ١٤٦٣م المتجهة إلى البحيرة عين السلطان الظاهر خشقدم عليها الأمير أزبك من ططخ حاجب الحجاب وعدداً من الأمراء المماليك السلطانية.[٢١٣]

---

204 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص٣٩٤.

205 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص٥١٩.

206 ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـــ٢، ص٧٣.

207 الطبلخاناة، لفظة فارسية بمعنى بيت الطبل الذى يشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات. أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص٤٣.

208 الصيرفى، نزهة النفوس، جـــ٢، ص١٦٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص٦٧٢ – ٦٧٣.

209 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص١٣٦.

210 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص١٨٠.

211 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص٢٩٥.

212 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص٤٠٣.

213 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص٤١٨.

ونقــرأ أيضـــا فـــي أحداث عام ٨٧٢هـــ/ ١٤٦٧م أن السلطان الظاهر خشقدم أمر بخـــروج تجـــريدة إلـــى شاه سوار بن دلغادر وكان على رأسها حاجب الحجاب الأمير تمر وبعض أمراء الطبلخاناة والعشرات.[214]

ويفهـــم كذلك من مؤرخي العصر المملوكي أنه في عام ٨٨٥هـــ/ ١٤٨٠م خرجت تجـــريدة أخرى على حماة لتأديب سيف أمير آل فضل لأنه قتل آزدمر نائب حلب، وكان على رأسها برسباى قرا حاجب الحجاب وعدد من الأمراء.[215]

وهـــناك التجريدة المتجهة إلى حلب بسبب على دولات ابن دلغادر وعين فيها ططر حاجب الحجاب عام ٨٨٨هـــ/ ١٤٨٣م.[216]

ونتـــيجة لاضـــطراب الأمور في بلاد الشام وتدهورها أمر السلطان الغورى بتعيين تجريدة لتهدئة الأمور هناك، وصحب هذه التجريدة قيت الرجبى حاجب الحجاب.[217]

مهام الحجاب المدنية:

تطالعـــنا أغلب الكتابات المملوكية المعاصرة بما لا يدع مجالاً للشك في أن الحاجب قد اتسعت مجالات اختصاصاته فنجده يشرف في كثير من الأحيان على شئون الرى وإصلاح الجـــور وشق الترع وحفر القنوات، فيذكر ابن إياس في حوادث ٧٢٤هـــ/ ١٣٢٣م بأنه "أبتدأ الأمـــير بكتمر حاجب الحجاب بحفر بركته المعروفة ببركة الرطلى، وأجرى عليها الماء من الخليج الناصرى وعمل لها جسراً بينها وبين الخليج".[218]

ويحدثـــنا ابن أياس أيضاً في حوادث عام ٨٠١هـــ/ ١٣٩٨م بقوله: "أوفى النيل ستة عشـــر ذراعـــاً، فـــنزل الأمـــير فـــارس حاجب الحجاب، وخلق المقياس، وفتح الخليج على العادة".[219]

وتشـــير المصـــادر المعاصرة أيضاً في أحداث عام ٨١٩هـــ/ ١٤١٦م، توقف النيل عـــن الزيادة فرسم السلطان لحاجب الحجاب بالتوجه إلى الروضة وحرق الخيام وتشتت الناس لكثرة ما يحدث هناك من المفاسد.[220]

وفى عام ٨٢٤هـــ/ ١٤٢١م أوفى النيل فتوجه بعض الحجاب وكسروا السد.[221]

---

214 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص٧، ٢٩.

215 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص١٦٥.

216 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص٢٠٢.

217 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص٣٨١، ٤١٤.

218 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق١، ص٤٥٥ – ٤٥٦.

219 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص٥٤٦.

220 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص٢٧.

221 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص٦٩.

ويحدثنا الصيرفى أيضاً في حوادث عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م بأنه "كان وفاء النيل ست عشر ذراعاً، فرسم السلطان للأمير قرقماش حاجب الحجاب بتخليق المقياس وفتح الخليج."[٢٢٢]

ويشير المقريزى أيضاً في حوادث ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م كان وفاء النيل ست عشر ذراعاً وفتح الخليج على العادة، وقد نزل الأمير أسنبغا الطيارى الحاجب إلى هذه الخليج.[٢٢٣]

وفى عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م كان وفاء النيل وفيه يقول ابن إياس "وقد أوفى وزاد عن الوفاء عشرين أصبعاً، حتى نودى عليه ثانى يوم كسره بتكملة السبعة عشر ذراعاً، فعد ذلك من النوادر؛ وتوجه إليه حاجب الحجاب لفتح السد".[٢٢٤] وتمدنا المصادر المعاصرة بالمعلومات عن اشتراك الحجاب في مباشرة أعمال حفر الترع والقنوات، ففى عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م أمر السلطان الغورى بحفر الخليج ورسم للأمير أنصباى حاجب الحجاب بالتوجه إلى قناطر الإوز ومباشرة أعمال الحفر بنفسه، وهناك أقيمت الخيام وبعد انتهاء عمليات الحفر احتفل بهذا الحدث.[٢٢٥]

كما كانت هناك بعض الواجبات والأعمال الاستثنائية التى تتطلب من الحاجب القيام بها تبعاً لخطورة هذه الأعمال، ومن بين هذه الأعمال ما يرويه الصيرفى في حوادث عام ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م من قيام إيدكار الحاجب بالتحقيق في إحدى قضايا المشاجرات التى حدثت بين جماعة من النصارى وبعض المسلمين فيذكر ما نصه "أن جماعة من مبيض النصارى عملوا عرساً واجتمع عندهم فيه عدد كبير من الملاهى وأمثالهم، فصعد المؤذن ليسبح الله تعالى ويوحده على العادة في جوف الليل، فلما سمعوه أولئك النصارى بادروا إلى سبه وإهانته وأنزلوه من المنارة بعد ضرب مبرح .. فبلغ هذا الأمر الفادح خطيب الناحية فوثب عليهم ليخلصه منهم فأوجعوه ضرباً وسبا وأرادوا قتله وقتل من معه وقد أمر السلطان الظاهر برقوق ورسم للأمير إيدكار الحاجب أن يتوجه بالكشف عن هذه القضية، فتوجه إليها وكتب محضر بقبح أفعالهم وحملهم معه إلى السلطان فرسم للقاضى المالكى أن يحكم فيهم فسجنهم".[٢٢٦]

ومن بين مهام الحاجب أيضاً ما يرويه ابن الصيرفى في حوادث عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م عندما جلس السلطان الظاهر برقوق لتوزيع الصدقة على الفقراء فاجتمع عنده من

---

222 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٢٢٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٣٩.

223 المقريزى، السلوك، جـ٤ ق٣، ص١٠٧٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص١٩٥، ص١٣٩.

224 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٤٢.

225 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٢٢٨.

226 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٦٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٧٣ - ٢٧٤.

الخلائــق مـــا لا يحصى عددهم، حتى أنه من شدة الزحام مات منهم بباب الإسطبل ٤٧ نفساً تولى غسلهم وتكفينهم وتجهيزهم الأمير فارس حاجب الحجاب.[٢٢٧]

وفـــى عـــام ٨١٨هــــ/ ١٤١٥م وقع غلاء عظيم بمصر وقل الخبز من الأسواق، وصـــار الناس يتزاحمون على الأفران والطواحين، ونهبت الناس الأفران وشون القمح، فرسم السـلطان أن يكون على كل فرن جماعة من المماليك السلطانية، وكان حاجب الحجاب جالساً على الفرن الواقع في منطقة التبانة ومعه عدة مماليك يدفعون الناس عن الزحام والنهب.[٢٢٨]

وأحـــياناً كـــان الحاجب يكلف من قبيل السلطان بمهمة المهاجمة على أوكار الفساد والفحشـــاء وتتبع أماكن الفساد، فتشير المصادر أنه في عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م خرج الحجاب في يوم النوروز إلى أماكن النزهة والمتفرجات وقام بالقبض على العوام وضربوهم بالمقارع وقطعوا أيدى منهم، والبعض الآخر شنق، فأنكف الناس عما كانوا يفعلونه في ذلك اليوم.[٢٢٩]

وتشير البعض المصادر أنه في عام ٨٣٢هـ/ ١٣٢٨م "تتبع الأمير قرقماش حاجب الحجـــاب مواضع الفساد فأراق الخمور، وحرق الحشيشة المغيبة للعقل، وهجم على مواضع الفحشاء، ومنع الاجتماع فيها."[٢٣٠]

وفـــى عـــام ٩١٠هــــ/ ١٥٠٤م أمر السلطان حاجب الحجاب ووالى القاهرة بتتبع مواضـــع الفســـاد وكـــبس بـــيوت النصارى وكسر ما عندهم من جرار الخمر وحرق أماكن الحشيشة.[٢٣١]

وفـــى عـــام ٩١٧هــــ/ ١٥١١م أمر السلطان الغورى حاجب الحجاب والوالى بأن يـــتوجها ويكبسا على المتفرجين في الروضة، فذهب أنسباى حاجب الحجاب مع والى القاهرة ونادوا بالأمان وأن أحداً لا يتجاهر بالمعاصى.[٢٣٢]

بالإضافة إلى اختصاصات الحاجب السابقة، كان الحاجب يكلف أحياناً بالقضاء على الفتـــن والثورات وبالضرب على أيدى الجناة والمجرمين بل نجده أحياناً يشارك في معاقبتهم جمـــيعاً، ففـــى إحـــدى الثورات التى قام بها العربان ببلاد الصعيد رسم للأمير فارس حاجب الحجـــاب ومعـــه عدد من المماليك السلطانية للكبس عليهم، واستطاع في أقل من ستة أيام أن يسيطر على الثورة ورجع بصحبته خمسمائة رجل قبض عليهم.[٢٣٣]

---

227 الصيرفى، نزهة النفوس، جـــ١، ص٤٢٥.

228 الصيرفى، نزهة النفوس، جـــ٢، ص٣٥٦-٣٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـــ٣، ص٦٩ - ٧٠.

229 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص٣٦٥.

230 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص١٢٢.

231 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٤، ص٤٤.

232 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٤، ص٢٣١.

233 الصيرفى، نزهة النفوس، جـــ١، ص٤٠٠.

وتذكـر المصـادر المعاصـرة في أحداث عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أن العامة الزعر والـتركمان نهبوا الكثير من أهل القاهرة فتصدى لهم منكلى الحاجب وسيدى أبو بكر الحاجب ونادوا "أن من تعرض لكم من الزعر والتركمان فاقتلوه".[٢٣٤]

وفـى عـام ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م عين السلطان الأشرف قايتباى الأمير تمر حاجب الحجـاب، والأمـير قانصـوه الخسيف الإينالى بأن يخرجا إلى الشرقية بسبب فساد العربان، ورسم لهما السلطان بأن من وجده من بنى سعد وبنى وائل يقبضوا عليه .[٢٣٥]

وقد امتدت أعمال الحجاب أيضاً إلى المساهمة في إخماد الحرائق التى تعرضت لها البلاد، ففي عام ٧٧٩هـ/ ١٤٧٤م وفى عهد السلطان المنصور على بن الأشرف شعبان وقع حريق بظاهر باب زويلة عند دار التفاح[٢٣٦] فاحترقت هذه الدار والربع،[٢٣٧] ولولا سور المدينة لاحـترق نصـفها، وعندما تزايد أمر النار نزل الأمراء بمماليكهم لإطفاء النار ومعهم الأمير تغـرى برمش حاجب الحجاب ووصلوا إلى مكان الحريق، وهناك نزلوا عن خيولهم وصاروا يهجمون على السقائين في بيوتهم حتى يأتوا بماء القرب واستمرت النيران مشتعلة لمدة ثلاثة أيام حتى تم إخمادها.[٢٣٨]

وفـى عـام ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م وقـع حريق في بركة الرطلى بالقرب من قنطرة الحاجـب فاحترقـت عدة بيوت وتوجه حاجب الحجاب والوالى مع عدد من المماليك وقاموا بإطفاء الحريق.[٢٣٩]

سـاهم الحجاب أيضاً في حفظ الأمن داخل البلاد وضبط أمور السلطنة أثناء غياب السـلطان، ففـى عام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م عين السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن عمر بن قلاوون جماعة من الحجاب لحفظ القاهرة وحاراتها وخططها.[٢٤٠]

---

234 الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص٢١٦.

235 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٦٠.

236 كانـت دار التفاح فندقاً تجاه باب زويلة، يرد إليه الفواكة على اختلاف أصنافها، مما ينبت في بساتين ضواحى القاهرة، وكـان بدمشق أيضاً دار مشابهة لها، أسمها دار البطيخ والفاكهة، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٥٣؛ السلوك، جـ١ ق١، ص١٨٤ هامش ٣؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص١٠٤، هامش١٤٠، حياة الحجى، أحوال العامة في حكم المماليك، دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط١، الكويت ١٩٨٤م. ص٨٨.

237 الرباع جمع ربع وهو مجموعة من المساكن المؤجرة للغير تجمع حول صحن، ويكون له في الغالب مدخل واحد وسلم واحـد، ويصل ارتفاع الربع إلى اربعة أو خمسة طوابق، ويتم الوصول إلى المساكن عن طريق طرقة تدور حول الصحن، وتوجـد مجموعـة من الجوانب بالجهة المطلة على الشارع من الطابق الأرضى، والربع مخصص لسكن الطبقات الشعبية بأجور شهرية زهيدة. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٣٠٣ هامش٣؛ المقريزى، الخطط، جـ٣، ص٣٨٣؛ حسين مصطفى رمضان، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادي والاجتماعي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٨٧م، ص٢٠٣؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤١٨.

238 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٢١.

239 ابـن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٦٩.انظر. Meinecke, M., *Die mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien, 648-11250 Bis 923/1517*, 1992, p.466.

وتذكـــر المصـــادر أيضاً أن الحجاب تتبعوا النساء لمنعهن من الخـــروج، ففى عام ٨٤١هـــ/ ١٤٣٧م تـــزايد الوباء بمصر واجتمع السلطان الأشرف برسباى والقضاة الأربعة ومشـــايخ العلم، وشكا السلطان من تزايد الطاعون بالقاهرة فقالوا له: "إنما يظهر الطاعون في قوم إذ فشا فيهم الزنا وأن النساء قد تزايد خروجهن في الطرقات، وهن متبرجات ليلاً ونهاراً فـــي الأســـواق" فأشار بعض العلماء بمنع النساء من الخروج، إلا في الحمام فقط، ونادى في مصـــر والقاهـــرة بمنع النساء من الخروج فتتبع الوالى والحجاب النساء في الطرقات لمنعهن من الخروج.[٢٤١]

بقـــى أن نشـــير فـــي الـــنهاية بأنه إلى جانب هذه المهام كان للحاجب بعض المهام الأخرى المتمثلة في تطبيق الشريعة الإسلامية وأقامة منار الشرع، ففى عام ٩١٠هـــ/١٥٠٤م رسم السلطان الغورى لحاجب الحجاب ووالى القاهرة بكبس بيوت النصارى وكسر ما عندهم مـــن جـــرار الخمر، وتتبع أهل الفساد بالإضافة إلى حرق أماكن الحشيش والبوزة، كما سبق وأشرنا.[٢٤٢]

وكـــان مـــن مهـــام الحجاب أيضاً القضاء على الفتن التى يقوم بها بعض العامة في مصـــر ففـــى عـــام ٧٧٠هـــ/ ١٣٦٨م اجتمعت طائفة من الزعر بأرض اللوق[٢٤٣] وصاروا يشـــالقون الـــناس بالحجارة، فقتل منهم جماعة، وتزايد الأمر، فسمع الوالى وحاجب الحجاب الأمـــير علاء الدين بن كلفت والأمير أقبغا اليوسفى حاجب الحجاب، فركبوا جميعاً وتوجهوا على أرض اللوق وقبضوا على المشالقين وضربوا بالمقارع.[٢٤٤]

مكانة الحجاب في المجتمع المملوكي:

يتضـــح من خلال العرض السابق مدى ما وصلت إليه الحجابة في العصر المملوكى مـــن أهمية، بل أن الأمر وصل إلى أبعد من ذلك بكثير، فقد أصبحت للحجاب مكانة اجتماعية

---

240 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص١٧١.

241 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص١٨٢.

242 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٤، ص٧٦.

243 لاق الشيء يلوقه لوقا، ولوقه لينة وهذه الأرض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضا لينه وإلى الآن في أرض مصر إذا ما نزل عليها ماء النيل لا تحتاج إلى الحرث للينها بل تلاق لوقا المقريزى، الخطط، جـــ٣، ص١٨٩ – ص١٩٠، وقد ظهـــرت أرض اللوق في عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر ثم أضيفت إليها طروحات أخرى في أوائل عهد دولة المماليك البحرية، وقد بدأت عمارة اللوق منذ عهد الخديوى إسماعيل وأكتظت بالمبانى والعمائر حتى صارت كلها مشغولة بالدور والقصور، سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، ١٩٨٣، جـــ٥، ص٩٤؛ وقال عنها القلقشندى، "سكنها رعاع الناس وأوباشهم". القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص٣٥٨.

244 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص٨٨.

وسياسية عظيمة في المجتمع المملوكى، والدليل على ذلك أن حاجب الحجاب قرقماس قد تزوج من ابنة السلطان الناصر فرج بن السلطان الظاهر برقوق.[٢٤٥]

ويشير ابن إياس في أحداث عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م إلى زواج الأمير أنصباى حاجب الحجاب من ابنة الأشرف قانصوه خمسمائة، والتى كانت لها زفة يقصر دونها الوصف كان من بين الحضور الأتابكى قرقماس والأمراء المقدمين وقد ارتدوا الشاش والقماش وبأيديهم الشموع الموقدة وشقوا من الصليبية بهذا الموكب الحافل حتى دخلوا إلى قاعة الفرح ببيت يشبك الدوادار.[٢٤٦]

ومما يدل على مكانة الحجاب الاجتماعية في العصر المملوكى، أن السلطان عام ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م نزل من القلعة متجهاً إلى دار تمر حاجب الحجاب من أجل زيارته في مرضه ثم عاد إلى القلعة.[٢٤٧]

ويتساءل الباحث هل وقع الحجاب تحت طائلة القانون رغم المكانة العالية التى وصلوا إليها ؟ للإجابة عن هذا التساؤل ينبغى أن نتعرض إلى ما أطلق عليه في مصطلح العصر المملوكى اسم المصادرات ونتعرف من خلالها هل طبقت على الحجاب أم لا؟[٢٤٨]

والمصادرة هي عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها المال سواء كان بالضمان أو المطالبة أو بالاستيلاء عليه بالقوة لصالح الدولة دون أن يكون للشخص المعاقب حق الاعتراض، وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن المصادرة عمل تعسفى مجاف للعدالة ودليل على فساد الإدارة، وفى عصر المماليك رادف لفظة المصادرة أربعة ألفاظ أخرى هى الغرامة، والحوطة، والعقوبة، والجناية، فالألفاظ مختلفة والمعنى واحد.[٢٤٩]

نقرأ في المصادر المملوكية عن مصادرة الحاج بهادر الحاجب الذى صادره شاد الدواوين في عهد السلطان لاجين في عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م،[٢٥٠] أما عن سبب المصادرة فكان بذنب أستاذه قراسنقر وظلمه.[٢٥١]

وبكتمر الحسامى الحاجب الذى صادره السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م،[٢٥٢] بسبب اتهامه بتدبير محاولة لقتل السلطان، وقد بلغت قيمة المصادرة

---

245 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص١٢٦.

246 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص١٩٦.

247 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٨٣، جـ٤، ص١٩٦.

248 انظر ثبت مصادرات الحجاب رقم ٥-٦ الوارد في ختام البحث.

249 البيومى إسماعيل الشربينى، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، سلسلة تاريخ المصريين العدد ١١٠، ١٩٩٧م، ص٢٣؛ انظر ايضاً حياة ناصر الحجر، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك ص٥٢ وما بعدها.

250 الكتبى، عيون التواريخ، ص٨٦؛ العينى، عقد، الجمان، جـ٣، ص٣٦٣-٣٦٤.

251 البيومى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص٢٠٣.

252 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٢٨، ٤١.

مائـــة ألف دينار، وجمال الدين بكتمر الحاجب الذى صادره أيضا السلطان الناصر محمد بن قــلاوون فـــي عــام ٧١٥هــ/ ١٣١٥م[٢٥٣] وكانت سبب المصادرة تآمره على قتل السلطان ووصل مبلغ المصادرة إلى مائة ألف دينار وانتهى به المطاف إلى السجن.[٢٥٤]

ونقرأ أيضاً عن سيف الدين الُماس الحاجب الكبير الذى قام بمصادرته شاد الدواوين وشــاهد الخــزانة، حيث تمت مصادرته في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧٣٣هــ/ ١٣٣٢م، وكان سبب المصادرة تآمره على قتل السلطان إلى جانب ثروته المشبوهة وحجه بدون إذن السلطان حيث أُلزم بحمل ٢,٣٩٠,٠٠٠ درهم نقرة،[٢٥٥] وانتهى به الأمر إلى القتل خنقاً.[٢٥٦]

وتشــير المصـــادر أيضاً إلى على بن مقلد حاجب العرب بدمشق الذى قبض عليه وصــودر في عام ٧٣٣هــ/ ١٣٣٢م في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكان منفذ المصـــادرة هــو ناظــر الخاص، أما عن سبب المصادرة فكان تأديبه، وقد تعرض للضرب والتعذيب حتى قتل.[٢٥٧]

ونستشـــف مـــن المصادر أيضاً عن مصادرة بكتمر الحسامى الحاجب الذى تعرض للمصـــادرة فـــي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٣٥هــ/ ١٣٣٤م وكان سبب مصادرته عزل جد أولاده نائب الكرك، أما عن مبلغ المصادرة فكان أشياء نقدية وعينيه.[٢٥٨]

كمـــا يتحدث المؤرخون عن محمد بن بكتمر الحاجب الذى صودر في عهد السلطان المظفــر حاجى بن الناصر محمد بن بن قلاوون في عام ٧٤٨هــ/ ١٣٤٧م بسبب تآمره على قــتل السلطان بسبب لهوه، وكان مبلغ المصادرة تمثل في مصادرة بيته وماله وخيله، ووصل به المطاف إلى السجن، وقد نفذ المصادرة شاد الدواوين وأمير سلاح.[٢٥٩]

---

253 المقريزى، السلوك، جــ٢ ق١، ص١٤٤.

254 البيومى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص٢٠٨.

255 الدراهم وجد منها أربعة أنواع، أجودها وأعلاها قيمة ما عرف باسم النقرة ويتكون من فضة ونحاس ووزنه ١٦ قيراطاً أى ينقص عن المثقال. وقدر كل سبعة مثاقيل بعشرة دراهم وزنا وقيمة هذا الدرهم ٢٤ فلساً، وتطبع بدور الضرب بالسكة الســلطانية، ويكون فيها دراهم صحاح وقراضيات مكسرة، وقدر وزن الدرهم النقرة بست عشرة حبة خروب، فتكون معاً خروبتيـــن ثـــم درهـــم، والخروبة ثلاث حبات من حب البر المعتدل، إبراهيم على طرخان، للنظم الاقطاعية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٥٢٤.

256 المقريـــزى، الســـلوك، جــــ٢ ق٢، ص٣٦٣، ٣٧٥؛ ابـــن إيبك، كنز الدرر، جـــ٩، ص٣٧٣، حياة الحجى، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك، ص٤٠.

257 الصفدى، أعيان العصر، ص٣٦، ٤٥، أبو الفدا، المختصرفى أخبار البشر، طبعة لبنان ١٩٦٨م، ص١٠٩.

258 ابـــن كثـــير، الـــبداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة ١٩٩٢م، جـــ٧، ص١٧٤؛ ابن الوردى تتمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة ١٨٦٨م، جـــ٢، ص٣٠٨.

259 المقريزى، السلوك، جــ٢ ق٣، ص٧٣٠؛ البيومى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص٢٢٠.

ويخبرنا المقريزى عن مصادرة علاء الدين على بن كلفت الحاجب الذى صادره السلطان الأشرف شعبان بن حسين عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م بسبب تبعيته لألجاى ومن عصبته حيث وصل به الأمر إلى السجن.[٢٦٠]

وتتحدث المصادر عن سلطان شاه بن قراجا حاجب ثان الذى تعرض للمصادرة على يد السلطان الأشرف شعبان بن حسين في عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م نتيجة لتبعيته لألجاى أيضاً.[٢٦١]

ومن الحجاب الذين تعرضوا للمصادرة والنفى ورجعوا مرة ثانية إلى مناصبهم، نذكر عبد الله بن بكتمر الحاجب الذى تمت مصادرته في عهد السلطان المنصور شعبان في عام ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م بسبب خلاف بينه وبين أحد رجال الدولة، ووصل مبلغ المصادرة إلى ١٠,٠٠٠ دينار، وانتهى به الحال إلى النفي، ثم رجع مرة ثانية.[٢٦٢]

ونقرأ في المصادر أيضاً عن محمد بن بكتمر الحاجب الذى صودر في عهد السلطان الظاهر برقوق عام ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م حيث الزم بحمل ٢٠٠٠,٠٠٠ درهم إلى الخزانة الشريفة.[٢٦٣]

ويذكر المؤرخ السخاوى أيضاً أن عبد الرازق بن أبى الفرج الحاجب والوزير الذى تعرض للمصادرة في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وقد صودر على يد هذا السلطان، وعن أسباب مصادرته، فقد جمع نفقة للجند بدون إذن السلطان مما ترتب عليه عزله، وقد وصل مبلغ المصادرة إلى ١٠٠,٠٠٠ دينار وانتهى به الحال إلى الإفراج عنه.[٢٦٤]

نقرأ أيضاً في المصادر المملوكية عن مصادرة الأمير تنكزبغا حاجب طرابلس الذى تمت مصادرته على يد نائب طرابلس في عهد السلطان الناصر فرج عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م وقد قتل في النهاية.[٢٦٥]

---

260 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٢١٥ – ٢١٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٦٠، ٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٢٢،١٢٠.

261 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٢٠.

262 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٣٤١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٣٣، البيومى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص٢٢٠ وما بعدها.

263 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص٧٦٥.

264 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص١٠٦٤؛ بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٢٩؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٤، ص١٩١؛ البيومى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص٢٣٩.

265 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧١٤.

أمـــا كزل العجمى حاجب الحجاب وأمير الحاج الذى صادره السلطان الناصر فرج بن برقوق في عام ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م بسبب سوء سيرته مع الحجاج وأخذ الأموال منهم، فقد انتهي به المطاف إلى الهرب وبلغت قيمة مصادرته حوالى ٢٠٠,٠٠٠ درهم.[٢٦٦]

وتخـبرنا المصادر المملوكية أيضاً عن آقبغا شيطان الذى كان يشغل كل من الولاية والحجوبية والحسبة في آن واحد، ثم قبض عليه في عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م في عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودى، وكان منفذ المصادرة الإستادار فخر الدين "وجعل في باشة حديد وأخذ جميع موجوده.[٢٦٧]

كمـا يـتحدث المؤرخـون عن الزينى فرج الحاجب الذى تمت مصادرته في عهد السـلطان قنصـوه الغورى في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م على يد المحتسب بسبب امتناعه عن حراسـة بعـض الجسـور، وقد بلغت مصادرته ٥,٠٠٠ دينار وانتهى به الحال إلى الإفراج عنه.[٢٦٨]

هكـذا واصـلت الدولـة المملوكية مصادراتها للحجاب حيث سجلت كتابات بعض المؤرخين المعاصرين ما يقرب من خمس عشرة حالة مصادرة.

بقـى أن يجيـب الباحث على استفسار حول معاملة الدولة للحجاب المحكوم عليهم بالسـجن؟ للإجابـة عن هذا التساؤل تشير المصادر إلى حوادث عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م فقد قبض على جمال الدين بكتمر الحسامى الحاجب بتهمة التآمر على السلطان وصودر وأخذ منه مائة ألف دينار وسجن، وفى عام ٨١٦هـ/ ١٤١٣م أفرج عن الأمير بكتمر وخلع عليه بنيابة صـفد، وأنعـم علـيه بمائتى ألف درهم، وقد تمت معاملته أثناء اعتقاله معاملة تنطوى على التسـامح والكـرم والعطـف، وعبارة المقريزى خير دليل على ذلك إذ يقول: "ولم يفقد غير ركوب الخيل، بل أن السلطان أرسل له في السجن بجارية حملت منه وولدت ولداً".[٢٦٩]

وفـى عـام ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م تم القبض على الأمير كزل الحاجب واعتقل بسجن الإسكندرية وتمت معاملته بصورة حسنة.[٢٧٠]

وتشـير المصـادر أيضـاً إلـى المؤيد شيخ الذى قام بالقبض على ثلاثة من أمراء الألوف أحدهم حاجب الحجاب قجق، واعـتقلوا جميعاً بسجن الإسكنـدرية عام ٨١٧هـ/

---

266 المقريزى، السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٦٠.

267 المقريزى، السلوك، جـ٤ ق١، ص٤٤١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٦٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٧؛ محاسن الوقاد، الألقاب والكنى الشعبية الساخرة في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، جـ٢، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٢٧.

268 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٣٨.

269 المقريزى، السلوك، جـ٢ ق١، ص١٤٤، ١٦٢ – ١٦٣.

270 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٥٧.

١٤١٤م.[٢٧١]

وقد تعرض بعض الحجاب إلى الضرب من قبيل بعض الأمراء، ففى عام ٨٠٥هـ/١٤٠٢م اجتمع المماليك وتوجهوا خلف الأمير يشبك بن أزدمر، ووصلوا إلى خانقاه سرياقوس وضربوا الحاجب محمد بن جلبان الصغير، مما أدى إلى وقوع فتنة بسبب هذا العمل.[٢٧٢]

الحجاب والشعارات المميزة (الرنوك):

بعد أن تحدثنا عن الوظائف التى كان يقوم بها الحاجب إبان العصر المملوكى، يتبادر إلى الذهن تساؤل هل كان للحاجب رنك[٢٧٣] يدل على وظيفته؟ وهل كان رنك الحجاب ثابت الشكل أم اختلف من حاجب لآخر ومن درجة لأخرى داخل وظيفة الحجابة نفسها؟

درج السلاطين والأمراء المماليك بل وموظفو الإدارة السلطانية على اتخاذ شعارات لهم، وهى المعروفة باسم الرنوك؛ وقد اختلفت من شخص لآخر حسب مقامه ووظيفته.. ونظراً لأن الحاجب كان من موظفى الإدارة السلطانية فقد اتخذ له رنكاً مميزاً، فقد كان رنك الحجاب عبارة عن البغل، وهو يمثل عادة سائراً من اليمن في اتجاه اليسار أو العكس حاملاً فوق ظهره ما يشبه خرجاً للبريد على هيئة قبة يعلوها هلال،[٢٧٤] ولذا حاول البعض أن يربط بينه وبين رنك الشطب أو البريدى، واعتقدوا أنه يرمز إلى شعار البريدى أيضاً الذى لم يرق لـه استخدام رنك غفل من الشارات والرموز، فاتخذ من هذا الرسم شعاراً له،[٢٧٥] استناداً إلى أن لفظة بريد، الفارسية الأصل كانت تعنى مقصوص الذنب، لأنه كان من عادة الفرس أنهم إذا أقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة على أنه صار من بغال البريد.[٢٧٦]

---

271 الصيرفى، نزهة النفوس جـ٢، ص٣٤٣؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزهرة، جـ١٤، ص٢٣؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٠، ص١١٣٩.

272 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٢١٢.

273 جرت العادة عند تأمير المملوك أن يعطى رنكاً أو شعارا يشير إلى وظيفته، والرنك جمعه رنوك وهى كلمة فارسية بكاف معقودة كالجيم المصرية تنطق رنج بمعنى لون. المقريزى، السلوك، جـ١ ق٣، ص٦٧٢؛ على إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص١٩٦؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية، جـ١، ص١٧٠؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، القاهرة ٢٠٠١م، ص٤٨؛ الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤م، ص٦٧؛ وقد استخدم في مصطلح المؤرخين بمعنى الشارة أو الشعار الشخصى الذى يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له، علامة على وظيفة الإمارة التى يعين عليها، فيكون رنك الدوادار الدواة والمقلمة، ورنك الأمير آخور نعلة الفرس ورنك السلاح دار القوس وهكذا. المقريزى، السلوك، جـ١ ق٣، ص٦٧٢؛ انظر أيضاً محمد مصطفى، الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، العدد ٤٠٠ مارس ١٩٤١م، ٢٦٨ وما بعدها؛ L.A. Mayer, *Saracenic Heraldry*, Oxford, 1933, pp. 1-7.

274 Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.8, PL.2.

275 أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، ص٧٨؛ الرنوك الإسلامية، ص١١٢؛ سند أحمد سند، البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٢٥.

276 القلقشندى، صبح الأعشى، جـ١٤، ص٣٦٧؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص٢٩٨؛ أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٩٥م، ص٨٧؛ الرنوك الإسلامية، ص١١٢.

بيد أن محاولة لحصر التحف والآثار المملوكية التي ظهر عليها هذا الرمز مصحوباً بـبعض الأسـماء والوظائف تكشف لنا عن وجود هذا الشعار على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ترجع إلى عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م عليها كتابة أثرية نصها "مما عمل برسم تربة الأمير المـرحوم علاء الدين على ولد المقرّ المرحوم السيفى بكتمر الحاجب تغمده الله برحمته"،[٢٧٧] ومن الملاحظ أن هذه الكتابة مصحوبة برنك على هيئة حصان له سرج فخم.[٢٧٨]

ويظهـر هـذا الـرنك أيضاً منقوشاً على بوابة خان العسل بحلب، الذى أمر بتشييده موسـى الناصـر حاجـب المملكة الحلبية، وفرغ منه في شهر جمادى الآخر عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م،[٢٧٩] مما يدفع إلى الاعتقاد بأن هذا الشعار كان رمزاً للحاجب.[٢٨٠]

وتوجـد أيضـاً مجموعـة من الرنوك تشير إلى بعض الوظائف مصحوبة بأسماء ووظائف حجاب لا علاقة لها بالرنك المصاحب لها، فهناك كتابة أثرية على مشكاة ترجع إلى مـا بعـد عـام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م باسم الأمير الكبير يلبغا الناصرى الأشرف أمير حاجب بالأبواب الشريفة،[٢٨١] والكتابة مصحوبة برنك السيف،[٢٨٢] شعار السلحدار.[٢٨٣]

ولدينا أيضاً كتابة أثرية على إناء من نحاس أحمر في مجموعة مدام ماسبيرو M^me Maspero[٢٨٤] فـي بـاريس تعـود إلى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م باسم المقر الأشرف العالى المولـوى الأمـير الكبيرى تمر أمير حاجب الحجاب بالقاهرة، والكتابة مصحوبة برنك يتألف مـن ثلاثـة مناطق:في العليا بقجة وهى تركز إلى شعار الجمدار، وفى الوسطى سيف أحدب يتقاطع معه كأس شعار الساقى، وفى الثالثة كأس.[٢٨٥]

وهـناك كـتابة أخرى مصحوبة برنك يتألف من ثلاثه مناطق في العليا بقجة، وفى الوسطى كأس بها داوة شعار الدوادار بين فرعى سروال، وفى السفلى كأس على إناء نحاس

---

277 Wiet, G., *Catalogue général du Musée Arabe du Caire, Lampes et bouteilles en verre émailé,* Le Caire, 1982, p.128; Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.260; Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet (eds.), *Répertoire chronologique d' épigraphie arabe*, Le Caire, 1944, tome 13, p. 253.

278 انظر شكل ١ بنهاية البحث Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.260.

279 Mayer, *Saracenic Heraldry*, pp. 168-169; Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet, *Répertoire chromologique d' épigrahie*, tome 15. p.236; Ernst Herzfeled, *Matériaux pour un corpus inscriptorum arabicarum Deuxième partie, Syrie du nord*, tome 1-Vol 1 (texte), Le Caire, 1955, pp.346-347, fig 106.
Sauvaget, J., *Caravansérails syriens du moyen âge, II. Caravansérails Mamelouks*, Ars Islamica, 1940, p. 6.

280 أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص١١٣.

281 حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص٢٠٩؛ Wiet, *Catalogue général du Musée Arabe*, p.174; Lane-Poole, *Art of the Saracens in Egypt*, Librairie Byblos Arts et Métiers, 1886, p.218.

282 حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص٢٠٩؛ Mayer, *Saracenic Heraldry*, p. 248 انظر شكل ٢ الوارد بالبحث.

283 أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص١٠٠.

284 حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص٢٠٩.

285 انظر شكل ٣ الوارد بالبحث Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.231, PL.23.

يـرجع إلى ما بين سنتى ٨٩٤هـ/٩٠٣هـ/ ١٤٨٩ - ١٤٩٧م برسم المقر الأشرفى السيفى قانصوه الغورى أمير حاجب بحلب المحروسة.[٣٤٠]

أخـيراً هناك كتابة أثرية من طرابلس مصحوبة برنك على هيئة سيف مورووب على درع مقسمة ثلاثة أقسام[٣٤١] بوقفية على واجهة مسجد السقراوية بتاريخ عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م باسـم سـيف الديـن آقطـرق الحاجب الذى جعل النظر فيها "إلى من كان أمير حاجب كبير بطرابلس".[٣٤٢]

ويمكـن تفسـير هذا الأمر بأن صاحب الرنك المذكور، شغل في وقت من الأوقات الوظـيفة التى يشير إليها ذلك الشعار، ثم انتقل فيما بعد إلى الوظيفة المصاحبة لهذا الرنك أو علـى الـتحفة المشار إليها، أو الكتابة الأثرية، وفاته أن يسجل الرمز الدال على هذه الوظيفة الجديدة، فقد جرت العادة كما سبق وأن ذكرنا أنه إذا منح أحد الأمراء رنكاً معيناً ظل محتفظاً بـه طوال حياته،[٣٤٣] بل قد يضيف إليه رنك الوظيفة الآخرى التى يتقلدها أو ينتقل إليها مثل حالة الأمير قايتباى الجركسي.[٣٤٤]

تدهور وظيفة الحجابة:

مـن الوظـائف الـتى ساعدت الرشوة على تدهورها وظيفة الحجابة التى وضعها القلقشـندى في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية وكان صاحبها يعرف بحاجب الحجاب ويعاونـه فـي العـادة عدد آخر من صغار الحجاب وصل عددهم في أواخر عصر المماليك الجراكسـة إلـى ما يقرب من عشرين حاجباً كان جميعهم من غير الأمراء الذين نجحوا في الوصول إلى مناصبهم بالبذل والبرطلة.[٣٤٥]

---

340 Mayer, *Saracenic Heraldry*, pp.178-179. PL.28, LXVIII; Artin, Y., *Contribution à l'étude du Balson en Orient*, London, 1902, Pl. 88: idem, "Trois différént armories de Kaït Bay", *Bulletin de l'instutute égyptien*, 9(1888), fig. 2; Leaf, W., Devolpments in the System of Armorial Insignia during the Ayyūbid and Mamluk Periods", *Palestine Exploration Quarterly*, January-June, 1983, Fig. 23. انظر شكل ٤ الوارد بالبحث. هناك نقش ينسب إلى قنصوه الغورى يؤكد عمله حاجباً للحجاب في حلب المحروسة نشـره هرزفـيلد فـي مجموعـة النقوش العربية، ورد فيه وبُسملة... لما كان بتاريخ شهر رمضان من سنة ست وتسعين وثمانمائـة بـرز المرسـوم الكـريم العـالى السيفى قانصوه الغورى حاجب الحجاب بالمملكة الحلبية المحروسة... انظر Herzfeld, *Matériaux*, p.392.

341 حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص٢١٠.

342 Wiet, *Répertoire chronologique d'Épigraphie arabe*, tome 15, pp. 215-216; Mayer, *Saracenic Heraldry*, p. 71; Van Berchem, *Matériaux pour un corpus inscriptonum arabicarum*, pp.109-110, fig. 10.

343 أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص٩٥،٩٣؛ Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.7

344 السخاوى، التبر المسبوك، ص١٢٢، ٢٥٦؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص٩٥؛ Wiet, *Lampes*, p.99.

345 أحمـد عـبد الـرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٩م، ص٣٢ - ٣٣؛ حياة الحجى، السلطة والمجـتمع في سلطنة المماليك، فترة حكم سلاطين المماليك البحرية من سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، الكويت، ١٩٩٧م، ص٦٥ وما بعدها.

وقد عرف المقريزى مصطلح البراطيل بقوله: "وهي التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبها وقضاتها وعمالها، فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيك في ولاة النواحي، ثم أفحش فيه الظاهر برقوق "أى أن هذه الظاهرة برزت في مصر منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادى، ولكننا لم نسمع في بدايتها أنها قد أضرت أو أثرت على مجريات الأمور العامة بالدولة ولكن الخطير في الأمر أن الظاهر برقوق هو الذى تمادى وأفحش في هذا النظام في عصره وتفاقم في عهد من بعده من السلاطين حتى أن هذه الظاهرة صارت القاعدة المقررة وذلك يتضح من أقوال المؤرخين المعاصرين وكان لها أسوأ الآثار كما سنعرض.[٣٤٦]

هناك العديد من الأسباب والظروف التى ساعدت على تدهور وظيفة الحجابة زمن سلاطين المماليك تمثلت في تدخل الحجاب في غير اختصاصاتهم وتعديتهم وتدخلهم في أعمال القضاة، بالإضافة إلى شراهتهم في جمع الأموال بأى صورة من الصور. ويفهم من المصادر المعاصرة أن الأمر قد تفاقم زمن السلطان المؤيد شيخ، الذى اعتلى كرسى السلطنة في عام ٨١٠هـ/١٤١٢م والدليل على ذلك ما سجله المقريزى في أحداث عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م من أنواع الظلم التى عمت أرجاء البلاد وشملت جميع الحكام ما بين محتسب ووال وحجاب وقضاة، ونائب غيبة واستادار. حقيقة أن هذا المؤرخ قد نجح في إعطاء الباحث صورة واضحة لما كان عليه المجتمع زمن المؤيد شيخ، إلا أنه لم يخرج من التعميم إلى التخصيص، وإنما ركز كلامه عن أنواع الظلم الذى عانى منها المجتمع في هذه الفترة ومن بينها الرشوة التى صارت على زمن هذا السلطان مورداً رسمياً من موارد الدولة المالية.[٣٤٧]

وقد صور لنا المقريزى حال الحجاب على عصره ومدى التدهور الذى أصاب وظيفة الحجابة فقال: "وأما الحجاب فإنهم وأعوانهم قد انتصبوا لأخذ الأموال بغير حق من كل شاك إليهم، ومشكو عليه، فما من أحد من الحجاب إلا وفى بابه رجل يقال له رأس نوبة، يضمن له في كل يوم قدراً معلوماً من المال، يقوم له به، ومن هذا المال المضمون يقيم أوده، فيسقط رأس نوبة على النقباء الذين تحت يده ما ضمنه للحاجب، ومالا بد له من صرفه على عياله، ومؤونه فرسه، وأجرة سايسها، وما اعتاده من المحرمات التى لا يتركونها ما وجدوا إليها سبيلاً، وما يرصده ويدخره عنده عدة له في وقت مكروه ينزل به من عزله، أو مصادرة الحاجب له، أو غير ذلك من العوارض فيتناول من كل واحد من النقباء شيئاً مقرراً عليه عند مضيه في طلب غريم، يقال له الإطلاق. فإذا حضر الغريم فتح عليه رأس نوبة أبواباً من أنواع مكرهم الذى تفقهوا فيه، فيحتاج إلى بذل المال له، ولدوادار الحاجب، وللحاجب، بحسب ما يقتضيه رأيهم. فربما بلغ الغرم في الشكوى الآلاف من الدراهم، فإنهم يسلسلون قضايا

---

346 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١١٠؛ جمال جرجس، القضاء في العصر المملوكى، ص١٦٤.

347 أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٣٢ وما بعدها.

ظلمهـم حتى يستمر المشكو في الترسيم الأيام والأشهر. وجميع ما يتحصل للحجاب من هذه الوجـوه فـإنهم يصرفونه فيما لا تجيزه أمة من الأمم من أنواع قبائح المحرمات، ولا يكلفون حمل شيء منه إلى السلطان.[٣٤٨]

ولا يحـتاج هذا النص إلى تعليق أو إضافة فمن الواضح أن المشكو البائس عليه أن يدفـع للنقيـب الذى يحضره لرأس النوبة والدوادار الحاجب وللحاجب أى أن هذا الجيش من الأعـوان يعـيش علـى ظلم من يوقعه سوء حظه وبؤس قدره بين أيديهم من عامة الشعب المغلـوب علي أمره. وقد ساق الباحث هذا النص كاملاً لأنه دليل على أن نظام بيع الوظائف كان من العوامل التى أدت إلى خراب مصر زمن سلاطين المماليك.

أسهمت الرشوة في تدهور هذه الوظيفة بعد أن أصبحت من السمات المميزة لعصر سـلاطين الممالـيك، وبعد أن أصبحت الطريق الوحيد إلى الوظائف المهمة في الدولة، وكان ذلـك بطبيـعة الحـال على حساب الجدارة والكفاءة اللتين أصبحتا لا وجود لهما أمام طوفان الأمـوال المبذولة، مما أفضى إلى خراب الدولة خاصة بعد أن أصبحت الرشوة هى الطريق إلى مجال الوظائف العسكرية التى كانت بمثابة العمود الفقرى لدولة سلاطين المماليك.[٣٤٩]

ويـبدو أن الأهمية الزائدة للوظيفة واتساع نطاق اختصاص الحجاب زمن سلاطين المماليك كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بغير حساب على هذه الوظيفة، فقد كانـت وظـيفة الحجابـة من بين أهم الوظائف التى تولى بالرشوة ويسعى في ذلك راغبوها فتولاه بعض الحجاب من غير الأمراء بالبذل فكان أن تدهورت تلك الوظيفة كغيرها.[٣٥٠]

وقـد كتـب المقريـزى معلقاً على نظام بيع الوظائف بقوله: "أن الولايات كلها من القضاء والحسبة وولاية الحرب في الأعمال والكشف، وسائر الوظايف، لا سبيل أن ينالها أحد إلا بمـال، يقوم به أو يلتزم بأدائه، ويكتب به خطة، فتطاول كل نذل رذل وسفلة إلى ما سنح بخاطره من الأعمال الجليلة والرتب العلية، فدهى الناس من ذلك بداهية دهياء، أوجبت خراب مصر والشام، كما ستراه فيما يمر بك على طول السنيين في أوقاته".[٣٥١]

أمـا تعلـيق الصـيرفى علـى نظـام بـيع الوظائف فيذكر بقوله: "هذا الأمر من المنكرات".[٣٥٢]

---

348 المقريزى، السلوك، جـ٤ ق١، ص٣٩٠ - ٣٩١.

349 أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٤٣.

350 إسماعيل عبد المنعم، الأمراض الاجتماعية، ص٢٠٩.

351 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٣٢٤.

352 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص١٦٧.

أمـــا ابـــن إيـــاس فقد شارك أيضاً في السخط على نظام بيع الوظائف بقوله: "وهذه الأمـــوال العظـــيمة الـــتى سعى بها هؤلاء ما يستخلصونها إلا من أضلاع المسلمين والأمر لله".[353]

وتـــتحدث المصـــادر عـــن الأشخاص الذين نجحوا في الوصول إلى وظيفة الحجابة بالـــبذل والـــبرطلة ومن هؤلاء الطنبغا مملوك طراباى الذى استقر في حجوبية غزة في عام ٨٥١هـــ/١٤٤٧م،[354] وعبد العزيز بن محمد الصغير الذى صار في عام ٨٥٣هـــ/١٤٥٠م مـــن جملة الحجاب بالقاهرة بعد أن قدم للسلطان جقمق عدة خيول،[355] ويشير النوروزى الذى عمـــل بكل من حجوبية طرابلس ودمشق بالبذل لعدم تأهله،[356] ومن بين الذين تولوا حجوبية هـــذه النيابة أيضاً تشير المصادر إلى يشبك داودار قالى باى البهلوان الذى استقر فيها بالبذل فـــي عام ٨٥٩هـــ/١٤٥٥م لكونه من الأوباش ولم تسبق له رئاسة،[357] وإلى شاذبك الصارمى الذى صار حاجباً للحجاب بها بالبذل.[358]

كمـــا تحـــدث الســـخاوى عن قاسم بن جمعة الشباسى الذى بذل مالا لتولى حجوبية الحجاب بحلب في عام ٨٥٣هـــ/١٤٥٠م.[359]

ويضيف ابن تغرى بردى إليهم العلائي الأزبكى المتكلم في عد الغنم بالبلاد الشامية الـــذى بذل خمسة وأربعين ألف دينار لتكون معه مضافة لعد الأغنام، بيد أن الشهابى أحمد بن قليـــب حاجب طرابلس لم يكن يقبل مثل هذا التعدى الصارخ على وظيفة فتسارع بعرض بذل قـــدرة خمســـون ألف دينار على الوظيفتين نكاية للأزبكى، الذي يبدو أنه قبل التحدى فوقعت الـــزيادة بيـــنهما حتى وصل المبلغ المعروض على السلطان الظاهر خشقدم ستة وسبعين ألف ديـــنار، وفى هذا يقول ابن تغرى بردى: "وهذا شيء لم نسمع مثله في سالف الأعصار، وما يكـــون شـــأن هاتيـــن الوظيفتين حتى تصلا إلى هذا الحد" وحسماً للموقف اقترح الشهابى بن العيـــنى على السلطان أن يظل كل منهما على وظيفته في مقابل سبعين ألف دينار ثلاثين على الأزبكى، والباقى على ابن قليب.[360]

---

[353] ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٥، ص٢٧.

[354] السخاوى، التبر المسبوك، ص١٧٤ – ١٧٥؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٥٥.

[355] السخاوى، التبر المسبوك، ص١٧٤؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٥٥.

[356] السخاوى، الضوء اللامع، جـــ١٠، ص٢٨٠.

[357] ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـــ١٦، ص٩٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـــ١٠، ص٢٨٠؛ رقم ١١٠٠؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٥٥.

[358] السخاوى، الضوء اللامع، جـــ٣، ص٢٩٠ رقم ١١٠٣.

[359] السخاوى، التبر المسبوك، ص٢٧٠.

[360] ابن تغرى بردى، منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص٥٢٨؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٥٦.

ولم يقتصر أمر البذل على تولى وظيفة الحجاب فقط بل عداه إلى الانتقال منها كذلك فقد روى ابن تغرى بردى أن الأمير خير بك النوروزى حاجب صفد استقر في عام ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م في نيابة غزة عوضا عن طوغان العثمانى وذلك بمال كبير بذل في ذلك لوضاعته في الدولة.[٣٦١]

وقد بات واضحاً أن البذل والبرطلة قد أفضيا في النهاية إلى توصل أوباش الناس إلى الرتب العليا في الدولة كما أفضيا كذلك إلى انصرافهم عن مباشرة مهامهم ووظائفهم وأعبائهم إلى جمع المال من كل صوب وحدب إما لتعويض ما سبق أن بذلوه للحكام على هذه الوظائف، وإما لجمع أكبر قدر ممكن،[٣٦٢] بعد أن أيقنوا أن فترة ولايتهم لن تطول إلا بتجديد البذل والبرطلة.[٣٦٣]

والتاريخ المملوكى ملىء بالكثير من هذه المهازل، فيشير ابن تغرى بردى في حوادث عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد قبض على أحد مماليكه ويدعى ركن الدين بيبرس والذى كان قد ولاه الحجوبية، ثم جرده إلى اليمن فلما بلغها أخذ براطيل من صاحبها وتراخى في أمر السلطان.[٣٦٤]

وقد ترتب على البذل أيضاً أن قصر متوسط مدة الوظيفة وبالتالى كثرة عدد متوليها من الحجاب في فترة ما.. فنتبين من أغلب مصادر التاريخ المملوكى أن متوسط مدة الوظيفة قد تراوح بين العام والعامين وإن لم يمنع ذلك أن يتولاها الحاجب خمسة أعوام متتالية.[٣٦٥] الأمر الذى أدى إلى تزايد عدد الحجاب في عهد السلطان الواحد كلما تزايدت أهمية الوظيفة وتزايد مقدار البذل فيها ويتضح ذلك للباحث من عدد الحجاب الذين تولوا هذا المنصب في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إذ بلغ عدد من تولاها في تلك الفترة أى من عام ٧٠٩ – ٧٤٠هـ/ ١٣٠٩ – ١٣٣٩م أربعة عشر حاجبا هم سنقر الكمالى، بكتمر الحسامى، لاجين العمرى، الطنبغا محمد بن الوزيرى، طينال بيبرس أمير أخور، الماس الجاشنكير، قطلوبغا المعزى، أمير مسعود بن الخطير، جاريك قفجق ايدغدى الخوارزمى أقول، محمد بن خطير برسبغا، ويبدو أن كثيراً ما كان السلطان يولى الحجاب هذه الوظيفة ماداموا حائزين على رضاه، فإذا غضب عليهم عزلهم واستبدل بهم غيرهم أو أمر بالقبض عليهم، فيشير الصيرفى في حوادث عام ٨١٦هـ/ ١٤١٣م "خلع على الأمير إينال الصصلائى خلعة الرضا

---

361 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٣٨٧؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٣٥.

362 ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٤٣٠ – ٤٣١.

363 ابن حجر أنباء الغمر، جـ٣، ص٤٧٦؛ المقريزى، السلوك، جـ٤ ق٣، ص٨٧٠ – ٨٧١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٣٦٠ – ٣٦١؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص٢٣٧ – ٢٣٨؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص١٣٨.

364 النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٠٠.

365 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٥٦.

لما كثر فيه من القيل والقال". [٣٦٦] هذا في حالة الرضا من السلطان، أما حالة غضبه عليهم فإن الأمر ينتهي بعزلهم أو القبض عليهم وسجنهم أو قتلهم.

وقد تعددت أسباب غضب السلطان على الحجاب وكذلك تعددت أسباب عزلهم، فيحدثنا الصيرفي في حوادث عام ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م بأنه خلع على الأمير بردبك الاسماعيلى واستقر حاجبا ثانيا بالديار المصرية عوضا عن الأمير إياس الجلالى بحكم عزله وكان السبب في ذلك أن إياس الجلالى لا يخلو شهر من الشهور ولا جمعة من الجمع إلا ويشكو للسلطان من ضعف حاله وعجز إقطاعه وكثرة مصروفه، فوقع أنه يوما من الأيام فعل عادته وأمعن في الكلام فغضب السلطان عليه ورسم أن يحبس في بيته وأخرج عن إمرته وعزله عن الحجابة. [٣٦٧]

أما المؤرخ السخاوى فيشير في حوادث عام ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م بأنه تم عزل علان المؤيدى من حجوبية الحجاب لشكوى نائبها منه، ولكنه استمر في وظيفة بسفارة كاتب السر، [٣٦٨] حيث عرف السلطان أن سبب التنافر بينه وبين النائب قيام الحجاب بإزالة المنكرات من حلب وأمره بالمعروف فيها، ثم لم يلبث أن قدم كل منهما إلى أستاذه محجته فآل السلطان إلى النائب وعزل الآخر ورسم له بالتوجه إلى طرابلس بطالا، [٣٦٩] وقرر عوضه في الحجوبية قاسم بن جمعة الشباسى بمال بذله. [٣٧٠]

وقد ترتب على البذل والبرطلة كذلك ظاهرة جديدة هي الجمع بين عدة وظائف في آن واحد إلى جانب وظيفة الحجوبية، مما أفضى ليس فقط إلى فساد هذه الوظائف وتدهورها، بل إلى تدهور الجهاز الإدارى برمته بعد أن سرى الفساد في جميع أركان الدولة. [٣٧١]

وتطالعنا أغلب الكتابات المملوكية بما لا يدع مجالاً للشك بأنه في كثير من المجالات كان الحاجب يجمع بين أكثر من وظيفة إلى جانب الحجابة، فيروى ابن إيبك في أحداث عام ٧١٠ هـ/ ١٣١٠م أن الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب تولى الوزارة بمصر إلى جانب الحجابة عوضاً عن الوزير فخر الدين، [٣٧٢] وفى عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م تولى الأمير سيف

---

[366] الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٣٠.

[367] الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص١٣٠.

[368] كاتب السر، ناظر ديوان الانشا وهو المسئول عن قراءات الكتب للسلطان والرد على الرسائل وقراءة القصص بدار العدل. البيومى إسماعيل، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١١٨، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٠٢.

[369] البطالون من الأجناد والأمراء هم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها، نتيجة غضب السلطان أو كبر السن، أو إضطرارا إلى الأعتكاف والاختفاء، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد، المقريزى، السلوك، جـ١ ق١، ص٧٣.

[370] السخاوى، التبر المسبوك، ص٢٧٠.

[371] أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص١٣٨.

[372] ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٢٠٨.

الدين طينال الحاجب نيابة طرابلس عوضا عن شهاب الدين قرطاى الحاجب ثم انتقل منها إلى نيابة غزة وذلك في عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م.[٣٧٣]

ويذكر ابن إياس في حوادث عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م أنه خلع على بكتمر العلمى حاجب الإسكندرية وقرر تعيينه في نقابة الجيش.[٣٧٤]

وفى عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م خلع على الأمير مامور القلمطاوى واستقر في نظر خانكاه سرياقوس إلى جانب حاجب الحجاب.[٣٧٥]

ويخبرنا ابن إياس أيضا أن خليل بن عرام جمع بين أكثر من وظيفة منها حجوبية الحجاب والوزارة والأستادرية، ونيابة الإسكندرية وغير ذلك من الوظائف وذلك في عام ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م.[٣٧٦]

وقد جمع علاء الدين الطبلاوى بين عدة وظائف منها ولاية الشرطة والحجابة واستادار خاص الخاص وناظر الكسوة والكعبة ومحتسب القاهرة وولايتها ودار الضرب والمتجر، وقد شق القاهرة في احتفال كبير في عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م.[٣٧٧]

ويشير الصيرفى في حوادث عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بأنه خلع على الأمير فارس حاجب الحجاب واستقر ناظرا للشيخونية والصرغتمشية.[٣٧٨]

وفى عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م خلع على الأمير مبارك شاه الحاجب بنيابة الوجه القبلى.[٣٧٩] وفى نفس العام أيضا خلع على الأمير شهاب الدين الحلبى واستقر في ولاية القاهرة على عادته عوضا عن شهاب الدين أحمد وأضيف إليه ولاية مصر والحجوبية الصغرى.[٣٨٠]

وفى حوادث عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م خلع على بهاء الدين رسلان نقيب الجيوش واستقر حاجبا مضافا لما بيده من نقابة الجيش.[٣٨١] وفى نفس العام خلع على الأمير تغرى بردى متولى القاهرة واستقر حاجبا صغيرا مضافا لما بيديه من الولاية.[٣٨٢]

---

373 ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٣٧٢.

374 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص١٣٢.

375 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٢٥١.

376 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٧٥.

377 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٦٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٤٧٣.

378 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٤٢٩.

379 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٧٢.

380 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٧.

381 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص١١٨.

382 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٣٣٨.

وقد جمع الأمير ناصر الدين محمد بن كلفت التركمانى بين الحجوبية وولاية القاهرة عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م.[٣٨٣]

وفى عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م جمع مبارك شاه بين الحجابة والوزارة،[٣٨٤] وفى عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م أضيف إلى ناصر الدين محمد شد الدواوين.[٣٨٥]

وأثناء عام ٨١١هـ/ ١٤٠٨م جمع الأمير أرسطاى بين عدة وظائف نذكر منها رأس نوبة كبيرة ثم تولى الحجابة الكبرى في القاهرة بالإضافة إلى نيابة الإسكندرية.[٣٨٦]

وخلع على الأمير منكلى بغا العجمي في عام ٨١٦هـ/ ١٤١٣م واستقر في حسبة القاهرة مضافا إليه الحجوبية الصغرى أيضا.[٣٨٧]

ومازال الباحث يتتبع الوظائف الأخرى التى خلعت على الحجاب إلى جانب وظائفهم، ففى عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م خلع على الأمير التاج استادار الصحبة الشريفة واستقر في ولاية القاهرة إلى جانب الحجوبية.[٣٨٨]

وفى نفس العام جمع الأمير طرباى حاجب الحجاب بين أكثر من وظيفة إلى جانب الحجوبية، فقد تولى ناظر جامع عمرو بن العاص والجامع الأزهر ومدرسة الأمير الجاى.[٣٨٩]

ويشير ابن إياس في حوادث عام ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م إلى على ناصرى محمد بن العطار الذى جمع بين عدة وظائف منها نيابة الإسكندرية وحجوبية حماة ونظر القدس والخليل.[٣٩٠]

بل أن الصيرفي يندهش عندما يحدثنا في عام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م بأنه رسم باستقرار خليل بن شاهين الشيخى ناظر الإسكندرية وحاجبها في نيابة الثغر مضافا لما بيده من الحجوبية، فيعبر عن دهشته هذه بقوله: "فياليت شعرى إذا كان النائب هو الحاجب فماذا يصنع؟ فإن الحاجب معد للوقوف بين يدى النائب وهو أمر لم يعهد من قبل".[٣٩١]

---

383 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٣، ص١٠٨٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٥٧؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص١٤٦.

384 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص١٦٦.

385 المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٣، ص١١١٣؛ ومشد الدواوين، موظف مالى له سلطة المراقبة والإشراف والتفتيش وغالباً يلجأ إلى الشدة في عمله، البيومى إسماعيل، النظم المالية في مصر، ص٤٠٥.

386 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٥٠.

387 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٣٦٥.

388 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٨٧.

389 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٩٨.

390 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٠١.

391 الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٨٨.

والواقـــع أن حالـــة الـــبذل من قبل خليل بن شاهين الظاهرى تعتبر أصدق دليل على تدهور وظـــيفة الحجابة، فقد أرسل خليل بن شاهين ثلاثة آلاف دينار، ووعد بمثلها، الأمر الذى أثار دهشة كتاب هذا العصر، لأنه لم يحدث من قبل أن يكون النائب حاجبا، ويعبر المقريزى عن ذلـــك بقولـــه: "ولـــم ندرك مثل ذلك" لاسيما وأن مهمة الحاجب هى الوقوف بين يدى النائب والتصرف بأمره ولكن "هى الأيام كلها قد صرن عجائب حتى ليس فيها عجايب".[٣٩٢]

ويشـــير السخاوى إلى جانبك اليشبكى الذى جمع بين ولاية القاهرة والحجوبية ثم أضيفت إليه الحســـبة في عام ٨٥٤هـــ/ ١٤٥٠م.[٣٩٣] وتمر بن محمود شاه الظاهرى الذى جمع بين ولاية القاهرة وحجوبية الحجاب.[٣٩٤]

ويذكـــر ابـــن إيـــاس فـــي أحداث عام ٩٠٤هـــ/ ١٤٩٨م أن الأمير يلباى جمع بين حجوبية طـــرابلس والنيابة[٣٩٥] وفى عام ٩٢٢هـــ ١٥١٦م يشير ابن إياس بقوله: "أخلع السلطان على الأمـــير طقطـــباى حاجـــب الحجـــاب وجعله متحدثاً في كشوفية البحيرية عوضا عن يوسف البدرى، مضافاً لما بيده من الحجوبية الكبرى".[٣٩٦]

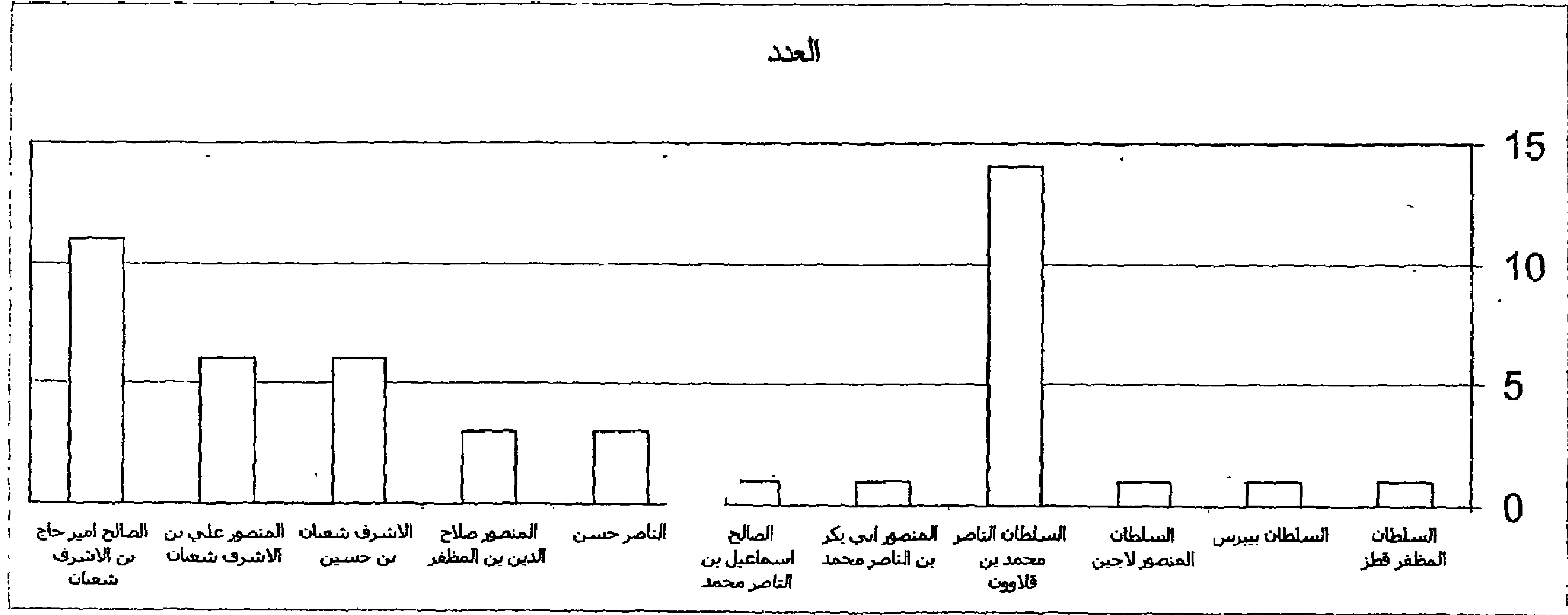
وفى كثير من الأحيان كان الحاجب ينتقل إلى نيابة السلطنة، ففى عام ٧٧٥هـــ/ ١٣٧٣م خلع السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الأمير أقتمر عبد الغنى الحنبلى حاجب الحجاب ونقل من وظيفة الحجوبية إلى نيابة السلطنة بمصر.[٣٩٧]

هكذا، يتبين لنا مدى التدهور الذى آلت إليه هذه الوظيفة زمن سلاطين المماليك الجراكسة بعد أن أقبل الحجاب وأعوانهم على أخذ الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل.

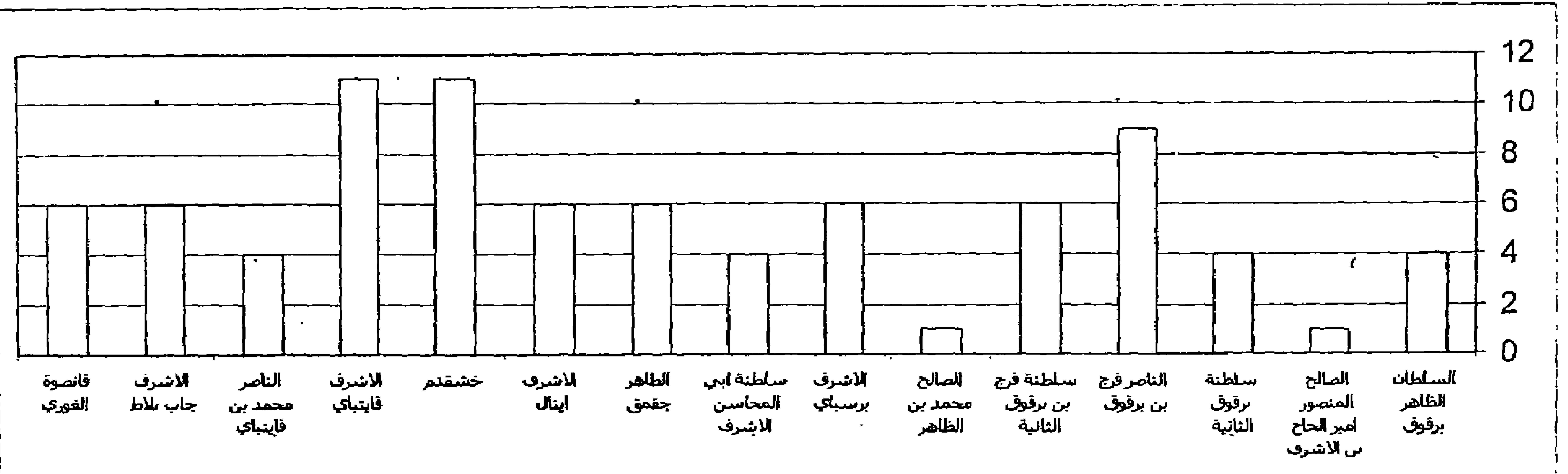
والآن قـــبل الحديث عن الأعمال أو الآثار الفنية الباقية للحجاب، فإن ثمة ملاحظات علـــى الباحث أن يقف عندها استنادا إلى الرسومات البيانية التالية والجداول الخاصة بالحجاب على طول العصر المملوكى الواردة في نهاية البحث.

---

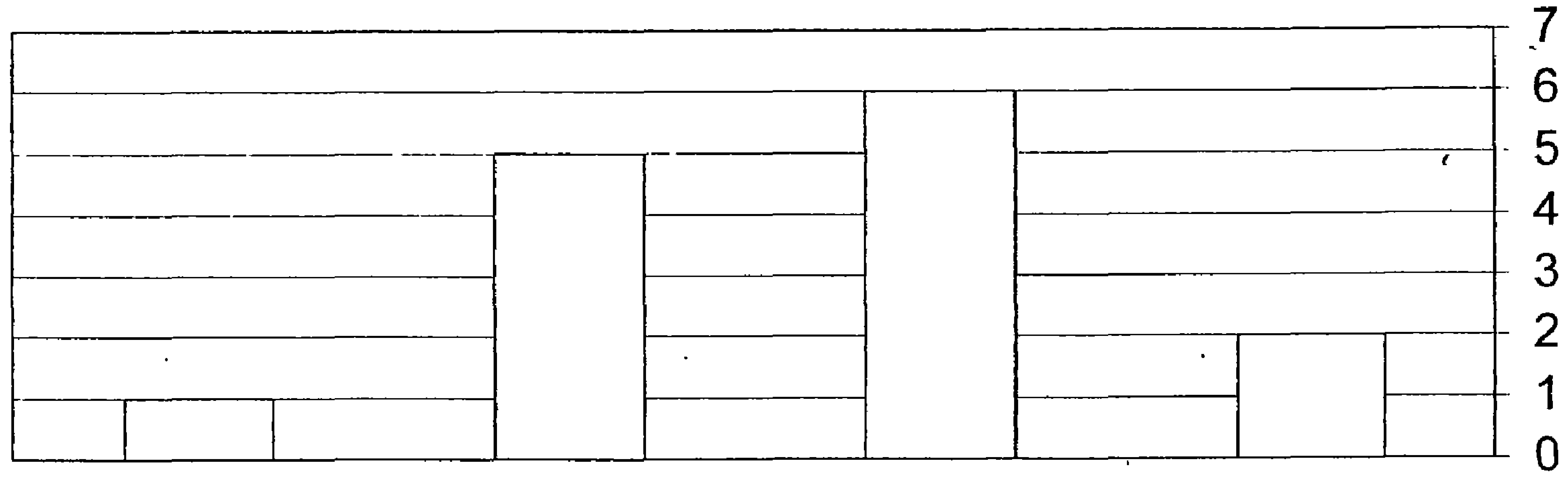
392 المقريزى، السلوك، جـــ٤، ق٢، ص٩١٧؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٤٥.
393 السخاوى، الضوء اللامع، جـــ٣، ص٦١ – ٦٢؛ التبر المسبوك، ص٢٦٢.
394 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص١٠٧.
395 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٣، ص٤٢٣.
396 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٥، ١١٦.
397 ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ١ ق٢، ص١٢٣.



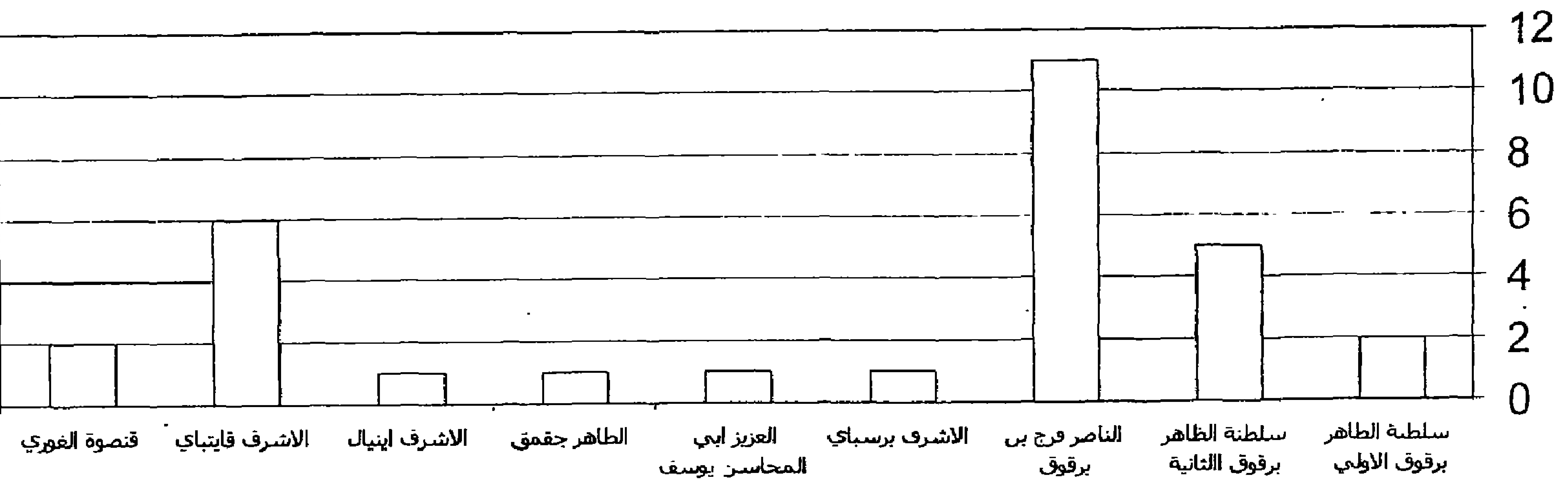
شكل (١) التوزيع العددي لحاجب الحجاب بدولة المماليك البحرية



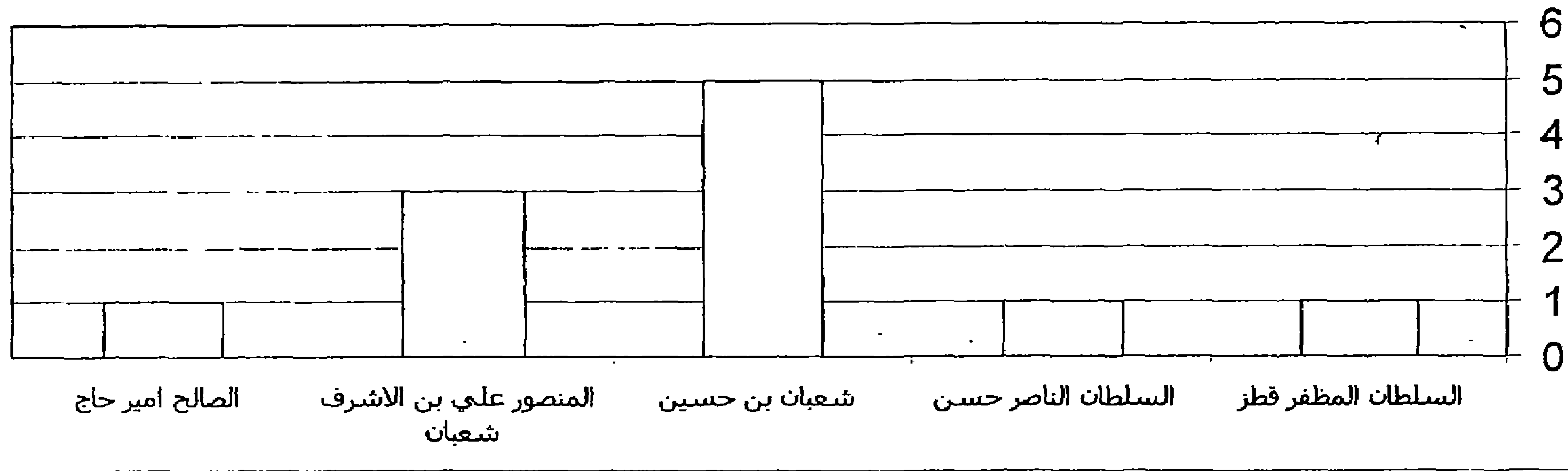
شكل (٢) التوزيع العددي لحاجب الحجاب بدولة المماليك الجراكسة



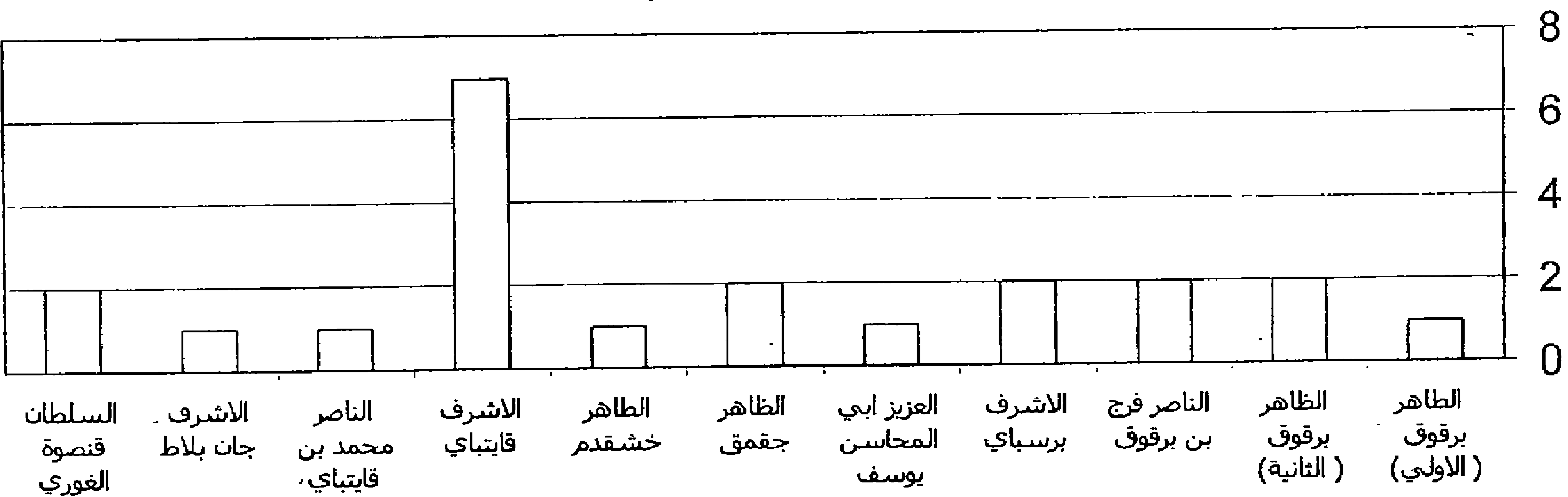
شكل (٣) التوزيع العددي لوظيفة الحاجب بدولة المماليك البحرية



شكل (٤) التوزيع العددي للحاجب بدولة المماليك الجراكسة



شكل (٥) التوزيع العددي لحاجب ميمنة في دولة المماليك البحرية



شكل (٦) التوزيع العددي لحاجب ميمنة في دولة المماليك الجراكسة

يمكـــن القول بأن عصر سلاطين المماليك قد شهد تعيين العديد من الحجاب بمصر مـــا بين حاجب حجاب (أمير حاجب أو حاجب كبير)، وحاجب، وحاجب ثان (حاجب ميمنة)، وحاجب ميسرة، وحاجب ثالث، وحاجب رابع، وحاجب خامس، وحاجب صغير.

ويستشـــف من الجداول البيانية السابقة والجداول الواردة في ختام البحث، أن بعض الحجـــاب شـــغلوا هذه الوظيفة عدة سنين مثل أقباى بن عبد الله الطرنطاوى في ثبت حاجب الحجـــاب، والـــبعض الآخر استقر في الوظيفة لمدة عام واحد ثم ترك المنصب بسبب ولايته لنـــيابة الشام، ثم عاد للمرة الثانية في منصب الحجوبية مثل أقتمر عبد الغنى التركى في ثبت حاجب الحجاب.

وقد شغل بعض الحجاب المنصب لمدة ثلاث سنوات مثل أيدكار بن عبد الله العمرى في ثبت حاجب الحجاب. أما إينال بن عبد الله الأزعرى في ثبت حاجب الحجاب وطوغان بن عبد الله السيفى في ثبت حاجب الحجاب قد شغل المنصب لمدة ست سنوات، وبيبرس العلائى حاجب الحجاب دمشق فقد تولى الوظيفة من عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م ومات في عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م أى أنه ظل في منصب الحجوبية لمدة تسع سنوات.

وبالنســـبة لـــتغرى بردى البكلمشى المعروف بالمؤذى في ثبت حاجب الحجاب، فقد شغل الوظيفة لمدة أربع سنوات مثل جانبك القرمانى الذى شغلها أيضاً أربع سنوات، والبعض الآخر شغلها لمدة خمس سنوات مثل سودون القاضى الظاهرى في ثبت حاجب الحجاب.

وهـــناك مـــن اســـتقر فـــي هذه الوظيفة لمدة سنتين مثل سودون قراسقل وطوغان العثمانى في ثبت حاجب الحجاب.

وتكشـــف الجداول والإحصائيات عن أشخاص شغلوا الوظيفة أكثر من عشر سنوات مثل طيطق الأحمدى الحاجب الثانى بمصر.

وهناك من تولى هذه الوظيفة أكثر من مرة مثل أقتمر عبد الغنى التركى وطرنطاوى البشـــمقدار الناصرى حاجب الحجاب ويكشف الثبت أيضاً ان جميع من تولى وظيفة الحجابة في العصر المملوكى كان من طبقة المماليك وليس من عامة الشعب.

ويفهم كذلك من دراسة تراجم هؤلاء الحجاب أن هذه الوظيفة كانت دائماً ذات بريق أخـــاذ يســـيل لعاب الطامعين، والدليل على ذلك كثرة حالات البذل والبرطلة والمبالغ الكبيرة التى بذلت على هذه الوظيفة زمن سلاطين المماليك.

وينـــبغى الإشـــارة إلـــى أن بعض هؤلاء الحجاب قد استطاع أن يجمع بين الحجابة ووظـــائف آخرى كنيابة السلطنة، مثل سودون بن عبد الله الفخرى الشيخونى في ثبت حاجب الحجـــاب، وجانبك الحاجب ، وسودون بن عبد الله المظفرى حاجب حلب ونائبها ومنكلى بغا بـــن عـــبد الله الصلاحى محتسب القاهرة وأحد الحجاب وعلى بن عبد الله الأمير علاء الدين الطـــبلاوى والـــى القاهـــرة، ونقيب الجيش، وأمير حاجب وتغرى بردى البكلمشى المعروف

بالمؤذى حاجب الحجاب الذى تولى وظيفة الدويدارية الكبرى وأقتمر عبد الغنى التركى نائب الشـــام وحاجب الحجاب وخليل بن عرام نائب الإسكندرية وحاجب الحجاب، وعلى بن قشتمر التركى نائب الإسكندرية وحاجب ثانى ومبارك شاه الظاهرى الذى شغل منصب الحجوبية إلى جانـــب نـــيابة الإسكندرية والوزارة والاستادارية والتاج الوالى الذى اجتمعت له عدة وظائف مثل ولاية القاهرة والحجوبية وشد الدواوين، والمهندارية.

بقيـــت ملاحظـــة أخـــيرة هـــى أنه من بين هؤلاء الحجاب من لم نعثر على تاريخ استقرارهم في المنصب، و لم نعثر أيضاً على تاريخ وفاتهم، و تعرضوا للمصادرة والقتل بل وهلك بعضهم تحت العقوبة.

وتعكـــس الرســـومات البيانية السابقة أن أقل عدد للحجاب زمن السلاطين المماليك الـــبحرية كـــان في عهد السلاطين قطز وبيبرس والمنصور لاجين، حيث تذكر لنا المصادر حاجـــبا لكل منهم. أما أكبر عدد للحجاب فقد وصل ١٤ حاجبا في عهد السلطان الناصر محمد بـــن قلاوون، على اثر إلغائه وظيفة نائب السلطنة وانتشار البذل والبرطلة من أجل الحصول علـــى الوظـــائف العالـــية، يلـــيه ١١ حاجبا في عهد السلطان الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان.

أمـــا فـــي عهـــد سلاطين المماليك الجراكسة فقد بلغ عدد الحجاب أوجه في عهدى الســـلاطين خشقدم والأشرف قايتباى، حيث بلغوا ١١ حاجبا لكل منهما، ولعل السبب الرئيسى فـــي هذه الزيادة هو ما كانوا يبذله الأمراء من رشاوى وهدايا من اجل الحصول على منصب الحجابـــة؛ كمـــا كان للرضى السلطانى عن بعض الأمراء دوره في توليهم الحجابة. ويليهما السلطان الناصر برقوق الذى بلغ عدد الحجاب في عهده ٩ حجاب.

الحياة الثقافية والأعمال الفنية للحجاب

دور الحجاب في الحياة الثقافية:

والآن إذا ما أردنا التحدث عن دور الحجاب في الحياة الثقافية في المجتمع المملوكى لا نجـــد فـــي بطون المصادر التاريخية المملوكية التى أرخت لتلك الفترة إشارات تفيد وجود إنجـــازات علمية أو أدبية للحجاب، إلا إشارة بسيطة عابرة أوردها ابن إياس تتعلق بالحاجب خلـــيل بن عرام فيذكر "كان خليل بن عرام فكه المحاضرة وله مشاركة في العلم، وكان فطنا ذكـــياً، وله نوادر وحكايات يذاكر بها، وكان ألف تاريخاً مفيداً في وقائع الأحوال، والتوفيات وغير ذلك، وفيه يقول الشهاب أحمد بن العطار:

أيا ابن عرام قد سُمرتَ مشهرا *** وصار ذلك مكتوبا ومحسوبا

مازلت تجهد في التاريخ تكتبه *** حتى رأيناك في التاريخ مكتوباً[٣٩٨]

وقـد أسهم بعض الحجاب أيضاً في الحياة الفنية زمن سلاطين المماليك، يشهد بذلك بعـض الـتحف التى صنعت برسمهم، ووصلنا بعض منها تمثلت في المصنوعات الزجاجية الأمر الذى يبين مدى الثراء الذى عاشه هؤلاء الحجاب زمن المماليك.

التحف الزجاجية:

ازدهـرت صـناعة الـزجاج بعامة في عصر المماليك، وساعد على ذلك ما ورثه صـناع الزجاج في ذلك العصر من تقاليد صناعية راسخة ترجع إلى آلاف السنين، ثم أخذت تتقدم فيها على مر السنين.

ولقـد تفـوق صـناع الزجاج في عصر المماليك في صناعة الزجاج المموه بالمينا والذهب الذى لاقى إقبالاً شديداً في شتى أنحاء العالم،[٣٩٩] ومن هذه التحف التي تخص الحجاب المشكاوات.[٤٠٠]

ولديـنا مشـكاة باسـم الأمير ألُماس على رقبتها ثلاثة رنوك بها شارة هذا الأمير، وعليها كتابة نصها "مما عمل برسم الجامع المعمور يذكر الله تعالى وقف المقر العالى السيفى ألمـاس أمـير حاجـب الملكى الناصرى والمعروف أن الجامع المذكور بنى عام ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. وعلـى قـاعدة هذه المشكاة توقيع الصانع في كتابة تقرأ "عمل العبد الفقير على بن

398 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٧٥ – ٢٧٦.

399 حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م٢، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م. ص٢٥٧.

400 أطلق علماء الآثار والفنون الإسلامية كلمة مشكاة على الإناء الزجاجى الذى كان يوضع فيه المصباح، وكان مـن فوائـده حفـظ نار المصباح من هبات الهواء وتحويلها إلى ضوء ينتشر. حسن الباشا، الآثار الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦؛ ص٢٧٠؛ موسوعة العمارة، ص٢٥٦؛ ولقد وردت كلمة مشكاة في سورة النور الآية (٣٥).الله نُـورُ السَمَوَتِ والأرض مثلُ نُوره كمشكوة فيَها مصبَاحُ المصبَاحُ في زُجاجةٍ الزجاجةُ كأنهاَ كَوكبٌ دُرىٌّ...". والمشـكاة فـي اللغة هى كل كوة غير نافذة وربما قصد بها في القرآن الكريم موضع الفتيلة أو الزجاجة التى يستصبح فيها تشبيها لها بالمشكاة أو ربما قصد بها الحديدة التي يعلق عليها القنديل انظر، حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار، ص٢٥٦. أحمد عبد الرازق، الفنون الإسلامية في العصرين ص٢٦٧. أما المشكاة نفسها فكانت تعلـق فـي داخل المساجد وغيرها بسلاسل من الفضة أو النحاس الأصفر تشبك بالمقابض التى تلف حول بدن المشكاة، وكانت السلاسل تجمع أحياناً عند كرة مستديرة أو بيضية تتصل بها سلسلة تنزل من السقف انظر، دليل متحف الفن الإسلامى، دار الآثار العربية سابقاً، القاهرة، ١٩٥٢م، ص١٣٥؛ حسن الباشا، موسوعة الآثار، ص ٢٥٦. وتشبه المشكاة في شكلها العام إناء الزهور، فهى ذات بدن منتفخ ينساب إلى أسفل، وينتهى بقاعدة، ولها رقـبة علـى هيـئة قمع متسع وألوانها بين الأحمر والأخضر والأبيض والوردى، انظر، حسن الباشا، الآثار الإسلامية، ص٢٧٠ – ٢٧١؛ موسوعة العمارة والآثار، ص٢٥٦.

محمـــد أمكـــى غفـــر الله"؛[401] هكذا، يشير النص التاريخي الوارد على بدن هذه المشكاة إلى وظيفة أمير حاجب، والتى كان يتوليها ألماس عام ١٣٣٠م.

وتمـــثل الكـــتابة على المشكاوات الخاصة بالحجاب أهمية قصوى بالنسبة للدراسات الاجتماعية والتاريخية والأثرية والتى يطلق عليها الكتابات التذكارية، إذ إنها تتضمن في كثير مـــن الأحـــيان اســـم من صنعت برسمه المشكاة مصحوباً بألقابه الفخرية والوظائفية وبعض الأدعـــية المناسبة له، خاصة إذا كان من بين السلاطين أو كبار الأمراء، بالإضافة على اسم المكـــان الذة صنعت برسمه المشكاة لتوضع فيه مثل "برسم الجامع المعمور" الذى ورد على مشكاة ألماس الحاجب من سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م. المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى، وقد يرد علـــى المشـــكاة أيضـــاً اســـم الصانع الذى قام بصنعها مثل "عمل العبد الفقير على بن محمد أمكـــى.... أو الـــرمكى، نســـبة إلـــى مدينة رمكة ببلاد الشام الذى نجده مدوناً على المشكاة السابقة.[402]

التحف المعدنية:

يعتـــبر العصـــر المملوكى بمثابة العصر الذهبى للصناعات المعدنية، إذ وصلت فيه منـــتجاتها إلـــى قمـــة نضجها الصناعى الفنى، وقد ساعد على ذلك إقبال السلاطين والأمراء المماليـــك على أقتناء التحف المعدنية، مما كان له أكبر الأثر في كثرة المنتجات المعدنية التى اتســـمت بدقـــة صـــنعها وغنى زخارفها بالكثير من العناصر النباتية والهندسية بالإضافة إلى رســـوم الكائنات الحية الآدمية والحيوانية ورسوم الطير المحلق بجناحيه في الهواء مما أضفى على الزخارف حياة وحركة نلمسها في معظم ما وصلنا من تحف معدنية من هذا العصر، ولا ننســـى الكتابة العربية التى نقشت بالخطين الكوفى والنسخ أو بخط الثلث الذى اشتق من الخط الأخير.[403]

---

[401] دليل متحف الفن الإسلامى، ص١٣٥ – ١٣٦؛ محمد مصطفى، متحف الفن الإسلامى، ط١، القاهرة ١٩٥٤م، ص٩٤ – ٩٥؛ Lamm, C. J., *Mittelaterliche Gläser und steinscnittarbeiten aus dem Nahen Osten*, Berlin, 1930, pp. 437-438; Wiet, Lampes, p.123 No 3154.
Max Herz, B., *Catalogue raisouné des monuments exposes dans le musée national de l'art arabe*, Le Caire, 1906, pp. 314-316 no 4; Gayet, AL, *L'art arabe*, Paris, 1893, p. 241; Lane Poole, *Art of the Saracens in Egypt*, pp. 210, 219; Hiba Alī Yūsuf, *Le clairage á l'époque Mamlūke en Egypte*, Paris, 2001, p .PL. XLII; Gayet. AL., L'art arabe, p. 247; Max Herz, Catalogue,pp. 314-316.

[402] أحمد عبد الرازق، الفنون الإسلامية في العصريين الأيوبى والمملوكى، ص٢٦٨.
Herz, *Le museé national de l'art arabe*, pp. 314-316; Lamm, C. J., *Mittelalterliche Gläser und steinsch nitt arbeiten aus dem Nahem Osten, Berlin*, 1930 , p. 488.
Lamm, *Mittelalterliche Gläser*, pp. 437-438.

[403] محمد الأشقر، نائب السلطنة المملوكية، ص٢٧٤.

وقــد وصلنا العديد من التحف المعدنية التى نجد من بينها تحفا صنعت برسم بعض الحجــاب.[404] ومن التحف التى صنعت برسم بعض الحجاب نذكر سلطانية من النحاس مطلية بالقصــدير، تحمــل رنك باسم تمر أمير حاجب الحجاب المتوفى عام ٨٨٠هــ/١٤٧٥م، "مما عمل برسم المقرّ الأشرف العالى المولوى الأميرى الكبيرى تمر أمير حاجب الحجاب بالقاهرة المحروسة عز أنصاره".[405]

وهــناك طــبق مــن النحاس المطلى بالقصدير، وآخر من البرونز ظهر عليه رنك الحاجب أزبك من ططخ المتوفى عام ٩٠٤هــ/١٤٩٩م :مما عمل برسم الجناب الكريم العالى المولــوى الأمــيرى الكبيرى المخدومى السيفى نوروز أمير دوادار المقر السيفى أزبك أتابك العساكر المنصورى".[406]

المنشآت المعمارية للحجاب

لــم يســهم الحجــاب بنصيب وافر في حركة الإنشاء والتعمير التى شهدها عصر ســلاطين المماليك، وسوف تحاول الباحثة ذكر بعض الأعمال المعمارية التى تركها الحجاب ســواء كانت عمائر دينية مثل المساجد الجامعة والمدارس، أو عمائر مدنية كالدور والقناطر والرحاب.

أولاً:العمائر الدينية "الجوامع":

١- جامع ألُماس أثر رقم ١٣٠:[407]

يقع هذا الجامع عند تقاطع أول الحلمية بشارع القلعة (محمد على) بناه الأمير سيف الديــن ألُماس حاجب الحجاب، واتم عمارته في عام ٧٣٠هــ/ ١٣٢٩م[408] وبهذا الجامع رخام كثير نقله من بلاد الشام.[409]

---

[404] Esin-Atil, *Art of the Arab World*, Washington D.C., 1975, p. 92; Art of the Mamluks, p.197.

[405] Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.231 pl. LXVIII.

[406] Wiet,G., *Catalogue General du musee arabe du Caire objets en cuivre*, Le Caire, 1932, Mayer, *Saracenic Heraldry*, pp. 244-245.

[407] فهرس الآثار المصرية – بمدينة القاهرة، مصلحة المساحة ١٩٥١م ص٢.
Lane-Poole, *Art of the Saracens*, pp.210-211; Herz Max, *Catalogue raisouné*, pp.316-317; Lamm-Johan, *Mittelterlich Glgser*, pp. 437-438; Mayer, Saracenic Heraldy, pp. 241-242;
Ét. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, p.262; Wiet, *Lampes*, p.123.

[408] الأمير سيف الدين آلماس الحاجب هو أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، رقاه إلى أن صار من أكبر الأمراء، وعظمت منزله آلماس، عندما خرج الأمير أرغون إلى نيابة حلب، وبقى منصب النيابة شاغراً، وصار ألماس في منزلة النيابة إلا أنه لم يسم بالنائب. المقريزى، الخطط، جــ٢، ص٣٠٧؛ سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة ١٩٧٩م، جــ٣، ص١٧٤ – ١٧٥؛ Mayer, *Saracenic Heraldey*, p.241; Ét. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet, *Répertoire chronologique d'épigraphie*

٢- جامع أسنبغا أثر رقم ١٨٥:
بدأ الأمير أسنبغا في بناء هذا الجامع عام ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م ومات قبل إتمامه.[٤١٠]

ثانياً: المدارس:

انتشـر زمـن سلاطين المماليك الاهتمام بتشيد المدارس التى تثير الإعجاب بسبب ضـخامتها وزخرفتها التى بنيت بفن معمارى رفيع[٤١١] ولم يكن للحجاب نصيب وافر في بناء هذه المدارس.

١- المدرسـة البوبكرية (مدرسة الأمير أسنبغا): أنشأ هذه المدرسة الأمير سيف الديـن اسـنبغا بن بكتمر الأبوبكرى.[٤١٢] ويحدثنا المقريزى عن مدرسة أسنبغا فـيقول "تقـع هـذه المدرسـة بجوار درب العباسى قريباً من حارة الوزيرية بالقاهـرة، بـناها الأمير سيف الدين أسنبغا ووقفها على الفقهاء الحنفية، وبنى جوارهـا حـوض مـاء للسبيل وسقاية ومكتبا للأيتام وذلك في عام ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م، وبنى قبالتها جامعا فمات قبل إتمامه.[٤١٣]

٢- مدرسة خليل بن عرام: أنشأ حاجب الحجاب خليل بن عرام مدرسة عند قنطرة أمـير حسـين بـن جندر المطلة على الخليج الحاكمى من حكر النوبى خارج القاهرة، مات ودفن بها.[٤١٤]

ārabe, p.260 No 5579; Wiet, *Lampes*, p.123; Lamm, *Mittelalterliche Gläser*, p.488.
ألمـاس بضـم الألف وسكون اللام وفتح الميم معناه باللغة التركية "خالد".أحمد فكرى، تاريخ المساجد الأثرية بالقاهرة، ط١ بيروت ١٩٩٣م، جـ١، ص١٣٦.

409 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٠٧؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٣، ص١٧٤؛ فهرس الآثار الإسلامية، ص٢. وعن الوصف المعمارى لجامع ألماس الحاجب انظر سعاد ماهر مساجد مصر، جـ٣، ص١٧٦.

410 فهرس الآثار الإسلامية، ص٢.

411 جاسـتون فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادى، بيروت ١٩٦٦م، ص١٦٦؛ محمد الأشقر، نائب السلطنة المملوكية، ص٣٠٠.

412 جلـب إلى مصر في عهد السلطان المنصور قلاوون وتربى في طباق القلعة، وقد ظهرت مواهبه وهو في سن مبكرة مما جعل السلطان يقربه منه ويضمه إلى بلاطه، تدرج في الوظائف العسكرية حتى وصل إلى نيابة الإسكندرية ثم نيابة حلب، وكانت أسعد أيام أسنبغا في عهد السلطان الأشرف ابو المعالى زين الدين شعبان بن حسـين. المقريـزى، الخطط، جـ٢، ص٣٩٠ - ٣٩١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٣١٧؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٤، ص٢٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٤٢، ١٦٢.

413 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٩٠-٣٩١؛ وعن الوصف المعمارى للمدرسة انظر سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٤، ص٢٧ وما بعدها.

414 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٧٥.

ثالثاً: العمائر المدنية:

١- دار الحاجب:

أنشـأها الأمـير سـيف الدين بكتمر الحاجب، تقع هذه الدار فيما بين الخرنقش[٤١٥] وحـارة بـرجوان، ولمـا عمر الأمير بكتمر هذه الدار جعل بها اصطبلاً، وقام بتركيب باب بخوخـة ممـا يلى حارة برجوان، واشترط عليه الناس أن لا يمنع المارة من العبور في هذا المكـان، فوفى بما اشترط، واصبح الناس يمرون من هذا الطريق في وسط الاصطبل سالكين من حارة برجوان إلى الخرنقش، وكان يقال لها خوخة الحاجب.[٤١٦]

٢- دار بيبرس الحاجب:[٤١٧]

تقـع هـذه الـدار بخـط حارة العدوية[٤١٨] بالقاهرة داخل باب الزهومة،[٤١٩] وكانت مشهورة به.

٣- دار الحاجب:

تقـع خـارج باب النصر تجاه مصلى الأموات، أنشأها الأمير سيف الدين كهرداش المنصـورى أحد المماليك الزراقين، وهو الذى قام بفتح جزيرة أرواد، وتولى عمارة ومأذنة المدرسـة المنصورية عندما تهدمت في الزلزلة، توفى عام ٧١٤هـ/ ١٣١٤م، فاشترى هذه الدار الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ولم تزل بها ذريته.[٤٢٠]

٤- دار أُلماس:

---

415 حى الحرنفش كان ميداناً للخلفاء الفاطميين، وكان لهم سرداب تحت الأرض مدخله من باب القصر يمرون فـيه إلـى الميدان المذكور راكبين، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية، ولما تولى المعز أيبك الـتركمانى السـلطنة بـنوا به أصطبلات. وكلمة الخرنقش تعنى ما يتحجر مما يوقد به في مياه الحمامات من القمامـات والمخلفات وغيرها، ويمكن تحديده الآن بحى الجمالية. القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص٣٥٢؛ ابـن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٤، ص٤٧ هامش٥؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٥، ص٢٠؛ على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٢، ص١٢؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص٩٥ هامش ٦٧.

416 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٥٤.

417 بيـبرس بـن عبد الله المنصورى الحاجب، من مماليك الملك المنصور قلاوون، وترقى إلى أن صار أمير أخوراً، واستمر إلى أن عزله الملك الناصر محمد عند حضوره من الكرك بالأمير أيدغمش وولاه الحجوبية. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص٤٧٤ ترجمة ٧٢٠.

418 انظر المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٦.

419 عـرف بهـذا الاسـم (أى باب الزفر) لأنه لا يدخل اللحم وغيره إلا منه فأختص بذلك، وحل مكان باب الـزهومة المدرسـة الصـالحية أى مدرسـة السلطان الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الأيوبية، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٧٤؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص٤٢ هامش ٣٢.

420 المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٥٥.

تقــع هذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدرة البقر بجوار جامع أُلْماس أنشـــأها الأمـــير أُلْماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة وجلبه البلاد، فلما قتل في عام ٧٣٤هـــ/ ١٣٣٣م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما في الدار من الرخام، ونقل إلى القلعة، وهذه الدار باقية إلى وقت وفاة المقريزى عام ٨٤٥هـــ/ ١٤م.[٤٢١]

٥- دار طينال:[٤٢٢]

تقــع هــذه الــدار بخط الخراطين في داخل الدرب الذى كان يعرف بخربة صلاح، وكــان موضعها وما حولها في الدولة الفاطمية مارستانا، أنشأ هذه الدار الأمير طينال، وهذه الدار تشتمل على قائمتين متجاورتين وتعتبر من الدور الجليلة، ولطينال أيضاً قيسارية بسويقة أمير الجيوش.[٤٢٣]

رابعاً: الرحاب:

ومن أعمال بعض الحجاب المعمارية نشير أيضاً إلى رحبة بيبرس الحاجب، ويجب أن نــنوه أن الــرحاب كانت تقام أمام دور الأمراء لاستقبال القادمين أو كاستراحات للمارين عبر الطريق إلا أنها قد اندرست.[٤٢٤]

رحبة بيبرس الحاجب:

أنشـــأها الأمير بيبرس بن عبد الله المنصورى الحاجب بخط حارة العدوية عند باب ســـر الصناعة، عرفت بالأمير بيبرس الحاجب لأن داره كانت بها، وبهذه الرحبة الآن (زمن المقريـــزى) فـــندق الأمير الطواشى زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل، ولذلك يعرف هذا الخط بفندق الزمام.[٤٢٥]

خامساً: قنطرة الحاجب:[٤٢٦]

أنشـــأها الأمـــير ســـيف الدين بكتمر الحاجب في عام ٧٢٦هـــ/ ١٣م، ولما عمرت القـــنطرة، اتصـــلت العمائـــر فيما بينها وبين كوم الريش، وعمر قبالتها ربع،[٤٢٧] عرف بربع الزينى، وكان على ظهر القنطرة صفان من الحوانيت عليها سقيفة تقى حر الشمس وغيره.[٤٢٨]

---

421 المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٦٤.

422 الأمـــير طينال أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون اقامه ساقيا ثم حاجباً صغيراً ثم جعله أمير مائة مقدم ألف، فباشر ذلك مدة ثم أخرجه لنيابة طرابلس، ثم صفد، وتوفى في عام ٧٤٣هـــ/ ١٣٤٢م، وكان تترى الجنس قصير إلى الغاية مليح الوجه، مشكورا في أحكامه محبا لجمع المال، المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٧٦؛ Van Berchem, *Matériaux* , pp. 89-90.

423 المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٧٤؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، ص١٧٥.

424 المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٧٦.

425 المقريزى، الخطط، جـــ٢، ص٤٩، محمد الأشقر، نائب السلطنة، ص٣٢٧.

426 ابـــن إيـــاس، بدائـــع الـــزهور، جـــــ١ ق١، ص٤٥٩. Michael Meinecke, *Die mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien (648/1250 Bis 923/1517)* teil II, Glückstadt, 199, p.466, no 78.

الخاتمة

وفي الختام تكشف لنا الدراسة عن مدى أهمية الدور الذى لعبه الحاجب في العصر المملوكى والذى برز بصورة كبيرة في عصر دولة المماليك الجراكسة.

ونتيجة لتزايد عدد الحجاب في مصر عصر سلاطين المماليك كان لابد وأن يقابله تزايد مستويات ومراتب الوظيفة فأصبحنا نسمع عن الحجوبية الأولى أو حاجب الحجاب.

ويبدو أن الأهمية الزائدة للوظيفة واتساع نطاق اختصاصات الحجاب زمن المماليك كانت وراء المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بغير حساب لأجل هذه الوظيفة.

وقد ارتبطت الزيادة السريعة في عدد الحجاب بمصر بإلغاء السلطان الناصر محمد لوظيفة نائب السلطنة مما ترتب عليه تعاظم أهمية الحجابة.

ويلاحظ أن تزايد عدد الحجاب لم يقتصر على الديار المصرية فحسب بل وصلت هذه الزيادة إلى سائر نيابات وأقاليم الدولة المملوكية.

وقد تزايد عدد الحجاب في عهد السلطان الواحد كلما تزايد مقدار البذل فيها خاصة فترة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فقد وصل عدد الحجاب في عام ٧٠٩هـ/٧٤٠هـ إلى أربعة عشرة حاجباً.

وقد ترتب على ظاهرة البذل والبرطلة على وظيفة الحجاب أن قصر متوسط مدة الوظيفة وبالتالى كثرة عدد متوليها من الحجاب في فترة ما.

لقد عادلت الحجابة وظيفة نيابة السلطنة بل وصل الأمر إلى درجة أن حلت محلها في المرتبة والأهمية بحيث انتقلت إلى من يشغلها اختصاصات نائب السلطنة.

يضاف إلى ذلك شراهة الحجاب في جمع الأموال بأى صورة من الصور، وقد تفاقم الحال زمن المؤيد شيخ الذى اعتلى كرسى السلطنة عام ٨١٠هـ/١٤١٢م.

كذلك ترتب على البذل أيضاً ظاهرة جديدة هى الجمع بين عدة وظائف في آن واحد، وأيضاً الاستنابة فيها، بل وأحياناً إلى التنازل عنها نظير مبلغ من المال مما أفضى ليس فقط إلى فساد هذه الوظائف وتدهورها، بل إلى تدهور النظام المملوكى كله، بعد أن سرى الفساد في جميع أركان الدولة، حتى سقطت في النهاية فريسة، سهلة أمام الغزو العثمانى في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

---

[427] الربع جمع رباع وهو مجموعة من المساكن المؤجرة للغير تجمع حول صحن ويكون له في الغالب مدخل واحد وسلم واحد، ويصل ارتفاع الربع إلى أربعة أو خمسة طوابق، ويتم الوصول إلى المساكن عن طريق طرقة تدور حول الصحن، وتوجد مجموعة من الحوانيت بالجهة المطلة على الشارع من الطابق الأرضى، والربع مخصص لسكن الطبقات الشعبية بأجور شهرية زهيدة. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠ ص٣٠٣ هامش٣؛ حسين مصطفى، طوائف الحرفيين، ص٢٠٣؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٤١٨؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص٤٤، هامش ٤٦.

[428] ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٣٢٠.

الجداول والأشكال

١- ثبت بحجاب الدولة المملوكية الأولى*

٦٤٨ - ٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م

أولاً: حاجب الحجاب:

الاسم	تاريخ تولية	تاريخ عزله	تاريخ وفاة	المصادر
أياجى بن عبد الله الحاجب أحد أمراء السلطان المنصور قلاوون، ولى الحجوبية بمصر	٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م	؟	٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م	شافع بن على، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام، بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٥، ٥١؛ العينى، عقد الجمان، جـ١، ص٤٠ - ٤١؛ المقريزى، السلوك، جـ١ ق٢، ص٤٣٨؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص١١٩، ترجمة رقم ٥٦٥؛ الدليل الشافى، جـ١، ص١٥٨ رقم ٥٦٤؛ بيبرس المنصورى، التحفة المملوكية، ص١٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٣١٠؛ جـ٤، ص ٦٧.
سنقر الرومى حاجب الحجاب	٦٦٠هـ/ ١٢٦١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٣١٧.

* هذا الثبت مؤرخ بسنة الاستقرار - الوفاة كلما أمكن.

قطلوبك بن عبد الله المنصوري حاجب الحجاب بمصر	٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م	؟	٧١٦هـ/ ١٣١٦م	ابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـ٢، ص٥٤٧، رقم ١٨٧٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص ٣٣٧؛ رقم ٣٢٦٤ وفيه "سجن بالكرك إلى أن قتل في سنة ٧١٦ هـ"؛ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص١٣.
بيبرس العلائي حاجب حجاب دمشق	٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م	؟	٧١٢هـ/ ١٣١٢م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٤٢ ، رقم ١٣٧٩.
ألماس بن عبد الله الناصري حاجب الحجاب	٢١ رجب عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م	عزل وقبض عليه يوم الأربعاء ٢٠ من ذي الحجة عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م	صفر ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م	زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ليدن، ١٩١٩م، ص ١٤٧؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص٢٤٠؛ الصفدي،الوافي، جـ٩ ، ص٣٧٠ رقم ٤٢٩٦ ؛ أعيان العصر، جـ١ ، ص٦١٥ رقم ٣٣٤، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٤٣٨ رقم ١٠٦٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ٣، ص ٨٩ رقم ٥٤٩؛ الدليل الشافي، جـ١، ص ١٥٤، رقم ٥٤٨؛ ابن إيبك، كنز الدرر، ٢٩٨، ٢٩٢، ٣٤٤،

				حياة ناصر الحجى، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم سلاطين المماليك البحرية من سنة ٦٦١ هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، الكويت ١٩٩٧م، ص ٤٠.
محمد بن الوزير حاجب حجاب دمشق	جمادى الأولى عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م	؟	؟	زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
قطلوبغا المغربى	٢٤ من جمادى الآخر عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، مدة أقامته في الحجابة شهرين ونصف	؟	؟	زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
علم الدين أسحق حاجب حجاب حلب	٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م	؟	؟	الصفدى، أعيان العصر، جـ١، ص ٤٨٨ رقم ٢٤٧.
طرنطاى الناصرى حاجب حجاب دمشق	تولى الحجابة للمرة الثانية في شعبان عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م.	٧٣٢هـ/ ١٣٣١م	٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م	الصفدى، أعيان العصر، جـ٢، ص ٥٧٩-٥٨٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٣١٨، رقم ٢٠١٠.
بدر الدين مسعود بن الخطير حاجب الحجاب	٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م.	؟	؟	زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص ٣٤٤، ٣٧٤.

أيدغـــــدى الخوارزمي أقول حاجـب حجاب دمشق	٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م	؟	؟	زيترشـــتين، تــاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
جــاريك قفجق سيف الدين	٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م	؟	؟	زيترشـــتين، تــاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ الشـــجاعى، تــاريخ الملك الناصر، ص١٧؛ ابن إيبك، كنز الـدرر، جـــ٩، ص ٣٧٤.
محمـــود بـن خطير	٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م	؟	؟	زيترشـــتين، تــاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
برسبغا الحاجب	٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م	؟	؟	ابـن حجـر، الـدرر الكامـنة، جـــ٢ ص ٤٧٤؛ زيترشـــتين، تـــاريخ ســـلاطين الممالـــيك، ص١٤٨؛ الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص٩٤، حياة ناصــر الحجى، أنماط مــن الحـياة السياسية والاقتصـــــادية والاجتماعية في سلطنة المماليك في القرنين الثامـــن والتاســـع الهجرييـــن الـــرابع والخـــامس عشـــر الميلاديـــن، الكويت، ١٩٩٥م، ص١٨١؛ Hayat Nasser AL-Hajji, The internal affairs in

Egypt During the third Reign of Sultan AL-Nāsir Muhammad B.Qālawūn, 709-741/1309-1341, Third Edition, Kuwait, 2000, pp. 88, 125-126.				
ابن إياس، بدائع الزهور جـ١ ق١، ص٤٧٦، ٤٨٩.	؟	قبض عليه عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م	؟	بشتاك الناصرى حاجب الحجاب
الصفدى، أعيان العصر، جـ٢، ص ١٠٥، رقم ٥١٤؛ الوافى بالوفيات، جـ١٠، ص٤٨٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٥١٧.	؟	؟	٧٥١هـ/ ١٣٥٠م	سيف الدين الحسنى حاجب الحجاب
ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٤٣ رقم ١٢؛ الدرر الكامنة، جـ١، ص٤٢٠ رقم ١٠٠٨؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٢، ص ٤٩٣، رقم ٤٩٨؛ الدليل الشافى، جـ١، ص١٤١، رقم ٤٩٧؛ النجوم الزاهرة،جـ١١، ص٢١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ٢، ٥٧٢، ٣٠، ٧١، ٢٨٩، ٣٠٠؛ محمد أحمد دهمان،	٧٨١هـ/ ١٣٨١م	٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م بسبب ولايته نيابة الشام	؟	أقتمر بن عبد الله المعروف بعبد الغنى التركى حاجب حجاب القاهرة

				ولاة دمشق في عهد المماليك، ط٢، ١٩٨٤ م ص٢٣٠.
الجاى اليوسفى حاجب الحجاب	٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م	٧٢٣هـ/ ١٣٦١م	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص١٧، ٥٨١؛ جـ١ ق٢، ص١١٩.
أسنبغا بن بكتمر الأمير سيف الدين الأبو بكرى حاجب حجاب مصر	٧٦٣هـ/ ١٣٦١م	؟	٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م	المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٩٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص١١١، ترجمة ٩٧٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩ ص ١٤٠؛ المنهل الصافى، جـ٢، ص٤٣٦ ترجمة ٤٦١؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ١٣٢ رقم ٤٦٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٥٨٨.
طغاى تمر النظامى حاجب الحجاب	٧٦٣هـ/ ١٣٦١م	٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٥٨٧؛ جـ١ ق٢، ص٧٥.
طيبغا العلاى علاء الدين حاجب الحجاب	٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م استقر للمرة الثانية ربيع الأول ٧٦٨ هـ/١٣٦٦م	٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥، ٤٣، ٥٣.
أرغون شاه الأشرفى	٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢،

اليوسفى حاجب الحجاب				ص٥٨.
قشتمر المنصورى حاجب الحجاب	٧٦٨هـ/ ١٣٦٦	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٣.
أقبغا اليوسفى حاجب الحجاب	٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٨٨ – ٨٩.
قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب بالقاهرة	٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م	؟	٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص١٤٤، رقم ١٥٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٥٦، ١٩٨.
أقتمر عبد الغنى الحنبلى حاجب الحجاب	٧٧٨هـ/ ١٣٧٦	؟	٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	ابن طولون، إعلام الورى بمن ولى نائباًمن الأتراك بدمشق الشام الكبرى، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢٩، رقم ٣٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، ص٢٦١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٩٥، ٢٨٩، ٣٠٠.
طيدمر البالسى حاجب الحجاب	٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م	؟	٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٦، ١٩٢، ١٩٧.
بلوط الصرغتمشى حاجب الحجاب	٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م	نفي عام ٧٨٧ هـ/١٣٨٥م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ٢٠٠، ٣٥٨.
تغرى برمش حاجب الحجاب	٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م استقر للمرة	٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ٢١٤،٢٣١،٢٩٠.

	الثانية ٧٨٣ هـ/١٣٨١م			
طشتمر بن عبد الله الشعباني حاجب الحجاب	٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م	؟	٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٤٦ رقم ٢٣.
مأمور بن عبد الله القلمطاوي حاجب الحجاب بمصر	٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م	نفي ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م	ابن صصرى، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم م، كاليفورنيا، ١٩٦٣، ص٦٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص١٩٣؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص ١٢٢؛ الدليل الشافي، جـ٢، ص٥٧٠ رقم ١٩٥٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٣١، ص ٤٤٠، ٢٩٠.
قطلوبغا بن عبد الله الكوكاي نسبة إلى معتقه الأمير كوكاي، حاجب الحجاب القاهرة،	٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م	٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م	٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م	المقريزي، السلوك، جـ٣ ق٢، ص٥١١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة،جـ١١ ، ص٢٩٨؛ الدليل الشافي، جـ٢، ص ٥٤٦ رقم ١٨٧٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص٩ رقم ١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٦٤.
أياس	٧٨٣هـ/	؟	٧٨٤هـ/	ابن حجر، إنباء الغمر،

الصرغتمشى حاجب الحجاب	١٣٨١م		١٣٨٢م	جـ١، ص٢٦٥، رقم٧ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٨٧.
سودون بن عبد الله الفخرى الشيخونى نائب السلطنة وحاجب الحجاب	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص١٥١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٣٤، ٢٥٤ ؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص ٣٥، ٥٠٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢و ص١٩٠، ٢٠٠، ٣٠٢، ٤٨٢.
طرنطاوى السيفى الكاملى حاجب حجاب دمشق	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٠٨.

ثانياً: الحاجب:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
سيف الدين قطلوبك الحاجب	٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م	؟	؟	بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص٣١٢؛ الصفدى، أعيان العصر، جـ٤، ص ١٢٢؛ ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، ص ٤٩٢.
كرت أو كرد الحاجب	٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م	؟	٦٩٩هـ/١٢٩٩م	بيبرس، الدوادار، زبدة الفكرة، ص٣١٠؛ ابن حجر، ذيل الدرر

				الكامنة، ص٣٦٤.
بكتمر بن عبد الله الحاجب الأمير سيف الدين	٧١١هـ/ ١٣١١م	؟	٧٣٨هـ/١٣٣٧م	ابن حبيب تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٨٢م، جـ٢، ص ١٨٣؛ الصفدى، الوافى بالوفيات، جـ١٠، ص ١٩٠ – ١٩٢، رقم ٤٦٧٦؛ أعيان العصر، جـ١، ص٧٠٣ رقم ١٤٠٥؛ المقريزى، السلوك، جـ٢ ق٢، ص٣١٤؛ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص ٢٦٤، ص٣٢٠؛ بيبرس المنصورى، التحفة الملوكية، ص ٢٢٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص١٧ رقم ١٣٠٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٢٧٧؛ المنهل الصافى، جـ٣، ص ٣٨٦، رقم ٦٧٧؛ الدليل الشافى، جـ١، ص١٩٤ رقم ٦٧٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٤، ص ١٤٥؛ محمود رزق

				سليم، عصر سلاطين المماليك، جـ١، ص ٣١٩.
بكتمر الحسامى حاجب دمشق	٧١١هـ/ ١٣١١م	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	٧٢٤هـ/١٣٢٣م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٢١ رقم ١٣٠٩؛ زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ العينى، عقد الجمان، جـ٤، ص ٣٥٨.
علاء الدين ألطنبغا الحاجب الناصرى	٧١٣هـ/ ١٣١٣م	؟	٧٤٢هـ/١٣٤١م	الصفدى، الوافى بالوفيات، جـ٩، ص ٣٦١؛ أعيان العصر، جـ١، ص٦٠٠، رقم ٣٢٧؛ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص ٢٦٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٤٠٨؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص ٥٣، رقم ٥٣٤؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ١٥٠؛ النجوم الزاهرة،جـ١٠، ص ٤٧٣ الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٢٢٢؛ ابن طولون، إعلام الورى، ص١٦ رقم ١٦؛ محمد أحمد دهمان، ولاة دمشق، ص١٨٠ وما بعدها.

طينال الأشرفى الحاجب	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص١٩٤، ٢٥٠؛ ابن بيك، كنز الدرر،جـ٩، ص٢٨٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٣٣٤، رقم ٢٠٦٦. Van Berchem, Matériaux pour un corpus, pp. 89-90.
بيبرس بن عبد الله المنصورى الحاجب	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ الصفدى، الوافى بالوفيات، جـ١٠، ص ٣٥١، رقم ٤٨٤٥؛ أعيان العصر، جـ٢، ص٧٨ رقم ٤٩٦؛ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص٢٨٧، ٣٩٧؛ المقريزى، السلوك، جـ٢ ق٣، ص٦٣٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢ ص٤١ رقم ١٣٧٧.
شهاب الدين قرطاوى حاجب دمشق	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٢٢١، ٢٩٧، ٣٧٨.
أرغون التاجى حاجب طرابلس	٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م	؟	٧٦٥هـ/٧٦٦م/ ١٣٦٣-١٣٦٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١١، ١٥.
قمارى الحموى	٧٦٥هـ/	؟	٧٦٦هـ/١٣٦٤م	ابن إياس، بدائع

الحاجب	١٣٦٣م			الزهور، جـ١ ق٢، ص١١، ١٧.
أرسلان السيفى حاجب الإسكندرية	٧٦٧هـ/ ١٣٦٥	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٤.
على بن محمد ابن كلفت علاء الدين أحد الحجاب	٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م	؟	٧٨٠هـ/١٣٧٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٨٨، ٢٣٩.
نصرات حاجب الإسكندرية	٧٧١هـ/ ١٣٦٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٩٥، ٩٧.
يَلُّو حاجب دمشق	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٠٨، ٣٣١.

ثالثاً: الحاجب الثانى:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
بكجرى سيف الدين الحاجب الثانى	٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٤٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٣١٠.
طيطق الأحمدى الحاجب الثانى بمصر	٧٥٢هـ/ ١٣٥١م	٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م	٧٦٣هـ/١٣٦١م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص ٣٢١، رقم ٢٠٢٢.
ضروط الحاجب الثانى	٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٣.
قطلوبغا المنصورى الحاجب الثانى	٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م.	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٦.

ملكتمر من بركة الحاجب الثانى	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٠١.
يلبغا الناصرى الحاجب الثانى	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	؟	٨١٧هـ/١٤١٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ١٣٢، ١٧٣، جـ٢ ،ص١٥،ص٣٥٢.
طيدمر البالسى الحاجب الثنى	٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م	؟	٧٧٨هـ/١٣٧٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٦، ١٩٢، ١٩٧.
جمال الدين عبد الله بن بكتمر	٧٧٩هـ/ ١٤٧٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٠٥.
على بن قشتمر التركى الحاجب الثانى	٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م	؟	٧٨٣هـ/١٣٨١م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٤٨ رقم ٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢١٤.
أيدكار العمرى الحاجب الثانى	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	٧٩٤هـ/١٣٩١م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٠٢.

رابعاً: حاجب ميسرة:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
يلبغا الناصرى حاجب ميسرة	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	؟	٨١٧هـ/١٤١٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٠٣، جـ٢، ص ١٥.

خامساً: حاجب ثالث:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
جمال الدين عبد الله بن بكتمر حاجب ثالث	٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٧٢.

سادساً: حاجب رابع:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
إياس الصرغتمشى	٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٨٧.
منكلى بُغا الطرخانى حاجب رابع	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٢٣.

سابعاً: حاجب خامس:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
جلبان العلاى حاجب خامس	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٢٣.

ثامناً:حاجب الصغير:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
طنبغا المجدى الحاجب الصغير	٧٤١هـ/ ١٣٤٠م	؟	؟	الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص٩٤.
قرمش بن أقطوان	٧٤١هـ/ ١٣٤٠م	؟	؟	الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص٩٤ حياة

				ناصر الحجي، دراسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، ط١، الكويت ١٩٨٦م، ص ٢٥١-٢٥٢.
طشتمر بن عبد الله الشعبانى الحاجب الصغير بدمشق	٧٦٧هـ/ ١٣٦٥	؟	٧٨٣هـ/١٣٨١م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٤٦، رقم ٢٣.
تمراز الطازى	٧٧٣هـ/ ١٣٧١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٠٥.

٢- ثبت بحجاب الدولة المملوكية الثانية

٧٨٤هـ-٩٢٣هـ/١٣٨٢م-١٥١٧م

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أيدكار بن عبد الله العمرى حاجب ميسرة، ثم حاجب الحجاب زمن السلطان برقوق	٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م	؟	٧٩٤هـ/١٣٩١م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص٧٦٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٥٤، ٣٥٤ ، ٣٤٣؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص ٣٧؛ المنهل الصافى، جـ٣، ص١٥٧ - ١٥٨؛ الدليل الشافى، جـ١، ص١٦٦ رقم ٥٩٣؛ الصيرفى؛ نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٤٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٠٢، ٣٤٦، ٣٨٩ ، ٤٥١.
طرنطاى سيف الدين حاجب حجاب دمشق	٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م	؟	٧٩٢هـ/١٣٨٩م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص ٣١٨ - ٣١٩، رقم ٢٠١٢؛ ابن طولون، إعلام الورى، ص٣١، رقم ٤٢؛ محمد دهمان، ولاة دمشق، ص٢٥٠.

أقبغا الماردينى حاجب الحجاب	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٩٩، ٤٠٤.
تمرباى بن عبد الحسنى، الامير سيف الدين حاجب الحجاب زمن السلطان الصالح	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	؟	٧٩٢هـ/١٣٩٠م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص٧٢٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٣٧٢؛ المنهل الصافى، جـ٤، ص٩ رقم ٧٧٩؛ الدليل الشافى، جـ١ ص ٢٢٢، رقم ٧٧٧؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ٣١٩، رقم ١٣٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٤٠٦.
بتخاص السودونى سيف الدين حاجب الحجاب	٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م	؟	٨١٣هـ/١٤١٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٤٣٥، ٨٠٣.
قطلوبغا الصفوى حاجب الحجاب	٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص ٤١٦.
فارس بن عبد الله القلطلقجاوى الظاهرى حاجب الحجاب بمصر زمن السلطان برقوق	٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص٥١٩، رقم ١٧٩١؛ السخاوى، الضوء اللامع جـ٦، ص١٦٤ رقم ٥٧٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١

				ق١، ص٤٩٣، ٥٨٣.
بيقجاه طيفور الشرفى حاجب حجاب دمشق	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٢١، ٥٨٢.
اقباى بن عبد الله من حسين شاه الطرنطاى المعروف بالحاجب، استمر في هذا المنصب عدة سنوات	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	٨١٢هـ/١٤٠٩م	ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، القاهرة ١٩٩٢م، ص٢٠٦ رقم ٣٤٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٢، ص ٤٦٥-٤٦٦؛ الدليل الشافي، جـ١، ص ١٣٦ رقم ٤٧٧؛ النجوم الزاهرة،جـ١٣ ص١٧٦؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٦٥ رقم ٤٧٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٠٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٢، ص٣١٣، رقم ٩٩٣؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى، القاهرة، ١٩٤٧م، جـ١، ص ٢٤٥.
باشباى من باكى حاجب حجاب دمشق	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	٨١١هـ١٤٠٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٨١، ٦٢٥، ٦٩٤، ٧٩٢.

سودون الحاجب الصغير ثم حاجب حجاب غزة	٨٠٢هـ ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٧١.
دقماق المحمدى أمير حاجب	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٧٣.
على بن عبد الله ابن محمد علاء الدين الطبلاوى*	؟	؟	٨٠٢هـ/١٤٠٠م	المقريزى، السلوك، جـ٣، ص٧١٧، ٧٤٤، ٨١٨، ٨٢٧؛ ابن حجر، أنباء الغمر، جـ١، ص٥١١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص ٢٦؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٤٥٩ رقم ١٥٩٣؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٥، ص٢٥٢ رقم ٨٤٦؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٠٦، ٣٣٠، جـ٢، ص٦٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩، ص٢٤٩، ٢٥٢ – ٢٥٤، ٤٠٠؛ أحمد عبد الرازق، شرطة القاهرة، ص٨٤.
مراد حاجب حجاب طرابلس	٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢،

* الطبلاوى نسبة إلى طبلة – قرية بالمنوفية بالوجه البحرى.
ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ١، ص٤٥٩.

				ص٦٧٦.
سودون الظريف الشمسى حاجب الحجاب	٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م	٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٣٣، ٧٤٨.
أسن بيه – أيضا أسن باى التركمانى حاجب حجاب دمشق	٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧١٣.
ارسطاى من خجا على حاجب الحجاب	٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٣٠، ٧٣٢، ٧٣٦
ألطنبغا طوق المعروف بالعثمانى حاجب حجاب دمشق	٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م	؟	٨٢١هـ/١٤١٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٥١، ٥٢٨، جـ٢ ، ص٤١.
فارس التنمى حاجب حجاب دمشق	٨١٠هـ/ ١٤٠٧م	؟	٨١٠هـ/١٤٠٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٨١، ٧٨٥.
كزل بن عبد الله العجمى، حاجب الحجاب زمن الناصر فرج	٨١٠هـ/ ١٤٠٧م	؟	٨٤٥هـ/١٤٤١م	ابن حجر، إنباء الغمر، ص٤٣٢؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص٥٥٧ رقم ١٩٠٩؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٦، ص٢٢٨ رقم ٧٧٩، وفيه مات في ربيع الأول عام ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٨٥.
شيخ الطنبغا القرمشى حاجب	٨١١هـ/ ١٤٠٨م	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٢، ص٤٠٣.

حجاب دمشق				
إينال بن عبد الله الصصلائي حاجب حجاب بمصر	٨١٥هـ/ ١٤١٢م	؟	٨١٨هـ/١٤١٥م	المقريزي، السلوك، جـ٤ ق١، ص٣٢٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص٧٧؛ العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي" تحقيق فهيم محمد شلتوت مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٣٠٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ١٣٦؛ المنهل الصافي، جـ٣، ص١٩٤ – ١٩٥ رقم ٦١٦؛ الدليل الشافي، جـ١ ص ١٧٢ رقم ٦١٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢ ص ٣٥٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، ص٣٢٧ رقم ١٠٧٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٨٢٦، جـ٢، ص ٢٣.
قجق حاجب الحجاب بالقاهرة	٨١٦هـ/ ١٤١٣م	٨١٧هـ/ ١٤١٤م	؟	العيني، السيف المهند، ص٣١٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٨.

سودون بن عبد الله القاضي الظاهري حاجب الحجاب	٨١٧ – ٨١٨ هـ/١٤١٤-١٤١٥م	؟	٨٢٢هـ/١٤١٩م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص٧٤، ٢٠٦ ،رقم٧؛العيني، السيف المهند، ص٣٣٤؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ١٥٨؛ المنهل الصافي، جـ٦، ص١٤٩ – ١٥٠، رقم ١١٤٢؛ الدليل الشافي، جـ١، ص٣٣١، رقم ١١٣٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١ ص ٤٦١، رقم ٥٩١؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٢٨٤ رقم ١٠٧٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٦،ص٥٠.
سودون قراسقل ابن عبد الله الظاهري حاجب الحجاب المعروف بسودون قراسقل يعني لحيته سوداء	٨١٨هـ/ ١٤١٥م،ثم تولى حجوبية طرابلس في عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م	؟	٨٢٠هـ/١٤١٨م	العيني، السيف المهند، ص٣٣٤، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ٦، ص ١٥٩-١٦٠؛ الدليل الشافي، جـ١، ص ٣٣٢-٣٣٣ رقم ١١٤٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣ ص٢٨٣ رقم ١٠٧٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٢، ٣٢.

الطنبغا بن عبد الله المرقبى حاجب الحجاب	٨٢٠هـ/ ١٤١٧م	؟	٨٤٤هـ/١٤٤٠م	المقريزى، السلوك، جـ٤ ق٣، ص١٢٣٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٤٣٨ رقم ١٠٥٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص ٤٨٤؛ الدليل الشافى، جـ١ ص١٥٢-١٥٣ رقم ٥٤٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢ ص٣٣، ص٢٢٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٢، ص ٣١٩ رقم ١٠٢٦.
إينال بن عبد الله الأزعرى الشيخى	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م	٨٣٠هـ/١٤٢٦م	المقريزى، السلوك، جـ٤ ق٢، ص٣١٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص٢٣٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٢٩، ١٩٥؛ المنهل الصافى، جـ٣ ص ٢٠٣؛ الدليل الشافى، جـ١ ص١٧٤ رقم ٦١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٦٤، ٦٩.
طراباى حاجب الحجاب	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٧٢.

جقمق العلاى حاجب الحجاب	٨٢٥هـ/ ١٤٢١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٧٧.
أزبك الأشقر الرمضانى حاجب حجاب مصر	٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م	؟	٨٣٣هـ/١٤٢٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٨٦، ١٢٧.
جرباش قاشق الكريمى حاجب الحجاب	٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م	؟	٨٦١هـ/١٤٥٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٠٠، ص٣٣٧.
قرقماش الشعبانى حاجب الحجاب	٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م	؟	٨٤٢هـ/١٤٣٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١١٠، ص٢٠٦.
طوغان بن عبد الله السيفى تغرى بردى حاجب حجاب حلب	٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م	٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م	٨٤٠هـ/١٤٣٦م	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٧، ص٢٤ رقم ١٢٨٤؛ الدليل الشافى، جـ١ ص٢٧٣ رقم ١٢٨١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٤ ص١٢، رقم ٤٤.
كمشبغا بن عبد الله الظاهرى المعروف بكشبغا حجى، أمير حاجب	؟	؟	٨٣٠هـ/١٤٢٦م	ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٤، ص٥٦١، رقم ١٩٢٤؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٦ ص٢٣٠ ، رقم ٧٩٢.

يشبك الشعبانى حاجب الحجاب	٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م	؟	٨٤٩هـ/١٤٤٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٥٤.
تنبك بن عبد الله من برد بك الظاهرى حاجب الحجاب في عهد الظاهر جقمق	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	؟	٨٦٣هـ/١٤٦٠م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص١٩٥؛ المنهل الصافى، جـ٤، ص ٢٤ رقم ٧٥٩؛ الدليل الشافى، جـ١ ص ٢١٥ رقم ٧٥٧؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣ ص٤٢ رقم ١٧٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢١٢، ٢٢٧.
تغرى بردى بن عبد الله البكلمشى المعروف بالمؤذى حاجب الحجاب بمصر	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	؟	٨٤٦هـ/١٤٤٢م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٤، ص٩٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص ٤٩٦؛ المنهل الصافى، جـ٤، ص٥٤ وما بعدها رقم ٧٦٥؛ الدليل الشافى، جـ٤ ص٢١٧ رقم ٧٦٣؛ السخاوى، التبر المسبوك، ص٤٤؛ الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٧، رقم ١٣٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٣٥.

تغرى بردى المؤيدى حاجب الحجاب	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الوهور، جـ٢، ص ٢٠٠.
سودون بن عبد الله الأبوبكرى المؤيدى حاجب حجاب طرابلس	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	؟	٨٦٥هـ/١٤٦٠م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص٣١٣؛ المنهل الصافى، جـ٦، ص ١٧٣ – ١٧٤؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٢٧٦ رقم ١٠٥٠.
سودون بن عبد الله النوروزى حاجب حجاب دمشق	٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م	؟	٨٤٧هـ/١٤٤٣م	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص١٧٢ – ١٧٣؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٣٣٥ رقم ١١٥٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٢٨٧ رقم ١٠٨٩.
خشقدم بن عبد الله الناصرى حاجب الحجاب بمصر	٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م	؟	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص٣٧٨-٣٦١؛ المنهل الصافى، جـ٥، ص٢١٠ – ٢١١ رقم ٩٨٥؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٢٨٦ رقم ٩٨٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص١٧٥ رقم ٦٨١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، ص ٣١٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص

				٢٧٨، جـ٤، ص٨.
كرتباى من مصطفى المعروف بالأحمر حاجب حجاب طرابلس	٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م	؟	٩٠٤هـ/١٤٩٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣، ص٤٠٧.
مغلباى البجاسى حاجب حجاب طرابلس	٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٩٨.
طوغان بن عبد الله العثمانى حاجب حجاب حلب	٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م	٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م	٨٥٢هـ/١٤٤٨م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص٥٣٢؛ المنهل الصافى، جـ٧، ص ٢٣ رقم ١٢٨٣؛ الدليل الشافى، جـ١ ص ٣٧٣ رقم ١٢٨٠؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٤، ص١٣ رقم ٤٥.
جانبك بن عبد الله القرمانى الظاهرى حاجب حجاب مصر	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	؟	٨٦١هـ/١٤٥٦م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص١٨٨؛ المنهل الصافى، جـ٤ ص ٢٣٧ رقم ٨٢٣؛ الدليل الشافى، جـ١ ص ٢٣٨ رقم ٨٢١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣ ص٥٩ رقم ٣٧؛ ابن إياس،

				بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٤١.
برسباى بن عبد الله البجاسى حاجب الحجاب	٨٦١هـ/ ١٤٥٦م	؟	٨٧١هـ/١٤٦٦م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص٣٥٢؛ المنهل الصافى، جـ٣، ص ٢٧٩ وما بعدها؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٧ رقم ٣٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٤٢ – ٣٤٣؛ ابن طولون، إعلام الورى، ص٦٢ رقم ٧٤.
أحمد بن القليب شهاب الدين حاجب حجاب طرابلس	٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٥٩.
سودون قراقاش المؤيدى حاجب حجاب مصر	٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م	؟	٨٦٥هـ/١٤٦٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٥٨.
بيبرس الأشرفى سيف الدين حاجب الحجاب	٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م	؟	٨٧٣هـ/١٤٦٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٦٤؛ جـ٣، ص٣١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢١ رقم ١٠٣.

يشبك البجاسى الأشرفى حاجب حجاب حلب	٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م	؟	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٨١.

يلباى الأينالى المؤيدى حاجب الحجاب	٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٨١.
برد بك الجمالى ويعرف ببرد بك الفارسى الظاهرى الأقرع حاجب الحجاب	٨٦٦هـ/ ١٤٦١م	؟	٨٧٥هـ/١٤٧٠م	ابن طولون، أعلام الورى، ص٦٢ رقم ٧٥؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٤٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٨٩، جـ٣، ص٥١.
تغرى بردى من يونس حاجب حجاب حلب	٨٦٦هـ/ ١٤٦١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٩٤.
جانى بك الناصرى حاجب الحجاب بدمشق	٨٦٦هـ/ ١٤٦١م	؟	٨٦٩هـ/١٤٦٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٩٠، ٤٢٨.
أبو بكر باكير ابن صالح الكردى حاجب حجاب حلب	٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤١٣.
أزبك من ططخ الأشرفى حاجب الحجاب	٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م	؟	٩٠٤هـ/١٤٩٨م	ابن طولون، أعلام الورى، ص٦٤ رقم ٧٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٢، ص ٢٧٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤١٧.

جانى بك قلقسيز الأشرفى حاجب الحجاب	٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م	٨٨٣هـ/١٤٧٨م	ابن طولون، اعلام الورى، ص٦٧ – ٦٨، رقم ٧٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٢٩، ٤٧٤.
شرا مرد المؤيدى حاجب حجاب دمشق	٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٢٥.
على بن الأزبكى حاجب حجاب طرابلس	٨٧١هـ/ ١٤٦٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٤٩.
برد بك المحمدى ويعرف بهجين	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م	؟	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٦٢، جـ٣، ص١٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٧ رقم٣٠.
تمر الوالى	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٧٠.
تمر من محمود شاه الظاهرى حاجب الحجاب	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م	؟	٨٨٠هـ/١٤٧٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٧٠،جـ٣، ص١٠٧.
محمد بن مبارك شاه التركمانى الحلبى ناصر الدين حاجب حجاب دمشق	٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م	؟	٨٧٩هـ/١٤٧٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٠، ص١٠٧.
مغلباى سُرق الأشرفى حاجب حجاب حلب	٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م	؟	؟	ابن طولون، اعلام الورى، ص١٣٤ – ١٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٠٣.

دولات بـــاى النجمى الأشرفى حاجب حجاب دمشق	٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م	؟	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٠٣، ١٢٧.
أزدمـــر الإبراهـــيمى الطويـل حاجب الحجاب	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م	٨٨٥هـ/١٤٨٠م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٢، ص ٣٠٦، ٤٠٩.
يشـبك العـلاى حاجـب حجاب دمشق	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	؟	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١١٢.
برسـباى قـرا المحمدى حاجب الحجاب	٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م	٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م	٨٩٤هـ/١٤٨٨م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٥٨، ٢٦٥.
تغـرى بـردى ططـر الشمسى حاجب الحجاب	٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م	؟	٨٩٣هـ/١٤٨٧م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٩١، ٢٥٤.
سـيباى حاجب حجاب دمشق	٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م	؟	؟	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٩١.
تانى بك الجمالى حاجب الحجاب	٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م	؟	٩٠٨هـ/١٥٠٢م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ٢٤٩،٤٦٥،جـ٤،ص ٤٨.
قانصوه الغورى حاجـب حجاب حلب	٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م	؟	٩٢٢هـ/١٥١٦م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ٢٨٤، جـــ٤، ص٤٢ عـبد العظـيم حـامد خطـاب، قانصـوه الغورى ونهاية الدولة المملوكـية في مصر والشام، رسالة دكتوراه غـير منشـورة، كلية

				الآداب، جامعة عين شمس ١٩٧٣م، ص ٤٧. Mayer, Saracenic Heraldry, A Survey, Oxford 1933. p.179; Van Berchem, Materioux pour un corpus, pp.392-393.
اينال الخسيف حاجب حجاب دمشق	٩٠١هـ/ ١٤٩٥م	٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م	٩٠٢هـ/١٤٩٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٤٢.
جانم المعروف بالمصبغة حاجب حجاب مصر	٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م	٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م	٩١١هـ/١٥٠٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٥٩؛جـ٤،ص٩١.
قيت الأشرفى، حاجب الحجاب	٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م أعيد للمرة الثانية ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٧٧، ٤٤٠.
قانصوه من كسباى بن سلطان جركسى المعروف بابن اللوقا حاجب حجاب دمشق	٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٩٨؛ جـ٥، ص٧١.
يلباى المؤيدى حاجب حجاب طرابلس	٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م	؟	٩١٣هـ/ ١٥٠٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٢٣.
أنردمر من على باى الأشرفى حاجب الحجاب	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	٩١٤هـ/١٥٠٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٢، ١١٩.

أصطمر من ولى الدين حاجب الحجاب	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	٩١٤هـ/١٥٠٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٥٣،جـ٤،ص١٤٥.
بردبك المحمدى الأينالى حاجب الحجاب	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٥٤.
تمرار جوشن حاجب حجاب دمشق	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	٩١٠هـ/١٥٠٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٦٩،جـ٤،ص٦٧.
تمر من جانم الظاهرى حاجب حجاب حلب	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٧١.
جان بردى الغزالى حاجب حجاب حلب	٩٠٧هـ/ ١٥٠١م	؟	٩٢٧هـ/١٥٢٠م	ابن طولون، اعلام الورى، ص١٩٦؛ ابن إياس، بدائعالزهور، جـ٤، ص٢٣، جـ٥، ص٣٨٢.
خايربك من ملباى أخو قانصوه البرجى	٩٠٧هـ/ ١٥٠١م	٩١٠هـ/ ١٥٠٤م	٩٢٨هـ/١٥٢١م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٨،جـ٥،ص٤٨١ – ٤٨٢.
أنصباى من مصطفى حاجب الحجاب	٩١٠هـ/ ١٥٠٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٦٧.
يخشباى حاجب حجاب دمشق	٩١٧هـ/ ١٥١١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٥٠.
طراباى من يشبك من حيدر حاجب حجاب دمشق	٩٢١هـ/ ١٥١٦م	؟	٩٢٢هـ/١٥١٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٤٦٣، جـ٥،ص٧١.
طقطباى حاجب الحجاب	٩٢٢هـ/ ١٥١٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص

				١١٦، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك، جـ١، ص ٣٢٣.

ثانياً: الحاجب:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أركماس السيفى حاجب طرابلس	٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٥١.
اسند مر السيفى حاجب طرابلس	٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٩١.
على بن الطبلاوى، علاء الدين الحاجب	٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٤٧٣.
تمربغا المنجكى الحاجب	٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥١٣، ٥٣٩.
سمز المحمدى الحاجب	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٤٣.
قرابغا الأسنبغاوى	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٥٤٣.
مقبل الرومى السيفى العمرى الحاجب	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٤٣.
سودون المأمورى الحاجب	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٦٤.

شهاب الدين أحمد بن الزين والى القاهرة وحاجبها	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	٨٠٥هـ/١٤٠٢م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٧١.
عمر بن الطحان ركن الدين أو بهاء الدين حاجب غزة	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٧١.
تغرى برمش الحاجب	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٩٤.
عبد الرازق بن دلغادر الحاجب	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٢٩.
أبو يزيد الحاجب	٨٠٤هـ/ ١٤٠١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٣٩.
قرقماش الرماح الأينالى حاجب دمشق	٨٠٤هـ/ ١٤٠١م	؟	٨٠٥هـ/١٤٠٢م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٥١، ٦٧٦.
محمد بن علاء الدين بن كلفت التركمانى ناصر الدين الحاجب	٨٠٤هـ/ ١٤٠١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٥٧.
بهاء الدين أرسلان الحاجب	٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٦٩.
أزدمر حاجب حلب	٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٠٦.
محمد بن شهرى، ناصر الدين حاجب	٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م	؟	٨١٠هـ/١٤٠٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٠٣، ٧٧٧.

حلب				
جانبك الحاجب ونائب الإسكندرية	٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص٥٣٩.
برد بك العجمى حاجب حلب	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٠٧.
يشبك طاز حاجب طرابلس	٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٩٨.
عبد العزيز بن محمد الصغير الحاجب	٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٣٥.
يلباى المؤيدى حاجب دمشق	٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م	؟	٨٩٦هـ/١٤٩٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢١٥، ٢٨٤.
قانصوه من بيبردى الغورى الأشرفى، الحاجب بحلب	٨٩١هـ/ ١٤٨٨م	؟	٩٢٢هـ/١٥١٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٦٤، جـ٥،ص٧٠،٤٧ Mayer, Saracenic Heraldry, p.179.
باكير بن صالح الكردى حاجب حلب	٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٦٤.
يونس الأشرفى حاجب دمشق	٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م	؟	٩٠٠هـ/١٤٩٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٦٤، ٣٠٦.
قانى بك حاجب دمشق	٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٠٦.
صالح الكردى حاجب حلب	٩٠١هـ/ ١٤٩٥م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣١٦.

فرج بن بُرْد بك زين الدين الحاجب	٩١٢هـ/ ١٥٠٦م	؟	٩١٩هـ/١٥١٣م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٩٨، ٣٥٤.
برد بك الحاجب	٩١٩هـ/ ١٥١٣م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٣٥٤.

ثالثاً: الحاجب الثاني:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
قطلوبغا السيفى تمربای الحاجب الثانی	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	؟	٧٩٢هـ/١٣٨٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٤٢٢، ٤٢٦.
تمربغا المنجکی	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ٥١٣،٥٣٩.
يعقوب شاه الكمشبغاوی شرف الدين الحاجب الثانی	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ٥٤٣،٥٧٩.
باشبای من باکی الحاجب الثانی	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	٨١١هـ/١٤٠٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ٥٨١،٦٢٥، ص ٦٥٥، ٧٩٢.
مبارك شاه الحاجب الثانی	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ٥٩٤.
جانبك بن عبد الله الثور الحاجب الثانی	٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م	؟	٨٤١هـ/١٤٣٨م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٢١٣؛ المنهل الصافى، جـ٤ ص ٢٣٠ رقم ٨٢٠؛ الدليل الشافى، جـ٥ ص

				٢٣٧ رقـــم ٨١٨؛ السـخاوى، الضـوء اللامع، جـ٣، ص٥٦ رقم ٢٢١.
أسنبغا الطيارى الحاجب الثانى	٨٤١هـ/ ١٤٣٧م	؟	؟	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٢، ص ١٨٤.
يلـبغا السـبهاى الحاجب الثانى	٨٤٢هـ/ ١٣٤١م	؟	؟	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٢، ص ٢٠٤.
سـمام الحسنى الحاجب الثانى	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	؟	؟	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٢، ص ٣١١.
نوكـار من بابا الناصـرى الحاجب الثانى	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	؟	٨٦١هـ/١٤٥٦م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٢، ص ٣١١.
جكـم المحمدى الخشقدمى	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م	٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م	٨٧٣هـ/١٤٦٨م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٢، ص ٤٧٠.
قـانى باى آص الشاقى الطويل	٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م	؟	٨٨٠هـ/١٤٧٥م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٠٧،٣١.
أزبـك فُسـتق الظاهرى حاجب ثانى	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	؟	؟	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٠٩.
سيباى الظاهرى الحاجب الثانى	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	؟	؟	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٠٨.
قنـبك جُشـحة العـلاى الرماح الحاجب الثانى	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	؟	٨٨٩هـ/١٤٨٤م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣ ق٢، ص ٢٠٦،١١٤.
تانى بك الأينالى	٨٨٦هـ/ ١٤٨١م	؟	؟	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص

				.١٨٠
أيسنال الفقيه الحسنى الظاهرى	٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م	؟	٩٠٣هـ/١٤٩٧م	ابن طولون، اعلام الورى، ص٧٨ وما بعدها رقم ٨٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣،ص٢٤٩، ٣٨٨.
برسباى الصغير	٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٠٠.
ماماى جوشن المحمدى	٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٨٨.
أسنباى الأصم	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٦٦.
على الجركسى الحاجب الثانى	٩١٨هـ/ ١٥١٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٨٥، ٣١٠.
مصرباى الأقرع	٩٢٢هـ/ ١٥١٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ١١٠.

رابعاً: حاجب ميسرة:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أيدكار بن عبد الله العمرى حاجب ميسرة	٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م	؟	٧٩٤هـ/١٣٩١م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص٧٦٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر جـ١، ص٢٥٤، ٣٥٤ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٢، ص٣٧؛ المنهل الصافى، جـ٣، ص

				١٥٧ – ١٥٨؛ الدليل الشافي، جـ٢، ص ١٦٦ رقم ٥٩٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٤٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٠٢، ٣٤٦، ٣٨٩، ٤٥١.
دقماق المحمدى سيف الدين حاجب ميسرة	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٦٤، ٧٤٤.

خامساً: الحاجب الثالث:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
مبارك شاه الحاجب الثالث يقول ابن إياس "استقر حاجباً ثالثاً، بتقدمة ألف، ولم يقع ذلك فما تقدم"	٨٢٠هـ/ ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٦٦.

سادساً: الحاجب الصغير:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
سودون الحاجب الصغير	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٧١.

٣- ثبت بحجاب الدولة المملوكية الأولى

حسب سنة الوفاة فقط

أولاً: حاجب الحجاب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أياز بن عبد الله النجمي، الأمير فخر الدين المعروف بالمقرى حاجب الحجاب في دولة الظاهر بيبرس	؟	؟	٦٨٧هـ/١٢٨٨م؛ وفى المنهل الصافى في عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م	الصفدىّ، الوافى بالوفيات، جـ٩، ص ٤٥٨ رقم ٤٤١٣؛ أعيان العصر، جـ١، ص٦٣٨-٦٣٩ رقم ٣٤٨؛ العينى، عقد الجمان حوادث عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٤٤٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص ٢٤٥؛ المنهل الصافى، جـ٣، ص١٩٩-١٢٠ رقم ٥٦٦؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ١٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢٣١؛ ابن شداد، تاريخ الملك الناصر، ص٣٤، ٢٤٣
أقوش حاجب الحجاب	؟	؟	٧٠١هـ/١٣٠١م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٤١٤.
شمس الدين خضر الناصرى	؟	؟	٧٠٧هـ/١٣٠٨م	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٤٣.

جمال الدين بن الإمام حاجب الحجاب	؟	؟	٧١٠هـ/١٣١١م	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٤٣.
قطلوبك بن قراسنقر حاجب حجاب دمشق	؟	؟	٧٢٩هـ/١٣٢٨م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص ٣٣٨-٣٣٩ رقم ٣٢٦٥.
سيف الدين أقول المحمدى حاجب حجاب دمشق	؟	؟	٧٣٨هـ/١٣٣٧م	الصفدى، الوافى بالوفيات، جـ١٦، ص ٤٦٤ رقم ٥٠٥؛ نكت الهيمان في نكت العميان، القاهرة ١٩١١م، ص١٧٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص ٣٢٥ رقم ٢٠٣٧؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦ ص ٤١٩ رقم ١٢٦٠؛ الدليل الشافى، ص ٣٦٦ رقم ١٢٥٦.
مغلطاى بن عبد الله المرتينى حاجب الحجاب	؟	؟	٧٤٩هـ/١٣٤٨م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٥ ص ١٢٥ رقم ٤٨٣٠؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص ٧٣٨ رقم ٢٥٢٠.
قبلاى بن عبد الله سيف الدين الناصرى	؟	؟	٧٥٠هـ/١٣٤٩م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٢٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص ٣٢٨ رقم ٣٢٣٧ وفيه "مات في سنة ٧٥٦

				هـ"؛ ابن تغرى بردي، الدليل الشافى، جـ٢ ص٥٣٣ رقم ١٨٢٨.
المهمندار سيف الدين حاجب حجاب دمشق	؟	؟	٧٦٣هـ/١٣٦١م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٥٨٦.
جركتمر الماردانى حاجب الحجاب زمن السلطان الناصر حسن	؟	؟	٧٦٩هـ/١٣٦٧م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٧١ رقم ١٤٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٩.
أسندمر حرفوش العلاى الحاجب	؟	؟	٧٧٢هـ/١٣٧٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٩.
يلبغا بن عبد الله الناصرى حاجب الحجاب زمن الأشرف شعبان ابن حسين	؟	؟	٧٧٦هـ/١٣٧٤م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٢٤٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص١٣٤؛ الدليل الشافى، جـ٢ ص ٧٩٤ رقم ٢٦٧٥.
يعقوب شاه حاجب الحجاب	؟	؟	٧٧٩هـ/١٣٧٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٣، ٣٣١١٩٩ ،.
موسى بن الأركشى الأمير سيف الدين حاجب حجاب القاهرة	؟	؟	٧٨٠هـ/١٣٧٨م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٣٥١، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص١٩٤؛ الدليل الشافى، جـ٢، ص ٧٤٨ رقم ٢٥٥٣.
جوبان الجركسى	؟	؟	٧٨٢هـ/١٣٨٠م	ابن حجر، إنباء الغمر،

حاجب حجاب حلب				جـ١، ص٢٢٢، رقم٩ .
طشتمر القاسمى حاجب الحجاب	؟	؟	٧٨٣هـ/١٣٨١م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٢٩١.

ثانياً: الحاجب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
بيليك بن عبد الله المحسنى الصالحى الحاجب المعروف بأبى شامة، زمن السلطان المنصور قلاوون	؟	؟	٦٩٥هـ/١٢٩٥م	الصفدى، الوافى بالوفيات، جـ١٠، ص ٣٦٨ رقم ٤٨٦٤؛ ابن الفرات، تاريخ الفرات، جـ٨، ص٢١٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ٤٧٩؛ المنهل الصافى، جـ٣، ص٥١١ رقم ٧٤٧؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٢١١ رقم ٧٤٥.
جمال الدين اقوش الكرجى الموصلى الحاجب	؟	؟	٦٩٩هـ/١٢٩٩م	بيبرس المنصورى، التحفة المملوكية، ص ١٣٨، ١٥٧؛ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة محمد عطا، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣١٧؛ الصفدى، أعيان العصر، جـ١، ص ٥٦٠- ٥٦١؛ الوافى بالوفيات، جـ٤، ص

				١١٣؛ ذكر العينى أن: جمال الدين أقوش مات في عام ٦٩٣هـ؛ ابن حجر، نيل الدرر الكامنة، ٤٥٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٤٤٦.
أيبك الأشكرى عز الدين الحاجب بدمشق	؟	؟	٧١٤هـ/١٣١٤م	الصفدى، أعيان العصر، جـ١، ص ٦٤٥ رقم ٣٤٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٤٢١.
كتبغا بن عبد الله حاجب دمشق زمن الأمير تنكز الناصرى	؟	؟	٧٢١هـ/١٣٢١م	المقريزى، السلوك، جـ٢ ق١، ص٢٣٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص ٣٥٠ رقم ٣٣٠٢؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص ٥٥٤، رقم ١٨٩٨.
أوران سيف الدين الحاجب بدمشق	؟	؟	٧٢٣هـ/١٣٢٣م	الصفدى، أعيان العصر، جـ١، ص ٦٣٦ رقم ٣٤٤؛ الوافى بالوفيات، جـ٩ ، ص٤٤١ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٤١٩؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص ١١٤.
برسبغا بن عبد الله الحاجب الناصرى زمن	؟	؟	٧٤٢هـ/١٣٤٢م	الصفدى، أعيان العصر، جـ٢، ص ١٣٠؛ الوافى

السلطان الناصر محمد				بالوفيات، جـ١٠، ص ١١٤، المقريزى، السلوك، جـ٢ ق٣، ص٦٠٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص ٢٨٢، رقم ٦٥٥؛ الدليل الشافى، جـ١، ص١٨٧ رقم ٦٥٤.
بيبرس بن عبد الله السلارى حاجب صفد	؟	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	الصفدى، الوافى بالوفيات، جـ١٠، ص ٣٥٢ رقم ٤٨٤٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٤٢ رقم ١٣٧٨؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص ٤٧٨ رقم ٧٢٣؛ الدليل الشافى، جـ٤، ص ٢٠٥ رقم ٧٢١.
جقطاى الحاجب بدمشق	؟	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٧٤، رقم ٤٥٥.
قطلوتمر الخليلى حاجب دمشق	؟	؟	٧٤٦هـ/١٣٤٥م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص ٣٣٩، رقم ٣٢٦٧.
أَلْلمس بن عبد الله الناصرى الحاجب ثم حاجب حجاب	؟	؟	٧٤٦هـ/١٣٤٥/	الصفدى، أعيان العصر، جـ١، ص ٦١٥ رقم ٣٣٣؛ الوافى بالوفيات، جت٩، ص٣٧٠، رقم ٤٢٩٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١،

				ص٤٣٨، رقم ١٠٦٢؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ١، ص ١٥٣رقم ٥٤٥؛ المنهل الصافى، جـ٣، ص٨٤، سرجع ذ. هبه.
شرف الدين الحاجب بحلب	؟	؟	٧٥٦هـ/١٣٥٥م	الصفدى، أعيان العصر، جـ٥، رقم ١٩٠٥، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، ص٣٨٤.
جمال الدين عبد الله الدمرتاش الحاجب بدمشق	؟	؟	٧٦٢هـ/١٣٦٠م	الصفدى، أعيان العصر، جـ٣، ص٨ رقم ٩١٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٣١١.
باكيش اليلبغاوى الحاجب	؟	؟	٧٦٩هـ/١٣٩٩م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٤.
سلطان شاه بن قرا الحاجب	؟	؟	٧٧٦هـ/١٣٧٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٥٠.
قبلاى سيف الدين الناصرى الحاجب	؟	؟	٧٥٦هـ/١٣٥٥م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق١، ص٢٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣ ص ٢٤٣ رقم ٦١٧؛ الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص١٩١، وما بعدها.
على بن طغريل الأمير علاء الدين حاجب	؟	؟	٧٤٩هـ/١٣٤٨م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص ١٢٧، رقم ٢٧٥٨؛

دمشق				ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ١، ص٤٥٧ رقم ١٥٨٧.
علاء الدين أقطون الكمالى حاجب صفد	؟	؟	٧٣٤هـ/١٣٣٤م	الصفدى، أعيان العصر، جـ١، ص ٥٥٧، رقم ٣٠١، الوافى بالوفيات، جـ٩ ، ص٣٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٣٩٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٢، ص ٥٠٥ رقم ٥٠٧.
طيفور بن عبد الله الظاهرى حاجب حجاب دمشق زمن السلطان الظاهر برقوق	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٣، ص١٥ – ١٦؛ المنهل الصافى، جـ٧، ص٤٠ وما بعدها رقم ١٢٩٤؛ الدليل الشافى، جـ١ ص٣٧٦ رقم ١٢٩١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٤، ص١٤ رقم ٥٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٦١.
يلبغا بن عبد الله السودونى حاجب الحجاب	؟	؟	٨٠٥هـ/١٤٠٢م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٣، ص١١٠٩ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص٣١؛ الدليل الشافى، جـ٢، ص ٧٩٤ رقم ٢٦٧٦؛ السخاوى، الضوء

				اللامع، جـ١٠، ص ٢٩٠ رقم ١١٣٥.
جقمق بن عبد الله الصفوى حاجب حجاب حلب زمن السلطان الظاهر برقوق	؟	؟	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٢، ص٣٣٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص ١٥٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥١٩، ٥٧٧، ٦٦١ ، ٦٦٣؛ المنهل الصافى، جـ٤، ص ٢٧٤ رقم ٨٤٨؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ٢٤٥ رقم ٨٤٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٧٠ رقم ٢٨٦.
مبارك شاه بن عبد الله الظاهرى حاجب الحجاب	؟	؟	٨١٦هـ/١٤١٣م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٢، ص٦١٦؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص ٥٧١ رقم ١٩٦٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٦، ص ٢٣٧ رقم ٨٢٢.
جرباش بن عبد الله الظاهرى المعروف بكباشة*	؟	؟	٨١٨هـ/١٤١٥م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص١٣٦؛ المنهل الصافى، جـ٤، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ رقم

* كباشة اسم فروة من جلود الأغنام معروفة، كان يلبسها جرباش هذا لما كان صغيراً عند لعبه بالرمح من تحت ثيابه لتحمل عنه الضرب فسمي بها. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص٢٥٥.

				٨٣٥؛ الدليل الشافى، جـ٤، ص٢٤٢ رقم ٨٨٣.
الناصرى محمد ابن العطار حاجب حجاب حماة	؟	؟	٨٢٨هـ/١٤٢٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٠١.
إياس الظاهرى حاجب الحجاب	؟	؟	٨٣١هـ/١٤٢٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١١٩.
جانبك بن عبد الله الحمزاوى حاجب الحجاب	؟	؟	٨٣٦هـ/١٤٣٣م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص٥٠٥ رقم ٨ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة،جـ١٥ ، ص١٨٠؛ المنهل الصافى، جـ٤، ص ٢٢٢ رقم ٨١٨؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ٢٣٦ رقم ٨١٦؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢٦٩ رقم ٧٢٧؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣ ص٥٦ رقم ٧٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٥٠.
تاج بن سيفا بن عبد الله الشويكى* المعروف بالتاج	؟	؟	٨٣٩هـ/١٤٣٥م	المقريزى، السلوك، جـ٤، ص٢٣٧، ٢٥٥ ، ٢٧٢، ٢٩٠، ٢١١، ٣٣١، ٣٣٨، ٩٨٣-

* نسبة إلى الشويكة مكان بظاهر دمشق. ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٤، ص٢٦، رقم ٨.

الوالي حاجب الحجاب				٤٩٨٤ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٤، ص٢٦ رقم ٤٨ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص ٢٠٢؛ جـ١٥، ص ١٩٨ – ١٩٩؛ المنهل الصافى، جـ٤، ص٥، رقم ٧٥٢؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٣١٥، ٣٤٤، ٣٥٦ ، ٣٥٩؛ جـ٣، ص ٣٥٧ – ٣٥٨؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٤ – ٢٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٦٥؛ Ahmad, Abd ar-Raziq, La hisba et le muhtasib en Egypt, pp. 163-266, no. 114-116.
شاهين بن عبد الله الزرد كاش حاجب حجاب دمشق	؟	؟	٨٤٠هـ/١٤٣٦م	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص٢١٢-٢١٣ رقم ١١٨٠؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٣٤٢ رقم ١١٧٧؛ الضوء اللامع، جـ٣ ص٢٩٥ رقم ١١٣٠.
سودون بن عبد الله الظاهرى المعروف بسودون	؟	؟	٨٤٣هـ/١٤٤٠م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٤٧٨-٤٧٩؛ المنهل الصافى، جـ٦،

المغربي* حاجب حجاب زمن الأشرف برسباي				ص١٧٩ وما بعدها رقم ١١٦٢؛ الدليل الشافي، ص٣٣٧ رقم ١١٥٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٨٣ رقم ١٠٧٤.
قاني باي بن عبد الله الجكمي المعروف قاني باي طاز حاجب الحجاب بحلب	؟	؟	٨٥٠هـ/١٤٤٦م	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٥١١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٥٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، ص ١٩٥ رقم ٦٥٨.
برسباي بن عبد الله الحمزاوي حاجب حجاب دمشق زمن السلطان الأشرف برسباي	؟	؟	٨٥١هـ/١٤٤٧م	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٥٢٢؛ المنهل الصافي، جـ٣، ص ٢٢٧، رقم ٦٥٢؛ الدليل الشافي، جـ١ ص١٨٦ رقم ٦٥١؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص١٩١؛ الضوء اللامع، جـ٣، ص٧ رقم ٣٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢،ص٢٥١، ٢٥٩.
يشبك بن عبد الله النوروزي	؟	؟	٨٥٤هـ/١٤٥٠م	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،جـ١٦

* يقول عنه ابن تغري بردي: "كان تصوره غير صحيح، فهمه غير مستقيم، قل أن يجلس بمكان ولا يبحث فيه مع أحد، وكان عنده تشوق وظن بنفسه ولهذا المقتضى سُمي المغربي. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ٦، ص١٨٠.

حاجب حجاب طرابلس ثم دمشق				، ص١٩٩؛ الدليل الشافى، جـ٢، ص ٧٨٨، رقم ٢٦٠٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٠، ص ٢٨٠ رقم ١١٠٠ وفيه "مات في المحرم عام ٨٦٣هـ".
جانبك اليشبكى الجكمى	؟	؟	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	السخاوى، التبر المسبوك، ص٢٦٢؛ جـ٤، ص٦١-٦٢ رقم ٢٤٩.
سودون بن عبد الله المؤيدى حاجب الحجاب زمن السلطان المؤيدى شيخ	؟	؟	٨٦٤هـ/١٤٥٩م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص٣١٠؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ٣٣٦، رقم ١١٥٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٢٧٦ رقم ١٠٥٢.
علان حلق بن عبد الله حاجب حجاب حلب	؟	٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م	٨٦٤هـ/١٤٥٩م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص١٣٥، الدليل الشافى، جـ١، ص ٤٤٤ رقم ١٥٣٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٥ ص١٥٠ رقم ٥٢٢ وفيه "توفى سنة ٨٩٤هـ وهو خطأ لأن الطاعون الذى توفى فيه كان في سنة ٨٦٤هـ وقد عظم بالشام وغزة، السخاوى

				التبر المسبوك، ص ٤٧٠.
قراجا الظاهرى حاجب حجاب مصر	؟	؟	٨٧٢هـ/١٤٨١م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٦٠.
فرج بن أغلبك حاجب حجاب حلب	؟	؟	٨٨٥هـ/١٤٨٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٧٧.
بلاط اليشبكى حاجب حجاب دمشق	؟	؟	٨٧٨هـ/١٤٧٣م	ابن طولون، إعلام الورى، ص٨١ رقم ٨٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٢٥-٤٢٦؛ جـ٣، ص٩٢.
طقتمر بن عبد الله الكلتاى حاجب حجاب طرابلس ثم حلب	؟	؟	٨٨٧هـ/١٣٨٥م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢ ص ٣٢٥ رقم ٢٠٣٩؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦ ص ٤١٩ رقم ١٢٦٠؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٣٦٦ رقم ١٢٥٧.
عبد الله بن بكتمر الحاجب	؟	؟	٧٨٦هـ/١٣٨٤م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص٥٢٦ ؛ابن قاضى شهبه تاريخ ابن قاض شهبة تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م، جـ٣ ص١٤٤- ١٤٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ٣٠١؛ المنهل الصافى، جـ٧، ص٨٢ – ٨٣

				رقم ١٣٢١؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ٣٨٤ رقم ١٣١٨؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ١١١ رقم ٣٣.
تانى بك قرا الأينالى	؟	؟	٩٠٥هـ/١٤٩٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٢٠، ٤٣٠.

ثانياً: الحاجب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أيـاس الصرغتمشى فخر الدين الحاجب	؟	؟	٧٨٥هـ/١٣٨٣م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٢٦.
جلبان الحاجب سيف الدين	؟	؟	٧٩٠هـ/١٣٨٨م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٩٤ رقم ١٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٣٨٢؛ ذكر ابن إياس أنه توفى عام ٧٨٨هـ/.
أيبك عز الدين الزويزانى الحاجب	؟	؟	٧٩٩هـ/١٤٩٦م	الصفدى، أعيان العصر، ص٦٤٥ رقم ٣٥٥.
محمد بن عبد الله بن بكتمر ناصر الدين بن جمال الدين الحاجب	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، ص٩٣ رقم ٨١، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص١٨؛ الدليل الشافى، جـ٢، ص

				٦٤٣ رقم ٢٢١٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢ ص٦٧ رقم ٣٢٨.
باشاه الحاجب بمصر	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢.
نوروز بن عبد الله الخضرى حاجب حلب	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص٧٦٢ رقم ٢٥٩٥؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٠، ص ٢٥٠ رقم ٨٧٢.
بيقجا طيفور حاجب دمشق	؟	؟	٨٠٢هـم١٣٩٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٨٢.
تغرى برمش الحاجب	؟	؟	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٩٤.
ينتمر بن عبد الله المحمدى الحاجب زمن السلطان الظاهر برقوق	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٣، ص١٠٢٥ ؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص٧٩٦ رقم ٢٦٨١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٠، ص ٢٩١، رقم ١١٤١.
بيدمر بن عبد الله الظاهرى الحاجب زمن السلطان برقوق	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص٤٩٩، رقم ٧٣٩؛ الدليل الشافى، جـ١ ص٢٠٩ رقم ٧٣٧؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٢

				رقم ١٠٧.
ترمش حاجب طرابلس	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ٥٥٦.
تنكز بغا الحطى حاجب طرابلس	؟	؟	٨٠٧هـ/١٤٠٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٠٥.
آق سنقر بن عبد الله الأشرفى شمس الدين الحاجب زمن السلطان الأشرف برسباى	؟	؟	٨٣٠هـ/١٤٢٧م	السخاوى، الضوء اللامع، جـ٢، ص ٣١٨، رقم ١٠٢١.
تمراز بن عبد الظاهر، سيف الدين الحاجب المعروف بتمراز الأعور، شغل منصب الحاجب في زمن المؤيد شيخ، وفترة أخرى زمن الأشرف برسباى	؟	؟	٨٣٠هـ/١٤٢٧م	المقريزى، السلوك، جـ٤ ق١، ص١٠٥، ١٨٩؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص ١٤٦ – ١٤٧ رقم ٧٩٠؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٢٢٥ رقم ٧٨٨.
جلبان بن عبد الله العمرى الحاجب بالقاهرة ثم غزة	؟	؟	٨٣٠هـ/١٤٢٦م	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٥، ص٧ رقم ٨٥٤؛ الدليل الشافى، جـ١ ص٢٤٨ رقم ٨٥؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٧٧ رقم ٣٠٠.
أبو يزيد بن عبد	؟	؟	٨٤٠هـ/١٤٣٦م	ابن تغرى بردى،

الله الظاهـــرى الحاجب بمصر زمن برسباى				الدليل الشافى، جـ٢، ص٨٣٦، رقم ٢٨١٦؛ السـخاوى، الضـوء اللامـع، جـ١١، ص ١٥٠ رقم ٤٩١.
الزينى قاسم بن تمرباى الحاجب	؟	؟	٨٧١هـ/١٤٦٦م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٢، ص ٤٤١.
العلاى على بن الفيسـى حاجب مصر	؟	؟	٨٧٤هـ/١٤٦٩م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ٣٧.
جانـبك الأبيض الحاجب	؟	؟	٨٧٧هـ/١٤٧٢م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ٧٩.
أبو بكر بن سنقر الجمـالى سيف الدين الحاجب	؟	؟	٨٨٣هـ/١٤٣٤م	ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، ص٩٩، رقم ١٠٢؛ السـخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٧٣.
أبو بكر جركسى الحاجب بمصر	؟	؟	٨٨٦هـ/١٤٨١م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ٣، ص ١٧٨.
تمربغا الحاجب	؟	؟	٧٨٨هـ/١٣٨٦م	ابـن إيـاس، بدائـع الـزهور، جـ١ ق٢، ص٢٤٩، ٣٦٨.
تمر بن عبد الله الشـهاب سيف الدين الحاجب	؟	؟	٧٩٨هـ/١٣٩٦م	ابـن حجـر، الـدرر الكامنة، جـ٢، ص٥٣ . رقـم ١٤١٨، إنباء الغمـر، جـ١، ص ٥١٦ رقـم ١٤؛ ابـن تغـرى بردى، المنهل الصـافى، جـ١ ص ٢٢٤ رقـم ٧٨٤؛

				الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ٤٣٤ رقم ٢٤٦.
سودون بن عبد الله المظفرى حاجب حلب زمن السلطان الظاهر برقوق	؟	؟	٧٩١هـ/١٣٨٩م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٣، ص٦٨٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٨، ص ١٧٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص ٣٨٥ رقم ١٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ٣٨٥؛ المنهل الصافى، جـ٥، ص١٠٢ رقم ١١٢٧؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٣٢٨ رقم ١١٢٤؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص٢٧٧ رقم ١١٦.
مغلباى دجاج حاجب دمشق	؟	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	٩١٥هـ/١٥٠٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٧١، جـ٤،ص١٥٥.
برد بك تفاح حاجب دمشق	؟	؟	٩١٩هـ/١٥١٣م	ابن طولون، اعلام الورى، ص١٤٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٤٧١، جـ ٤، ص٣٣٨.
منكلى بغا بن عبد الله الصلاحى، محتسب القاهرة وحاجبها	؟	؟	٨٣٦هـ/١٤٣٢م	المقريزى، السلوك، جـ٤ ق١، ٢، ص ٢٦٩، ٢٩٠، ٣٦٣، ٨٩٩، ٩٠٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣ ص١١، ص٣٩،

				١٣٨، ٥٠٩؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ٢، ص ٧٤٥ رقم ٢٥٤٥؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢٦٧ رقم ٧٢٣؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٠، ص ١٧٣ رقم ٧٣١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٨٦؛ Ahmed Abd ar-Raziq, La hisba et le muhtasib en Egypte, p.162 no.113 .
خشكلدى الحاجب المعروف بنصف وجه	؟	؟	٩١٢هـ/١٥٠٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٠٧.

ثالثاً: الحاجب الثانى:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أبو بكر سنقر زين الدين وقيل سيف الدين الحاجب الثانى زمن الظاهر برقوق	؟	؟	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق٣، ص١٠٧١ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٢٢؛ الدليل الشافى، جـ٢، ص ٨١٦، رقم ٢٧٤٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ١١، ص

				٣٦ رقم ٩٣.
إياس بن عبد الله الجلالى الحاجب الثانى	؟	؟	٨٣٠هـ/١٤٢٦م	ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ١، ص١٦٠، رقم ٥٦٩؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٢، ص ٣٢٤، رقم ١٠٥٧.
جانى بك البواب الحاجب الثانى	؟	؟	٨٤١هـ/١٤٣٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٨٤.
بتخاص العثمانى الحاجب الثانى في عهد السلطان خشقدم	؟	؟	٨٧٤هـ/١٤٦٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٨، ٣٩؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢، رقم٥.
سودون بن عبد الله السودونى الحاجب الثانى	؟	؟	٨٥٤هـ/١٤٥٠م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٥٥١؛ المنهل الصافى، جـ٦، ص ١٧٨ – ١٧٩ رقم ١١٦١؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٣٣٧ رقم ١١٥٨؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٧٩ رقم ١٠٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٥٦.
سنقر الحاجب الثانى بدمشق	؟	؟	٨٤٨هـ/١٤٤٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٤٥.
قُنق العِزى الحاجب الثانى	؟	؟	٧٦٩هـ/١٣٦٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢،

				ص٨٠.
قانى بك الأزدمرى الحاجب الثانى	؟	؟	٨٧٩هـ/١٤٧٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٠٢.
محمد بن تنم عبد الرازق الحاجب الثاني	؟	؟	٨٧٣هـ/١٤٦٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٥.

رابعاً: الحاجب الصغير:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
بيد مر الحاجب الصغير بمصر	؟	؟	؟	السخاوى، الضوء اللامع،جـ٣، ص٢٢.

٤-ثبت بحجاب الدولة المملوكية الأولى
بدون تاريخ الاستقرار أو العزل أو الوفاة*

أولاً: حاجب الحجاب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أسنبغا العلاى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٩٥.
بدر الدين بكتوت الشمسى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٤٣.
بيبرس أباجى الحلبى، ركن الدين حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٤٣.
جركسى السودوني حاجب حجاب طرابلس ثم دمشق	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٧٦.
خليل بن عرام الأسكندرانى صلاح الدين حاجب الحجاب، عاصر المنصور على بن الأشرف شعبان عام ٧٨٢ هـ/١٣٨٠م	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٢٣ – ٢٢٤ رقم ١٢.

* لم تمدنا المصادر بهذه التواريخ مما يتعذر معه نسب هذه الأسماء إلى عصر سلطان مملوكى بعينه.

سودون صوفى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص٩٣.
شمس الدين سنقرجا الكنجى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٤٣.
قطلوتمر حاجب الحجاب	؟	؟	؟	الصفدى، أعيان العصر، جـ٤، ص ١٢٧ رقم ١٣٨٢؛ الوافى بالوفيات، جـ ٢٤، ص٢٦١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢١٣.
لاجين العمرى حاجب الحجاب	؟	٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م	؟	الصفدى، أعيان العصر، جـ٢، ص ١٠٨٧؛ زيتر شتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص١٤٧.
قطلبك بن الجاشنكير حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٢١٦.
يشبك السودونى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٤، ص١٤، ص ١٣٤.

ثانياً: الحاجب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
ألجبغا الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص ٥٤٩، ٥٦٢، ٦٧٠.

أسندمر الناصرى حاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٣٢.
بدر الدين الوزيرى الحاجب	؟	؟	؟	ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٢١١.
بكتمر الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٤٥٦، ٤٥٩.
بكتمر العلمى حاجب الإسكندرية	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص١٣٢.
تكلياى حاجب دمشق	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٥١.
جلبان	؟	؟	؟	المقريزى، السلوك، جـ٢ ق٢، ص٥٥٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٣٨٠؛ المنهل الصافى، جـ٥، ص٦، رقم ٨٥٣؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ٢٤٨ رقم ٨٥٢؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ١٤٧.
جركسى الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧١٢ – ٧١٣.
خشقدم الأرديغاوى حاجب طرابلس	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٥٩.

سنقر الكمالى الأمير عز الدين الحاجب، زمن السلطان الناصر محمد	؟	٧١٢هـ/ ١٣١٢م	؟	الصفدى، أعيان العصر، جـ٢، ص ٤٨٤، ٧٥٤؛ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص١١٨، ١٩٥؛ العينى، عقد الجمان، جـ٤، ص٢٣٣، ٢٥٨، ٣٢٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٢٧٣ رقم ١٩٠٣؛ زيتر شتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧ – ١٤٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ١٦٧.
سلامش حاجب غزة	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٢٢.
سودون باشاه الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥١٦.
شاهين بن عبد الله الأيدكارى حاجب حلب في أوائل دولة المؤيد شيخ	؟	؟	؟	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ص ٢١١ – ٢١٢، رقم ١١٧٩؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٣٤١ – ٣٤٢ رقم ١١٧٦.
الصارم الجرمكى الحاجب	؟	؟	؟	بيبرس المنصورى، التحفة المملوكية، ص ١٩٨.
طيدمر الاسمعيلى	؟	؟	؟	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص

الحاجب				٣٣٤ رقم ٢٠٦٥.
قجق الحاجب	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص١٢.
قراتنبك الحاجب	؟	؟	؟	ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، ص٢١٦ رقم ٣٧٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٦، ص٢١٤.
محمد بن بكتمر الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٤٣٥.
محمد بن جلبان العلاى	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٦٧٢، ٧٣٢.
مظفر الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص٢١٠.
مُعَيقل الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٣٤.
موسى الهذبانى شرف الدين حاجب دمشق	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٠٣.
سيف الدين بهادر الحاج	؟	؟	؟	العينى، عقد الجمان، جـ٣، ص٣٤٥.

ثالثاً: الحاجب الثانى:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
تانى بك الألياسى الحاجب الثانى	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٤٩.

قانصوه من نفيس الحاجب الثاني بحلب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٤٨٣.
يعقوب شاه الحاجب الثانى	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٥٣، ١٣١.

رابعاً: حاجب ميسرة:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
تمر بغا ميسرة	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٥٢٨.

٥- ثبت بمصادرات الحجاب

أولاً في العصر المملوكى الأول

اسم الحاجب	اسم السلطان	القائم بالمصادرة	حجم المصادرة	العام	المصادر
الحاج بهادر الحاجب	السلطان لاجين	شاد الدواوين	أمواله	٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م	العينى، عقد الجمان، جـ٣، ص٣٦٣-٣٦٤.
بكتمر الحسامى الحاجب	السلطان الناصر محمد ابن قلاوون	السلطان الناصر	١٠٠,٠٠٠ دينار	٧١٠هـ/ ١٣١٠م	ابن تغرى بردى، جـ٩، ص٤١.
جمال الدين بكتمر الحاجب	السلطان الناصر محمد	؟	١٠٠,٠٠٠ دينار	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	ابن كثير، البداية جـ١٤، ص٧٣؛ المقريزى، السلوك، جـ٢ ق ١ ص١٤٤.
سيف الدين الماس الحاجب	السلطان الناصر محمد	شاد الدواوين وشاهد الخزانة	٢,٣٩٠,٠٠٠ درهم نقرة	٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م	المقريزى، السلوك، جـ٢، ق ٢، ص٣٦٠، ابن تغرى بردى، جـ ٩، ص٣٠٢، ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٣٧٣ حياة الحجى، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك، ص٤٠.
على بن مقلد الحاجب	السلطان الناصر محمد	؟	مال	٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م	الصفدى، أعيان العصر، جـ٣،

					ص٣٦، ٤٥.
بكتمر الحسامى الحاجب	السلطان الناصر محمد	؟	اشياء نقدية وعينية	٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م	ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٧، ص١٧٤؛ ابن الوردى، تقسمة المختصر، جـ٢، ص٣٠٨.
محمد بن بكتمر الحاجب	المظفر حاجى بن محمد	شاد الدواوين وأمير سلاح	أمواله ومنزله وخيوله	٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م	المقريزى،السلوك، جـ٢ ق٣ ص ٧٣٠، ابن تغرى بردى، جـ١٠، ص١٦٠.
علاء الدين على بن كلفت الحاجب	السلطان الأشرف شعبان بن حسين	السلطان	أمواله	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق ١، ص٢١٥، ٢١٦؛ ابن تغرى بردى، جـ١١، ص٦٠ – ٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق ٢، ص١٢٠ – ١٢١.
سلطان شاه بن قراجا الحاجب الثانى	السلطان الأشرف شعبان بن حسين	السلطان	أمواله	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	المقريزى، السلوك، جـ٣ ق ٢، ص١٠٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٦٠ – ٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور،

حاجب طرابلس	ابن برقوق			١٤٠٤م	بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧١٣ – ٧١٤.
كزل العجمى الحاجب	الناصر فرج ابن برقوق	السلطان	٢٠٠,٠٠٠ درهم	٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م	المقريزى، السلوك جـ٤، ق١، ص٤٣٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٤٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق٢، ص٧٦٠.
آقبغا شيطان والى القاهرة ومحتسبها وحاجبها	المؤيد شيخ المحمودى	الاستادار فخر الدين	أموال	٨٢١هـ/ ١٤١٨م	المقريزى، السلوك، جـ٤ ق١، ص٤٤١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٦٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٧

					جـــ١ ق٢، ص ١٢٠ – ١٢٢.
عــبد الله بن بكـــــتمر الحاجب	المنصور على بن شعبان	؟	١٠,٠٠٠ دينار	٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م	المقريـــــزى، السلوك، جـ٣ ق ١، ص٣٤١؛ ابن إيـــاس، بدائــــع الزهور، جـ١ ق ٢، ص٢٣٣.

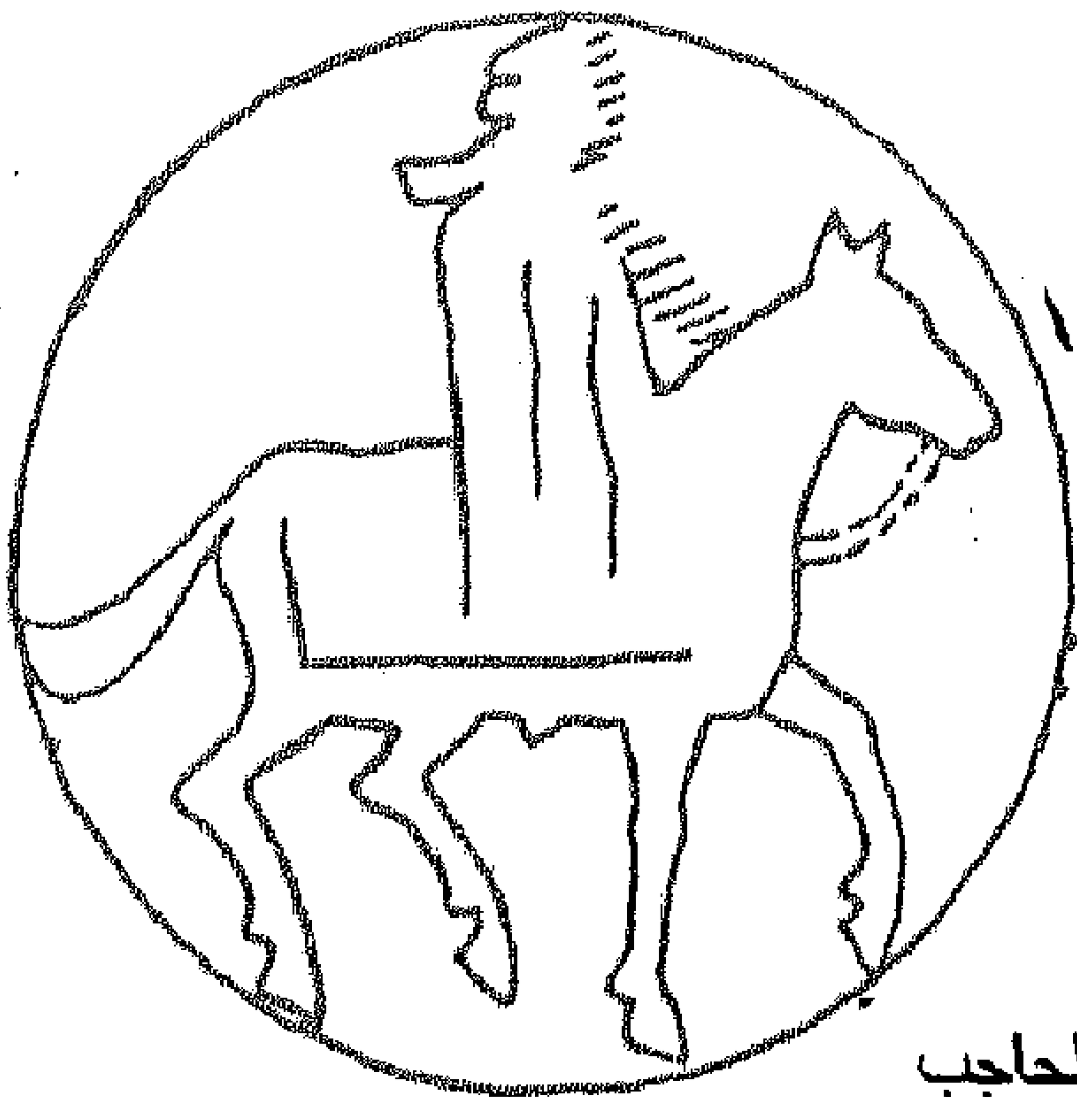
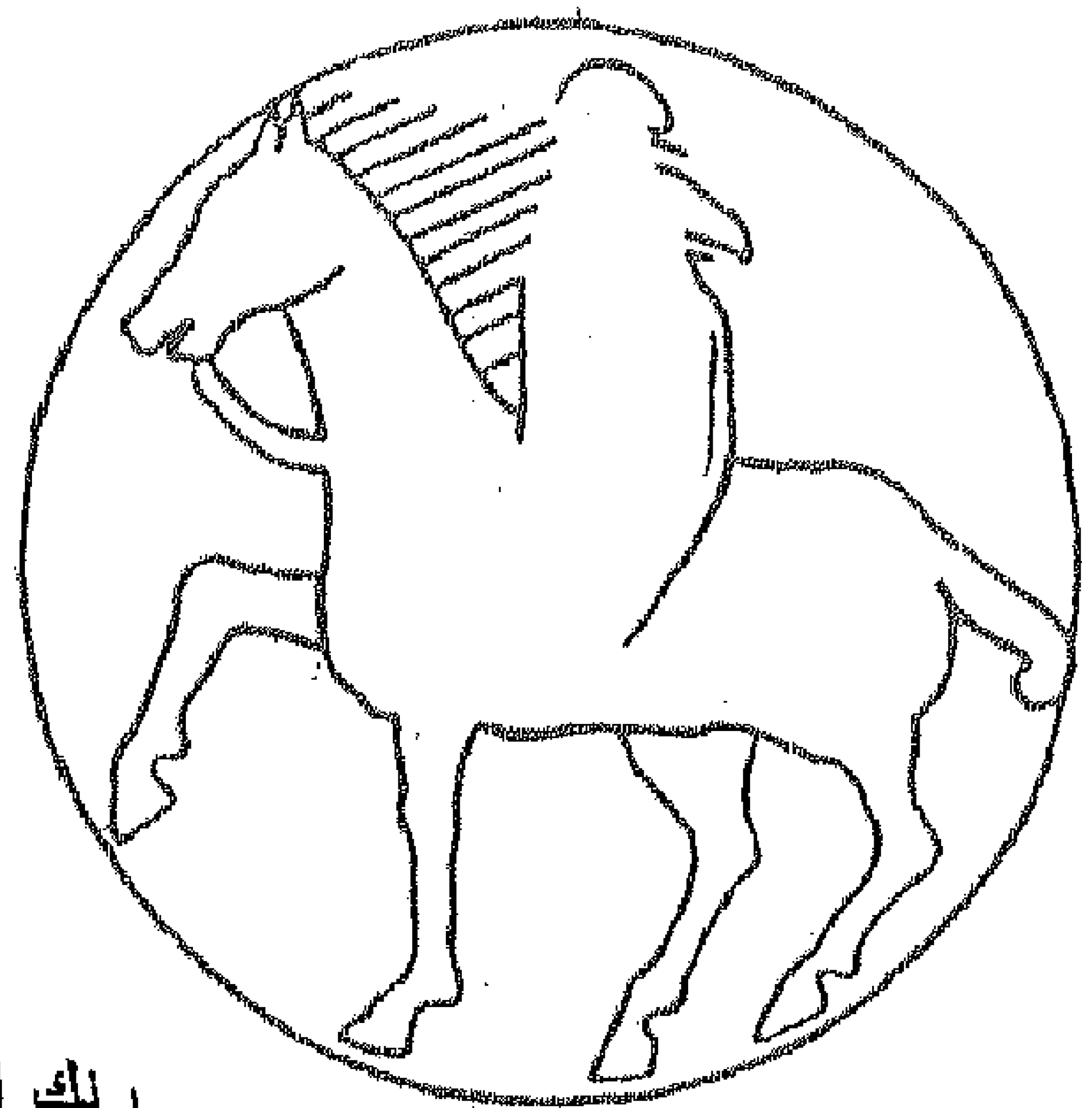
٦- ثبت بمصادرات الحجاب

ثانياً في العصر المملوكى الثانى

اسم الحاجب	اسم السلطان	القائم بالمصادرة	حجم المصادرة	العام	المصادر
محمـــد بـــن بكتمر الحاجب	الظاهر برقوق	؟	٢٠٠,٠٠٠ درهم	٧٩٤هـ/ ١٣٩١م	المقريـــزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص٧٦٥ .
عــبد الرازق ابن أبى الفرج الحاجب	السلطان الناصر فرج ابن برقوق	السلطان	١٠٠,٠٠٠ دينار	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	المقريـــزى، السلوك، جـ٣ ق٢، ص ١٠٦٤؛ ابـــن إيـــاس، بدائع الزهور،جـ١ ق٢، ص٦٢٩ ؛ الســخاوى، الضـــوء اللامع، جـ٤، ص١٩١.
تـــنكز بغـــا	الناصر فرج	نائب طرابلس	أمواله	٨٠٧هـ/	ابــن إيـــاس،

الأشكال

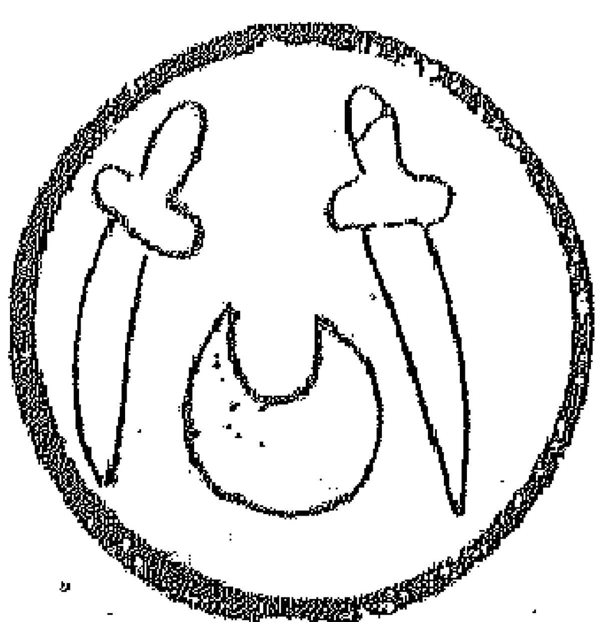
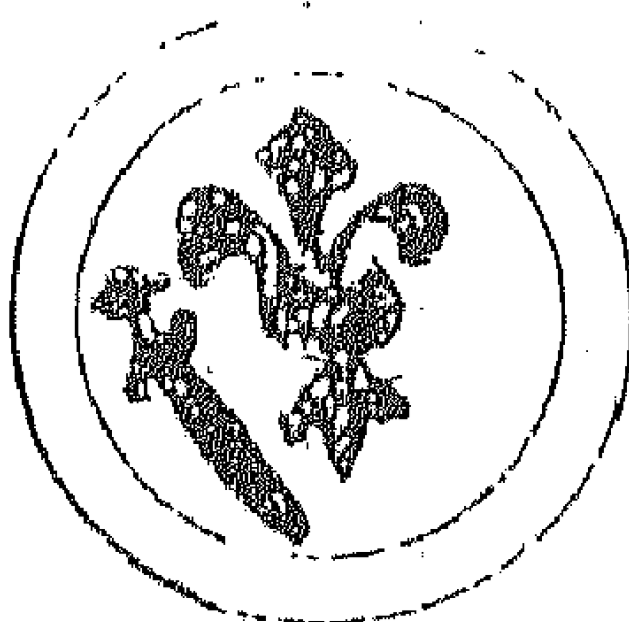
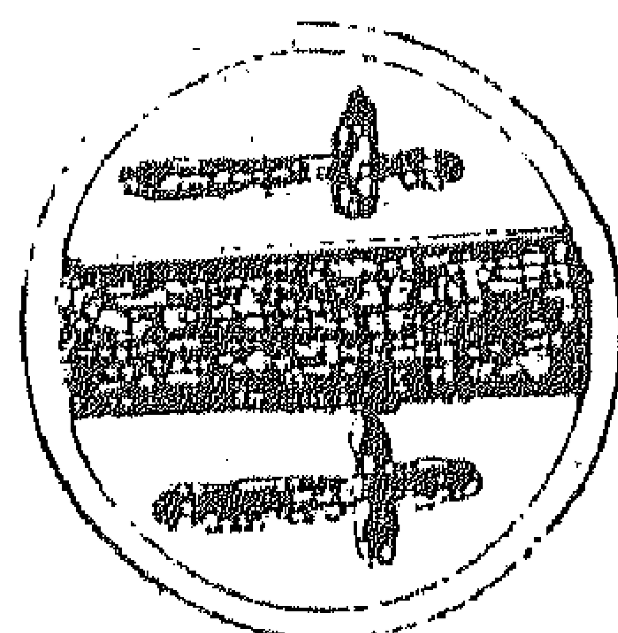
شكل رقم ١

رنك الحصان شعار الحاجب

نقلا عن Ernst Herzfeld, Materiaux, p. 346

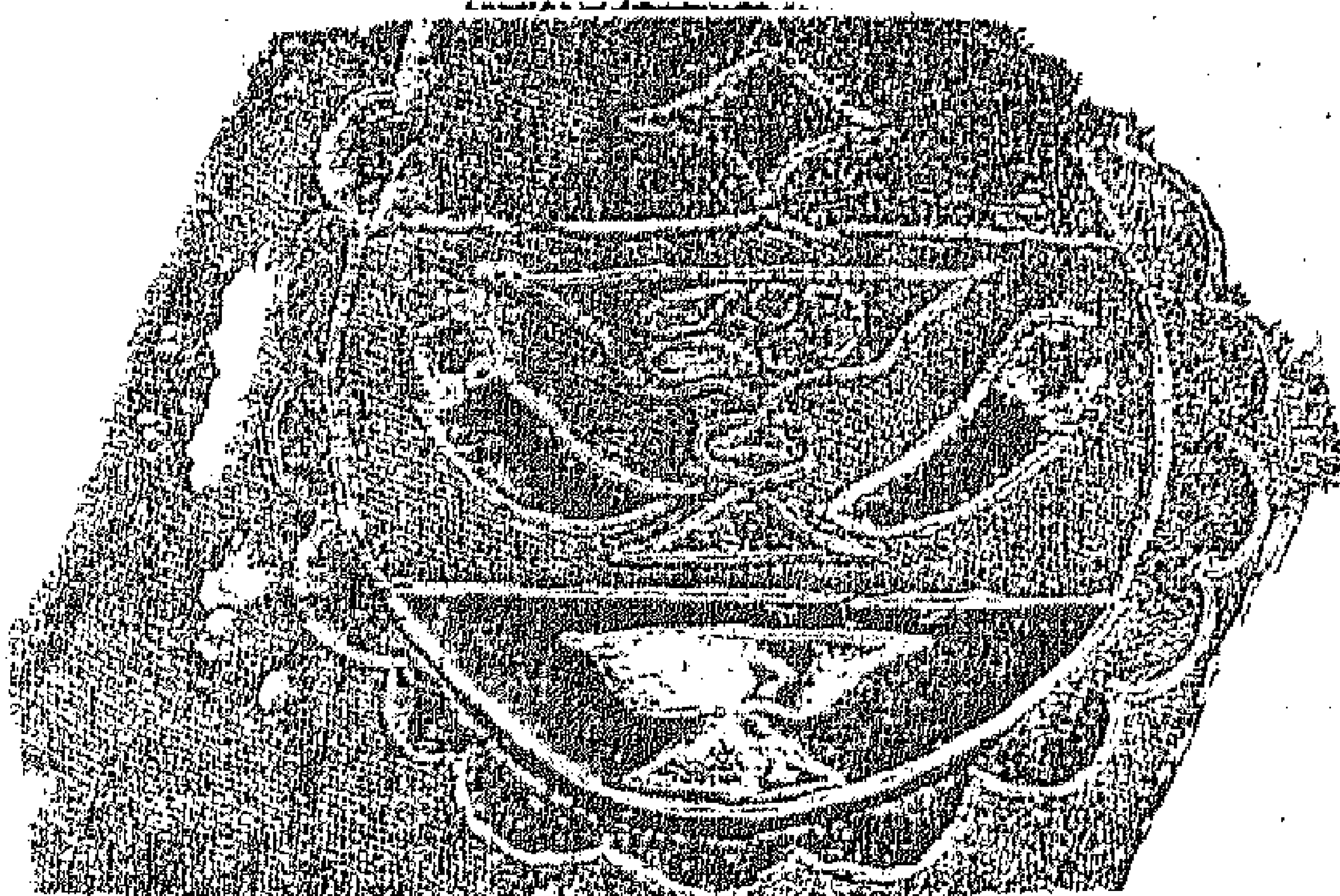
شكل رقم ٢

نماذج من رنوك السيف

نقلا عن احمد عبد الرازق، الرنوك، ص ١٠١.

شكل رقم ٤



رنك الحاجب قانصوه الغورى

نقلا عن Esin Atil, Art of the Mamluks, p. 241.

شكل رقم ٣



رنك البقجة المقطوعة بالسيف

نقلا عن Mayer, Saracenic Heraldy, Pl. Lxviii

شكل رقم ٥



مشكاة الأمير ألماس الحاجب

نقلا عن .Wiet, Lampes, catalogue général, Fig. 3154

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

- الخـــالدى (بهاء الدين محمد بن لطف ت ٩٣٧هــ/١٥٣٠م)، المقصد الرفيع المنشأ الهادى إلى صناعة الانشا، مخطوط مصور بجامعة، القاهرة، تحت رقم ٢٤٠٤٥.

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:

- ابـــن إياس (محمد بن أحمد بن إياس المصرى)، بدائع الزهور في وقائع الدهور المعروف بتاريخ مصر، طبعة محمد مصطفى، ١٩٨٢ - ١٩٨٤.
  - فهارس بدائع الزهور تحقيق محمد مصطفى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ابـــن إيـــبك الدوادار أبو بكر عبد الله بن أيبك ت ٧٦٤هــ/١٣٦٢م، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر) تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابـــن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هــ/١٤٦٩م)، منتخبات من حـــوادث الدهـــور فـــي مـــدى الأيـــام والشهور، ٤ أجزاء نشره وليم بوبر، كاليفورنيا، ١٩٣٠م.
  - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية حتى جـــ١٢، جـــ١٣ تحقيق محمد فهيم شلتوت، جـــ١٤ تحقيق جمال محمد محـــرز، فهـــم شـــلتوت القاهرة ١٩٧١م، جـــ١٥ تحقيق إبراهيم طرخان ١٩٧١م، جـــ١٦ تحقيق جمال الشيال، فهيم شلتوت، القاهرة، ١٩٧٢م
  - المـــنهل الصـــافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق محمد محمد أمين، ونبيل عبد العزيز، القاهرة، ١٩٨٥ - ١٩٩٤.
  - الدليل الشافى على المنهل الصافى، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة ١٩٧٩م.
- ابـــن حبيـــب (الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب ت ٧٧٩هــ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيـــام المنصور وبنيه جـــ١، جـــ٢، جـــ٣، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة ســـعيد عـــبد الفتاح عاشور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ١٩٨٢، ١٩٨٦م.

- ابـن حجـر (الحـافظ بن حجر العسقلانى ت ٨٠٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أجزاء، نشره محمد سيد جاد الحق، ط٢، القاهرة ١٩٦٦م.
-أنباء الغمر بأنباء العُمر، الأجزاء من ١ – ٣ تحقيق حسن حبشى، القاهرة، ١٩٦٩ – ١٩٧٢م.
-رفـع الإصـر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد، محمد أبو سنة، جزءان، القاهرة ١٩٥٧م.
-ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة ط٥، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابـن شـاكر الكتبيى (محمد بن شاكر أحمد الكتيبى ت ٧١٤هـ/١٣١٤م)، فوات الوفيات، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥١م.
-عيون التواريخ، تحقيق حسام الدين القدسى، القاهرة ١٩٨٠م.
- ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس، ١٨٩١.
- ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، فيسبان ١٩٨٣م.
- ابـن الصيرفى (علىَ بن داود إبراهيم المعروف بالخطيب الجوهرى، ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥ م)نـزهة الـنفوس والأبـدان فـي تواريخ الزمان الأجزاء من ١-٣ تحقيق حسن حبشى، دار الكتب المصرية، ١٩٧٠ – ١٩٧١ – ١٩٧٣م.
-إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشى، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ابن صصرى، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم بريبنر، كاليفورنيا ١٩٦٣م.
- ابن طولون (شمس الدين محمد بن على بن طولون الدمشقى ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، اعلام الـورى بمـن ولى نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى أو تاريخ الشام من قـيام دولـة المماليك في مصر إلى صدر العهد العثمانى، تحقيق عبد العظيم حامد، القاهرة، ١٩٧٣م.
ابـن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلس)، العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٥٣م.
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ت ١٠٨٩ – ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ أجزاء، القاهرة، ١٩٦٦م.

- ابـن الفـرات (ناصـر الديـن محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، تاريخ الدول والملوك، جـ٧، ٩ اربع مجلدات، نشرة قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٣٩م.
- ابـن قـاض شهبة (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)، تاريخ ابن قاض شهبة م١ جـ٣ تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ابـن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب طبعة، بولاق، ١٣٠١هـ، وطبعة بيروت، ١٩٢٦.
- أبـو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية بدون تاريخ.
- ابـن الـوردى (زين الدين عمر ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، تتمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٨٦٨م.
- الأبشـيهى (شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق مفيد محمد قميحة لبنان ١٩٨٣م.
- البيهقى، تاريخ البيهقى، ترجمة إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- بيـبرس المنصـورى (ابن عبد الله الدوادارى ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، التحفة المملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد صالح، بيروت، ١٩٨٧.
-زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة محمد عطا، القاهرة، د.ت.
- الدمـيرى (كمـال الديـن محمد بن عيسى الدميرى ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، ط٢، ١٣١٣هـ/١٨٩٥م.
- الـراوندى محمـد بـن علـى بن سليمان؟، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السـلجوقية نقلـه إلـى العربـية إبراهيم الشواربى، عبد النعيم حسنين، فؤاد الصياد، القاهرة، ١٩٦٠م.
- زيترشتين ، تاريخ سلاطين المماليك، نشرة Zettersteen K.V ، ليدن، ١٩١٩م.
- السبكى (تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النجم ومبيد النقم، تحقيق محمد على النجار، أبو زيد شلبى ط١، القاهرة، ١٩٤٨م.

- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، التبر المسبوك في ذيل السلوك، طبعة بولاق، ١٨٩٦.
-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢ جزء في ١٢ مجلد، القاهرة،١٣٥٣هـ
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط١، بيروت ١٩٩٧م.
- شافع (شافع بن على الكاتب العسقلاني المصرى ٦٤٩ - ٧٣٠هـ)، كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، بيروت، ١٩٩٨م.
- الشجاعي، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، تحقيق بربارة شيفر، فسبادن، ١٩٧٨م.
- الصفدى (صلاح الدين خليل ابن إيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافى بالوفيات، فيسبادن، ١٩٧٠م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق على أبو زيد، نبيل أبو عمشة، بيروت ١٩٩٧م.
- الفهارس العامة،أعداد قسم الدراسات والبحوث،دار الفكر،دمشق، ١٩٩٨م.
- نكت الهيمان في نكت العميان، القاهرة، ١٩٩١م.
- الصيرفى (أبى القاسم على بن منجب بن سليمان)، قانون ديوان الرسائل ط(١)، القاهرة ١٩٠٥م.
- الطبرى (أبو جعفر بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تفسير الطبرى، جامع البيان عن تأويل القرآن، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، بدون تاريخ ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، بدون تاريخ.
- العمرى (شهاب الدين بن فضل الله العمرى ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، التعريف بالمصطلح الشريف، بيروت، ١٩٨٨م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨٥م.
- العينى (بدر الدين محمود العينى ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي" تحقيق فهيم شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦٧م.

- عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان، الحوادث من ٦٤٨ إلى ٦٦٤هـ تحقيق محمد محمد أمين، هيئة الكتاب ١٩٨٧م، حوادث ٦٨٩ – ٦٩٨هـ تحقيق محمد محمد أمين ١٩٨٩م، الحوادث من ٨١٥هـ إلى ٨٢٤هـ/ تحقيق عبد الرازق طنطاوى، ط١، ١٩٨٥م.
- الفيروز آبادى، القاموس المحيط، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الفيومى (أحمد بن محمد بن على المقرى) ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م ، كتاب المصبح المنير، ط٦، القاهرة ١٩٢٦م.
- القرآن الكريم.
- القطب اليونينى (قطب الدين أبو الفتح بن محمد أحمد بن قطب الدين اليونينى الحنبلى ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، ذيل مرآة الزمان م١ ط١، الهند، ١٩٥٤م.
- القلقشندى ،شهاب الدين أحمد بن على القلقشندى ت سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٤ أجزاء، طبعة دار الكتب ابتداء من عام ١٩١٣
- ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، تصحيح محمود سلامة، ط١، القاهرة، ١٩٠٦م.
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على المقريزى ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لبنان، ١٩٥٩م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك نشره محمد مصطفى، جـ١ جـ٢ في ستة أقسام ونشره سعيد عاشور، جـ٣ جـ٤ في ستة أقسام أخرى عن دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٠م، ١٩٧٢م، ١٩٧٣م.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الشيال، القاهرة، ١٩٤٠م.
- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣ تحقيق محمد عبد الهادى شعيرة، محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٩٠م، جـ٣١ تحقيق الباز العرينى، القاهرة ١٩٩٢م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٢م.
- إبراهيم طرخان ، مصر في دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، ١٩٦٠م.
- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى،القاهرة ١٩٦٨م.

- أحمد عبد الرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية، المصرية، م٢١، ١٩٧٤م.
- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٩م.
- شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٢م.
- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٩٠م.
- الرنوك الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- الفنون الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- أحمد فكرى، تاريخ المساجد الأثرية بالقاهرة، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
- إسماعيل عبد المنعم، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية في مصر زمن المماليك البحرية، ٦٤٨ - ٧٨٤هـ/١٢٥٠ - ١٥١٧م رسالة ماجستير، غير منشورة جامعة عين شمس كلية الآداب ١٩٨٨م.
- البيومى إسماعيل الشربينى، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، سلسلة تاريخ المصريين العدد ١١٠، ١٩٩٧م.
- النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١١٨ القاهرة، ١٩٩٨م.
- جمال جرجس يوسف ، القضاء في العصر المملوكي مع تحقيق مخطوطة نزهة النظار في قضاة الأمصار، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٧٢م.
- جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٨م.
- حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ط١، القاهرة، ١٩٣٩م.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٦٦م.
- حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٨٩م.
- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م٢، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م.
- حسين مصطفى رمضان ، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادي والاجتماعي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٨٧م.
- حياة ناصر الحجى ، أحوال العامة في حكم المماليك دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط١، الكويت ١٩٨٤م.

- دراســات فــي تــاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، ط١، الكويت، ١٩٨٦م.
- أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك فى القرنيين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، الكويت، ١٩٩٥م.
- السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم سلاطين المماليك البحرية، من سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢، الكويت، ١٩٩٧م.
- دليل متحف الفن الإسلامي، دار الآثار العربية سابقاً، القاهرة، ١٩٥٢م.
- زكى محمد حسن، فنون الإسلام، القاهرة ١٩٤٠م.
- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، ١٩٨٣م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ١٩٥٩م.
  - الظاهر بيبرس، أعلام العرب العدد ١٤، القاهرة ١٩٦٣م.
  - المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٥م.
  - العصر المماليكى في مصر والشام، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ســند أحمــد سند، البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠٠.
- علــى إبراهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة، ١٩٤٤م.
  - الجيش والبحرية في عصر سلاطين المماليك القاهرة، بدون تاريخ.
- عبد الخالق حسين محمد ، النظم القضائية في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة كلية دار العلوم ١٩٨١م.
- عبد العظم حامد خطاب ، قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشام، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م.
- عــبد المــنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه، القاهرة، ١٩٨٢م.
- فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، مصلحة المساحة ١٩٥١م.
- قتيبة الشهابى ، معجم أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدى حتى بدايات القرن العشرين، دمشق ١٩٩٥م.

- ليلى عبد الجواد ، نائب السلطنة في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية، مجلة المؤرخ المصرى، القاهرة، العدد١، يناير ١٩٨٨م.
- مايسة محمود محمد داود ، المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكى رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، القاهرة، ١٩٧١م.
- ماير (ل.م)، الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتى، مراجعة عبد الرحمن فهمي، القاهرة ١٩٧٢م.
- محاسن محمد على حسين الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) سلسلة تاريخ المصريين العدد ١٥٢، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الألقاب والكنى الشعبية الساخرة عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط جامعة عين شمس، م٢، ٢٠٠٢م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ط١، ١٩٨٠م.
- محمد أحمد دهمان ، ولاة دمشق في عهد المماليك، ط٢، دمشق، ١٩٨١م.
- محمد التونجى ، المعجم الذهبى، بيروت، ١٩٦٩م.
- محمد عبد العزيز مرزوق ، الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة، ١٩٦٠م.
- محمد عبد الغنى الأشقر، نائب السلطنة المملوكية في مصر، ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ١٥٨، القاهرة، ١٩٩٩م.
- محمد مصطفى ، متحف الفن الإسلامى، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م.
- الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، العدد ٤٠٠ مارس ١٩٤١م.
- محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى، القاهرة، ١٩٤٧م.
- محمود نديم ، الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٣م.
- الفن الحربى للجيش المصرى في العصر المملوكى البحرى، القاهرة، ١٩٨٢م.

رابعا المراجع الأجنبية:

- Abd ar-Rāziq, A., "La hisba et le muhtasib en Egypt au temps des Mamluks", *Annales Islamologiques*, XIII, Le Caire, 1977, pp.115 – 178.

- Abd ar-Rāziq, A., "Les muhtasibs de Fastat au temps des Mamluks, "*Annales Islamologiques*, le Caire, 1978, pp. 127 – 146.
- Artin, Y, "Toris différentes armoiries de kait Bey", BIE, 2e série, no9, 1888, le caire, 1889.
- Artin, Y, Contribution à l'étude de blazon en Orient, London, 1902.
- Ayalon, D., "The Great Yâssa of Chingiz Khân," SI, XXXVI, 1972.
- Ayalon, D., "Studies in the Structure of Mamluk Army", BSOAS, 1954.
- Dozy, R, Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, Amsterdan,1845.
- Dozy, R, Supplément aux dictionnaires arabes, I – II, Leiden, 1881.
- The Encyclopaedia of Islam, art HADJIB, vol III, Leiden, 1986, pp.45-47.
- Ernst. Herzfeld, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum. deuxiéme partie : syrie du nord inscriptions et monuments d'Alep. tome 1 – vol – 1 (texte), le Caire, 1955.
- Esin Atil, Art of the Arab World, Washington, 1975.
- Esin Atil , Renaissance of Islamic Art of the Mamluks, Washington, D.C.,1981.
- Ēt Combe, J. Sauvaget et G. Wiet (eds), Répertoire chronologique d'épigraphie arabe, le Caire, tome 13, 1944, tome 15, 1956.
- Gayet, AL., L'art arabe, Paris, 1893.
- Hassanein Rabie, The Financial System of Egypt A. H. 564 – 741/A.D.1169 – 1941, London, 1972.
- Hayat Nasser AL – Hajji, The internal affairs in Egypt During The Third Reign of sultan AL – Nāsir Muhammad B.Qàlawūn, 709 – 741/1309 – 1341, Third Edition, Kuwait, 2000.
- Hiba 'Ali Yūsuf, L'eclairage à l'époque Mamlùke en Egypt, Paris, 2001.
- Lamm, C. J., Mittelaterliche Gläser und Steinschnittarbeiten aus dem Nahen osten, Band / text, Berlin, 1930.
- Lane – Poole, The Art of the Saracens in Egypt, Librairie byblos Arts et Métiers Beirut, 1886.
- Northrup, L., From Slave to Sultan the Career of AL – Mansùr Qālawùn and the Consolidation of Mamluk Rule in Egypt and Syria (678 – 689 A.H./1279 – 1290 A.D.) Germany 1998.

- Mayer, L. A., Saracenic Heraldry, A Survey, Oxford, 1933.
- Max. Herz, B., Catalogue Raisouné des monuments exposés dans le musée national de l'art arabe, Le Caire, 1906.
- Meinecke, M., Die mamlukische Architektur in Ägypten und syrien, 648 /1250 Bis 923 / 1517, Glückstadt, 1992.
- Quatremére. M., Histoire des sultans mamlouks de l'Egypte, Paris, 1844 – 1845.
- Poliak, A. N., Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, 1250 – 1900, London, 1939.
- Irwin, R., The Middle East in the Middle ages the Early Mamluk sultanate 1250 – 1382. London, 1986.
- Sauvaget, J, Caravanserails syriens du moyen âge, II.Caravausérails Mamelouks, Ars Islamica.
- Schmoranz. G., Old Oriental Gilt and Enameled Glass. Vessels Extant in public Museums and private collections Reproduced in their original coloring, London, 1899.
- Van Berchem, M., Matériaux pour un corpus inscriptonum arabicarum deuxiéme partie, Syrie du nord in Scriptionset monuments.
- Wiet, G., Catalogue général du musée arabe du Caire lampes et bouteilles en verre émaillé, Le Caire, 1982.
- Wiet, G., Catalogue Général du musée arabe du Caire objets en cuivre, Le Caire, 1932.
- William Leaf, Developments in the System of Armorial Insignia during the Ayyūbid and Mamluk Periods, London, 1983.
- Zaky M. Hassan, Les Tulunides, Paris, 1933.

أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢-١٣م/ ٦ - ٧هـ

د. محمد مؤنس عوض*

مصـــر

إن البحث في إشكالية عصر تاريخى ما؛ من شأنها تعميق دراسة ذلك العصر، ومن المقرر أنه لا يوجد عصر ما من عصور التاريخ دون أن توجد فى ثناياه إشكاليته الخاصة به النابعة من ظروفه ذاتها، وأود التقرير بأن عصر الحروب الصليبية التى شنها الغرب الكاثوليكي على مسلمى بلاد الشام وأعالى العراق ومصر وشمالى أفريقيا على مدى القرنين المذكورين، يوصف وبحق بأنه عصر معقد في تركيبته السياسية، والاقتصادية، والدينية، والعرقية إلى آخر تلك المفردات بحيث يمكن القول أنه العصر "الأنموذج" فى إشكاليات الكتابة التاريخية؛ فقد شهد الصدام العنيف – على كافة الأصعدة والمستويات – بين حضارة الغرب الأوربى وحضارة الشرق الإسلامى، وتعددت الشعوب، والأقوام، والأعراق التى دخلت فى آتون ذلك الصراع، وبالفعل كان صراعاً عالمياً فى تلك المرحلة من مراحل القرون الوسطى، وطوال تلك القرون لم يحدث أن شهد العالم صداماً عنيفاً بمثل تلك الصورة ودفع مئات الآلاف حياتهم دفاعاً عن معتقداتهم سواء كانوا على صواب أم على باطل، كذلك تصارعت المثل والمبادىء السامية مع الدوافع المادية الدنيوية، وبمرور الأعوام والعقود سقطت أقنعة الرهبان وتم إدراك أن المصالح الاقتصادية كان لها القدح المعلى فى العديد من المواقف الحاسمة من تاريخ ذلك الصراع.

زد على ذلك؛ أن رقعة الصراع جغرفياً اتسعت بصورة غير مسبوقة ومن الممكن وصفه فى بعض مراحله بأنه صراع بحر متوسطى بين غربى ذلك البحر وشرقه، واستهدف فيما استهدف لتينة الشرق وتنصيره وسلب ونهب ثرواته بالصورة التى جعلت المؤرخ البارز يوشع براور يصفه بأنه حركة الاستعمار – أى الاستخراب – الأوربى في العصور الوسطى وفيما بعد خرج المشروع الصليبى عن نطاق البحر المذكور ليشمل مناطق في داخل القارة الأوربية ذاتها ومنها ما كان يطل على بحر البلطيق.

ومن السمات البارزة لذلك العصر الذى عرف بعصر الحروب الصليبية، أن مسمياته تناقضت مع واقعة بصورة حادة؛ فالبابوية التى عُدت مؤسسة دينية صرفة، لعبت الأدوار السياسية الكاملة، ومارست العمل فى دهاليزها وتجردت من المبادىء أحياناً من أجل تحقيق أهدافها بميكيافيلية نادرة، على نحو يثبت أن المشروع الصليبى ذاته يعد – وبحق-

* أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الآداب– جامعة عين شمس.

لعبة سياسية كبرى هندست لها البابوية، ووضعتها موضع التنفيذ، حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الأوربى الوسيط، وعلاقاته بالشرق.

تلك مقدمة موجزة، من أجل تهيئة القارىء للموضوع الأساسى الخاص بإشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية، وفى واقع الأمر أن هناك جملة زوايا يمكن إجمالها فى الآتى:

أولاً: الرؤية الرسمية للمصادر التاريخية المعاصرة:

فمن المعروف؛ أن المؤرخين الذين عاصروا أحداث تلك الحروب سواءً من المسلمين أو الصليبيين أو البيزنطيين كتبوا كتاباتهم التاريخية وهم فى كنف السلطة السياسية القائمة، فالكتابة التاريخية التى وصلت إلينا من ذلك العصر توصف بالفعل أنها تابعة للسلطة، وأمتزجت فيها الدعائية جنباً إلى جنب مع الحقائق التاريخية، وبالتالى فإننا نملك بالفعل مادة تاريخية مهمة عن الحروب الصليبية، ولكن من وجهة النظر الرسمية. وواقع الأمر؛ أن تلك المشكلة لا ترتبط بذلك العصر فقط بل بعصور تاريخية متعددة قديماً ووسيطاً – بصفة عامة – وبدرجة أقل حديثاً، وهى تحمل فى طياتها جوانب إيجابية وسلبية معاً؛ فالمؤرخ الذى أفاد من الوثائق الرسمية، وعاصر القادة الذين صنعوا الأحداث له أهمية كبرى لأنه بدونه ما وصلت إلينا تلك المادة التاريخية المصدرية. بيد أن هناك جوانب سلبية أخرى، إذ أن ذلك المؤرخ اتجه أحياناً إلى الدعاية السياسية لأرباب السلطة من الملوك والأباطرة، والسلاطين، والأمراء. ومن الصعب فى ذك العصر الفصل بين "الدعاية السياسية"، و"الكتابة التاريخية" إذ أن هناك مؤلفات متعددة وصلت إلينا احتوت الزاويتين بجلاء لا ينكر.

وخير مثال دال على "الدعائية" فى ذلك العصر ما ألفه المؤرخ العراقى البارز ابن الأثير[1] الذى ألفه كتابه "الباهر" وخصصه لتناول دولة أتابكة الموصل الزنكيين، وفيه يتأكد لنا أن ارتباطه بتلك الأسرة؛ جعله بوقاً دعائياً لها، وذلك على الرغم من إدراكنا للدور البارز الذى لعبته الموصل، وتلك الأسرة فى جهاد الصليبيين، وتوجيه ضربة قاضية لأولى إمارات الصليبيين فى المنطقة ونعنى بها الرها Edessa عام ١١٤٤م بالإضافة إلى إسهامات نور الدين محمود ودوره فى ضم دمشق عام ١١٥٤م، وإسقاط الدولة الفاطمية فى عام ١١٧١م/ ٥٦٧هـ.

ولا نغفل زاوية محورية هنا، تتمثل فى أن المعاصرة حجاب، فالمؤرخ المعاصر، على الرغم من علو شأنه كما أسلفت، عندما اقترب من القادة البارزين الكبار خاصة أولئك

---

[1] أود أن ألفت نظر الباحثين إلى أن الباحثة العراقية ميسون عبايجى تقوم بإعداد أطروحة علمية عن ابن الأثير مؤرخاً للحروب الصليبية، وذلك من جانب مركز دراسات الموصل التابع لجامعة الموصل بالعراق الشقيق تحت إشراف أ.د. جزيل عبد الجبار الجومرد.

الذين كانت لهم شخصية مؤثرة فى الآخرين وتوصف بالفعل بأنها "كارزمية"[2] انبهر بهم، ولم يرى فيهم إلا ما أحب هو نفسه أن يراه، وتلك زاوية لا علاج لها؛ لأن المؤرخ المتأخر نقل عن المعاصر، وأفادت الرؤية جيلاً بعد آخر حتى وصلت إلى المؤرخ المحدث على طبيعتها تلك.

وأصــدق دلــيل علــى ذلك؛ أن مؤرخ الصليبيين البارز وأعنى به وليم الصورى[3] Wiliam of Tyre فى كتابه عن تاريخ الأعمال التى جرت فيما وراء البحر A history of the deeds done beyond the sea، وجه نقده لسياسات الصليبيين فيما قبل الملك عمورى الأول (١١٦٣- ١١٧٤م)، أمـــا فى عهد الملك المذكور فقد اتسمت كتاباته بالوقوع في نطاق "الكاريــزما" أو المحبوبية أو التأثيرية التى كانت لذلك الملك الصليبى البارز، ولا ريب فى أن إعجــاب وليم الصورى بالملك عمورى ساعد على توجيه منظوره التاريخى خاصة من خلال إعجابه بحملاته العسكرية التى استهدفت الجار الفاطمى الذى كان يعانى من الانهيار الداخلى، واعتبر رجل المنطقة المريض في القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى.

ومــن ناحــية آخرى؛ نلاحظ أنه كنتيجة للجانب الرسمى فى الكتابة التاريخية صار لديــنا تــاريخ للحكام ولا نملك تاريخاً للشعوب فالمؤرخون الذين انتموا إلى شرائح اجتماعية عالــية المستوى منهم من نظر إلى العامة نظرة احتقار ودونية بصورة انعكست على كتاباته ذاتها، وهكذا؛ تتأكد لنا المقولة التى تذهب إلى أن "التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون إلــى الحكــام"، وذلك على الرغم من أن تلك الشعوب أفرزت قادتها وحكامها، كما أنها دفعت الثمــن غالياً فى مواجهة ما حل بها من عدوان سافر من جانب قوى استعمارية أجنبية طامعة فى خيراتها، واصدق مثال دال على ذلك الشعوب الإسلامية ذاتها، التى لا نملك – فى الغالب الأعــم – تاريخاً فى ذلك العصر بل نملك تاريخاً لحكامها أنفسهم، ولاريب فى أن المؤرخين الرســميين يــتحملون جانــباً بــارزاً مــن تلك المسئولية، ونخلص من كل ذلك إلى أن حجم "الرسمية" يطغى بجلاء على "الشعبية" فى تاريخ تلك المرحلة من مراحل الصراع بين الشرق والغــرب فى القرون الوسطى، وقد يرد البعض بأن الف ليلة وليلة بها بعض من أصداء تلك الحــروب، غير أن ذلك محدود لا يتفق كماً وكيفاً مع تلك الأحداث الصاخبة التى أكتويت بها

---

[2] عن تلك الزاوية أنظر ما ورد بشأنها في كتابي: الحروب الصليبية من قضايا السياسية والمياه والحياه والعقيدة ط. القاهرة ٢٠٠١م.

[3] عن وليم الصورى انظر:

Krey, "William of Tyre the making ofAn Historian in the middle Ages", Speculum, vol. Xvi, 1941, pp. 149-166.

Davis, "William of Tyre", in Relations between East and West in the Middle Ages, ed. Derck, Edinburgh 1971, pp. 64 – 75.

Vissey, "William of Tyre and the art of Historiography", M.S., vol. XXXV, 1973, pp. 433-455.

Crawford, "William of Tyre and the Maronites", Speculum, vol. XXX, 1955, pp. 222-228.

Edbury and Rowe, "William of Tyre and the patriarchal election of 1180", E.H.R., vol. XCLL, 1979, pp. 1-25.

شـــعوب المنطقة. ونفس الأمر ينطبق على شعوب الغرب الأوربى ذاتها فتغيب الدور الشعبى قضية شرقية وغربية على حد سواء ولم تكن زاوية شرقية فقط.

مـــع ملاحظـــة وجود استثناء فى صورة ما يعرف بالساجا Saga وهى عبارة عن الملاحـــم النـــثرية النرويجـــية وهى خاصة بتاريخ النرويج فى أقصى شمال غربى أوربا وقد ارتبطت ببطولة قادة النرويج فى العصور الوسطى، ومن أمثلتها تلك الخاصة بالملك سيجورد Sigurd الذى قام بحملة صليبية إلى بلاد الشام خلال المرحلة من ١١٠٧- ١١١٠م/ ٥٠١ – ٥٠٤هـ[4].

ومع ذلك، فإن الساجا تعد مصدراً تاريخياً خاصاً بتلك الدولة ولا تتعداها إلى مناطق أخـــرى، أمـــا بالنســـبة للـــدول الأخرى خاصة انجلترا وفرنسا وألمانيا فهى تعانى فى عصر الصليبيات من نفس تلك المشكلة.

ثانياً: اتجاهات المؤرخين المذهبية وأثرها على الكتابة التاريخية:

مـــن الملاحـــظ؛ أن المـــيول الذهبية لمؤرخى تلك الأحداث أثرت تاثيراً بارزاً على كـــتاباتهم التاريخـــية، وفـــى هـــذا المجال؛ نلاحظ بجلاء أننا لا نملك تصوراً تاريخياً للدولة الفاطمية من زاوية شيعية صرفة بل من خلال وجهة النظر السنية المعادية لمؤرخين ارتبطوا بالعصرين الأيوبى والمملوكى، ونفس الأمر يمكن أن يقال بالنسبة للفرق والقوى الدينية التى وجدت فى بلاد الشام فى ذلك العصر سواءً بالنسبة للدروز أو الإسماعيلية النزارية[5]، لقد كان عداء المؤرخين السنيين لتلك القوى شديداً ووصفوهم بالتالى بأوصاف بالغة السوء، وضاعت عن عمد أو من خلال أحداث الصراع الحربى بين المسلمين والصليبيين آية كتابات تعبر عن وجهـــة نظـــرهم إلا مـــا ندر فى صورة شذرات هنا وهناك. وأورد التقرير؛ أن تلك الآراء أوردهـــا على الرغم من الدور السيئ الذى قامت به عناصر الإسماعيلية النزارية فى اغتيال قادة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين حينذاك مثل شرف مودود وغيره من كبار القادة.

وعلـــى الـــرغم من أن لدينا قدراً من المصادر الشيعية فى صورة المؤرخ الشيعى الحلـــبى ابـــن أبى طيء[6] الذى وصلت إلينا بعض النقول من مؤلفاته فى صورة ما أورده أبو

---

[4] عن الساجا انظر:

The Oxford reference dictionary, London 1962, p.726, Wright, the Geographical lore in the time of the Crusades, New york 1965, p.346, the Oxford English dictionary, vol. Lx, Oxford 1973, p.82, Dictionary of the Middle Ages, Newyork 1989, p.616.

ولنظـــر هذه الدراسة: محمد مؤنس عوض، "الحملة الصليبية النرويجية الملك سيجورد ودوره في دعم الحركة الصليبية (١١٠٧ – ١١١٠م/ ٥٠١ – ٥٠٤هـ)"، ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية، ط. عمان ١٩٩٩م، ص٧ – ص٦٠.

[5] عن ذلك انظر:محمد مؤنس عوض، التنظيمات الدينية الإسلامية المسيحية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس.م ١٩٨١م، ص١٩٧ – ٣٤٣.

[6] تقـــوم الباحـــثة شـــيرين شلبى عشماوى المدرسة المساعدة بكلية البنات – جامعة عين شمس بإعداد أطروحة علمية عن المؤرخ ابن أبى طيء بأشراف المؤرخة الرائدة أ.د. سيدة إسماعيل كاشف.

شـــامة المقدسى (ت١٢٦٧م/ ١٢٦٧م) وابن الفرات (ت ١٤٠٥م/ ١٤٠٥م)، إلا أن هذا القدر محدود.

وعلـى الجانب الآخر؛ لدينا رؤية البابوية واضحة، بينما لا نملك رؤية الوالدنسيين والكتاريـــن الذين عارضوا المؤسسة الدينية الأوربية في ذلك العصر؛ على نحو يثبت لنا أن القضـية لم تكن مقتصرة على الشرق فقط، بل أن الغرب كان له أيضاً نصيبه فى تلك الزاوية تماماً مثل مشكلة الطابع الرسمى الذى تناولتها من قبل.

ولا ريـب فى أن الميول المذهبية لمؤرخى ذلك العصر، كان لها دورها البارز فى كـتاباتهم التاريخـية، ومن اليسير اكتشاف المعتقد الدينى والمذهبى لمؤرخ ذلك العصر دون كبـير عـناء من خلال تصفح ما كتب من خلال تعاظم الظاهرة الدينية حينذاك. الأمر الذى يجعـل المـؤرخ المحدث يبذل جهداً جهيداً من أجل البحث عن "المسكوت عنه" فى المصادر التاريخية هنا وهناك لعله يجد ضالته التى يتعطش لها.

ثالثاً: التفسير النفسى لتاريخ الحروب الصليبية:

مـن الأمـور المقررة، أن التفسير النفسى قد نجح نجاحاً كبيراً فى مجالات الإبداع الأدبـى، ودراسـات الـنقد الأدبـى، غير أنه فى مجال الكتابات التاريخية اعتاد المؤرخون الاعـتماد على تفسير الأحداث السياسية من خلال الدوافع الاقتصادية، والدينية، والاجتماعية، ومـع ذلـك؛ فإن التفسير النفسى لأحداث التاريخ – خاصة خلال مراحل الصدام الحضارى وانـدلاع الحـروب الكبرى بين قوى شديدة التباين في نمط الحياة ذاتها، وكذلك في المصالح .... الـخ – أمـر حيوى للغاية، وبالتالى فإن تاريخ الحروب الصليبية يصعب فهمه فهماً حقيقـياً – وفق تصورى الشخصي – دون إدراك الدوافع النفسية التى حركت الأفراد القياديين وكذلك جموع الحشود البشرية ذاتها.

وهـناك فـى هذا المجال العديد من المصطلحات التى تفيدنا مثل الكارزمية – وقد أشـرت إليها من قبل – ثم سيكولوجية الحشود، والسادية، والفوبيا... إلى آخر تلك المدلولات النفسـية ذات الأهمـية الكبـيرة فـى أحـداث ذلك العصر، ومما يذكر هنا؛ أن المؤرخين المعاصـرين اعتادوا تناول أبناء عصرهم على أنهم أسوياء من زاوية الصحة النفسية، بل أن المؤرخين المحدثين تعاملوا معهم بذات التصور، وهو أمر يمثل مشكلة حقيقية، فالمنطق يدعو إلـى تصـور أن هناك أشخاصاً أسوياء وآخرين لم يكونوا كذلك، لقد كانت هناك شخصيات حركـتها عقد نفسية مثلما يحدث فى كل عصر تاريخى آخر، ودون إدراكها يصعب أن نضع أيديـنا علـى مفاتيح تلك المرحلة الثرية من مراحل الصراع بين الشرق والغرب فى القرون الوسطى.

وأود أن أقدم هنا أمثلة على المستوى الفردى، والجماعى، لتوضيح ذلك الأمر؛ فعلى المسـتوى الفـردى؛ نجـد ان الفارس الفرنسى رينودى شاتيون أوارناط الذى مكث فى أسر

المسلمين قرابة عقد ونصف من الأعوام، عندما خرج من سجنه، حركته – على الأرجح – رغبة عارمة في الثأر من المسلمين، لقد كانت تلك الرغبة المتأججة في صدره أكبر من قدرته على كتمانها، وجاء وصول ذلك الرجل إلى صدارة الصفوف الأولى في قيادة الصليبيين كان بمثابة إعلان حرب حقيقية على المسلمين، وهكذا، كان إرناط عاملاً رئيسياً في حدوث الصدام الحربي الكبير في معركة حطين في ٤ يوليو ١١٨٧م الذى أدى إلى انهيار مملكة بيت المقدس الصليبية بعد أن عمرت قرابة تسعة عقود من عمر الزمان ١٠٩٩ – ١١٨٧م مع عدم إغفال تأثير الظروف التاريخية الأخرى ذاتها حينذاك بطبيعة الحال.

والمثال الآخر؛ يمكن إدراكه في المؤرخ البارز وليم الصورى، لقد تحرق شوقاً من أجل الوصول إلى منصب بطريرك بيت المقدس، غير أنه لم يصل إلى ذلك المنصب الرفيع ووجد من هم أقل كفاءة منه يصلون إليه، بل ومنهم من كانت تشوب سمعته الشخصية شوائب أخلاقية يندى لها الجبين – مثل البطريرك هرقل – ومن المفترض أن تلك الزاوية شكلت "عقدة نفسية" حقيقية لذلك المؤرخ الفذ، وأن إحساسه بذلك الواقع الشخصي المتردى، وعدم تحقيقه لطموحاته ملكت عليه فؤاده، جعله ينتقل من "الخاص" إلى "العام" فرصد الزوايا السلبية في تاريخ الصليبيين المعاصرين له، ولذلك تحدث عن من يقوم بإنقاذ مملكة بيت المقدس الصليبية، بل توقع انهيارها من قبل حدوث ذلك على اثر حطين، وفى تقديرى، أن أزمة ذلك المؤرخ النفسية الشخصية الخاصة – على الأرجح–، جعلته يدرك ما لم يدركه أقرانه من المؤرخين من عوامل الانهيار الداخلى للمملكة المذكورة بالإضافة إلى روحه النقدية ورؤيته العقلانية لوقائع التاريخ ذاتها.

وهكذا؛ فإن التفسير النفسى لتاريخ تلك المرحلة يقدم لنا اقتراباً مهماً لزوايا متعددة قد لا تفصح عنها المصادر التاريخية بصورة مباشرة بل علينا البحث فيما بين السطور لإدراك الأزمات النفسية وأبعادها وآثارها في سلوك الأفراد القياديين سواء على مستوى الفعل السياسى أو الكتابة التاريخية ذاتها.

وعلى الصعيد الجماعى؛ نجد أن الغزاة الصليبيين عندما قدموا إلى المنطقة قاموا بعدد من المذابح ضد اليهود كما فى حوض الراين بألمانيا عام ١٠٩٦م وكذلك ضد المسلمين بلغت ذروتها في ١٥ يوليو ١٠٩٩م فى صورة مذبحة بيت المقدس الشهيرة التى يقال أن عشرات الآلاف من المسلمين راحوا ضحيتها، وعند بحث دوافع الصليبيين لارتكاب تلك المذابح، لابد من الاعتراف بأن البحث فى نفسيتهم وسيكولوجية الحشود يمكن أن تفيدنا، فهناك الرغبة في الثأر، ثم هناك التلذذ بتعذيب الآخرين أو ما عرف بالسادية Sadism، حقيقة أن المصادر التاريخية المعاصرة لا تحدثنا مباشرة عن تلك الزوايا النفسية غير أن علينا تحليل ما ورد فيها من معلومات من أجل التوصل إلى ماهية الحالة النفسية والمزاجية العامة التى حركت الصليبيين لاتخاذ موقف جمعى عدوانى تجاه المسلمين بمثل تلك الصورة

البشـــعة، وذلـــك دون إغفـــال الدوافع المحركة الآخرى، كالتعصب الدينى الشديد على سبيل المثال.

وقـــد يتساءل القارىء، وما وجه الأشكالية هنا؟ والإجابة عن هذا التساؤل تتمثل فى المؤرخيـــن عمومـــاً لا يفضلون ذلك الاتجاه، ولم يصل التفسير النفسى للتاريخ إلى المستوى اللائـــق بـــه من الاعتراف الأكاديمى على الرغم من أهميته الكبيرة، لقد قطع التفسير النفسى شـــوطاً كبيراً فى مجال النقد الأدبى – كما أسلفت الذكر – ؛ غير أنه لم يزل يحبو في مجال تفسير أحداث التاريخ ضمن سياقها الحقيقى الذى وقعت فيه.

رابعاً: تغييب دور المرأة في عصر الحروب الصليبية:

من الملاحظ أن عصر الحروب الصليبية سواء في الغرب الأوربى أو فى بلاد الشام شـــهد ظاهـــرة "تعـــاظم تاريخ الرجل" على حساب دور المرأة، لقد أبرز المؤرخ الرجل دور الرجال عموماً فى صنع الأحداث، وندرت الإشارات المصدرية الخاصة بالمرأة بصفة عامة، ولا نملك تعليلاً لذلك سوى الطابع المحافظ للقرون الوسطى عموماً فى الشرق والغرب، وذلك علـــى الـــرغم من أهمية الدور الكبير الذى لعبته المرأة فى ذلك العصر كأم، وزوجة، وابنة، وأخـــت، غير أن المصادر التاريخية تتجاهل ذلك – إلا فى القليل النادر – لتظهر دور الرجل المحـــارب والسياســـى، دون الحديـــث عن الخلفيات الحياتية التى كان عليها، ويمكن القول – دونمـــا مبالغة – أن عصر الحروب الصليبية شهد دوراً بارزاً للمرأة – على نحو مفترض – لـــم يكن ليقل عن الرجل، غير أن الأخير كان الخصم وكان الحكم في نفس الحين، فعمل عادة على عدم إبراز دور المرأة، على نحو قدم معه صورة العصر منقوصة على نحو مؤكد.

وقـــد يـــرد الـــبعض أن هناك أعلاماً من النساء الصليبيات والمسلمات مثل المملكة الصـــليبية مـــيلزندا أم الملك الصليبى بلدوين الثالث، واليانور زوجة الملك لويس السابع ملك فرنســـا، كذلـــك لا نغفـــل دور ضـــيفة خاتون، وست الشام وشجر الدر وغيرهن من النساء المعاصـــرات. غـــير أن هذه أعداد قليلة من النساء البارزات على مستوى القمة، أما القاعدة الشـــعبية العامـــة، فالمرأة فيها لا ذكر لها في المصادر التاريخية بصورة متوازنة مع ما ورد بشأن الرجل.

إن ذلـــك الوضع الذى يمثل وبحق "مشكلة" في معالجة المصادر التاريخية لما اعتدنا تســـميته فـــى عصـــرنا الحـــالى بأنها "نصف المجتمع" انتقل إلى المعالجات الحديثة. فمازال الباحـــثون يـــتجهون إلى "الرجل" كفاعل تاريخى دون التعرض إلا نادراً للمرأة،على نحو دعم "الـــتاريخ الذكـــورى" لتلك الحقبة وبالتالى يمكن القول أن المرأة فى عصر الحروب الصليبية ظلمت عدة مرات، فقد ظلمت عندما غدر بها المشروع الصليبى تحت أوهام صنعتها البابوية مـــن أجل الذهاب إلى الشرق حيث الأنهار التى تفيض لبناً وعسلاً وسارت بجوار الرجل إلى هـــناك، غـــير أن الأيام أثبتت أن الثمن الفادح دفعته المرأة حيث كانت الأرملة، والثكلى من

جراء الصراع مع المسلمين فى الشرق، وظلمت عندما تجاهلها المؤرخون المعاصرون بالصورة التى شهدت عليها كتاباتهم نفسها، وظلمت من المؤرخين المحدثين – وهم فى ذلك في وضع اضطرارى – عندما ساروا فى نفس مسيرة المؤرخين المعاصرين الذين تعرضوا لذلك العصر بالكتابة التاريخية وكان لهم موقفهم حيال المرأة.

وقد يرد البعض على تلك العبارات السابقة بأن الأمر فيه جانب من الافتعال، وأن طابع تلك المشكلة موجود في الكتابة التاريخية عموماً قديماً، ووسيطاً، وحديثاً. والرد على ذلك أننا ينبغى أن ندرك حجم المشكلة فى واقعها الصحيح، واستمرارها لا يعطيها حق الوجود دون التعرض لأبعادها بالدراسة. وبالفعل يمكن وصف المرأة في عصر الحروب الصليبية بأنها كانت الجندى المجهول وراء تاريخ الرجل خاصة المرأة المسلمة التى وقفت تدعم الجبهة الداخلية في مواجهة الغزو الصليبى الاستنباطى للمنطقة.

خامساً: الريف والمدينة والعلاقة الجدلية بينهما وأثرها على الكتابة التاريخية:

واقع الأمر؛ أن بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، على الرغم من اتساع مساحة الريف فيها على المستوى الجغرافى ومحدودية المدن فيها، إلا أن الريف كان حظه من الكتابة التاريخية الإسلامية والصليبية محدوداً بصورة تسترعى الانتباه، على نحو يكشف عن التناقض بين "المساحة الجغرافية"، و"مساحة الإشارات المصدرية التاريخية"، وعلى حين تناثرت الإشارات الخاصة بالمدن مثل دمشق، حلب، بيت المقدس، عكا، إنطاكية، طرابلس، حمص، حماه، بيروت إلى غير ذلك من المدن الشامية سواء العواصم السياسية أو الموانىء التجارية أو المدن ذات الطبيعة المقدسة نظراً لطابع الحج بها كما الحال فى بيت المقدس، على الرغم من ذلك كله؛ إلا أن الريف تعرض لتهميش المصادر بصورة واضحة، وصار لدينا تواريخ للمدن أكثر من كونه تاريخاً للريف ويمثل ذلك تناقضاً واضحاً في ذلك العصر والكتابة التاريخية بشأنه.

لقد استأثرت مدن الشام الكبرى خاصة دمشق، وبيت المقدس بجانب كبير من اهتمام المؤرخين فألفت الكتب المتخصصة في فضائلها، وحتى فى خططها، ودروبها، ومسالكها، وأسواقها وقياسرها على نحو يجعل المؤرخ يملك مادة مصدرية ثرية معاصرة عن تلك المدن بينما يجد الصمت يلف القطاع الريفى حينذاك – إلا القليل النادر – أرضاً وبشراً، وتعرض الأخيرون – وأعنى بهم عناصر الفلاحين – إلى التهميش بحكم الانتماء الطبقى للمؤرخين، وبحكم استئثار أهل المدن باهتمام الكتابة التاريخية حينذاك.

ولا نغفل أن الريف الشامى – خاصة فى مناطق الحدود بين أملاك المسلمين والصليبيين – نكب من جراء الصدام الحربى بين الطرفين، ودفع الريف الشامى المسلم ثمناً باهظاً في العديد من الأحيان من جراء سياسات التخريب، والسلب، والنهب التى اتبعها الغزاة

مــن أجـل تدمير موارد المسلمين الاقتصادية وكذلك إجبار الفلاحين على ترك أراضيهم إلى مناطق أكثر أمناً ليسهل على الصليبيين الاستيلاء عليها من بعد ذلك.

وحقيقة الأمر؛ أننا نجد إشارات متناثرة عن الريف خاصة لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين – على سبيل المثال. مثلما لدى الإدريسى (ت ق ١٢م) فى كتابه نزهة المشتاق في اخـتراق الآفاق، وابن جبير (ت حوالى ١٢١٦م)[7] فى رحلته الشهيرة، وذات الأمر يمكن أن يقال عن بعض الإشارات عن عدد من المستعمرات التى شيدها الصليبيون في الضفة الغربية لـنهر الأردن كما فى حالة البيرة (ماجنا ماهومريا) Magna Mahumeria والقبيبة، وكفر مــالك حيث نجد عنها تلك الإشارات فى عدد من المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة ومن أمثلتها مؤلفات الرحالة الأوربيين وكذلك وثائق كنيسة الضريح المقدس[8] إلا أن تلك الإشارات لا تـتفق البـتة مع ما لذلك القطاع من أهمية كبرى بحكم كونه المخزون البشرى والانتاجى الذى شكل الجبهة الداخلية لكلٍ من طرفى الصراع.

سادساً: الموضوعية فى الكتابة التاريخية عن عصر الصليبيات:

يعـد عصـر الصليبيات وبحق – عصراً معقداً في التفاعل معه على صعيد الكتابة التاريخـية ومـدى ما بها من موضوعية واجبة، فى ظل العداء السياسى، والدينى، ونفى كل طـرف للآخـر، كذلـك أدت السياسات التى اتبعها الصليبيون والمذابح التى ارتكبوها بحق المسـلمين خـلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١١١م إلى تكون ميراث للكراهية صنعته أساساً روح التعصـب الصـليبى ضد كل ما هو غير مسيحى، وانعكست روح العداء بين الطرفين علـى كـتابات مؤرخى ذلك العصر، وعبروا عن ذلك فى التراث التاريخى الذى وصل إلينا، والآن؛ وبعـد مرور تسعة قرون من اندلاع آتون الحروب الصليبية، هل نجد موضوعية فى كـتابات كل طرف عن الآخر؟، واقع الأمر؛ أن شرط الموضوعية كانت تنتابه فى العديد من الأحيان عوامل تخرجه عن مساره الطبيعي مثل العداء السافر بين الجانبين، وميراث الكراهية المتنقل من جيل لآخر، وباستثناء حالات من الأحكام الموضوعية، كما نجد فى كتاب الاعتبار لأسـامة بن منقذ من حيث إيراد المزايا ومظاهر النقص لدى الطرف المعادى، وامتداح وليم

---

[7] عن ذلك انظر:

الإدريسـى، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق ديلافيلا وآخرين، ط. نابولى ١٩٧٠ – ١٩٧٧م، ص٥٦٣ ابن جبير الـرحلة، ط. بيروت ب.ت، ص٢٧٥، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٣٣،ص٣٠٣.

[8] عن مستعمرة البيرة الصليبية انظر:

Pringle, "Magna Mahumeria (al – Bira) the Archaeology of a new town in palestine", in Crusade and settlement, ed. by peter W.Edbury, Cardiff 1985, pp. 148 – 168, Abel, :Les deux Mahumeria El Bira, Elqoubeibeh" R.B., T.XXXV, 1926, pp. 272 – 283.

محمـد مؤنس عوض، "أضواء على مستعمرة البيرة الصليبية Magna Mahumeria (١١١٥ – ١١٨٧م/ ٥٠٩ – ٥٨٣ هـ) مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (١٠)، مارس ٢٠٠٢م، ص٧ – ٨٥.

الصـــورى لنور الدين محمود على سبيل المثال؛ نجد أن العداء الشديد حكم مواقف المؤرخين فـــى ذلـــك العصر، ودونما شيفونية خرقاء؛ نجد أن المصادر الصليبية حملت عداءً دفنياً ضد الإســـلام وأهلـــه، ولم تتوافر لدى أوربا النظرة الموضوعية لذلك الدين وأهله إلا لدى قطاع محـــدود مـــن الباحثين المحدثين، أما تراث العصور الوسطى فهو تراث قائم على نفى الآخر وعـــدم الاعـــتراف بـــه. ممـــا يجعل من كتابات مؤرخى تلك العصور بصفة عامة، وعصر الحـــروب الصـــليبية بصـــفة خاصـــة، نوعاً من الذاتية الصرفة – فى العديد من الأحيان – وبصورة تكشف لنا عن مأزق الكتابة الموضوعية وحتى على مستوى الكتابة الحديثة عن ذلك الصـــدام بين الشرق والغرب حينذاك، نجد انعكاسات الماضى حاضرة الآن، ولا نغفل زاوية مهمة، وهى أن من الصعب بل والمستحيل أحياناً أن نطلب من أهل البلاد الأصليين أن يكونوا موضـــوعيين في تناول تاريخ الغزاة الذين هاجموا بلادهم، واصطبغ تاريخهم بروح التعصب ونهبوا موارد المنطقة نهباً منظماً.

نحن بالفعل أمام مشكلة المشاكل، كيف نسعى للكتابة بموضوعية عن نهب المنطقة؟ وفـــى تقديرى أن من الموضوعية إبراز كيف تم سلب ونهب المنطقة العربية عندما قدم إليها الغرب الأوربى تحت قناع الدين كى يقوموا بالسطو عليها.

سابعاً: المركزية الأوربية وأثرها على الكتابة التاريخية الحديثة عن عصر الحروب الصليبية:

من المعروف؛ أن تاريخ الحروب الصليبية من خلال المعالجة الحديثة بدأ فى الغرب الأوربـــى فـــي أخـــريات القرن التاسع عشر الميلادى، وتطور على أشكال متعددة مثل نشر المصـــادر التاريخية وكذلك التأليف في العديد من موضوعات تاريخ تلك الحروب، وصارت لديـــنا أعمـــال عدة مدارس مثل المدرسة الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، ثم امتد الأمر إلى وجـــود مدرســـة أمريكـــية لها إسهامها فى ذلك المجال، وصار لدينا بالتالى آلاف الدراسات التاريخـــية فـــي صـــورة كتـــب، أو مقـــالات بعدة لغات أوربية مثل الإنجليزية، والفرنسية، والألمانـــية، والإيطالـــية، والأسبانية، والبرتغالية، بل والسويدية، والدنماركية ... الخ، ويكفى للتدلـــيل علـــى حجـــم التأليف فى مجال تاريخ الحروب الصليبية فى الغرب الأوربى واتساع نطاقـــه؛ أن المؤرخ الألمانى البارز هانز ماير Hans Mayer قد ألف كتاباً بالألمانية عنوانه: Bibliographie Zur Geschichte der kreuzzuge, Hannover 1965. أى بيلبوغرافـــيا علـــى تاريخ الحروب الصليبية، ط. هانوفر ١٩٦٥م، وفى هذا الكتاب يحدد لنا المؤلـــف عدد (٥٣٣٣) دراسة عن الحروب الصليبية حتى العام المذكور، ويلاحظ أن الخمس وثلاثيـــن عاماً التالية شهدت إنفجاراً معرفياً فياضاً من المؤلفات الحديثة فى المجال المذكور، وكذلك في وسائل الاتصال لاسيما شبكة الأنترنت ويمكن متابعة جزء مهم منها فى القسم الذى خصصـــه ذلـــك المؤلف فى الجزء الأخير من موسوعة سيتون عن تاريخ الحروب الصليبية Setton, Ahistory of the Crusades, vol. Vi, Wisconson 1989. أمـــا العـــالم

العـربى؛ فقـد عرف التاريخ الحديث للحروب الصليبية بعد الحرب العالمية الثانية عندما عاد بعض المؤرخين المصريين الرواد من بعثات من إنجلترا وفرنسا ليقودوا باحثين شبان آخرين في المجـال المذكور، ونذكر فى هذا المجال جهد الرائد البارز الراحل أ.د. محمد مصطفى زيـادة الـذى أشـرف بدوره على أستاذين رائدين كبيرين هما أ.د. حسن حبشي، أ.د. سعيد عاشـور؛ وهمـا مـن كبار مؤرخي العالم العربى فى مجال الصليبيات، ولا نغفل أن العالم الـراحل أ. عزيز سوريال عطيه، أشرف على العالم الراحل أ. جوزيف نسيم يوسف[٩]، ويعد من أهم من ألف، واشرف على العديد من الطلاب فى جامعة الإسكندرية، ولتتواصل المسيرة من بعد ذلك على أيدى مؤرخين آخرين في مصر وشقيقاتها العربيات وبصفة عامة؛ فإن عهد التألـيف فـي الصـليبيات فـي العـالم العربى حديث إذا ما قورن بالعالم الغربى الأوربى، والأمـريكى، وتعـانى دراسة الصليبيات في العالم العربى من التناثر وغياب مراكز الأبحاث ويلاحـظ هـنا؛ أنـنا كباحثيـن عرب نعتمد فى مجال الصليبيات نعتمد على جهد الأوربيين والأمريكييـن التألـيفي، وهم ينطلقون من منطلقات دينية وسياسية تختلف تمام الاختلاف مع نظائـرها لـدى المؤرخين العرب والمسلمين عموماً. ومن هنا جاءت خطورة الاعتماد على كـتابات المؤرخين الغربيين دون ملاحظة ما تنطوى عليه من أهداف، ومآرب، ولا نغفل أن القضـية ترتـبط ارتـباطاً وثـيقاً بحركة الاستشراق، ونظرة الغرب للشرق مع ملاحظة أن الارتـباط بيـنهما مـن خلال ندية حقيقية أمر غير وارد، ونظرة المؤرخين الغربيين لتاريخ عالمـنا العربى في العديد من مراحله نظرة تنطلق من منطلقات شيفونية، والقليل الذى يتعامل مـع قضـاياه بنوع من التوازن والاعتدال، ولاريب فى أن الأمر مرتبط بمراحل طويلة من العـداء بيـن الشرق والغرب، كان الشرق خلالها مستهدفاً، وكان الغرب فيها يقود مشروعاً للتوسع والهيمنة خدمة لمصالحة ومطامعه العليا.

ويكفـى للتدلـيل علـى آثـار المركـزية الأوربية ما يمكن وصفه. ويحق "بأزمة المصـطلح"؛ فالملاحظ أن عصر الصدام بين الغرب والشرق – بحكم أن الغرب هو الذى بدأ الصدام أصلاً مع الشرق – احتوى على العديد من المصطلحات صنعتها تلك المركزية، ومن أمثلتها مصطلح "الحروب الصليبية"، وهو مصطلح خاطيء وشائع للأسف الشديد على الرغم مـن أنه لا ينطبق على الواقع في شيء وبالتالى فهو مضلل أكثر من كونه معبر عن الحقيقة، ثم مصطلح الشرق الأدنى والشرق الأوسط وهى نتاج حركة الاستعمار الأوربى الحديث التى صـنفت الشـرق إلـى أدنـى وأوسط وأقصى من خلال المركزية المشار إليها، كذلك نذكر

---

[٩] عن الاطروحات العلمية التى أشرف عليها الراحل أ.د. جوزيف نسيم يوسف لنظر: دليل الرسائل الأكاديمية (دكتوراه – ماجستير – دبلوم) التى أجيزت بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية من ١٩٤٢ – ١٩٩٨م، ط. الإسكندرية ١٩٩٩م، ص١٦٨ – ١٧٨.

مصطلح ريكونكويستا Reconquesta أو حرب الاسترداد الإسبانية، من وجهة نظر أسبانيا بالطبع والذى يستعمله البعض من الباحثين العرب دون إدراك لخطورته.

وواقع الأمر؛ إن من المهم العمل على دراسة مثل تلك المصطلحات وخطورتها على الكتابة التاريخية فى منطقتنا العربية لأنها نتاج مؤرخى وسياسيى الغرب خدمة لأهدافهم ونستعملها على الرغم من التباين الشديد في رؤيتنا لتاريخنا ورؤيتهم هم، وبالتالى فالمشكلة الحقيقية ليست مشكلة مصطلح بل التعبير عن إطار فكرى نظرى أكبر وأشمل لتجنب أن يصبح مستهلكين لكتابات الغرب التاريخية.

وفى تصورى أنه لا سبيل للفكاك من المركزية الأوروبية إلا من خلال خلق مركزية عربية إسلامية تهدف لإبراز الهوية الدينية، والشخصية القومية، لا أن نكون تابعين للغرب على حساب تلك الهوية خاصة فى الآونة الأخيرة التى ظهرت فيها ادعاءات العولمة، والفرنكفونية، وكلها تعنى إذابة الهوية الدينية واللغوية، لمصلحة قوى أوربية وأمريكية تهدف إلى السيادة العالية بكل الصور والمستويات الثقافية – وهى أخطرها – والاقتصادية، والسياسية.

ومنطقى أن ذلك يتحقق من خلال إقامة مراكز البحوث المتخصصة[10]، التى تتابع ما يصدر فى الغرب الأوربى والأمريكى، وتتناوله بالبحث والدراسة والنقد، ثم إصدار المؤلفات الببليوغرافية العربية[11] من أجل رصد ما يصدر لا أن يكون العرب بمثابة جزر متناثرة كل يعمل دون أن يعرف ما يؤلفه غيره من الباحثين فى المجال المذكور.

وأود أن ألفت نظر القارىء إلى أن المؤرخين الإسرائيليين[12] لهم دور بارز فى مجال تاريخ الحروب الصليبية حالياً، وعلينا أن يكون لنا دورنا ونرد على ما فى مؤلفاتهم من

---

[10] سبقت لى المطالبة بمثل تلك المراكز المتخصصة عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ص١١٢. وتمت الاستجابة بالفعل من جانب القائمين على مؤتمر بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية الذى عقد في جامعة اليرموك وصدر عنه هذا الكتاب القيم: مجموعة من الباحثين، بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي ٤٩ – ٦٩٠هـ، جامعة اليرموك ٢٠٠٠م، ص١٧ (حيث وردت الاشارة إلى مثل تلك المراكز المتخصصة ضمن توصيات المؤتمر).

[11] عن جهود المؤرخين العرب في مجال الحروب الصليبية انظر: قسطنطين زريق، ما ساهم بالمؤرخون العرب في المائة السنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية.مجلة الأبحاث – الجامعة الأمريكية بروت، السنة (١١٢، جـ(٢٢ يونيو ١٩٥٩، محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية.ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٧٧ – ٢٥٤.

[12] عن اسهاماتهم انظر:

يوشع براور، عالم الصليبيين. ت. قاسم وخليفة، ط. القاهرة ١٩٨١م. الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس الصليبية، ت. عبد الحافظ عبد الخالق البنا، ط. القاهرة ٢٠٠١م، محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية ص٢٠٧ – ٢٩٤ حيث تم تخصيص فصل مستقل للتعريف بأهم المؤرخين الإسرائيليين وإسهاماتهم في المجال المذكور.

إدعاء بشأن حقوق يهودية فى أرض فلسطين أو المبالغة فى حجم الدور اليهودى خلال أحداث الصراع بين الشرق والغرب فى القرنين ١٢،١٣م.

مجمـــل القول؛ أننا نواجه تحديات خطيرة وعلينا أن نتنبه إلى أهمية دراسة التاريخ عمومـــاً، وتاريخ صراعنا مع الغرب، خلال القرون الوسطى من أجل المحافظة على هويتنا فلاريـــب أن دراسة مرحلة الحروب الصليبية من شأنها تعميق الهوية، والاستفادة من تجاربنا فـــى الاصـــطدام مـــع الغـــرب، وعدم الوقوع فى أسره، والانبهار به، لأن تلك هي بضاعته وسيطاً، وها هى الآن بضاعته حديثاً، ولا يفهم من تلك العبارات آية خصومات معه فالتاريخ حـــوار الحضارات، غير أن الحوار المطلوب قائم على الندية والاعتراف بالآخر لا إلغائه أو الـــتعامل معـــه بدونـــية، لأن أمـــة العرب لها الفضل الحضارى على أوربا ذاتها فى القرون الوســـطى، وعلينا الخروج من مأزق التفاخر بالماضى لنصنع ذاتنا الحالية بثقة بالنفس وإنهاء وهـــم التفوق الغربى الذى صنعها المستعمر فى نفوسنا كى نظل نعمل في فلكه ولا نتمكن من الخـــروج من أسره وبالتالى نتجاوز مرحلة :التاريخ العبء: إلى مرحلة أخرى مغايرة وأعنى بها مرحلة :التاريخ الحافز" وهو أمر أساسى لأية نهضة مستقبلية مرتقبة.

ذلـــك عـــرض لملامح إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى بلاد الشام خلال القرنين ١٢،١٣م.

الفيكنج واغاراتهم على الإمبراطورية الكارولنجية

د. وفاء عبد الله مزروع
المملكة العربية السعودية

مقدمة:

يعتبر الفيكنج من العناصر الشمالية التى سكنت شبه جزيرة سكنديناوة وشبه جزيرة الدانمـــارك والـــتى اتخـــذت إغارتها على أوربا شكلاً كاسحاً في القرن التاسع الميلادى، ولقد انقسموا إلى ثلاثة أقسام رئيسية الدانمركيين والنرويجيين والسويديين، واتخذت إغاراتهم على أوربـــا شكلاً بحرياً كاسحاً أقرب إلى القرصنة منه إلى الزحف البرى التى اتصفت به هجمات بقـــية الشعوب الجرمانية، وقد ركزوا اهتمامهم على الإمبراطورية الكارولنجية وإنجلترا. ولقد أدت إغاراتهم على الإمبراطورية إلى زعزعة أركانها وتقويض عاصمتها.

وتتـــناول هذه الدراسة هذا العنصر الجرمانى بالبحث والتفصيل، فبدأت بتمهيد عنهم ثـــم إغـــاراتهم علـــى الإمبراطورية الكارولنجية، ثم تأسيس نورمانديا وانتهت بما تميزت به حضارتهم.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد.

تمهيد:

يعتبر الفيكنج Vikings أو الشماليون Northmen هم مجموعة الشعوب التى سكنت شبه جزيرة سكنديناوة Scandinavia وشبه جزيرة الدانمرك وحوض البحر البلطى من السويديين Swedens والنرويجيين Norwegans والدانيين Danes، ويرجع أصلهم للعنصر الجرمانى أو التيونى الذى سكن تلك المناطق منذ أوائل القرن التاسع الميلادى.[1]

ولقد أدت عزلتهم من موطنهم إلى تباين كبير بينهم وبين العناصر الجرمانية التى غزت أوربا، ذلك أن الفيكنج ظلوا برابرة مخلصين على أوضاعهم البدائية فيما يختص بنظم الحكم والبناء الاجتماعى والديانة. وأدت عزلتهم وتطرف موضعهم الجغرافى إلى عدم احتكاكهم بسكان الإمبراطورية الرومانية أو التأثر بهم حتى كان القرن التاسع عندما بدأت إغاراتهم علـى العالم الأوروبى الجنوبى[2] حيث بدأت أعدادهم في هذه المناطق تزايداً كبيراً واضطرتهم الحاجة الماسة إلى البحث عن مناطق جديدة وإلى الإغارة على الممالك المتناحرة، ودفعت طبيعة بلادهم الجبلية ذات الغابات والأحراش والمستنقعات إلى أن دفعت بهم إلى ركوب البحر، فبرعوا في أمور الملاحة وصيد الأسماك ووجهوا نشاطهم إلى أعمال القرصنة التى كانت تستلزم بناء السفن التى تفوقوا بها، وتميزوا ببناء سفن صغيرة مكشوفة اتصفت بالطول وقلة العرض، وأن نهايتها مدببة، ودعمت كل من حافتيها بصف من الدروع، وتسير بالمجداف أو الشراع، وجابوا بها شواطىء أوربا من البحر البلطى إلى البحر المتوسط وأصبحوا من أعظم الشعوب البحرية بل وسادة للبحار.[3]

أما عن كتابتهم فقد عرفت تلك الشعوب الكتابة بالأبجدية الرونية، التى كانت تضم ستة عشر رمزاً، وكانت أحجار الشواهد مغطاة بنقوش كتابة رونية؛ أما الحضارة المادية فقد عرفت بشكل واضح في عصر الفيكنج وتأثرت بقوة بتيارات خارجية، وكانت متميزة بالبذخ والبحث عن الأثر الفنى، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ وكان أثاث الزعماء وعرباتهم وأسرتهم الخشبية منقوشة بواسطة الحفر، وأسلحتهم أقل زينة؛ وكانت التروس ومقابض السيوف وبلطات الأسلحة مزدانة بخيوط نحاسية، ولقد اهتموا بصناعة الحلى، واستفادوا من الذهب، إلا أنهم استعاضوا عنه بالفضة التى صنعوا منها حلياً وأدوات، وعنوا في تزينهم بأسلوب الزخارف الحيوانية المعروفة منذ عدة عصور.

---

1 Haskins, Ch. H., The Northmen in the European History, New York, 1959, pp. 30-31.

2 Cantor, N., Medieval History, New York, 1967, p.121.

3 Stephenson,C., Mediaeval History, New York, 1943, p.201.

أمـــا نشاطهم الاقتصادي فلقد كان متنوعاً ومتعدداً نذكر منه الصيد وتربية الحيوانات وزراعـــة الحـــبوب كالقمح والشعير، وكان الشعب يعيش مجتمعاً من قرى، ويسكن المزارع المـــنعزلة تحت رحمة الظروف الجغرافية وقسوة الطبيعة، ويبنى منازله من الخشب، ويشيد المعسكرات التي يحميها بمتاريس مستديرة بالحجر والتراب، وكانت الأسوار تحيط بكل ذلك.

أمـــا الملاحـــة والتجارة فكانتا تؤلفان معاً في القرن التاسع الميلادى نشاطا اقتصادياً وسياســـياً مهماً عند شعوب الفيكنج فكان الملاحون يركبون كما ذكرنا سفناً وضيعة متطاولة ذات جؤجـــؤ مزيـــن برأس غول تسير بالشراع والتجديف وبجوانبها محمية بالتراس مستديرة مـــن الخشب وكانت تتميز بالسرعة وتغطيه مساحات كبيرة من البحر. ونتيجة لذلك استطاع الفيكنج في أواخر القرن الثامن وبداية التاسع أن يغزوا مناطق كثيرة.[4]

وإذ كـــنا قـــد قســـمنا الفيكنج إلى نرويجيين وسويديين ودانيين فلا يعنى ذلك وجود فـــوارق بيـــنهم[5] وإنما يقصد به الإشارة إلى جماعات الفيكنج التى سكنت الأجزاء الغربية أو الشـــرقية من سكنديناوة أو شبه جزيرة الدانمرك، وهنا ينبغى أن نلاحظ أثر التوجه الجغرافى فـــي توزيع غزوات الفيكنج، فالسويديون الذين يواجهون شرق أوربا عبروا البلطيق ووصلوا إلى شرق أوروبا والبحر الأسود، أما النرويجيون فقد اتجهوا غرباً فوصلوا إنجلترا أو إيرلندا والجـــزر الغربية فضلاً عن الجزر الشمالية في المحيط الأطلسى، في حين اتجه الدانيون نحو الجـــنوب والغـــرب فهـــددوا شواطىء الإمبراطورية الكارولنجية في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيرلـــندا والجـــزر الغربية، ويهمنا هنا المجموعة الأخيرة (الدانيون) الذين اتحدوا في مملكة واحـــدة فـــي أواخر القرن الثامن الميلادى وتكونت بلادهم من ثلاثة أقسام رئيسية وهى شبه جزيـــرة جوتلانـــد Gutalnd إلـــى الأيدر، وثانيهما جزر زيلاند Zealand وثالثهما سكانيا Scania مـــع هـــالاند Halland وبلكنج Bicking[6] ولقد أضاف الفيكنج إلى اسمهم مصدراً جديـــداً للرعـــب فكـــان خـــروجهم يعتبر حدثاً تنتشر عنه الشائعات إلى الآفاق البعيدة، وكان خـــروجهم عـــن طـــريق الـــبحر لا يسبقه نذير، وإنما كانوا ينقضون فجأة، كما ينقض النسر فيقبضـــون على فريستهم ثم يعودون بها أدراجهم، ولقد أصبح الغموض يكتنفهم مضاعفاً كما كان الرعب الذى ينشرونه مضاعفاً أيضاً.

---

[4] محمد الحويرى، للمباردبون في التاريخ والحضارة، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٧٩.

[5] Haskins, op. cit., pp. 30-31.

[6] عاشور؛ أوروبا العصور الوسطى، جـ١، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٢١. Stephnson, op. cit., p 200

ولقد إنطلقت من بحر البلطيق وبحر الشمال قوارب قادرة على شق عباب البحر، كما خرج منها جيل من رجال البحر أقوى على ركوب المخاطر، فقد كان مقدراً لهذا الجنس أن يكون جنساً بحرياً رغماً عنه، ذلك أن العجز الذى ينجم عن الزراعة في أرض يعوضه حصاد البحر، وقد أكتسب أهل الشمال قوتهم بوصفهم صيادى سمك في البحار وكانوا يصلون تتبعهم لجموع السمك إلى ما وراء الفيودرات ذات المياه الهادئة، فاعتادوا على مغالبة مد البحر والتيارات البحرية الجارفة والعواصف في بحر الشمال، وحتى أنهارهم كانت تياراتها شديدة السرعة مليئة بالشلالات الخطرة، ونظراً لأنهم طبعوا على أمثال هذه المخاطر منذ نشأتهم فقد أخذوا يدرجون حتى اصطنعوا لأنفسهم نوعاً خاصاً من السفن وطريقة من طرائق الملاحة وجابوا بهذه السفن شواطيء أوروبا من البحر البلطى حتى البحر المتوسط بل قاموا برحلات بعيدة في المحيط الأطلسى.[٧]

وقد تميزت إغارات الفيكنج في دورها الأول الذى شمل معظم النصف الأول من القرن التاسع، بأنها كانت إغارات تهدف إلى السلب والنهب والقرصنة وتتم في فصل الصيف وتنتهي بالعودة بالمنهوبات قبل حلول فصل الشتاء كما كانت تضم جماعات أو فرق صغيرة تعمل لحساب أحد الأمراء.[٨]

أما في النصف الثانى من القرن التاسع فقد تطورت إلى حركة توسعية استيطانية كانت تتم بجماعات كبيرة أو جيوش لحساب إمبراطورية الأمراء حيث كان الفيكنج يحملون معهم نساءهم وأطفالهم يبتغون الإستقرار في البلاد التى يغزونها أو بقرب مصاب أنهارها أو في الجزر القريبة من شواطيء تلك البلاد،[٩] وكانوا يتبعونه أسلوباً واحداً تقريباً في جميع البلاد التى هاجموها مثل فرنسا وانجلترا وإيرلندا، فكانوا يصعدون بأسطولهم في أحد الشرايين النهرية الكبيرة مثل السين واللوار والتايمز ويرسون بسفنهم في مكان منيع يتحسن أن يكون جزيرة، ثم يضربون معسكراً ويحصنونه وبعد ذلك يخطفون كل ما يجدونه من خيول ودواب في الإغارة على الأقاليم وأعمال السلب والنهب فيه، ولم تكن المعركة متكافئة بينهم خصوصاً وهم يمتازون بخفة الحركة والتكتل وكفاية السلاح وبين قوات أهل البلاد الأصليين المجندين بالتعبئة العامة ولو كانوا أكثر عدداً لأن معظمهم من الفلاحين والمزارعين

---

7 جون هامرتن، تاريخ العالم، م١، ص٥٨٥ Stephnson, op. cit, p. 201.

8 Schjoth, I., Great Days of the North men, B, H, VII, pp. 35-39.

9 محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص٢٩٩. Haskins, op. cit., p.33.

غـير المسـلحين تسليحاً كافياً،[10] وقد كانت إغاراتهم تنتهى في أغلب الأحيان إلى الاستقرار الدائـم فقد استعمروا إيرلندا لفترة تحدد منتصف القرن التاسع وبقوا لأول مرة في شيبى عند مصـب نهر التايمز في إنجلترا بعد إنتهاء فصل الشتاء ولم يعد ثمة من يجرؤ على مدافعتهم، كما لم يعد ثمة ما يفعله الناس إلى أن يضيفوا في صلاتهم (اللهم آمنا من ضب رجال الشمال) كما يذكر المؤرخ هاسكنز[11].

وفـي ذلـك الوقت تقريباً بدأوا في الاستقرار في غرب فرنسا بعد أن ظلوا يغيرون لفـترة طويلة على المنطقة الواقعة بين نهر الراين واللوار، ويتميز آخر أدوار الغزو الشمالى بمقاومة أهل البلاد لهم ونجاحهم في طردهم ويبدو أن قسوتهم والمذابح الرهيبة التى أحدثوها، فضلاً عن إعتداءاتهم على الكنائس والأديرة واستباحتها ونهب ثرواتها قد أوجد شعوراً ضدهم فنجحوا منذ أواخر القرن التاسع في وضع حد لجانب كبير من عيشه.[12]

إغارات الفيكنج على الامبراطورية الكارولنجية:

تعتبر إغارات الفيكنج (الدانيين) من أهم الإغارات التى قاموا بها ضد الإمبراطورية الكارولنجـية، لقد كانوا أحد الأسباب الرئيسية التى زعزعت هذه الامبراطورية وأسهمت في تداعـيها، وبالرغم من قلة الأعداد التى غزت فرنسا من الدانيين إلا أنهم كانوا مصدر رعب وفوضـى أينما حلوا، ولم يتمكن شارلمان وهو في أوج قوته أن يقضى عليهم، وخصوصاً أن توسـعه شمالاً أدى إلى إيجاد حدود مشتركة بينه وبينهم، ولم تلبث العلاقات أن ساءت حينما دخـل بعـض السكسـون الهاربين من شارلمان تحت حماية الدانيين، هذا في الوقت الذى لم تـنقطع إغـارات الدانييـن على شواطىء الامبراطورية الغربية، ولقد أفزعت شارلمان تلك الإغـارات فأعد أسطولاً قوياً في موانىء نستريا لحماية شواطىء امبراطوريته من هجماتهم ومع ذلك فقد استمر جودفرد Godfred،[13] زعيم الدانيين يسبب متاعب خطيرة لشارلمان في

---

[10] سى. و. بريفت، مغامرات النورمنديين، القاهرة، د.ت، ص٦٨٥.

[11] Haskins, op. cit, p.33.

[12] Oman, Ch., The Dark Ages 476-918, London, 1962, p.408; Cam. Med His., Vol. 3, p.315.

[13] يعتـبر جود فريد ملك الدانيين في أوائل القرن ٩م، وتولى بعده هارولد Harold الذى دخل في صراع مع أبناء الملك المقـتول، وفى ظل هذا الانقسام دخلت بعثة تبشيرية مسيحية فمهدت لانتشار المسيحية انتشاراً محدوداً ولم يلبث أبناء جود فريد أن ثاروا على الملك الجديد هارولد فهرب إلى ألمانيا واعتنق المسيحية في سنة ٨٢٦م ليحظى بمساعدة عاهل الفرنجة لويـس التقى الذى سانده في استعادة عرشه مرة أخرى، غير أن هارولد لم يحفظ لعاقل الفرنجة معروفه فانتهز وفاة لويس الـتقى سنة ٨٤٠م والصراع الذى اندلع بين أبنائه وأغار على بلاد الفرنجة، ووصلت اساطيله إلى جنوب أسبانيا. ولم يلبث هـارولد أن أقصـى عن عرشه إذ ثار عليه زعيم آخر من أقاربه ويسمى (هاريك) واستطاع هذا الأخير أن يعتلى عرش

جـنوب البحر البلطى وشواطىء فريزيا حتى حاول مفاوضتهم والاتفاق معهم فيما بين سنتى ٨٠٤ – ٨٠٩م لدفـع خطـرهم وشرهم،[١٤] وجاء في إحدى الروايات المعاصرة أن شارلمان رأى بنفسه إحدى إغارات الدانيين على سواحل دولته وأنه أسف لذلك كثيراً والتفت إلى أتباعه قـائلاً لقد تأثرت لذلك كثيراً، وإننى لأشعر بالحزن والأسف عندما أنظر إلى الأمام وارى كم من الضرر سيلحقه أولئك.[١٥]

ويتضـح مـن المدونـات التاريخـية أن جودفرد أخذ زمام المبادرة بالهجوم على شواطىء مملكة شارلمان، إلاَّ أن بمصرعه سنة ٨١٠م زال خطر الفيكنج عن الفرنجة، لاسيما بعد أن عقد خليفته هيمنج، وهو ابن أخته، معاهدة سلام مع شارلمان.[١٦]

ثـم حدث في عهد لويس التقى خليفة شارلمان أن استغل فرصة الخلافات والحروب الداخلـية الـتى قامت حول تقسيم الإمبراطورية وأنزلوا قوات ضخمة على شواطىء فريزيا Fresia سـنة ٨٣٥م ونصبوا مدينة أوترخن ودورشتد Dur sted أكبر موانىء الإقليم وفى العـام الـتالي أغار الدانيون على فلاندرز وأحرقوا مدينة أنتورب Antwerp ثم عادوا سنة ٨٣٧م إلـى مهاجمة والشرين Walcheren عند مصب نهر الراين حتى وصلوا إلى نموجن Nimaegen ولكـنهم لم يلبثوا أن لاذوا بالفرار عندما وصل لويس التقى على رأس جيوشه، ولكن لويس حرص على مهادنتهم ومنحهم المنطقة المحيطة بدورشتد سنة ٨٣٩م للإقامة فيها ولمحاولة توطينهم واستقرارهم وكف عدوانهم ولكن كل هذا لم يؤد إلا إلى زيادة أطماعهم في أراضى الامبراطورية.[١٧]

وبعد وفاة لويس التقى وإبان الصراع الذى اندلع بين أبنائه حول تقسيم أملاكه خرج أول أسطول للدانيين في نهر السين سنة ٨٤١م واستولوا على روان، ثم تقدموا في نهر اللوار ودمـروا مديـنة نانت Nantes سنة ٨٤٢م وقضوا فصل الشتاء في نستريا في جزرية قرب مصب اللوار Loere.

الدانيين سنة ٨٤٤م. انظر، Schjom, Hans, Denmark and its Sister States: Great Days of the North men, in the Book of History of Nations from the Earliest Times to the Present, vol. VII., p.3557.

[14] يطلق اينهارد على هذه الشعوب أيضاً اسم الدانمراكيين. انظر، اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة/ عادل زيتون، دمشق، ١٩٨٩، ص٩٤ – ٩٥. Davis, K., Charlemagne, London, 1929, pp. 296.

[15] Op. cit p.416.

[16] قـتل جـود فـريد بيد أحد حراسه، وبذلك انتهت حياته والحرب التي كان قد بدأها مع الفرنجة. انظر، اينهارد، سيرة شارلمان، ص٩٥.

[17] عاشور، أوروبا، جـ١، ص٢٢٣.

فـي غرار مدينة Noirmountierى أثناء قيام لويس التقى بعقد أتفاقية فردون سنة ٨٤٣م على تقسيم الامبراطورية تقسيماً يرضيهم جميعاً.[١٨]

وفـى نانت قام الدانيون بقتل البطريق أمام كنيسته، وفى غضون عامين نهبوا مدينة هامـبورج Hambaurg وانسـابوا سنة ٨٤٥م بأسطول كبير على نهر السين ودمروا مدينة باريس Paris وبعد ذلك بعامين استولوا على مدينة بوردو Bordeaux أهم مدن الجنوب في فرنسا بعد أن دمروها وظلوا يحتلونها عدة سنين.[١٩]

وهكـذا فتحت لهم أنهار فرنسا الغربية السين واللوار والجارون الطريق إلى جوف الامـبراطورية فأوصـلهم نهر الراين إلى كولون والسوم إلى أميان وأوصلهم نهر السين إلى بـاريس وروان، ونهـر اللـوار إلـى نورو أورليان، كما سلكوا أيضاً أنهار الألب والويزر Weser والمـيز Meuse والشـلد Scheldit والجارون ووصلوا إلى جنوب أسبانيا أى ألى الوادى الكبير.[٢٠]

ولـم تلبـث أن إزدادت إغارات الدانيين عقب تقسيم الامبراطورية الكارولنجية سنة ٨٤٣م حـتى أصبح خطرهم بمثابة الشغل الشاغل للإخوة الثلاثة لويس ولثر وشارل، وهكذا تقلصت الممالك الفرنجية الثلاثة نظراً لخصوماتهم، وإن كانت مملكة شارل الأصلع في أقصى الغـرب هى التى أصبها كثيراً من الضرر بسبب طول سواحلها من جهة وكثرة أنهارها من جهـة أخرى فضلاً عن انشغال ملكها في نزاعات داخلية، ولهذا قام شارل الأصلع بأكثر من محاولـة لأبعـادهم عـن مملكته ثم قام بعقد صلح معهم، مرة بدفع جزية ومرة أخرى دون جدوى.[٢١]

أما مملكة لوثر وهى المملكة الوسطى فقد كان حظها هى الأخرى سيئاً لأن الدانيين دأبـوا علـى الإغارة على سواحل فريزيا كل عام تقريباً حيث اتخذوا منها قواعد دائمة نفذوا مـنها إلى أعماق المملكة وهددوا المدن الكبرى بما فيها العاصمة ذاتها آخن Aachen واكس لاشـابل فـي الوقـت الذى لم تجد فيه محاولات لوثر لوقف تقدمهم بمنحهم جزيرة والشرين Walcheren قرب مصب نهر الراين لضمان سكوتهم ومسالمتهم وصرفهم عن مملكته.[٢٢]

---

18 Oman, op. cit., p.409; Orton, Outlines of Medieval History, Cambridge, 1929, pp. 149-150.

19 Oman, op. cit. 409; Orton, op. cit, pp. 149-150.

20 أ. ماك كالوم اسكوت، الفيكنج ورحلاتهم البحرية، القاهرة، ص٥١٣. Haskins, op. cit., p.33; Keen, op. cit, p. 25.

21 Cantor, op. cit., p.237.

22 Haskins, op. cit., p.33.

وإذا كانــت مملكــة لويــس الجــرمانى أحسن الممالك حظاً فإن السبب يرجع إلى السكســون الذيــن كــانوا عقبة كؤود أمام تقدم الدانيين بالإضافة إلى وعورة الطريق وعدم صلاحية الكثير منه لضربات المهاجمين وبالرغم من ذلك لم تسلم مملكته من التدمير والنهب والخــراب،[٢٣] فقد شهدت بلاده حرق مدينة هامبورج، كما أوغلوا في نهر الراين سنة ٨٥١م كما قاموا بنهب جزء كبير من سكسونيا.[٢٤]

أما عن مملكة شارل الأصلع فلم تلبث أن ساعد النزاع القائم بين بيبين حاكم أكيتانيا (جــنوب فرنسا) وعمه شارل على ازدياد نفوذ الدانيين في حوض الجارون حتى وصلوا إلى مدينة تولوز Toulouse، وفى ذلك الوقت كان الدانيون قد عادوا إلى تهديد حوض السين من جديــد فأغــاروا على مدينة روان للمرة الثانية سنة ٨٤٥م حتى وصلوا في وجهتهم فتحصنوا فــي مرتفعات مونتمارتر Montemarter، وفى بعض الأديرة وترك شارل الأصلع باريس لــيدخلها الدانــيون وينهبوها. ولقد أدى إستيلاؤهم على تلك المدن إلى غناهم وكثرة أموالهم ورغبتهم في مواصلة نشاطهم وغزوهم حتى أصبحت مملكة شارل الأصلع على درجة كبيرة مــن الخــراب والدمار وعندما تجددت هجماتهم على حوض السين ٨٥٢م قرر لوثر أن يأتى علــى رأس جــنده لمســاعدة أخيه شارل الأصلع، ولكن شارل كان قد عقد صلحاً مع زعيم الدانيين ومنحه مالاً وسمح له بالاستقرار في منطقة قرب مصب نهر اللوار، فآثر لوثر العودة إلى بلاده.[٢٥]

ولم تلبث أن تجددت الاشتباكات بين لويس الألمانى وأخيه شارل الأصلع سنة ٨٥٤م ممــا أتــاح الفرصــة للدانيين التوغل في مملكة شارل وأطراف مدينتى نانت Nantes وتور Tour ونهــبوا المــناطق المحيطة ولم تتصدى لهم سوى مدينة أورليان Orleans سنة ٨٥٤ م.[٢٦]

وبلــغ مــن سوء أحوال الملوك وضعفهم عن التصدى للدانيين أنهم لجئوا إلى شراء مسالمتهم بالمال وذلك حينما عقد شارل الأصلع سنة ٨٦٠م معاهدة مع رولاند Rolland أحد زعمائهم تعهد فيها بدفع مبلغ كبير من المال ليقوم الدانيون بإخلاء نستريا من الغزاة.

---

[23] Oman, op. cit., p. 419.

[24] عاشور، أوروبا، جــ١، ص٢٢٤.

[25] عاشور، أوروبا، جــ١، ص٢٣٥.

[26] Oman, op. cit., p.422.

ولقـد زاد خطـر الغـزاة بالنسبة للإمبراطورية الكارولنجية في النصف الثامن من القـرن التاسـع ولاسـيما بعـد وفاة أبناء لويس التقى الثلاثة وبلغ من استهانة الغزاة بقوى الكارولنجيين أنهـم عبروا فيما بين سنتى ٨٥٩ – ٨٦٢م مضيق جبل طارق وأغاروا على سـواحل أفريقيا،[٢٧] كما اندفعوا إلى البحر المتوسط شمالاً حتى جزائر البليار، وجزائر البليار Baleric Islands ثم سواحل فرنسا الجنوبية في مرسيليا Marseille فبعدها اندفعوا في نهر الـرون شـمالاً حتى فالنس Valence، بينما قامت جماعة منهم بنهب المدينة الإيطالية لونا Lona معتقدين أنها مدينة روما.[٢٨]

وزيـادة علـى سوء الأوضاع قام ملك البيت الكارولنجي لكى يحصل على الأموال الـتى تعهـد بدفعهـا للدانييـن بفرض ضريبة ثقيلة على رعاياه يعف منها الكنائس والأديرة والنبلاء والتجار بل حتى فقراء الفلاحين وجاءت هذه الضريبة لتضيف جملاً ثقيلاً إلى أثقالهم في الوقت الذى عجزوا في الدفاع عن شعوبهم وأثقلوا كاهلهم.[٢٩]

والواقـع أن الفـترة الواقعـة بين سنتى ٨٥٥ – ٨٨٧م تعتبر من أسوأ الفترات في تـاريخ ملوك الدولة الكارولنجية فبعد وفاة لوثر ملك لوثرنجيا سنة ٨٥٥م كانت نذيراً لحرب جديدة بين أبنائه وإخوته حول اقتسام مملكته، وفى هذه الظروف زاد خطر الغزاة بل ازدادوا عـنفاً مما أدى إلى قيام شارل الأصلع باتخاذ أساليب دفاعية لمجابهة الدانيين والتى تمثلت في معاهدة بيسترس Pistres سنة ٨٦٤م لكى يعدل نظام دفاعه فقام بالاعتماد على جيوش خفيفة سهلة الحركة بدلاً من الخيالة الثقيلة من جهة وعمل جسور وعقبات في مجارى الأنهار لتعوق تقدمهم.[٣٠]

وفـى الفـترة ما بين سنتى ٨٧٩ – ٨٨٧م اشتدت وطأة الدانيين على الإمبراطورية الكارولنجـية فبعد وفاة لويس الألمانى في سنة ٨٧٦م ثم شارل الأصلع سنة ٨٧٧م زاد انقسام الإمـبراطورية بـل وضعفها وعجزها عن التصدى للغزاة فاجتاحوا أودية نهر الشلد والسوم، كما اجتاحوا فريزيا وفلاندرز وكل المنطقة الواقعة بين الراين واللوار، ولم تؤد هزيمتهم على يـد ملـك فرنسا لويس الثالث سنة ٨٨١م في موقعة ستسوكورت Saucourt إلى تراجعهم، رغم أنه ذبح منهم ثمانية آلاف وطردهم خارج مملكته، ولكن هذا النصر لم يكن كافياً للقضاء

---

27 Thompson, J. W., The Middle Ages, vol. I., London, 1931, p. 313.

28 هارمتن، الفيكنج ورحلاتهم البحرية، ص٥٩٥.

29 Thompson, op. cit., Vol. I., p. 313.

30 عاشور، أوروبا، ص٢٢٧.

علـى خطـرهم فقـد اضطر شارل السمين ملك ألمانيا في محاولة لصرفهم عن مملكته إلى مصـالحة زعـيمهم المسى جود فريد فعقد معه معاهدة السلو Elsloo التى وافق فيها شارل علـى مـنح الدانيين مبلغاً ضخماً من العملة الفضية بالإضافة على إقليم فريزيا ليكون دوقية لجود فريد، ولم يكتف بذلك بل زوجه من إبنته، وفى مقابل ذلك ينسحب جود فريد من مملكة شارل السمين، ويتعهد باعتناق المسيحية وبأن يظل تابعاً للملك شارل.[٣١]

ولقد استشرى الغزاة بالرغم من كل هذه الامتيازات ولم يتركوا مدينة إلا وهاجموها حـتى الكنائس والأديرة ودور العبادة لم تسلم من عبثهم وبطشهم، في الوقت الذى استطاعت فـيه بعض المدن أن تقاوم بأسوارها المحصنة وقلاعها الشامخة، فإن دور العبادة المسيحية لم يكـن لهـا من حماية سوى قدسيتها وحرمتها في نفوس الناس، فتعرضت على أيديهم للسلب والنهـب والتدمـير، وكان الرهبان ورجال الدين يقضون نحبهم في أديرتهم، ونادراً ما كانوا يتمكـنون مـن النجاة بأنفسهم[٣٢]. ولقد ضاعت واندثرت كثير من المعالم والمبانى خلال تلك الغـزوات البربرية، ونادراً ما بقيت كنيسة أو معلماً دينياً لتلك الفترة، ونظراً لأن دور العبادة مـن كنائس وأديرة كانت في ذلك الوقت مراكز رئيسية للتعليم والثقافة في كل غرب أوروبا فقـد كـان فقدهـا وتدمـيرها بتلك الطريقة الوحشية فقداً لكثير من معالم الحضارة والمدنية والتقدم.[٣٣]

وبعد مغادرة الفيكنج ألمانيا وفقاً لمعاهدة السلوا اتجهوا صوب نتريا وهو أمر لم يهتم بـه شـارل السـمين، لذلك كان سنة ٨٨٢ – ٨٨٣م شتاء قاسياً مروعاً للجهات الشمالية من فرنسـا إذ اجتاحـت المنطقة من ريمس حتى أعيان جموع ضخمة من الغزاة وهنا لم يحاول كارلومان أن يكون له أى دور إيجابى في التصدى والوقوف في وجههم وإنما فضل أن يقتفى سياسة شارل السمين السلبية فدفع لهم مبالغ طائلة من المال لكى يتركوا بلاده وينقلوا نشاطهم إلـى أوستراسيا وإنجلترا وإيرلندا[٣٤]. وبهذا أتيحت لشارل السمين فرصة توحيد معظم أجزاء الإمبراطورية الكارولنجية كما كانت أيام شارلمان بعد موت كارلومان ملك فرنسا، ولكنه كان

---

31 Oman, op. cit., pp. 438; Cam. Med. His., sb, Vol. III., p.322.

32 محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٣١٣؛ ديفز، شارلمان، ترجمة السيد الباز العرينى، القاهرة، ١٩٥٩، ص٢٨٧-٢٧٩.

33 Cam. Med. His., Vol. III., p.323.

34 عاشور، أوروبا، جـ١، ص٢٢٧ – ٢٢٨.

وحـــيداً هـــزيلاً اتسم بضعف السلطة المركزية وتحلل الرعايا من آخر الروابط التى تربطهم بالمملكة الكارولنجية.

وهكذا أثبتت مجريات الأمور فيما بعد أن الاتفاقات التى عقدها الملوك مع الدانيين لا قـــيمة لهـــا ولا أهمية، إذ ما لبث أن عاد الغزاة إلى تهديد ألمانيا وفرنسا، واشتدت إغاراتهم بصـــفة خاصة في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع فدمروا فلاندرز، وتعرض وادى الجارون الجنوبى الغربى من فرنسا لغارات أخرى خطيرة واستولى الغزاة على بوردو مرتين ونهبوا إيبيريا، كما إغاروا على بعض الموانى المسيحية والإسلامية في الأندلس،[٣٥] كما هددوا الأجزاء الغربية من حوض البحر المتوسط، وتسللوا إلى بعض المدن في وادى الرون ونهبت كل من نيم Nimes وأفينون[٣٦] Avignon.

وفـــى أواخر سنة ٨٨٥م قام الغزاة بأكبر هجوم لهم فقد خرج أربعون ألف منهم في سبعمائة سفينة متجهين إلى باريس وتولى عدد كبير من زعمائهم ولقد أستطاعت مدينة باريس الصمود والوقوف في وجههم ومقاومة الحصار والهجوم عليهم بفضل ما اتسم به كونت أودو حاكمهـــا، وأدى ذلك إلى رفع مكانة باريس ورفع قدر حكامها حتى أصبحت باريس منذ ذلك الوقـــت مركَز الثقل فى فرنسا وتنافس عاصمة الكارولنجيين، بل سيختار ملوك فرنسا من بين حكامها فيما بعد.[٣٧]

ووصل الوضع بالامبراطور شارل السمين سنة ٨٨٦م أن يتعهد للدانيين بدفع مبالغ ضخمة من المال نظير خروجهم من باريس والسماح لهم بالإقامة في برجنديا وبناء على هذا الموقف السلبى من الامبراطور عزل شارل السمين، وتم اختيار أودو حاكم باريس ليكون ملكاً علـــى فرنسا سنة ٨٨٨م، واستطاع أودو الانتصار على الغزاة ولكنهم لم يتركوه إذ عادوا بعد قليل لمهاجمة باريس مرة أخرى وكان الهجوم الرابع لها على الرغم من أن المدينة استطاعت التصـــدى له إلا أن أودو تـــراجع بعد ذلك وعمد إلى شراء مسالمتهم بالمال فوافقوا وانسحبوا إلى بريتانى، ولكنهم ما لبثوا أن عادوا مرة أخرى وهددوا أواسط فرنسا ولكن أودو هذه المرة عـــزم على أن يتصدى لهم فاستطاع أن ينزل بهم هزيمة ساحقة عند مونتبيه Montpensier

---

35 ابـــن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـــ٢، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، باريس، ١٩٤٨، ص ٢٥٥.

36 Thompson, op. cit., Vol. I, p. 316.

37 Oman, op. cit., pp. 444.

وأن يأسر زعيمهم ثم يأمر بإعدامه سنة ٨٩٢م وينكل بهم ويأمر بقتل أعداد هائلة منهم[٣٨] ولكن برغم هذه الانتصارات لم يستطيعوا القضاء عليهم وظلوا من القوة بحيث تمكنوا من تهديد أجزاء كثيرة من فرنسا وحوض نهر السين.

ولقد هيأت الظروف في فرنسا جواً مناسباً للغزاة لاستئناف غاراتهم وخصوصاً بعد أن نشب صراع عنيف بين أودو ملك فرنسا وبين شارل البسيط وريث البيت الكارولنجى الذى استدعاه نبلاء فرنسا من منفاه في انجلترا ليسترجع ملكه، ويقصى أودو، الذين نظروا إليه إلى أنه واحد منهم وليس من أبناء الأسرة المالكة، بالإضافة إلى ذلك أنه لم يستطع إقصاء الغزاة عن مملكته لذلك أرادوا الوقوف في وجهه لأنهم هم الذين اختاروه فبإمكانهم إقصاؤه وعودة الملك شارل البسيط لاستئناف حكمه[٣٩]. وفى تلك الفترة بدأت فترة من الحروب الأهلية استمرت ست سنوات بين أودو الحاكم القديم وشارل البسيط الملك الجديد ولم تنته تلك المنازعات إلا بوفاة أودو سنة ٨٩٨م فاستعاد شارل البسيط حكمه على الجزء الغربى من المملكة الفرنجية واستمر في حكمه حتى سنة ٩٢٩م.[٤٠]

ولقد أظهر شارل البسيط رغم صغر سنه قدرة كبيرة على محاربة الدانيين ولم تكن إغارتهم قد انقطعت بل على العكس انتهزوا فرصة الحروب وتوتر العلاقات بين شارل وأودو وعادوا إلى نستريا لينهبوها، ولكن الأهالى أظهروا الكثير من البطولات في مقاومتهم والتصدى لهم، بل واصرت المدن والأديرة والكنائس على التحصين وإغلاق الأبوبا دونهم، ولكنهم استمروا في الحوض الأدنى لنهر السين وبرز منهم زعيم قوى يدعى رواللو Rollo اتخذ من مدينة روان قرب مصب نهر السين مركزاً للإغارة منه على المناطق الغربية بين نهر إيت وحدود بريتانى، كما أخذ رواللو يهاجم مدينة بابو وما حولها.[٤١]

تأسيس نورمانديا:

أدى لقاء شارل البسيط ورواللو إلى عقد اتفاقية سانت كلير Siant Clear سنة ٩١١ م حيث عقدت اتفاقية مهمة بين الطرفين سلم بمقتضاها الدانيون الإقليم الساحلى الممتد بين

---

38 عاشور، أوروبا، جـ١، ص٢١٧.

39 بوفاة لوثر سنة ٨٥٥م قسمت مملكته إلى ثلاثة أقسام صغيرة بين أبنائه، ثم كثرت الحروب بينهم وقضت عليهم بحيث لم يبق منهم من الأبناء الشرعيين سوى شارل البسيط من فرنسا وشارل السمين من ألمانيا.

40 Cam. Med. His., Vol. III, p.34.

41 Oman, op. cit., pp. 498-499.
Thompson, op. cit., Vol. I, p.318; Keen, op. cit., p.25.

السـوم حـتى بريتا أو في ما عرف باسم أرض النورثمن[42](أرض الشماليين) Northmen ولـم تكـن هي نورثمانديا التى عرفت بعد ذلك بحدودها المعروفة، وإنما كانت تمثل المنطقة الواقعـة على جانبى نهر السين أو ما عرف باسم نورمانديا، إذ أن النورمان لم يملكوا وسط نورمانديـا إلا سنة ٩٢٤م، والواقع أن شارل البسيط قد قبل التنازل عن الإقليم مقابل اعتراف رولـو بالتبعية له وتعهده باعتناق الديانة المسيحية، والتعهد بالدفاع عن فرنسا ضد الجماعات الشمالية الأخرى، ويبدو أن شارل كان يهدف من وراء هذه المنحة اتقاء شر الدانيين من جهة والاستفادة من دوق نورمانديا القوى في معاداة كونت باريس من جهة أخرى، فضلاً عن قطع اتصال باريس بالبحر من جهة ثالثة حسماً لأى غزو تقوم به، وما لبث الفيكنج الذين كانوا قد انتشـروا في أنحاء فرنسا أن هرعوا إلى نورمانديا للانضواء تحت راية رولو وفى ظله لتبدأ صفحة جديدة في تاريخ هذا الإقليم.

وقـد أثبتت الحوادث نجاح هذه التجربة التى أجراها شارل البسيط إذا عزمت معظم الجماعات المتناثرة هنا وهناك من الفيكنج ليعيشوا تحت حكم رولو من الولاية الجديدة وبذلك يكون شارل البسيط قد ضحى بجزء من بلاده لينقذ الجزء الأخر أو لينقذ بقية البلاد.

والواقـع أن اتفاقـية سـانت كلير لم تكن أكثر من اعتراف بالأمر الواقع لأن هذه المـنطقة صـار معظمها بأيدى الفيكنج فعلاً وبحكم هذه الاتفاقية أصبحوا يحكمون نورمانديا حكماً مستقلاً معترفاً به من الملكية الفرنسية مع إقرارهم بتبعية اسمية لملك فرنسا.

ويبدو أن كلاً من شارل البسيط ورولو سعياً إلى إبرام هذه المعاهدة طلباً للراحة بعد فـترة طويلة من القتال والغارات النورمانية والتصدى الفرنسى لها وذهاب الاستقرار وضياع الأمـن، حتى لتذهب الروايات إلى أن خسارة الرومان في آخر معركة قبل هذه الاتفاقية بلغت سـبعة آلاف رجـل، ولاشك أنها على الجانب الفرنسى لا تقل عن ذلك إن لم تزد على حين توصـل كبار زعماء النورمان إلى أن الحصول على إقليم غنى يعد أمراً مجزياً وثمناً مناسباً ويبدو أن الإقليم المعروف امتد حول نهر السين واعتبر من أغنى وأخصب الأقاليم الفرنسية.

وإذا كانـت معـاهدة سـانت كلير قد أثارت إستياء في كثير من الأوساط الفرنسية وأستهجن المؤرخون سياسة شارل البسيط واتهموه بالجبن والاستسلام للنورمان والتفريط في أغـنى أقالـيم فرنسا وأخصبها ومنحه "لقرصان حقير" على حد قولهم فإنه سرعان ما تغيرت هـذه الانطباعات وجرى اعتبار هذه المعاهدة عملا أملاه العقل وسداد الرأى وحسن التصرف

---

42 Cantor, N., Medieval History, New York, 1964, p. 254.

لأنهــا وضعت حداً للإغارات النورمانية وأعادت السلام إلى ربوع البلاد والهدوء إلى منطقة السـين وأمـدت فرنســا بدماء جديدة، ولاسيما وأن رولُّو تنصر وجرى تعميده وفقاً للكنيسة الكاثوليكــية وتســمى بروبــرت Robert وقرر توبته وهدايته بالمنح السخية من الأراضى للكنائس والأديرة في وطنه الجديد.

ولقــد زاد مــن أهمــية دوق نورمانديا أعتناقه المسيحية وتبعه معظم رجاله الذين أصــبحوا مســيحيين، ولكن الشيء الذى يسترعى الانتباه أنهم أظهروا وازعاً دينياً عميقاً بعد ذلك حيث جعلوا من أنفسهم حماة للمسيحية واهتموا ببناء الكنائس وشغفوا ببناء المدن وتشجيع العمران وأظهروا حماسة بالغة في استصلاح الأراضى وزراعتها.

ولقــد تمــيز هؤلاء بمرونة في أعتناق وتقبل الحضارة والعادات والأوضاع الجديدة علــيهم ولــم يكد يمر قرن من الزمان على عزوهم لنورمنديا حتى تأقلم النورمان واصبحوا فرنســيين في لغتهم ونظمهم وثقافتهم وإن ظلوا محتفظين بكثير من مظاهر الحيوية والحماسة والعنف التى اتصف بها أسلافهم الأوائل.

وفــى الواقع إن رولُّو زعيم النورمان يعد فعلاً إقطاعياً للملك الفرنسى وحمل لقب دوق، بــيد أنه يتصرف بطريقة مستقلة، وظل يواصل توسيع رقعة دوقيته الأصلية فلقد كان حجــم الاســتيطان الأســكندنافى صــغيراً ولكن سرعان ما اختلط رجال الشمال مع السكان الأصــليين واتخذوا الفرنسية لغة لهم، ولكن كل ذلك لم يغير أسلوبهم في الحياة بسرعة وظلوا علــى مــدى ســبعين عاماً كانت نورمانديا ميداناً للحروب الداخلية والصراعات الدموية بين الســادة الإقطاعيــين الــنورمان، كما أن سلطة الدوقيات الأوائل كانت تقوم على أساس من قدراتهم كمحاربين، كما أن تاريخ نورمانديا قبل سنة ٩٨٠م لا يحمل أى شيء يمكن أن يكون تمهيداً للتطور الذى شهدته نورمانديا في الفترة اللاحقة.

ولكــنهم لــم يلبثوا أن برهنوا على أنهم الأجناس الأوروبية على الإطلاق إذ أضافوا إلى ما اتصفت به أصولهم الشمالية من صفات الشهامة والرجولة والقوة جميع ما اكتسبوه هم وأبناؤهم من الشعوب اللاتينية وثقافتها التى اختلطت بحياتهم الجديدة.

هكــذا اســتبدلوا بالوثنية دين المسيح، وباللغة الدانية لغة الفرنسيين واستعاضوا من ذكــرياتهم الشمالية الصافية تقاليد اللاتين واسسها الواضحة، وشغفوا ببناء الكنائس والأديرة، بعدمــا كــانوا ناهبين لها، واهتموا بإصلاح الأراضى وحرصوا على تشجيع العمران وإنشاء المــدن والأخــذ بنظم السكان الذين ينزلون بينهم، فلم تمض مائة عام على تملكهم لنورمانديا

حتى غدوا حماة أقوياء للمسيحية واستطاعوا أن يبثوا في البلاد التي امتلكوها فيما بعد حضارة ومدنية لها في غرب أوروبا لما اتسمت به من التسامح والروعة وامتزاج العناصر بها.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة عن الفيكنج نشير إلى أهم النتائج التي انتهى إليها الباحث:

١- تكاثر السكان بالنسبة للأراضي أدى إلى البحث عن موارد اقتصادية جديدة أدت على خروجهم من موطنهم الأصلي.

٢- تشكل جماعات قوية أدت إلى دفع المتعلقين بحرياتهم إلى البحث عن أراضي غنية.

٣- حب المغامرة والاستكشاف أدى إلى خروجهم وقيامهم بأعمال السلب والنهب.

٤- أدت شجاعتهم وقدرتهم وتفوقهم في البحار إلى السطو على معظم الأراضي الغنية في أسبانيا وفرنسا.

٥- إحتكاك النورمان بالعالم الروماني واكتشاف مواطن قوته وغناه وثرواته أدى إلى تكرار طمع هؤلاء وزيادة شرهم.

٦- المقاومة الضعيفة التي أبداها الحكام الكارولنجيين أدت إلى زيادة أطماعهم واندفاعهم واستلابهم لكل تلك الثروات.

٧- منح شارل البسيط لزعيم النورمان روللو تلك الأراضي أدت إلى تنظيمهم وانشغالهم وتطلعهم إلى حكومة مستقلة منفردة كانت في صالح جميع الأطراف.

ثبت المصادر والمراجع:

أولا المراجع والمصادر الأجنبية:

- Cmbridge Medieval History., (Cambridge, 1924).
- Cantor, N., Medieval History, (New York, 1967).

كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط قصة حضارة: بداية ونهاية، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، القاهرة، ١٩٨١، جزءان.

- Davis, H., Charlemagne, (London, 1929).
- Dozy, R., Recherches sur l'historie et literature de l'Espagne pendants le moyen âge, (Leiden, 1860).

- Haskins, Ch. H., The Normans in European History, (New York, 1959).
- Hoyr and Chodorow, Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1967).
- Schjom, Hans, Denmark and its Sister States: Great Days of the North men, in the Book of History of the Nations from the Earliest Times to the Present., Vols. V.,VII.
- Schjoth, I., Great Days of the North men. B. H. VI. 1.
- Oman, Ch., The Dark Ages, 476 – 918, (London, 1964).
- Orton, Outlines of Medieval History, (Cambridge, 1929).
- Stephenson, C., Medieval History, (New York, 1943).
- Thompson, J. W., The Middle Ages, V. I, (London, 1931).

ثانيا المصادر والمراجع العربية والمعربة:

- ابـــن عـــذارى، البـــيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـــ٥، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، باريس، ١٩٤٨م.
- اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة/ عادل زيتون، دمشق، ١٩٨٩.
- سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط ١٠، القاهرة، ١٩٨٦م.
- سى. و. بريفت، مغامرات النورمنديين، الفصل المائة من كتاب تاريخ العالم لجون هامرتن، القاهرة، د.ت.
- السيد الباز العرينى، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، بيروت، ١٩٨٦م.
- ماك كالوم سكوت، الفيكنج ورحلاتهم البحرية، الفصل السادس والتسعون من كتاب تاريخ العالم لجون أ. هامرتن، القاهرة، المجلد الرابع، ط٢
- محمد الحويرى، اللومبارديون في التاريخ والحضارة، القاهرة، ١٩٨٦.
- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ط١، دمشق، ١٩٧١م.
- هـــ. ديفز، شارلمان، ترجمة السيد الباز العرينى، القاهرة ١٩٥٩م.

ب-عرض الكتب

جون ل. اسبوزيتو، التهديد الإسلامى، خرافة أم حقيقة؟ ترجمة د. قاسم عبده قاسم، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م، ٤٢١ص.

عرض د. حاتم الطحاوى

مصر

يكتسى هذا الكتاب أهمية بالغة، فالمؤلف هو أحد أهم الأكاديميين المتخصصين في دراسة "الحالة الإسلامية" في الغرب، ويبدو تميزه الواضح لكونه "مغرداً خارج السرب"، ويبدو صوته بعيداً عن أصوات الجوقة الغربية الزاعقة، التى أراحت نفسها، واحتلت بالصيحة القائلة "المسلمون قادمون ! المسلمون قادمون!".

بذل اسبوزيتو جهداً واضحاً في هذا الكتاب، وفى تحليل الخطاب الصادر عن جميع الحركات الإسلامية الفاعلة، وعبر المحيطين الزمنى والجغرافى للمسلمين، لكى يضع إصبعه فى النهاية على "النقطة المظلمة" "الزاوية العتماء" في الذهنية الغربية، والتى ترفض أن تضع فارقاً بين كافة الحركات الإسلامية الحديثة، وتفضل أن تضعها جميعاً في سلة واحدة، لكى تصنع لنفسها عدواً جديداً بديلاً عن الاتحاد السوفيتى والشيوعية، ولكى تساهم من جهة آخرى فى تكريس ودعم الأنظمة الإسلامية، غير الديمقراطية، تحت دعاوى الخوف من "الأصولية الإسلامية" و"الإرهاب".

ويتعامل المؤلف مع الظاهرة الإسلامية بوعى بالغ ويتمنى على المحللين وعلى دوائر صنع القرار فى الغرب أن يتعاملوا معها على نفس الدرجة من الوعى، من أجل استشراف مستقبل أفضل للعلاقة بين الغرب والإسلام، ولهذا فهو يطالب بضرورة التمييز بين التحدى الدينى والأيديولوجى من ناحية والتهديد السياسى المباشر من ناحية أخرى وحتى لا ينطوى التعامل مع الإسلام على مغالطة كبرى فيحب معرفة الفارق الحقيقى بين وحدة الإسلام وتجلياته الإيجابية المتعددة في العصر الحديث. ويبنى رد الفعل للأقلية المحبطة، وبنظرة ثاقبة، لحظ المؤلف الثنائية المجتمعية بالعالم الإسلامى، ما بين نخبة علمانية، ومجتمع مسلم ينزع لحركات التجديد الإسلامى، ويأخذ على الغرب نظرته الإرتيابية نحو تلك الحركات ونعتها بمعادة الغرب، ويرجع جذور تلك الحركات إلى الفشل الذى أصاب المجتمعات العربية الناهضة بعد هزيمة ١٩٦٧م والتى كانت أنظمتها تهدف إلى محاكاة النموذج الأوروبى.

قدم المؤلف سياحة فكرية منذ الإسلام المبكر الذى اعتبره جامعاً للأفكار السابقة لليهودية والمسيحية، ونجح في صياغة نوع جديد من الرؤية الدينية المحكمة، الأمر الذى تسبب فى إيجاد تحدى للغرب والمسيحية على المستوى اللاهوتى والثقافى، مما أدى في النهاية إلى نشوب صراعات فكرية، تحولت إلى مواجهات ميدانية على الأرض عبر حركة

الفتوح الإسلامية. والحركة الصليبية في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. ثم نجح المسلمون العثمانيون في اجتياح القسطنطينية عاصمة الأرثوذكسية الأوربية منتصف القرن الخامس عشر ونشر الإسلام في البلقان وتهديد باقى دول أوربا.

ويرى أن ذلك كله قد أوجد قطيعة بين الغرب والإسلام وساهم في وجود صورة مشوشة وشائة عن الإسلام والمسلمين كما ساهمت حركة الإصلاح الدينى في الغرب الحديث في ترسيخ فكرة الإسلام الشرير واستمرت هواجس الغرب نحو الإسلام باعتباره تهديداً، كاد أن يجتاح أوروبا – الغرب في معركة بواتييه (بلاط الشهداء) ٧٣٢م. ثم عند بوابات فيينا ١٦٨٣م، ولولا الهزيمة التى حاقت بالمسلمين في المواجهتين لكانت اللغة العربية هى لغة الدراسة في جامعة أكسفورد، ويعود المؤلف إلى العصر الحديث حيث مرت العلاقات بين الإسلام والغرب في القرن العشرين عبر محورين أساسين: حركة الاستعمار الأوربى، حركات التحرير الوطنى، حيث كرس المستعمرون الأوربيون نظرتهم للإسلام بوصفه ديناً طيباً، دون أن ينظروا إليه بوصفه نظاماً سياسياً متكاملاً، وكان ذلك من أجل تكريس نظرتهم نحو تحديث المجتمعات الإسلامية، وتشجيع حملات التبشير، بوصف المسيحية هى الديانة الأقرب إلى التقدم والنجاح، وإن الإسلام هو العكس.

وهكذا فإن المؤلف يدعو إلى عدم التسرع بإلقاء الأحكام النهائية على الإسلام، وربطه بالحركات الراديكالية فقط، والارتياح بوصفه بـ "إمبراطورية الشر" كما يطالب بأن تكون الاستجابات لما يحدث على نحو عقلانى واع بدلاً من الافتراضات المسبقة.

وفى محاولة من اسبوزيتو للحديث عن المسكوت عنه في الغرب فإنه يطالب العقلية الغربية أن تنظر إلى ما يعتمل في العقلية الإسلامية من هواجس وتوجسات إزاء الغرب ويغذى ذلك تراث طويل من العنف وسلب إرادة الشعوب عبر محطات مثل الحروب الصليبية والاستعمار الغربى الحديث فضلاً عن الاستغلال الاقتصادي والغزو الثقافى.

ويأخذ المؤلف على الذهنية الغربية ميلها للحكم على مواقف المسلمين بشكل مبتسر ومتعسف وإلى دمج أعمال الأقلية النارقة مع الأكثرية المتوازنة، وغض النظر عن التجاوزات المتماثلة التى ترتكب باسم ديانات أخرى غير الإسلام، وأيديولوجيات تصف نفسها بالحرية والديمقراطية.

يؤكد المؤلف على أن العديد من الحكومات الإسلامية قد أدركت ميل الغرب إلى رؤية الإسلام باعتباره خطراً فاستغلت عنف الجماعات الإسلامية الراديكالية، بعد أن ساوت – عن عمد – بينهما وبين الجماعات الإسلامية المعتدلة كى تستطيع أن تسيطر على كافة الحركات الإسلامية وقمعها، وبدأت وسائل الإعلام في تلك الدول في تضخيم المخاوف من راديكالية متحجرة في الداخل، سوف تتعامل مع الغرب بعدوانية وظلامية شديدة، وهو ما أدى إلى تبرير حبس المسلمين المعتدلين.

وتتبلور الفكرة الأساسية في الكتاب، لتصل، في الفصل الأخير إلى رفض المؤلف للأطروحات المنادية بصدام الحضارات، وينتقد الكتاب المفكرين الغربيين المنادين بتلك الفكرة، أمثال برنارد لويس، الذى كان أسبق من طرح هنتنجتون لفكرته، ويصف المؤلف معلومات لويس بالسطحية، وأنه لم يميز بين الجماعات الإسلامية المختلفة، وكذلك بالنقص المذهل في المعلومات التى يقدمها، من أجل الوصول في النهاية إلى نتيجة شائهة هى حتمية حدوث الصدام الحضارى بين "الكتلة الإسلامية" والغرب.

كذلك ينتقد المؤلف أطروحة هنتنجتون التى تضع الإسلام إلى جانب الديانات الوضعية الأخرى - في مواجهة الحضارة الغربية، ويؤكد أن التناول الالتقائى الذى ينهجه الغربيون للنشاط الإسلامى، يستبعد الأسباب التى أرتكز عليها المسلمون في رفضهم للغرب، وأن هؤلاء المحللين لا يجهدون أنفسهم أبداً في البحث عن الجذور التى تحدد مواقف الإسلاميين، بدلاً من استبعادها ببساطة، واعتبارها نتيجة للصدام بين الحضارات.

ويهاجم المؤلف المحللين الغربيين الذين يربطون جميع الحركات الإسلامية في العالم الإسلامى في خيط واحد، ويعتبرون أن ما يحدث في فلسطين - كشمير - أذربيجان - وكوسوفو - ولبنان هى انتفاضة إسلامية عالمية، ويرى أن اقتناع الغربيين بهذا، يؤدى بهم في النهاية إلى تخيل وحدة إسلامية غير واقعية، لأن كل منطقة وجماعة لها أسبابها الخاصة، فما يحدث من انتفاضة في فلسطين لا علاقة له بما يحدث في كشمير وكوسوفو وأذربيجان.

ويتهم اسبوزيتو المحللين الغربيين بالازدواجية عندما يرحبون برغبات شعوب شرق أوروبا نحو التحرر والاستقلال في الوقت الذى يرفضون فيه مطالب الحركات الإسلامية، ولا يتوقف عند ذلك فقط، بل يحاول أن يحلل أسباب هذه الافتراضات الخاطئة ويرجعها إلى عدة عوامل أهمها أن معظم أولئك المحللين جاءوا نتيجة انحيازات علمانية فضلاً عن فهمهم البسيط والضحل للإسلام، وكذا ندرة الباحثين في الدراسات الإسلامية، واضطرارهم للتعامل مع الماضى الإسلامى، ومحدودية إمكانياتهم من حيث فهم الإسلام الصحيح، واللغة العربية، والاتصال الحقيقى مع الناشطين الإسلاميين، والحركات الإسلامية.

والنتيجة التى يخلص إليها المؤلف هى أنه يجب على الغربيين أن يدركون أن الإسلام يتميز بحيوية فائقة ودائمة، وأنه لا يجب اختزال كافة الحركات الإسلامية في كفة واحدة، ولا يمكن أن تقوم صيغة استراتيجية أو وصفة سحرية "معلبة" بالتعامل مع الظاهرة الإسلامية ككل، بل يجب التحفظ ومعرفة الحد الفاصل بين الحركات الإسلامية ذات المشروع الفكرى والتجديدى، وبعض العناصر والجماعات الراديكالية التى تبنت العنف نتيجة للعديد من الأسباب الداخلية وكذلك الأسباب الخارجية التى كان الغرب هو المسئول الأول عنها بشكل أو بأخر.

يتبقى أن الترجمة الدقيقة والفائقة لأفكار المؤلف، قد توقفت أمام رؤيته لإسرائيل ودورها، فقد أخذت عليه – بحق– محاولة إيجاد مشابهة تعسفية بين مناضلين حقيقيين مثل نيلسون مانديلا وياسر عرفات، وإرهابيين على شاكلة مناحم بيجن واسحق شامير وعصابة شتيرن، غير أن هذه "الزلة" للمؤلف لا تنفي عنه معرفته ودرايته الفائقة بتضاريس الحركات الإسلامية الحديثة، وكذلك نزعته الموضوعية في التعامل مع الظاهرة الإسلامية، بل ربما يمكن القول – مع بعض التحفظ – أن المؤلف يفهم طبيعة جميع الحركات الإسلامية، وأفكارها، ربما أفضل من بعض الحكومات المسلمة، التى لم تفهم ذلك، أو التى أغفلت فهم ذلك – عن عمد – حتى تستطيع تطبيق سياساتها، وتحقيق أهدافها ومصالحها.

حدث هذا في الوقت الذى عزت فيه الحركات الإسلامية الأحيانية (المهدية – السنوسية – الوهابية وفى البنغال والهند وإندونيسيا) تخلف مجتمعاتها إلى البعد عن القيم النبيلة للإسلام، وجهود المستعمرين في تسريب أفكار غريبة لا تصب في مجرى المجتمع المسلم ورأت ضرورة العودة إلى الإسلام الصحيح، وهكذا انبثقت التصورات الإسلامية عن الغرب المسيحى عبر سياسات الاستعمار الذى هدد باقتلاع الهوية الإسلامية للشعوب المستعمرة.

ويرصد المؤلف أن الاستجابة الإسلامية لتحدى الاستعمار الغربى قد عبرت عن نفسها عبر عدة إفرازات تراوحت ما بين الرفض والانسحاب أو الأخذ بالعلمانية والتغريب أو إيجاد نوع من الحداثة الإسلامية وتمثلت النتيجة النهائية لعمليات التحديث التى جرت بعد نجاح الحركات الوطنية ضد الاستعمار في ظهور نخب جديدة في المجتمع المسلم. حيث أفرز التعايش بين المدارس الدينية التقليدية رؤيتين متوازيتين للعالم اعتمدتها أقلية نخبوية، علمانية، وأغلبية محافظة ذات توجه إسلامي، وسعى معظم الحكم في المجتمعات الإسلامية إلى إيجاد موائمة بين التراث الإسلامى والعلائق الثقافية الخاصة بالاستعمار الغربى، حيث تم فرض التحديث من أعلى بواسطة الحكومات والنخب المرتبطة بالغرب.

وقليلون هم الذين تساءلوا عن الحكمة المقبولة بأن التحديث يعنى التغريب والعلمنة المطردة للمجتمع، وبرزت إلى السطح حداثة إسلامية ترمى إلى سد الفجوة ما بين المصلحين العلمانيين، والتراثيين الإسلاميين كالأفغانى، محمد عبده، أحمد خان، محمد إقبال، ويؤكد المؤلف دائماً على الفهم الملتبس للإسلام في أذهان الغربيين، وتعمدهم استخدام مصطلحات "كالأصولية" ذات المزاعم المستمدة من البروتستانتية الأمريكية، وبالتالى وصم الإسلام بالإرهاب، ركزت آلات الإعلام الغربية على صورة المسلم الأصولى، الأرهابى المعادى لمصالح الغرب و ديانته غير أنه يلحظ – في لفته بارعة – أن أنظمة الحكم في الدول المسلمة، تلقفت أيضاً هذا المصطلح، من أجل توظيفه لخدمة أغراضها، ووصم خصومها الداخليين بصفات سوداوية شريرة وذلك لكسب الصراع الداخلى في المجتمعات الإسلامية.

ولم تتوقف تلك الأنظمة المسلمة عند ذلك فقط بل نجحت في استغلال الواجهة الإسلامية التى صبغت بها، سياستها من أجل سحب البساط من تحت أقدام الحركات الإسلامية الإحيائية منها وذات الاتجاه الثورى، مثلما حدث في ليبيا والسودان ومصر.

ويرسل المؤلف بصره أيضاً نحو كتلة ثالثة بالمجتمعات الإسلامية، أدركت منذ وقت بعيد أن تطبيق الحكومات للشعارات الإسلامية ما هو إلا وسيلة للسيطرة السياسية والقبض بزمام الأمور أكثر من كونها دعوة حقيقة للإلهام والتجديد، وبدأ أفراد تلك الكتلة – التى لم يحدد المؤلف ثقلها – في المجتمعات الإسلامية يتساءلون هل ستصبح الدولة الإسلامية الجديدة أكثر فعالية من النظم العلمانية في قضايا المشاركة السياسية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فضلاً عن الأصالة الثقافية، وهل ينحصر الاختيار فقط فيما بين "حكم الفرد العلمانى أم حكم الفرد الإسلامى؟!".

وانتقل بعد ذلك إلى استعراض التنظيمات الإسلامية الموجودة على الساحة، وعلى الرغم من اتساع المشهد الفسيفسائى للجماعات الإسلامية عبر جغرافية العالمين العربى والإسلامى، فإن المؤلف استطاع الإمساك بتلابيبه، كما أستطاع استعراض كافة جماعاته المعتدلة منها والثورية في مصر ولبنان والجزائر وإيران وتركيا وموقف تلك الجماعات من الغرب، وكذا موقفها من حل المعضلة الإسلامية الداخلية في بلادها وموقفها من العلمانية ومن مستقبل المجتمعات التى تقوم بالتعبير عنها، وعلى الرغم من تورط العديد من الغربيين من مسؤولين رسميين ومفكرين ومحللين، في التحذير من خطورة الإسلام فإن اسبوزينو يرى أن الغرب أمامه طريقين لفهم ما يجرى في العالم الإسلامى ومن ثم الاستجابة الإيجابية له، طريق سهل وآخر صعب، الطريق الأول الأكثر يسراً وسهولة الذى تسكله الذهنية الغربية حتى الآن، هو أن يتم النظر للإسلام وحركات الإحياء الإسلامية بوصفها تهديداً عالمياً وأن يصبح الإسلام عدواً تاريخياً للغرب المسيحى، وهو ما يؤدى في النهاية إلى تأييد النظم العلمانية الموجودة في الدول الإسلامية بأى ثمن، وأن يغض الغرب المسيحى النظر عن قمعها لشعوبها (المسلمة)، بدلاً من المخاطرة بوجود حكومات إسلامية في الحكم.

أما الطريق الأكثر صعوبة الذى ينادى به المؤلف وربما تقوم فكرة الكتاب عليه، فهو ضرورة التحرك نحو اكتشاف مدى الضرر الذى تسببه الأنماط السهلة والإجابات الجاهزة التى أفرزتها وسائل الأعلام الأمريكية والغربية، وتعميق فهم العقل الغربى، فينادى بضرورة التمهل في تناول الظاهرة الإسلامية وتجلياتها، الفصل بين الإسلام المثالى والحركات الراديكالية، ويذكر الغربيين أنه على الرغم من كفاءة أجهزة المخابرات الغربية ودوائر صنع القرار فإن الجميع لم يكونوا ليستطيعوا التنبؤ بالانهيار السريع للاتحاد السوفيتى، وأن الإجماع على فكرة معينة، لا يعنى بالضرورة صوابها.

second world war until today, seen, for example, in the political freedom of Muslim peoples from the colonial domination of western powers, emphasis on national identity, Pan-Islamic ideal, and increase of missionary zeal. in today's world the adaptability of Islam raises many questions, such as the direction of Islamic reform and revival, the relationship between tradition and modernization, or the role of the religious leaders (*'ulamā*) for the future of Islam. Islam, as a world religion, with a global following of 1.4 billion adherents should be of interest to all those concerned with 'foreign' religions. As Yannoulatos stresses, the understanding of the world in which we live, requires a knowledge of Islam as a prerequisite for an appreciation of our theologically and historically interconnected Judaeo-Christian-Islamic heritage.

Yannoulatos' book succeeds in enabling the readers to understand and appreciate what Muslims believe and practice. His work written in a concise, lively and accessible manner gives the reader an informative view of the fundamental role Islam plays in Muslim life. As its centre is Allah, God, its monotheism dominates Islamic practice; spreading God's will is an individual and Community obligation. The author describes the origin of the religion, its formation, sources of influence, theological development, foundations of its faith, cult life, and the significance of law imposed by the *Sharī'a,* a religion that impregnates peoples historical conscience and determines their future. Though this work is a reprint of the *1975* edition, and therefore does not contain updated references and bibliography, nevertheless it remains an important contribution to our knowledge about basic aspects of the religion of Islam. Yannoulatos uses extensive footnotes in the form of references and scientific support to the arguments developed in the text, gives the etymological meaning of Arabic terms when necessary, brings to our attention problems related to the source material for certain aspects of the Islamic history, and sheds light on contradictory issues by expressing his own interpretation. Yannoulatos' book is a comprehensive study of Islam and its dynamic throughout the ages.

the polemic it faced by the Byzantines, and the penetration of Greek thought during the 'Abbâsid period.

In chapter 3, he explains that the Muslim faith and practice are expressed in a variety of beliefs and rituals. He describes the five duties of the Muslims, *shahâda* (confession of faith), *ṣalât* (prayer), *zakât*(legal alms), *ṣawm*(fasting), *ḥajj*(pilgrimage), and puts emphasis on the rituals and procedures used during each practice. He also refers to other festivals and celebrations in Muslim religious life stressing that they aim at bringing unity to the Muslims exercising influence on them so as to submit to God's will. In chapter 4, he discusses main moral principles focusing on family institutions, the position of women, the theory of *jihâd* etc., and points out the values of compassion, humanity, modesty, justice, among others, emphasized by the Qur'ân and the *hadīth.* Further, he explains the significance of law (called *Shari'a*) in Islam, which defines the behaviour of men in their personal and social life. It drives from the teachings of Qur'ân, *sunna,* consensus of learned opinion (*ijma'),* and reasoning by analogy *(qyias).*

In part three, chapter 1, Yannoulatos draws a historical map of the main events that marked the Arabic history, and maintains that Islam passed though many stages in its development: classical period (rise of the Arabs from the 7th to 13th c.), medieval period (rise of the Mongols and Turks in the mid 13th c. to 18th c3, period of decline (end 18th c. to the beginning of 20th c.), and a new rise (after the Second World War). He also refers to the development of Islam as a world civilization, and its contribution to the history of philosophy, art, architecture, astronomy, theology, medicine, mathematics and the sciences. He examines the religious divisions in Islam, and describes the sects of Khawârij, Mu'tazila, Murji'a, Aḥmadîya. In chapter 2, he focuses on the Sunnites and Shiites, their branches, sources of influence, beliefs and differences. In chapter 3, he provides a historical summary of the development of the branch of Islamic mysticism called 'Sufism' and his representatives.

In chapter 4, Yannoulatos describes the characteristics of contemporary Islam. He examines the internal tendencies in Islam, such as the liberal modernization movement (Sayyid Aḥmad Khân, 1817—1898), reawakening of 'Islamic Orthodoxy' aimed at the 'restoration' of Islam (focuses on the 'fundamentalist' movements of Wahhâbî in Saudi Arabia, Mahdî in the Sudan, Sanûsî in Libya), radical reform (Turkish interpretation of Islam), and legislative adjustments. He stresses that the Muslim world witnessed a gradual increase of political power after the

calendar.

In chapter 3, Yannoulatos focuses on the Qur'ân, the main source of Muslim religious life, and the foundation of Islamic belief and practice. He describes its character, division (114 *suras)* dating (compilation finished in 645), stresses chronological problems related to its form, and looks at interpretative attempts. He compares the Qur'ân with the person of Christ in Christian theology as evereternal Word of God'. The Qur'ân contains the revelations received by the Prophet in Mecca and Medina, and is a treatise of prayers, summary of sacred history and basis of morality and law in Islam, and as such the first written monument of Arabic language. The Qur'ân is the main visible sign of God's presence among people in a religion that has no priests, mysteries and icons as in the Christian Church. In chapter 4, the author discusses the nature and form of the *ḥadīth* (the tradition of the acts and sayings of the Prophet), and drawing on examples, he describes its use as a source for giving solutions to problems in the Muslim Community. He argues that the Qur'ân is understood under the light of the *ḥadīth* and provides information about the *isnâds*(chains of authority) stressing the issue of the reliability of the historicity of names, accuracy, and the relationship between the participants of *isnâds.* He also lists the *ḥadīth* in categories; and describes collections of them which influenced the development of the Islamic law.

In the second part, Yannoulatos examines the Islamic creed and ethos in four chapters. In chapter 1, he gives the basic theological lines of the Qur'ân. He stresses the 'foundations of faith' i.e. its monotheism, belief in angels, prophets, the books of prophets, resurrection of the dead, last judgment, predestination of man, and draws a schematic parallelism with Christian symbols of faith. He points that the differences between Muslim and Christian teachings are the rejection of the divinity of Jesus, negation of the term 'father' attached to God, which is related to the idea of being the son of God and the teaching of Holy Trinity, negation of the crucification, and resurrection of Christ. Some of the similarities are the special place Virgin Mary *(Maryam* has in the Qur'ân and is, in fact the only woman mentioned by name, the respect towards the person of Jesus and his work, and the Holy Spirit. In chapter 2, the author summarises the historical background of the rise of theology *(kalâm 'speech')* and philosophy in Islam (3rd c. A.H.). He argues that the main reasons for the rise of *kalâm* were the theological and political differences of various groups in the Muslim Community, the need for spiritual defense against

' Αναστασίου Γιαννουλάτου,' Αρχιεπισκόπου Τιράνων και ' πάσης' Αλβανίας,' Ισλάμ. Θρησκειολογική επισκόπησις, (Islam. A General Survey), 1st edition 1975, (Athens, 2001). 339 pages..by Maria Vaiou

The lack of studies on Islam by Greek scholars makes Yannoulatos' book an interesting one. Yannoulatos examines the role of religion in Islam in three parts. He starts his introduction with the meaning of the term Islam,[1] and stresses the importance of knowing about it. He examines the nature and phases of the knowledge and investigation of Islam by non-Muslims, and looks at the existing literature on Islam. He begins the first part examining the roots of Islam in four chapters. In chapter 1, he describes the background of the development of Islam, the pre-Islamic Arabic religion —its polytheistic structure, the *Allâh* monotheistic concept, cult aspects, morals — and the Christian and Jewish influences in the form of religious streams which were incorporated in Islam.

In chapter 2, Yannoulatos describes the emergence of Islam, focusing on the early years of the Prophet (570—622 A.D.). He continues with the historiographical problems related to the study of the early Islam, the Life of the Prophet, and the Qur'ân. Yannoulatos points out that the Prophet's migration *(Hijra)* to Medina in 622 A.D. was the turning point for the formation of the religion of Islam. The Prophet Muhammad called people to the one true God returning to the faith of Abraham *(millat Ibrahim)* and did not bring a message from a new God. In this way, though he put aside the names of Jesus and Moses invoked by the two other Abrahamic religions Judaism and Christianity, he provided a point of common approval and unquestionable authority. In addition he put the basis of the Muslim Community bonded by a common religious faith, and drew attention to traditional Arabic principles to which he gave new theological interpretation. This is reflected in the direction *(qibla)* for prayer to Mecca instead of Jerusalem. A series of rules followed which cemented the national Arabic character of the religious movement of Muhammad. The importance of the Prophet's migration is reflected in its adoption as the beginning of the Islamic

[1] By the term Islam, Yannoulatos means the religious experience defined as 'submission to God' or 'acceptance of God's guidance'.

B. Book Reviews



Fig. 10



Fig. 11



Fig. 12



Fig. 13



Fig. 7



Fig. 8



Fig. 9



Fig. 3

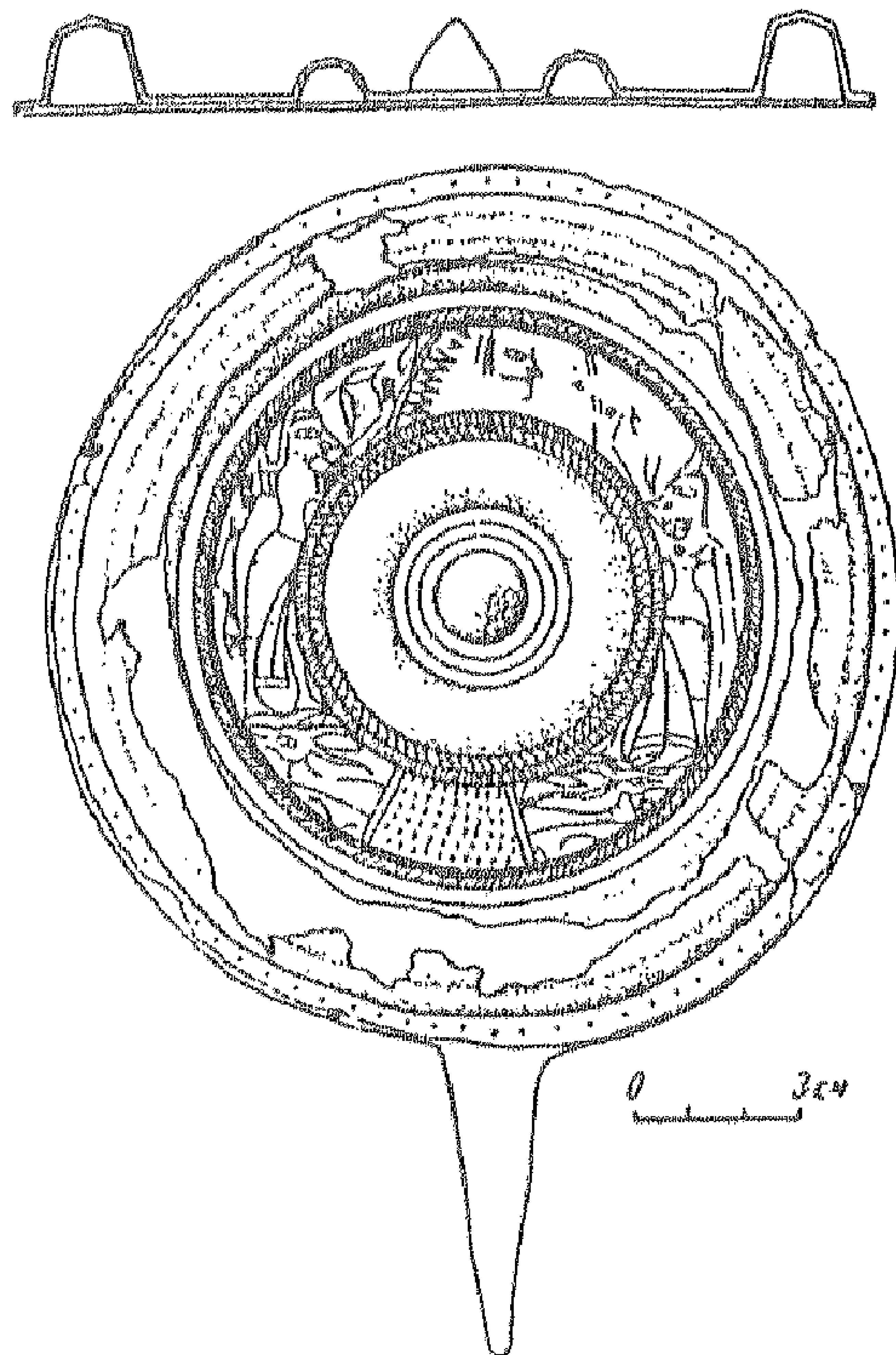
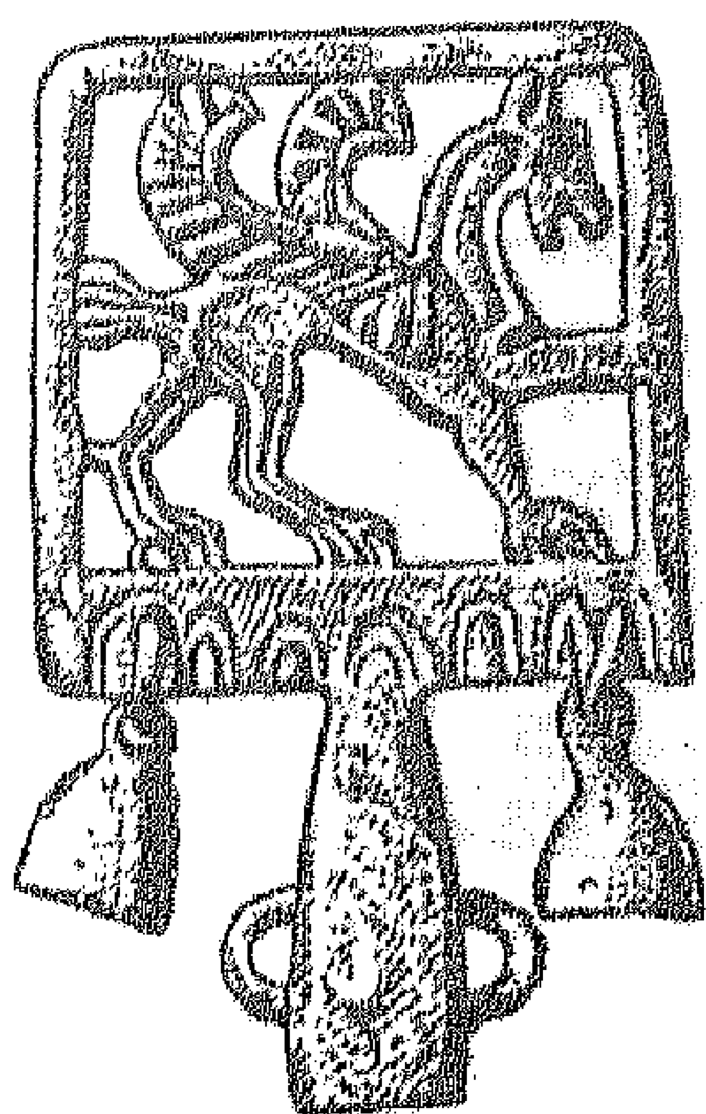


Fig. 4



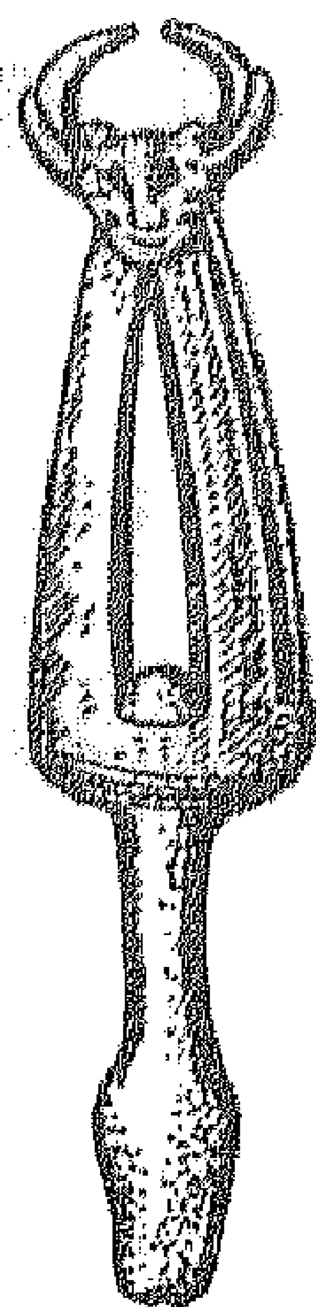


Fig. 5



Fig. 6

Figures

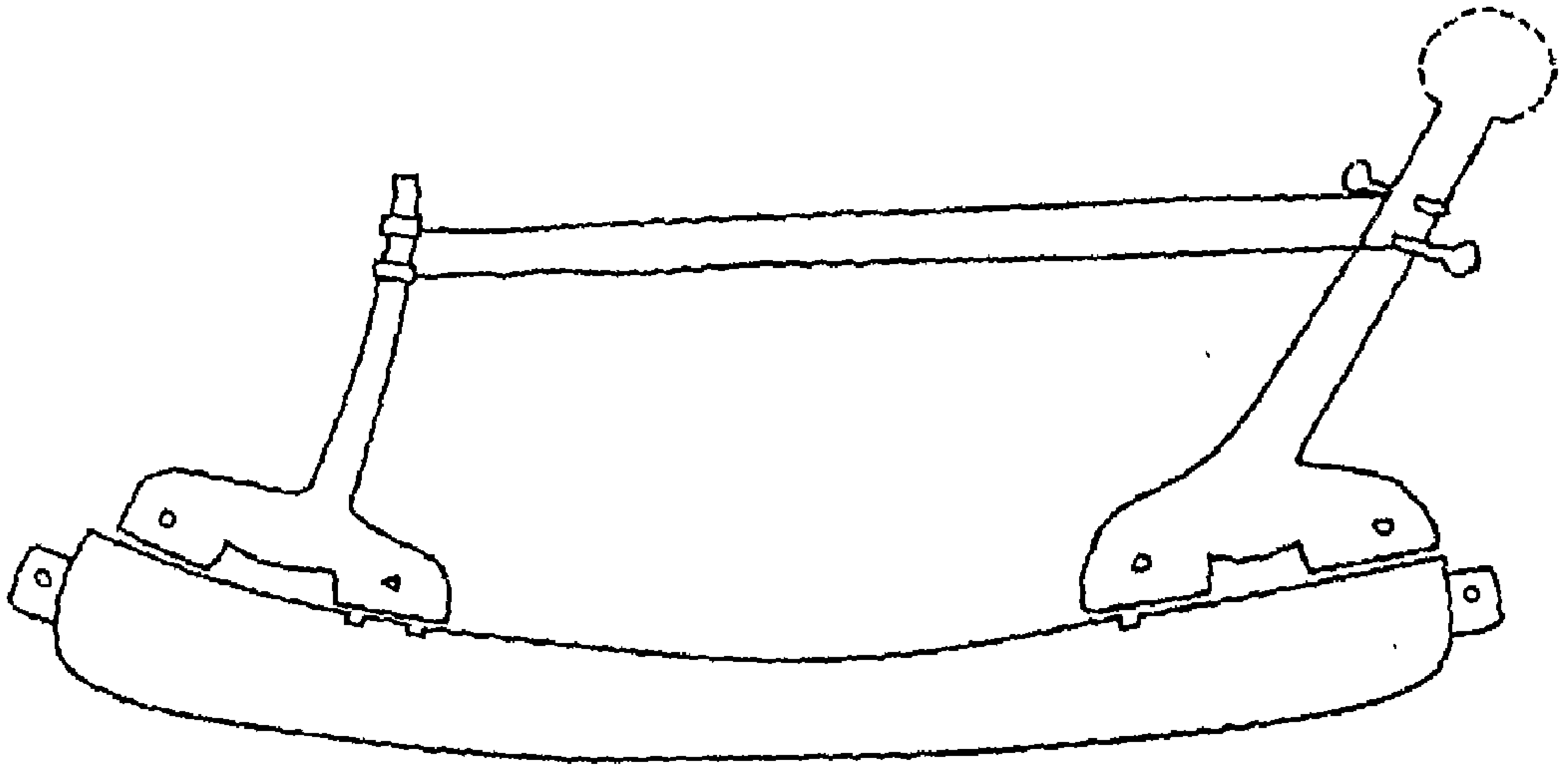


Fig.1



Fig. 2

27.D.Paquette, L' instrument de Musique dans la cèramique de la Grèce Antique. Etudes d'Organologie (Paris 1984)25-26
28.D.Paquette, L' instrument de Musique dans la cèramique de la Grèce Antique. Etudes d'Organologie (Paris 1984)74 -75

4.E.E.Fialko, 'Iskusstvo narodov Skifii' Velikaia Skifiia(Kiev-Zaporozhie 2002)127-139
5.V.N.Basilov,'Skifskaia arfa' Sovetskaia etnografiia 4(1991)140-154
6. T.M. Kuznetsova, 'Vostochniie muzikalnije zerkala' Peterburgskii arkheologicheskii vestnik 7(St Peterburg 2000) 82-87
7.V.V.Latishev, Izvestiia drevnikh pisatelei o Skifii I Kavkaze (St Peterburg 1992-1993) 147
8. S.I.Rudenko, Kultura naseleniia Tsentralnogo Altaia v skifskoie vremia(Moscow-Leningrad 1960)62-63
9.K.F.Smirnov, Sarmati na Ileke (Moscow 1975)142-143
10.V.N.Basilov,'Skifskaia arfa' Sovetskaia etnografiia 4(1991)140-154
11.S.S.Bessonova,D.S.Raevski, 'Zolota plastinka iz Sakhnivki' Arkheologiia 21 (Kiev 1977)30-50
12.V.N.Basilov,'Skifskaia arfa' Sovetskaia etnografiia 4(1991) 150-152
13.T.N.Visotskaia, Neapol – stolitsa gosudarstva pozdnikh skifov (Kiev 1979)183
14. T.M. Kuznetsova, 'Vostochniie muzikalnije zerkala' Peterburgskii arkheologicheskii vestnik 7(St Peterburg 2000) 82-87
15.K.F.Smirnov, Sarmati na Ileke (Moscow 1975)142-143
16.A.I.Meliukova, Krasnokutskii kurgan (Moscow 1981)50-53, fig.14
17.E.V.Chernenko, S.S.Bessonova, Yu.V. Boltrik, S.P.Polin, S.A.Skorii, Bokii N.M., Grebennikov Yu.S., Skifskie pogrebalnie pamiatniki stepei Severnogo Prichernomoria(Kiev 1986)221,264
18.L.K. Galanina, Skifskiie drevnosti Podneprovia .Ermitazhnaia kollektsiia N.E.Brandenburga. SAI.D1-33 (Moscow 1977) 41-42, Pl.21.
19.E.V.Chernenko, S.S.Bessonova, Yu.V. Boltrik, S.P.Polin, S.A.Skorii, Bokii N.M., Grebennikov Yu.S., Skifskie pogrebalnie pamiatniki stepei Severnogo Prichernomoria(Kiev 1986)216.217,222,238.270,279
20.V.Tatarkevich, Antichnaia estetika (Moscow 1977)17
21.E.I.Solomonik, Noviie epigraficheskiie pakiatniki Khersonesa. Lapidarniie nadpisi(Kiev 1973) 99,103
22.E.B.Petrova, Antichnaia Feodosiia (Simferopol 2000)156
23.Kobilina, M.M. 'Teatr, aktery, musikalniie instrumenti', Antichniie gosudarstva Severnogo Prichernomoria (Moscow:Nauka1983)219
24.V.Tatarkevich, Antichnaia estetika (Moscow 1977) 19
25. S.Gazarian, V mire muzikalnikh instrumentov (Moscow 1989) 49
26.Kobilina, M.M. 'Teatr, aktery, musikalniie instrumenti', Antichniie gosudarstva Severnogo Prichernomoria (Moscow:Nauka1983) pl.CXIX,8

Figures:

Fig. 1. Instrument à archet du type du violon trouvé dans le deuxième kourgane « Pazyrykski » à Altaï (V s. av. J.-C.)

Fig.2 : Un Scythe jouant de l'instrument à cordes du type de la cithare - image sur la planchette d'or d'une coiffure trouvée dans le kourgane "Sakhnovski" (IV s. av. J.-C.). Kiev. Musée des objets précieux historiques.

Fig. 3 :Un homme jouant de la lyre. Caveau №9 (II-III ss.) de la nécropole de Néapolis de Scythie – capitale des Scythes tardifs.

Fig. 4 :Une glace-crécelle musicale trouvée dans le sépulcre sarmate « Metchetsaïski »(kourgane8,enterrement5).D'après K.F. Smirnov

Fig.5 : Les bouts des bâtons rituels scytes:

a) kourgane « Alexandropolski »

b) kourgane « Starchaïa moguila»

Fig. 6 : Aulos-alto. Fragment du cratère du musée de Khérsonèse (№ KP – 2877/08)

Fig. 7 : Aulos-baryton. Cratère avec l'image d'une scène théâtrale. Musée historique de Kiev.

Fig.8 : Aulos-soprano. Péliké du musée de Yalta, KP – 502. Ici il y a encore une image qui représente une lyre à 5 cordes à l'intérieur.

Fig.9 : Lyre sur une pyxis de musée de Yalta (KP – 496).

Fig. 10: Image d'un tympanon sur une péliké du musée républicain de Crimée (KP – 1094).

Fig.11. Salpinx..Coupe,FR, Vatican n°498,ARV^2

Fig. 12: Harpe ou trigonon sur la statuette de terre cuite de Panticapée.

Fig. 13: Syrinx sur une terre cuite de Panticapée.

Notes

1.M. Maas, Stringed instruments of ancient Greece (Bethany Connecticut : Brevis Press 1989)

2.D.Paquette, L' instrument de Musique dans la céramique de la Grèce Antique. Etudes d'Organologie(Paris, 1984)

3.Kobilina, M.M. 'Teatr, aktery, musikalniie instrumenti', Antichniie gosudarstva Severnogo Prichernomoria (Moscow:Nauka1983)219,Pl. CXIX

pendues . La musique accompagnait les rites, on jouait de l'instrument à cordes, et , probablement , une sacrificatrice qui donnait le rythme à l'aide d'une glace musicale ou d'une crecelle.Le départ d'une armée était accompagné de divers bruits musicaux. Les pommes des cannes qui ornaient les bâtons de rite, faisaient de bruit. Un aristocrate scythe au cheval représentait un phénomène non seulement majestueux et redoutable , mais aussi et musical grace aux sonnettes et les autres pendentifs sur le harnachement. Les flèches des Scythes sifflaient au vol. La musique accompagnait et les festins, et la vie quobidienne, et la loisir.

Pour faire notre notion de la culture musicale des peuples indigènes plus détaille, il faut réunir toutes sortes des sourses – et les renseignements des auteurs antiques, et les trouvailles archéologiques - les débris des instruments de musique et les images des scènes avec les instruments de musique sur les vases, sur les terres cuites, sur les monuments trouvés dans cette région .

La création d'un tel corps – notre tache immédiate. Nous espérons que notre travail soit utile aux critiques d'art, aux musicologues et au milieu large des amateurs de l'Antiquité .

• communication aimable de V. Ougentsev

voisine de celle de notre violon alto et sonnait dans un registre médium aigu. La trompette est normalement faite en bronze, mais il existait aussi des trompettes de fer. La salpinx parait avoir été relativement légère car l'instrumentiste la tient d'une seule main. Au ses faibles possibilités musicals et le caractère perçant de sa sonorité, la trompette est essentielement un instrument d'alerte ou de signalisation. Dans la vie militaire, elle donne le signal de l'attaque ou de la retraite. Au théâtre, elle sert à obtenir le silence. Sur les vases ,elle aparait entre les mains des Amazones ou de Niké. Un épisode très interessant de l'histoire de Théodosie antique est lié avec cet instrument. Le général Tinnikh à l'aide de la salpinx a liberé cette ville du siège[Poliaen. Strategemata.V, 23].

L'instrument de signaux plus primitif était fait de coquille du mollusque de mer – un tel exemplaire est trouveé pendant les fouilles à Kalos- Limène (colonie de Khérsonèse de Tauride à la Crimée de sud-ouest) ** .

L'instrument était trouvé dans les couches de la destruction liées avec la dernier siège de la ville par les Scythes, entouré des artéfacts temoignant que c'était un outillage d'un navire de guerre tiré sur la côte. Nous pouvons voir une image d'une harpe ou d'un trigonon sur les statuettes de terre cuite de Panticapée(d.12). Une syrinx - l'instrument préféré de Pan - est représenté sur les terres cuites de Panticapée(id.13).

Donc les sourses antiques , les trouivailles archéologiques et les images sur les vases prouvent que les habitants des villes antiques du littoral septemtrional de la Mer Noire utilisaient à la vie quotidienne, à l'activité professiolelle, pendant les rites réligieux utilisaient les instruments à cordes. On connait la lyre,la cithare,la harpe ou le triginon. Parmi les instruments à vent on connait la flûte,la syrinx et la trompette-salpinx. L'instrument à percusson le plus répandu est tympanon.

Sans aucun doute qu'ils etaient faits dans les atelier d'artisan au littoral septembrional de la Mer Noire , et leurs sons réjouaient l'oreille des melomanes de cette régione dont il y avait beaucoup(selon les auteurs antiques).

Les Scythes et les Sarmates préféraient les instruments à cordes faits des matériaux de fortune de bois, de peau, des tendons des animaux. Les orecelles des hochets étaient importés et fabriqués à la region. Les ornements, les vêtements feminins de fête abondaient en pendeloques faisant du bruit aui pouvaient accompagner à une danse. Le harnochement produisait aussi des sons melodieux grâce aux sonnettes

Les cordes etaient en nombre variable – de 5 à 9. Au bas de la carapace il y avait des trous pour les cordes qui se roulaient sur la traverse. Une lyre à 5 cordes est représentée sur une péliké du musée de Yalta № 502 (fig. 8). Sur ce dessin elle est représentée de l'intérieur, sur une pyxis de même musée №496 (fig. 9) – de l'extérieur de l'instrument . Eros qui tient la lyre à la main gauche sur ce dessin, tend le plectre à la main droite à une femme. Eros, dieu de l'amour, est souvent représenté avec une lyre à la main quand il observait les préparatifs de noces(comme sur cette pyxis). Mais le dessin sur la péliké représente Eros avec une lyre et une des Muses.

La cithare, instrument d'Apollon et des virtuoses de concours, le plus perfectionné et sans doute le plus complet de la Grèce classique. La résonance considerable due à une caisse de grande dimension , à la forte tension des cordes, peut-être à des lames vibrantes, favorisait son emploi « public ». La tessiture devait se situer au niveau du violoncelle actuell, ce qui lui confère un ambitus de baryton, favorable à l'accompanement des vois virilis. La lyre et la cithare étaient tres populaires chez les habitants du littoral septentrional de la Mer Noire(fig. 10) . Nous en avons un témoignage concluant de Poliaenus(II s.). Il reconte d'une action de reconnaissance de Philippe de Macédoine Memnon qui recourait à l'aide du citharède Aristonic à une reconnaissance. Ce fragment atteste un grand intérèt des habitants des villes de Bosphore à une célébrité de passage, leur amour de la musique (Poliaen. Strategemata. V, 44). .

Un des instruments à percussion les plus répandus que nous pouvons voir sur les vases des musées de Crimée est le tympanon. Il est constitué d'une peau tendue sur un cercle de bois dont le diamètre peut être varié de 30 cm – à 80-90 cm. On peut le voir sur les plusieurs images sur les vases (fig.10) – parfois il a la taille d'un bouclier et il couvre tout le haut du corps humain, parfois il a la taile d'une petite assiette. Le tympanon est utilisé essentiellement pendant les danses et cérémonies orgiastiques, les rites de Dionysos. On venait avec lui aux tombeaux des parents et on chantait à mi-voix. Il accompagnait les mystères, on voit souvent les figures des mystos aux bondeaux avec les tympanons à la main.

Les Grecs ont connu la trompette – salpinx sous la forme la plus simple : tube droit terminé d'un côté par un pavillon, de l'autre - par une embouchure(fig.11). La salpinx pouvait mesurer de 60 cm à 120 cm, elle n'avait jamais de perforations[28] . La salpinx possédait un pavillon de forme variée :en boule, en bulbe, en cône . La salpinx avait une tessiture

les vases des VI[e] et V[e] siècles, les tuyaux apparaisent en teinte claire. Il est logique de penser que le bois, facile à travailler, propre à fournir une bonne réponse acoustique, était couramment utilisé. Le roseau, le sureau, le lotus, le buis étaient les essences d'arbres dont les facteurs d'instruments se servaient pour tourner les tubes, avec une préférence probable pour le buis. Le cerisier, prunier et l'erable ont aussi de bonnes qualités pour la perce des tubes. Le métal ou l'ivoire plus coûteux, l'os plus difficile à façonner, ont sans doute été des matériqux plus rarement utilisés (un fragment d'un aulos d'ivoire est fouillé à Panticapée)[26].

La taille des tuyaux varie d'un vase à l'autre. Ces différences attestent l'existence d'une véritable famille d'aulos, répondant aux cinq tessiture de la voix humaine . En calculant les dimension approximatives des instruments d'après la taille des personnages sur les vases , on peut établir la classification[27] suivante :

a)soprano(de 20 à 30 cm)
b)alto(de 40 à 50 cm)
c)ténor (de 50 à 80)
в)baryton (de 80 à 1 m)
c) basse (1 m et plus)

Selon les trouvailles archéologiques , la taille moyenne se situe autour de 40 cm, sur les vases nous voyons plus souvent l'alto, le ténor et la baryton (fragment d'un cratère du musée de Khérsonèse № 2877/09)(fig. 6), un cratère du musée historique de Kiev avec l'image d'une scène théâtrale(fig. 7), une péliké du musée de Jalta(№ 502)(fig. 8). Sur de nombreux vases, les tuyaux sont dessinés égaux : ainsi l'aulète pouvait, de les doits posés à plat, boucher en même hauteur, sur les deux tubes placés en parallèle. A ce cas on faisait l'effet de la stéréophonie. Si on bouchait les trous situés à l'hauteur différent, on produisait l'intervalle. Nous ne voyons presque pas des aulos à tubes inégaux sur les vases – par exemple un basse –baryton, ets.

L'instrument à cordes le plus courant était la lyre. A la différence de la cithare lourde, dont il fallait tenir verticalement et celui qui joue de la cithare devait être débout, la lyre plus légère permettait à la pencher pendant le jeu , danser avec elle sans arrêter à jouer la mélodie. On tirait le son à l'aide d'un plectre – une lame forte de fer ou d'os. Dans la plupart des cas, la main droite tient le plectre, les doigts de la main gauche bloquaient certains cordes pour émettre des sons différents. Primordialement, c'était la carapace d'écaille qui servait du résonateur. Elle était couverte de cuir. Les bras(à l'origine cornes de bovidés ou d'ovides) et la traverse tenaient et tendaient les cordes.

masques comiques et tragiques de terre cuite, dont la plupart est faite dans cette région . Sauf les représentation, aux théâtres y avaient lieu les concours de musique et littéraires, par excellence, à l'époque hellénistique. A Khérsonèse s'est conservée l'inscription du catalogue des concours de musique. Les maîtru existaient aussi – les musiciens professionnels[21]. Le musicien et poète de Bosphore Isill(à la première moitié du III s. av. J.-C.) participait aux concours de musique à Dêlphes[22]. A Mirmécée on a trouvé une épitaphe du flûtiste Pasaphilicatos (IV s. av.J.-C)[23]. Au cours du fouilles on a trouvé beaucoup d'artéfacts qui prouvent une large diffusion de différents instruments de musique dans la vie quotidienne des habitants – on a fouillé les fragments de la flûte, de la ryre, les terres cuites avec les images de la syrinx, de l'harpe, de la cithare, du tympanon . La plus grande partie de l'information nous donnent les images sur les vases couverts de peinture fouillé dans les cité du littoral septentrionales de la Mer Noire. Elles nous représentent les goût d'art de la population indigène. L'abondance des images des scénes avec des musicien étonne – ce sont des danses avec accompagnement musical, des scènes de théâtre, des festins, des loisirs. Un tel choix des sujets de la peinture s'avère par des documents antiques sur l'amour des Grecs à la musique, au chant et aux danses.

Les instruments de musique des Grecs étaient simples, leur son n'était pas fort, ils ne permettaient pas de montrer la maestria, on les utilisait pour accompagner au chant et à la danse. On connait les instruments à cordes suivants : la lyre, la cithare, la harpe ; les instruments à vent : la flûte, la syrinx, la salpinx , le kéras ; on utilisait les instruments à percussion (le tympanon, les crotales) pendant la danse pour donner le rythme. D'ordinaire le rythme predominait sur la mélodie dans la musique grecque. Dionysos de Halicarnasse ecrivait que les mélodies charmaient l'oreille et le rythme l'excitait[24].

L'instrument à vent le plus courant est l'aulos-chalumeau hellénique nous rencontrons le plus souvent sur nos vases. L'aulos simple est coustitué par un tube de perce cylindrique ou conique, muni d'un embout où se fixe l'anche et de deux ou trois éléments mobiles en forme d'olive[25]. Un pavillon le complète parfois. L'instrument le plus curant est l'aulos double(diaulos), composé d'un double chalumeau dont les tuyaux, distincts et complémentaires, sont sonnés simultanément, les anches enfoncées complètement dans la bouche, et chaque main agissant sur l'un d'eux. C'est par les mouvements des tubes dans l'espace qu'on obtenait les ressources sonores que procure notre système de clefs. Sur

« Pazyrykski » et dans le 5 ème kourgane « Rogozinski », et 1 - à l'Oural, dans le 8ème kourgane « Metchetsaïski »(fig.4)[14]. Une telle glace représentait un disque rond composé de deux moitiés liées avec une queue. Une moitié était absolument lisse et servait de glase, une autre moitié avait une convexité et elle était remplie de petites goutes d'étain qui rendaient de beaux sons mélodiques à l'ébranlement. Ces glaces sont trouvées dans les sépulcres des femmes. Les femmes enterrée étaient danseuses et musiciennes. Ce fait est prouvé par ce que une enterrée dans ce 8ème kourgane « Méchétsaïski » avait aussi un instrument du type de la dombra[15]. Il faut noter la popularité des crécelles, des hochets, des clochettes qui rendaient un bruit rythmique musicale. Les Scythes aimaient faire une promenade « avec une clochette », aux decorations de fête des chevaux scythes on trouve des parures du cou avec des clochettes de cuivre et des pendeloques [16]. On trouve des clochettes et dans les sepulcres[17]. Ce sont des apotropées qui chassaient des esprits malins. Sur les bouts des bâtons rituels suspendait aussi des clochettes, en dedans on mettait une bille de fer(fig. 5)[18]. On peut supposer l'existence des crécelles fabriquées de l'astragals, des vertébres des animaux – on les trouve à l'abondance aux cités et dans les tombeaux des Scythes[19].

La musique jouait un grand rôle dans la vie des Grecs anciens ils pensaient que la musique, la poésie et la danse exprimaient les sentiments de l'homme à l'aide des sons, des gestes et des mots. Elles serraient à adoucir et à calmer les sentiments, à purifier le coeur (catharsys). La musique s'est separée de celte chorée(cette triade)- selon T.Zelinski – et s'est appropriée sa fonction dominante de l'art expressif – servir à exprimer les sentiments[20]. Avec cela, elle conservait la liason avec la culte et la réligion: on chantait le péan à l'honneur d'Apollon, le dithyrambe – à l'honneur de Dionysos, les prosodies – pendant les processions. La musique était une partie des mystères, on l'estimait comme le don des Dieux , on l'attribuait des caractéristiques particulières, une force magique, lui était naturel de charmer, d'enlever la latitude de l'homme et des animaux. Les sectes orphiques pensaient que la musique pouvait libérer l'esprit du corps pour un certain temps.

La culture musicale des villes-colonies grecques du littoral septentrional de la Mer Noire était très élevée. A Khérsonèse, on a fouillé le théâtre antique unique sur le littoral Nord-Pontique(mais les sources anoncent qu'il y avait encore des théâtres dans les autres villes de cette région).Aux théâtres on mettait en scéne des tragédies et des comédies ce que attestent les inscriptions et les images des acteurs et les

trouvailles archéologoques permettent de voir ce problème autrement. Les Scythes avaient ses propres instruments à cordes primitifs dejà à l'époque archaïque et à l'époque classique. Le plus ancien date VI s. av. J.-C.

Il est trouvé à l'Oural, dans un sépulcre du deuxième kourgane « Bachadarski ». C'est « une harpe scythe » - un instrument à cordes pincées, sa caisse était faite d'une morceau de bois , la membrane de cuir était collée au bois. Le support des cordes était mis à un trou special sur la caisse[8]. Dans le sépulcre de femme riche du 8ème kourgane « Metchetsaïski »[9] on a trouvé l'instrument du type de la dombra. Dans le deuxième kourgane «Pazyrykski»[10] à Altaï , daté V s. av. J.-C. on a trouvé encore un instrument à cordes dont la réconstruction proposée à B. N. Basilov permet de voir le plus ancien instrument à archet du type du violin (fig.1). Son corps était fait d'un morceau de bois – il représente un billot vide rétreci au milieu , elle se fermait par une mémbrane fixée par des clous, au milieu était une table d'harmonie - une petite planchette à un dessin ciselé . Les deux cordes étaient fixées sur le support des cordes et sur un manche. A l'aide de l'archet on tirait des sons. Cet instrument appartenait à un homme et le jeu avait une signification rituele. Un scythe jouant de l'instrument du type de la cithare(fig.2) est représenté sur une planchette d'or d'une coiffure du kourgane «Sakhnovski » (IV s. av. J.-C.). Les savants soulignent d'habitude le caractére rituel de cette scène[11]. Ce qu'il y a de particulier c'est que l'action de culte est accompagnée du jeu de l'instrument de musique. Probablement, la femme tient à la main une glace-crécelle musicale qui donne le rythme à l'oeuvre interprétée. Principalement, c'étaient les Scythes – homme qui jouaient des instruments à cordes. Ainsi, "l'arrière violon" du deuxieme kourgane « Pazyrykski » mentioné si-dessus est trouvé dans le sépulcre d'homme. « La harpe » mentionée si-dessus est trouvée dans le sépulcre de couple de l'homme(du roi) et de la femme(de la concubine) . Selon V. N. Basilov, cette coutume de l'appel au dieu à l'aide du jeu de l'instrument à cordes était le privilège du roi-sacrificateur et cette tradition est conservée jusqu'à present dans cette région chez les Kazakhs ce n'étaient que les chamans qui jouaient d'un instrument de musique pareil – « kobyz »[12]. Plus tard, les Scythes utilisaient la lyre grecque pour ce but . Dans le crypte des Scythes № 9(II-III ss.) de la nécropole de Neapolis de Scythie – capitale des Scythes, est représenté un homme jouant d'une lyre(fig.3)[13]. Dans les tombeaux scythes et sarmates on a trouvé des glaces-crécelles musicales, 2 - à Altaï dans le 2 ème kourgane

Les écrivains grecs notent, à l'unanimité, l'indifférence des Scythes à la musique, leur goût peu développé . Hérodote qui a donné la description en détail de la vie quotidienne des Scythes, notait qui'ils évitaient des emprunts des coutumes étrangères. A titre d'exemple, il raconte l'histoire de la mort du sage scythe réputé Anacharsys (Herodt, IV, 76-80).

Une telle négation du culte des dieux étrangers et l'attitude négative envers les instruments de musique grecs était assez ferme chez les Scythes . Domitius Callictratus , au I siècle av. J.-C. revient à l'image du sage scythe – il met dans sa bouche une malédiction à la flûte (Domit. Callicr.Epist., 6).

Plutarque (v.50 - v.125) dans ses « Oeuvres morales » cite des sentances des rois et des générals, et y compris, du roi scythe Atéi qui a dit qu'il préfèrait l'hennissement du cheval au jeu du flûtiste Isméni (Plutarch. Moralia, At).

L'auter des scholies de « L'Analytique tardive » d'Aristote[7] mentionne de nouveau le sage scythe Anacharsys qui expliquait l'absence des flûtistes chez les Scytes par l'absence de la vigne et de l'ivrognerie (probablement, les Scythes comme et les Grecs, pensaient que le jeu de la flûte était lié étroitement avec la consommation du vin pendant les festins - symposiums collectifs et d'autres rites grecs liés avec Dionysos).

Il en résulte que les Scythes n'avaient pas absolument de musique, de chant , de jeu des instruments de musique. Est-ce possible ? Plutarque dans les «Vies parallèles », à la biographie de Démétrios I[er] Poliorcète mentionne d'une coutume scythe étrange de pincer les cordes des ares pendant les festins (Plutarch. Vitae, XIX). La corde d'arc tendue donne le son vibrant agréable - c'est un prototype de tous les instruments à cordes. Quant an chant, nous n'avons qu'une mention chez Aristote. Dans ses « Problèmes » en s'efforçant de trouver l'origine du mot grec « νόμοι » il mentionne une coutume d'une des tribus scythes de chanter les textes des lois (Aristot. XIX, 28).

Julius Polydeucus, grammairien et sophiste du II s. écrit qu'un instrument de musique à 5 cordes était inventé par les Scythes. Il était lié par 2 courrois de cuir d'oeuvre , en qualité de plectre on utilisait les sabots de chèvre. Il disait encore que les Scythes utilisaient les os des milans et des aigles en qualité des flûtes (Ονομαστικόν,IV. 60,76).

L'analyse des sources antiques nous persuade que selon les Grecs, l'art de musique était dévelopé faiblement chez les Scythes et des autres barbares du littoral septentrional de la Mer Noire. Mais les

La musique dans la vie des barbares et des Grecs qui habitaient le littoral septentional de la Mer Noire

I. Vdovichenko,
N. Khlebko, Ukraine

La culture musicale des Grecs et les barbares qui habitaient le littoral septentrional de la Mer Noire dans l'antiquité est encore peu étudiée. De plusieurs recherches archéologiques ont donné beaucoup de trouvailles, mais elles n'étaient pas interprétées comme il fallait. Notre travail vise à reconstituer quelques traits de la culture musicale des habitants de cette région, en nous appuyant sur les auteurs antiques et sur les trouvailles archéologiques. Nos tâches concrètes ont abouti à révéler les traits caractéristiques et les particularités de la culture musicale des Hellènes - d'un côté, et des barbares (des Scythes et des Sarmates) d'un autre coté, et à déterminer les instruments de musique des habitants de cette partie de l'oecumène antique dans la vie quotidienne, dans les rites des religions, au théâtre.

Les recherches assez circonstanciées consacrées à la culture musicale de l'Antiquité, aux instruments antiques de musique sont faites par les savants américains et français. Marta Maas dans son oeuvre "Stringed Instruments of Ancient Greece"[1] a examiné l'origine des instruments à cordes, la technologie de leur fabrication, les mythes et les cultes dont ces instruments sont liés de l'avis des anciens. Daniel Paquette[2] caractérise un autre aspect – l'utilisqtion des instruments de musique dans des différents domains de la vie de la société antique. Sûrement, c'est le matériel dont l'auteur travaille – les vases couverts de peintures représent les images des plusieurs scénes avec des instruments de musique.

A regret, il n'existe pas de recherches détaillés au sujet de la culture musicale des colonies grecques du littoral septentional de la Mer Noire . On peut trouver des renseignements laconiques dans un petit chapitre consacré à la culture des villes antiques dans l'édition en peusieurs volumes « L'archêologie de l'URSS de la haute antiquité au Moyen Age »[3]. E.E. Fialko a recueilli de certains renseignements sur la culture musicale des Scythes dans la partie «L'Art des peuples de Scythie la Grande »[4]. V. M. Basilov[5] et T. M. Kouznetsova[6] examinaient aussi les instruments de musique des Scythes .

II- The lost works

- *Al-Risāla Al-Murḍiyya fī Ṣinā'at Al-Djundiyya.*[110]
- *Fann al-Ḥarb.*[111]
- *Rīsālat al-Taḥqīq fī Ṣūr'at al-Tafwiq.*[112]
- *Aqqṣā al-Amad fī al-Rad 'Ala Monker Ser al-'Adad.*[113]
- *Kitāb al-Kashf wal-Baiyān.*[114]
- *'Eqd al-Slūk Fīmā Yalzam Djalīs al-Mlūk.*[115]
- *Al-Ta'ābī al-Qamariyya.*[116]
- *Al-Dorru al-Thamīn fī Aḥwāl al-Motaqadmīn.*[117]

---

[110] *Al-Adilla,* p. 103; *Uns al-Malā,* pp.15-16.
[111] Maher, S., *Al-Baḥriya fī Miṣr al-Islāmiya,* Cairo, 1967, p. 7. (in Arabic)
[112] *Al-Tadbīrāt,* p. 56.
[113] *Al-Adilla,* p. 105; *Uns al-Malā,* p.15.
[114] *Al-Adilla,* pp. 104, 222; *Uns al-Malā,* p.16.
[115] *Al-Tadbīrāt,* p. 10; *Uns al-Malā,* p.16; *Al-Adilla,* p. 103.
[116] The editor of *Al-Adilla,* p. 104, mentions only this work.
[117] The editor of *Al-Adilla,* p. 105, mentions only this work.

2. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2839, which is written in the author's hand.

- *Kitāb Uns al-Malā bi-Waḥsh al-Falā.*[104] There are two copies only of this work as follows:

1. One is preserved in the Egyptian National Library no. 12 *Ṣena'a 'Arabī.*
2. One is preserved in the *bibliothéque nationale* of Paris no. 2832.[105]

- *Kitāb al-Ḥiyal fī al-Ḥurūb wa Fatḥ al-Mudun wa Ḥifz al-Durūb*[106] [Book of Deceits of Wars and Conquest of Towns and Defense of Passes]. There are many copies of this MS. as follows:

1. Two copies in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2875 and 3187.[107]
2. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Ass'ad Efendī*' at Istanbul no.1884.
3. One is preserved in the Library of the Museum of '*Top Kapu Serai*' at Istanbul no. 3469/7418A.[108]
4. One is preserved in the Library of the University of Leiden no. OR. NR. 499.
5. One is preserved in '*al-Khizāna al-'Amma*' at Rabat, Morocco, collection of al-Gallawy no. 43G.
6. One in '*al-Khizāna al-Malakiyyā*' at Rabat, no. 2850.

- *Al-Manhal al-'Adhb l-Wurūd Ahl al-Ḥarb*[109]. There is only one copy of this work in the Library of al-Solimaniya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2839.

---

[104] Ed. by M. E. Ṣalḥiya, infra. note no.5.

[105] Ed. and French trans. by Florian Pharaon, Paris, 1880.

[106] Ed. by N. M. 'Abdel-'Āzīz, Cairo, 2000.

[107] M. Khaṭāb mentions that their numbers are 3086 and 3087. Cf. *Al-Adilla*, p. 102.

[108] There is a photocopy of this one in the Institute of Arabic Manuscripts at Cairo no. 19 *Frusiyya.*

[109] This work is mentioned in *Al-Adilla*, pp. 199, 214; *Al-Tadbīrāt*, p. 22.

3. Two are in the Egyptian National Library nos. 25749, 27997.[101]

- *Al-Tadbīrāt al-Sulṭāniyya fī Siyāsat al-Ṣinā'a al-Ḥarbiyya* [Sultans' arrangements in the policy of war's construction]. There are many copies of this work as follows:[102]

1. One is preserved in the Egyptian National Library no. 1147B.
2. One is preserved in the Egyptian Military Museum no. 379.
3. One is preserved in the Library of '*al-Baladiyya*' at Alexandria no. 76.
4. One is preserved in the British Museum Library no. P. 6019-Or.3734.
5. One is preserved in the Oriental Institute at Leningrad no. 213.
6. One is preserved in the Library of the University of Leningrad no. 762.
7. One is preserved in the Library of the Institute of Asian & African Peoples at Petersburg no. 726C.
8. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2856.
9. One is preserved in the National Library of Tunisia no. 3254.

- *Al-Adilla al-Rasmiyya fī al-Ta'ābī al-Ḥarbiyya.*[103] [The Official Evidences in the Arrangements of the Soldiers]. There are two copies of this work as follows:

1. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2875. A photocopy in the Institute of Arabic Manuscripts at Cairo no. 1 *Frūsiyya*, of this copy.

---

[100] 'Abdel-Dā'im, the editor of this work, says that this is the only copy of this MS. from which there are many photocopies. *Al-Aḥkām*, p. 15. In fact, there are four different copies of it in the Egyptian National Library itself. Its microfilm's number in the library is 57.

[101] There is no microfilm to these copies. So, it is not easy to deal with it.

[102] A photocopy of the copy of British Museum no. P. 6019-Or.3734 is preserved in the Central Library of Cairo University no. 26337. Another photocopy of the copy of the Egyptian National Library no. 1147B is preserved in the Library of the Scientific Council of Iraq no. 646. This copy has been published by S. M. al-Gamīlī in *Al-Mawrid Magazine* of Iraq, vol. 12, 4(1983), pp. 319-378.

[103] Ed. by M. S. Khaṭāb, infra. note no. 6.

Leo's work. Then, these *al-Rūm* Mamluks told Ibn Manglī with the importance of the military treatise of Leo the Wise and translated it or some selected chapters directly into Arabic. Thus, Ibn Manglī became able to read it well by their assistance and concept its military importance.[98] I think that the last assumption is acceptable, because *al-Rūm* Mamluks were known well the Byzantine military treatise of the beginning of the 10th century, the *Tactica,* more than the other races of the Mamluks.

Appendix
A list of Ibn Manglī's works

There are many works of Ibn Manglī from which we have some treatises but the other are lost. This list contains two categories, the first shows the remaining works but the other shows the lost works.

I- The remaining works

- *Al-Aḥkām al-Mulūkiyya wal-ḍawābeṭ al-Nāmūsiyya fī fann al-Qitāl fī al-Baḥr* [99] [The Royal Orders and Divine arrangements in the art of naval warfare]. There are many copies of this work as follow:

1. One is preserved in the Egyptian National Library no.14790 '*Fenōn Ḥarbiyya'*.
2. One is preserved in the Egyptian National Library no. 23 '*Frūsiyya / al-Khizāna al-Taimoriyya'*.[100]

---

[98]Dr. I. Pahlitzsch provided me also with another hypothesis that the most probable way for Ibn Manglī to learn Greek was from the Melkites in Egypt. There has been Greek clerics (the patriarch, bishops and priests) and monks in Egypt. I couldn't accept his opinion because of the Mamluks were a separated order in the Egyptian society. They had keep their independent character and didn't mix with any race of the Egyptians. At the same time they didn't allow to the Egyptians to serve in the Mamluk army as soldiers. Cf. Sa'īed 'Ashor, *The Mamluk Era in Egypt and Syria,* Cairo, 1965, p. 310 (in Arabic); Ibrahiēm Sa'īed, *The Army in the time of Mamluk Sultans*, p. 17. On the other hand, the Melkites were a closed minority and Muhammad Ibn Manglī, as a Moslem, had has no necessity to contact with them to study the Greek.

[99]Ed. by M. 'Abdel-Dā'im, infra note no. 7. There are two photocopies of the copy of the Egyptian National Library no.23 *Frūsiyya / Taimour* are preserved in the Library of the Faculty of Arts, University of Alexandria and in the Library of the Egyptian Military Museum.

Manglī was the first writer who has used Byzantine, military texts translated into Arabic. Moreover, it should be remembered that Ibn Manglī was fond of collecting the books in any language, either in Arabic, Persian, Greek, or Indian.[92]

Lastly, he says also that in the *Tactica* of Leo the wise there are wonderful laws to know how to fight the Moslems, and he will explain this book afterwards. These words refer clearly to the chapter eighteen, which was interested in the neighbors of Byzantium, especially the Arabs.[93] Leo when he wrote this chapter about the foreign nations, he had the Arabs in his mind and the way they could be confronted. He says explicitly that he gave all these details about war tactics because of the Moslems.[94] This matter is confirmed by Ibn Manglī himself, when he says that Leo the Wise had written his *Tactica* to inform his soldiers how to fight the Moslems.[95]

Any way, may be Ibn Manglī had a complete copy or an epitome of the *Tactica*[96] in Greek and he has read it in its original language not in Arabic, either by him self or by the assistance of someone.

So, the questionable point is: Did Ibn Manglī know the Ancient Greek? Or who did help him to read it? We have no evidences to answer on these questions, but I assume that he learned the Greek from the Mamluks who came from *Bilād al-Rūm*,[97] i.e. Byzantium, especially who were under his commandment and well known his fondness of collecting the books in any language, either in Arabic, Persian, Greek, or Indian. Probably, they gave him a copy of

---

[92]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 18.
[93]Leo VI, *Tactica*, Cols. 946-988.
[94]Kolias, *The Taktika*, p. 130.
[95]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, p. 20.
[96]It should be noted that there is an epitome to the *Tactica* of Leo the Wise, which is called *L' extrait tactique tiré de Léon le sage*, ed. et trad. par A. Dain, Paris, 1942.
[97] Al-Maqrīzī mentions that the Mamluks were brought from *Bilād Uzbic, Bilād Tūrīz, Bilād al-Rūm* and Baghdad. Some Mamluk Sultans such as al-Malik al-Nāṣir Muḥammad Ibn Qalāwūn, paid much money to the slaves' merchants to bring Mamluks from these countries. See Maqrīzī, *Al-kiṭaṭ*, II, p. 214. Cf also Ibrahiēm Sa'iēd, *The Army in the time of Mamluk Sultans*, p. 62. Maqrīzī adds that there was a market in Cairo called *Souk al-Suofiēn* in which the merchants sold their Mamluks of *al-Turk* and *al-Rūm*. See Maqrīzī, *Al-kiṭaṭ*, I, p. 374.

on board.[84] In the Greek text of Leo the Wise it is stated first that a hand-picked force of fighting men must be embarked and then that the admiral's ship must be bigger and faster. [85]

Ibn Manglī explained also the meaning of the name of Leo the Wise, which is a name to the lion in Greek.[86] In another place he refered to a sort of the Byzantine ships which was called *Dromon.*[87] He called this ship in Arabic pronunciation *Adromons*[88] or *Adromon.*[89] He stated that is a Greek word and means *al-Mashaya,* i.e. the voyager, which was the suitable ship for the fleet's admiral.[90]

Besides the textual indications and evidences, which show that Ibn Manglī has read the *Tactica* of Leo the wise; he said that he would explain this book to the soldiers afterwards.[91] So, it is probable that the copy of the *Tactica,* which was used by Ibn Manglī, was not in Arabic, and may be in Greek. Then, he would explain it for his soldiers. I think that if the *Tactica* was translated into Arabic, it must have been famous in the Moslem world at that time or at least during the hard struggle between Moslems and Byzantines, i.e. the Ummayad and 'Abbasid periods. On the other hand, this is the first time in which the *Tactica* was mentioned in the Arabic writings. Any way, Ibn

---

[84]Ibn -Mankali, *Al-Aḥkām,* p. 122.

[85]*Naumachica,* p. 27; Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI,* p. 85.

[86]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt,* p. 15.

[87]For this kind of ships see, Al-Nakhīlī, D., *Al-Sufun al-Islāmiyya 'alā Ḥurūf al-Mo'djam,* Alexandria, 1974, pp. 46-48. (in Arabic)

[88]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām,* p. 20.

[89]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām,* p. 122. Ibn Manglī uses the term *adromon* in its arabized form for the average "ship in line". He didn't identify it with the Moslem type of ships known as *shalandī* or *shinī.* Ahrweiler points out that in the 9th and 10th centuries there was no deference between the warships called "δρόμων" and "χελάνδιον", and that these terms were indiscriminately used in Byzantine texts. Ahrweiler, H., *Byzance et la mer,* Paris, 1966, p. 415; Christides, *Naval warfare,* p. 140. Christides believes that the Arabic terms *shalandī* or *shinī* were likewise synonyms in Arabic texts by the 10th century and roughly corresponded to the regular type of the Byzantine *Dromon.* When the Arabic sources refer to average Byzantine warfare, they usually call them *shalandī* or *shinī.* See, Christides, *Naval warfare,* pp. 140-141.

[90]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām,* p. 20.

[91]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt,* p. 37.

the following nations the Franks, Byzantines, Turks, Arabs and Kurds.[75]

The *Tactica*, in chapter fourteen,[76] and *al-Adilla*, in chapter sixteen,[77]speak of the ambushes and their importance before and during the battle. The *Tactica* also, in chapter fifteen,[78] and *al-Adilla*, in chapter nineteen,[79] speak of the siege of fortresses. Finally, there is a closed common tie between the *Tactica* and *al-Adilla* in the naval warfare. Leo the Wise called his chapter Περὶ ναυμαχίας,[80]i.e. on the naval warfare, but Ibn Manglī called his chapter *Nukat fī Qitāl al-Baḥr*,[81] i.e. subjects on the naval warfare.

According to this comparison between the contents of Leo's *Tactica* and the contents of Ibn Manglī's *al-Adilla* it is clear that the latter was influenced by Leo the wise. This may aid us to confirm that Ibn Manglī has read the *Tactica* carefully, either in Greek or in Arabic.[82]

There are some indications in the works of Ibn Manglī, which aid us to declare that he had somewhat knowledge of the Ancient Greek, and he has read the *Tactica* in Greek not in Arabic, either by him self or by the assistance of someone.

Ibn Manglī always uses Greek terms in his writings, for instance he states that the tubes of the Greek fire, *al-anabīb,* which were situated in the front and the back of the ships, were called in Greek σίφων, in Arabic pronunciation *Sifoniya.*[83]

In another case the Arabic translation found in Ibn Manglī states that the warship must be bigger and faster and then adds that the admiral must be in a warship which has an elite squad of fighting men

---

[75]Pp. 189-195.
[76]Cols. 863-870.
[77]Pp. 199-200.
[78]Cols. 886-907.
[79]Pp. 216-234.
[80]Col. 989-1013. see also, *Naumachica*, pp. 19-33.
[81]Pp. 241-256.
[82]We have not a complete and modern translation to the *Tactica* up to now, which is full of difficult, military terms.
[83]Ibn Manklī , *Al-Aḥkām*, p. 124; *Al-Adilla*, pp. 241-242.

somewhat knowledge of the ancient Greek. But this conclusion needs to be substantiated evidences.

It will be obvious that there was a pure Byzantine influence on the method of Ibn Manglī in his writing of *al-Adilla*, if we compare between the contents of *al-Adilla* and those of the *Tactica*.

Leo VI begins his *Tactica* with a general introduction to show his aim from the writing that book,[62] and so Ibn Manglī does in *al-Adilla*.[63] Chapters two of the *Tactica*[64] and *al-Adilla*[65] speak of the Leader's advantages and qualities. Chapter three of the *Tactica* speaks of the military advice,[66] which corresponds, to chapter five in *al-Adilla*.[67] Chapters five and six of the *Tactica* speak of the arms and military equipment,[68] and the same subject is found in chapter eight of *al-Adilla*.[69] Chapter eight of the *Tactica* speaks of military punishments[70] and so chapter four of *al-Adilla*.[71] In some chapters of the *Tactica* Leo the Wise speaks separately of the military arrangements of the troops,[72] but Ibn Manglī speaks continuously of this subject in many chapters.[73]

In chapter eighteen of the *Tactica*, Leo the Wise presents a general view on the art of war of Byzantium's neighbors such as Turks, Bulgars, Scythians and Arabs.[74] On the other hand, Ibn Manglī followed the same method of Leo the Wise when he speaks in the twelfth chapter of *al-Adilla* on the same subject, whereas he mentions

---

[62]Leo VI, *Tactica*, Cols. 671-679.
[63]Ibn Manglī, *Al-Adilla*, pp. 139-146.
[64]Cols. 682-694.
[65]Pp. 149-150.
[66]Cols. 693-698.
[67]Pp. 155-157.
[68]Cols. 718-734.
[69]Pp. 171-175.
[70]Cols. 763-767.
[71]Pp. 153-154.
[72]Cols.755-761; 807-842; 982-986.
[73]Pp. 176-188; 196-198; 202-203.
[74]Cols. 946-988.

من المقاديف والحبال والقلوع والغرى والصوارى، وفاضل من العود المنجور والمشاق والزيت السائل والـــــــــيابس..." .

Translation: " You must have the type of ship known as *adromonos*, *dromonos* in Greek.... In every ship you should have whatever is necessary for it and even double the number of articles needed, such as oars [and/or steering oars], ropes, coils, sails, rods [supporting the sail], masts.[And let them have] some extra curved wood, and also oakum, dry and liquid tar..."[57]

There are the same words in the *Tactica* of Leo the wise:[58]

"Κατασκευασθῆναι δὲ καὶ δρόμωνας καταρκοῦτας πρὸς ναυμαχίαν...' Εχέτωσαν δὲ καὶ πάντα πρὸς ἐξαρτισμὸν δρόμωνος ἀπαραλειπτὰ καὶ διπλᾶ, οἷον αὐχένας, κώπας, σκαρμούς, σχοινία, κάρυα, καὶ τὰ ἄρμενα δὲ αὐτῶν καὶ κεφαλάρια καὶ κατάρτια καὶ ὁπόσα ἄλλη ἢ ἄλλη ἡ ναυτικὴ τέχνη πρὸς χρείαν ἀπαιτεῖ.' Εχέτω δὲ καὶ ἐκ περισσοῦ ξύλα τινὰ ἐγκοίλια καὶ σανίδας καὶ στυππία καὶ πίσσαν καὶ ὑγρόπισσον..."

Translation: " You must construct *dromons* suitable for sea-battle... They [the ships] should have whatever is necessary to probably equip a *dromon*, without any shortages and even with double the number of what is needed, as for example: steering oars, oars, toggles, ropes, coils, their sails, architraves, masts, and whatever else naval craft requires. And let them also have extra round wood planks, and oakum ant tar and liquid tar..."[59]

There are also many indications to the *Tactica* of Leo the Wise in the Ibn Manglī's works *Al-Aḥkām*[60] and *Al-Adilla.* V. Christides studied some of the passages of Leo the Wise's Tactica, which are interested in the naval warfare and used by Ibn Manglī in his works.[61]

If we examine the above-mentioned passages that Ibn Manglī used the *Tactica*, we may conclude of course that he fully understood its passages and the military technical terms, and may be he had a

---

[57] Christides, *Naval warfare*, p. 140.

[58] *Naumachica*, ed. A. Dain, Paris, 1943, p. 19 § 3, p.20 § 5.

[59] Christides, *Naval warfare*, p. 140.

[60] Pp., 3, 20-22, 122-125.

[61] Cf. Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, pp. 85-96; idem, *Naval warfare*, pp. 137-148.

used an important passage, which is similar to the other of Ibn Manglī completely, whereas he said:[52] " Τακτική ἐστιν ἐπιστήμη πολεμικῶν κινήσεων."

Translation: "Warfare is the science of battles' movement." Ibn Manglī says also:[53]

" تحرك المقاتلة علي قسمين، قسم يتعلق بكيفية القتال على الخيل وقسم يتعلق بكيفية القتال على الأقدام "

Translation: "Soldiers' march is on two divisions, one fights on horse and other fights on foot...". The same words are mentioned in the *Tactica* as follow:[54]

"Τοῦ δὲ μαχίμου μέρους, ἤγουν πολεμικοῦ στρατοῦ, τὸ μέν ἐστι πεζικὸν τὸ δὲ καβαλλαρικόν. Καὶ τὸ μὲν ἰδίως πεζικὸν τὸ ἐπὶ γῆς ἱστάμενον, τὸ δὲ καβαλλαρικὸν τὸ ἐπὶ τῶν ἵππων ὀχούμενον. "

Translation: " The fighters are divided into footmen and horsemen. The footmen who remain on land, the horsemen who mount the horses."

Frankly, Ibn Manglī mentioned that Leo the Wise said: [55]

"وأما ما يكون عليه المقاتلة وقت الحرب فيكونون أربعة مقاتل جميعاً، أو ستة عشر. والستة عشر في العـــدد هو زوج الزوج. قال ذلك لاورن الملك اليوناني في كتابه الذي سماه مراتب الحروب، وهو كتاب جيد ينبغي للجند أن يطالعوه، فإن فيه قانون غريب في ترتيب القتال."

Translation: " During the war, the arrangement of the soldiers is four by four or sixteenth. In numbers, the sixteenth is double of doublet In his book, which is called *marātib al-Ḥurūb* (τακτικὰ πολεμίων = *Tactica*), Leo, the Greek king, said those words. It is a good book, it should be read by the soldiers, in which there is a strange law in war arrangement."

Ibn Manglī in *al-Aḥkām* says:[56] " ينبغى أن يكون صفة مراكبك التى تسمى ادرومنس ، ادرومنس باليونانية ،... ويكون فى كل مركب من العدد التى يحتاج إليها عدد مضاعفة

[52]*Tactica*, Col. 680.
[53]*Al-Tadbīrāt*, p. 37.
[54]*Tactica*, Col. 680.
[55]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 15.
[56] Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, pp. 20-21.

الـــذى سماه مراتب الحروب رأيتـــ[ـــه] كتاباً نفيساً صالح مطالعته للجند، ولمن يبتغى الجهاد في مرضـــاة الله تعالى ؛ وفيه ضوابط عجيبة تختص بقتال المسلمين. وقصدُ الداعي أن يشرحه إن شاء الله تعالى، هذا إن بقي من العمر بقية".

Translation: " When I read the book of the Greek Leo, which he called *marātib al-Ḥurūb* (τακτικὰ πολεμίων = *Tactica*) and I think that is a useful book to the soldiers and to those who want to fight for God's satisfaction. There are wonderful laws to know how to fight Moslems.[49] God willing, Ibn Manglī will explain this book afterwards..."

Thus, he confirmed that he has read the *Tactica* of Leo the Wise. But he didn't mention that if he has read it in Greek or in Arabic? And if he had a copy in Greek did he read it by himself or by the assistance of someone?

The textual evidences:

According to Leo the Wise Ibn Manglī mentions that :[50]

"صناعة الحرب هي المعرفة بكيفية تحرك المحاربة ، ويتهيأ لها... ولنرجع إلى شرح كلام لاون الملك في قوله صناعة الحرب هي المعرفة بكيفية تحرك المقاتلة... ".

Translation: " Warfare is to know how to move the fighters, and to be ready for it...we will return to explain the king Leo's words who says warfare is to know how to move the fighters... ".

This meaning is found in the *Tactica* of Leo the Wise who says:

" Ὥσπερ γὰρ οὐκ ἔστιν ὁλκάδι πελάγη διαπορυμεύεσθαι κυπερνητικῆς ἐπιστήμης χωρὶς, οὕτως οὐδὲ πολεμίους καταγωνίζεσθαι τάξεως καὶ στρατηγίας ἐκτὸς..."[51]

Translation: " As we couldn't navigate a ship without leadership's science, we couldn't also begin the wars and end it without knowledge of strategy and leadership's sciences..." Leo also

---

[48]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 37.

[49]T. Kolias believes that the Tactica of Leo the Wise was actually written as a war treaty almost exclusively against the Arabs (Moslems). Kolias, T., "The Taktika of Leo the Wise and the Arabs", *Graeco-Arabica*, 3(1984), p. 130.

[50]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, pp. 37,40.

[51]Leo VI, *Tactica*, ed. J. P. Migne, *PG*, tome 107 (Turnholti, 1978), Col. 677.

the books in any language, either in Arabic, Persian, Greek or Indian". He added that "it is the best friend for man".[43]

Thus, Ibn Manglī depended on a lot of countless Arabic writings, some of which reached us, but the other is lost. We can trace these writings but it may be difficult to study it, passage by passage in the works of Ibn Manglī. As a historian he says frankly that this or that author says... in another place he says that his father says... and sometimes he speaks depending on his own experience, i.e. he was honest in his writings.

Now, according to this concluded biography of Ibn Manglī it is obviously that he was born, educated and lived as a one of *awlād an-nās*.[44] So, because of the similarity of his life with the other of *awlād an-nās* we can declare that he was born in Egypt from a Mamluk (Turkish) father and was surnamed Muhammad, as a Moslem name.

Ibn Manglī and Leo the Wise

Ibn Manglī in three of his works, *al-Aḥkām* , *al-Tadbīrāt* and *al-Adilla*, has quoted some passages from the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise, which is written in Greek. So, the questionable point is: Did Ibn Manglī know Greek? Or did he have a simplified Arabic version of the *Tactica*?

Ibn Manglī in his work *al-Aḥkām*[45] uses the Arabic word "*waqaftu*", which Christides is thinking that it actually means to pay special attention, to devote particularly to something.[46] In Arabic Lexica the Arabic verb "*waqafa*" means, "the human has read..." or "saw..." [47] In other place Ibn Manglī says:[48] " لما طالعت كتاب لاون اليونان

---

[43]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.18.

[44] *Awlād an-nās* means the sons of the Mamluk Sultans and the Mamluks' sons who were born in Egypt not had been bought by the money like their fathers. Some times the historians called them Egyptians. For more details see Ibn Taghrī Bardī, *Al-Njūm al-Zāhira fī Mlūk Misr wal-Qāhira*, Vol. 10, Cairo, N.D., pp. 309-310. Cf Ibrahiēm Hassan Sa'iēd, *The Army in the time of Mamluk Sultans*, Unpublished MA. thesis, Cairo University, 1975, pp. 105-109.(in Arabic)

[45]p.3; Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p. 84. 'Abdel-Dā'im has mistaken when he read this word as "*waqa'tu*" (actually meaning that he found that book).

[46]Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p. 84.

[47]*Al-Mu'djam al-Wadjīz*, Cairo, 1990, pp. 678-679.

Translation: "The science of letters' secret is one of Sulṭan's arrangements, which was used by the ancient kings and never announced it even to their close friends. This science is one of the secrets, which has to be hidden. In war time, the Sulṭan advances, God give him the victory, and after he says 'In the name of Allah', draws by his lance these letters: ا ب ج د . هـ و ز . ح ط ى . ك ل م ن. س ع ف ص ق ر . ت ث خ ذ . ض ظ غ..."

Probably, he has took this science from the works of *al-Shayikh* abūl-'Abbās al-Būnī, who was mentioned many times in Ibn Manglī's works.[36] Al-Būnī had many books in the science of letters' secrets and its properties. He was a Moroccan scholar, who lived and died at Cairo in 622 AH. / 1225 AD.[37] Thus, if we assumed that he was studied in one of Cairo's schools, then he had to use its libraries beside the other public libraries of Mamluk Cairo. From these libraries he used many of the Arabic sources such as the important book of al-Māwardī's *al-Aḥkām al-Sulṭāniyya,* which he has used many times in his writings.[38] He also used the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise, from which he has quoted many passages[39] and was effectual on his method in the writing of *Al-Adilla.*[40] He has benefited also from Aristotle, who is mentioned many times.[41]This assumption will explain the wide knowledge of Ibn Manglī of many sciences.

These libraries may be stimulated Ibn Manglī's love of knowledge and urged him to collect the books and to have a private library. This fact is shown in the words of Ibn Manglī in his work *Al-Tadbīrāt al-Sulṭāniyya.*[42]He addressed his soldiers what about the importance of the books in the following words "you have to purchase

[36]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt,* p.8; *Al-Adilla,* pp. 92, 202.
[37]Ibn Manklī, *Al-Adilla,* pp. 92.
[38]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt,* p.48; *Al-Adilla,* p. 169.
[39]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām,* p.3; *Al-Tadbīrāt,* p.37. V. Christides and N. Serikoff studied some of these passages.
[40]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām,* p.3-4, 20, 122-124; *Al-Tadbīrāt,* pp. 15,37.Cf. Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI,* pp. 85-96.
[41]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt,* pp. 15-16.
[42]pp. 18-19.

Ḥakīm, al-Wāsīl...,".[28] Ibn Manglī often refers in some of his works to *Madhab al-Imām abū-Ḥanīfa al-Nu'mān* and to *Madhab al-Imām Mālik*.[29] So, I believe that he had to study in on of the Mamluk schools, in which there were the four doctrines of Islam, and he has chosen either *Madhab al-Imām abū-Ḥanīfa al-Nu'mān* or *Madhab al-Imām Mālik.*

Moreover, Ibn Manglī refers frankly to his teacher, who was 96 years old.[30] He never mentions his teacher's name but we can say that he was his military trainer,[31] who educated him the art of Mamluk war. He says about him: " I have seen the teacher (*al-Ustādh*), may God be pleased him, has took a belt to carry the sword...I have never seen any one of the soldiers or people more interested in the construction of the soldiery than him. He had 96 years and killed great numbers of Tartars in every battle, a company of the Franks and mountain's rebels. He fought all the battles of al-Malik al-Ẓāhir and the other kings. He died at the time of al-Malik al-Nāṣir Muḥammad Ibn Qalāwūn," [32] 684-741 AH. /1285-1341 AD. Ibn Manglī was sad very much for the death of his teacher.[33]

Ibn Manglī was fond of the science of letters and numbers[34] on which he described the arrangement of the armies. For instance, he says:[35] " من التدبيرات السلطانية علم سر الحروف فإن علم ذلك من جملة مهمات التدبيرات السلطانية. فمن ذلك مما جربه الملوك قديماً وكانوا يضنون به على خواصهم. وهو من الأسرار التي يتعين كتمها. إذا كان وقت الحرب فليتقدم السلطان نصره الله ويخط برمحه بعد التسمية هذه الحروف ا ب ج د . هـ و ز. ح ط ى. ك ل م ن. س ع ف ص. ق ر. ت ث خ ذ. ض ظ غ...الخ ".

---

[28]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 25. Cf. pp. 24, 37. (الشيخ الفاضل الحكيم الواصل...)
[29]Ibn Manklī, *Al-Adilla*, pp. 168-169, 170.
[30]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 26; *Al-Adilla*, p. 251.
[31]M. Khaṭāb believes that his name is *Ḥassan al-Rammaḥ*, who was famous at that time and had many of military treatises. See, *Al-Adilla*, p. 251, n. 105.
[32]Ibn Manklī, *Al-Adilla*, pp. 251-253.
[33]Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p.253.
[34]Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p.92; Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, pp. 3-5.
[35]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, pp. 3-4.

to *al-Madhāhib al-Arba'a*, i.e. the four Islamic juristic schools.[21] So, the internal courtyard of the school was divided into four parts, one for every doctrine's teaching. The school had *Khazā'in al-Kutub*, the libraries, which had a librarian to organize and repair its books. There were many teachers, demonstrators and students in every school.[22]

In these schools the students studied the Qur'ān, with its seven readings, *al-Ḥadīth*, *al-Tafsīr*, the Arab poetry, literature and the other intellectual sciences.[23] It might be noted that these are most of the sciences on which Ibn Manglī depended, in his writings. It is probable that the majority of the students couldn't obtain these sciences outside the school or at least without study in *al-Kuttāb*.[24]

Ibn Manglī also in his writings has mentioned this term "*al-'Ulama'*...",[25] i.e. the scholars, and of course he wants to refer to the teachers, who educated him. His description of some of these scholars shows that he has known their scientific dignity, the value of their writings and probably he has known some of them personally. For instance, he refers to 'Abd al-Mon'im al-Djiliānī, one of his authorities, saying: "*Al-Imām, al-Ḥabr, al- 'Allāma*...,"[26] to Ibn 'Abd al-Salām, another authority, saying: " *al-Shayikh, al-Imām, al-Ḥabr, al-'Allāma, Shayikh Mashāyikh al-Islām*...,"[27] and to Muḥammad Ibn Zakarīyā, one of his other sources, saying: " *al-Shayikh, al-Fāḍil, al-*

---

[21]These four doctrines are the doctrine of *al-Imām abū-Ḥanīfa al-Nu'mān*, of *al-Imām al-Shāfi'ī*, of *al-Imām Mālik*, and of *al-Imām Aḥmad Ibn -Ḥanbal*, which are for *al-Sunna*. See, Mez, A., *Die Renaissance des Islam*, Arab trans. M. A. Abū-Raidah, Cairo, 1995, pp. 293-296.

[22]'Abd al-Rāziq, A., *The Islamic Civilization in the Middle Ages: the Intellectual Sciences*, vol. II, Cairo, 1997, pp. 37-38.(in Arabic)

[23]See 'Abd al-Rāziq, *The Islamic Civilization*, II, pp. 38-39. For the Mamluk schools in Egypt, see Ibn Shāhīn al-Ẓāhirī, *Kitāb Ẓubdat Kashf al-Mamalīk wa Baiyān al-Ṭuruq wal-Masālik*, ed. P. Ravaisse, Paris, 1894. Reprinted in Cairo, 1988, pp. 30-32.

[24]*Al-Kuttāb* was a general place in which the boys and girls had took their primary education, especially the holy Qur'ān and other religious subjects. It was distributed in all the Islamic countries either in the East or the West. See, 'Abd al-Rāziq, *The Islamic Civilization*, II, pp. 21-25.

[25]Ibn Mankali, *Al-Adilla*, p. 204.

[26]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 21. (الإمام الحبر العلامة...)

[27]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 22. (الشيخ الإمام الحبر العلامة شيخ مشايخ الإسلام...)

just says that his father had fought in *Bilād Uzbik.*[16] We couldn't declare now that if Ibn Manglī was born in Egypt from a Turkish father and then he was surnamed Muḥammad or he had been brought to Egypt as a Mamluk.[17]

Now let us discuss the following question, which is dealing with his education: From where did Ibn Manglī take his sources and information? I think that we must try to trace his sources.

Unfortunately, neither Ṣalḥiya, who simply reports that Ibn Manglī was well educated, nor Serikoff tried to find a background about the life of Ibn Manglī and his education. They also didn't any effort to explain the actual sources of Ibn Manglī's numerous passages on geography and history. As far as we know that he was being thoroughly acquainted with the Qur'ān, the relevant religious literature and Arabic poetry, Ibn Manglī had a vast knowledge in other fields as well. For instance, there are detailed references in his works about North Africa and Cyprus. He must have been acquainted with the work of Ibn Ḥawqal, al-Maqqdisī, and other Arab geographers who are mentioned explicitly.[18]

Although there is no clear information on the life of Ibn Manglī, before he has undertaken his rank *Naqīb al-Djaish* in the Mamluk army at Alexandria, or his education, we can draw a somewhat view of it through some of his works.

It seems that he has taken his primary education in Egypt, as we will try to conclude. Muḥammad Ibn Manglī in his works has depended on the religious sciences such as the Qur'ān, *al-Ḥadīth*, *al-Tafsīr*, the Arab poetry, literature, military manuals, oral or written accounts, science of letters and numbers, his own military experience or of his father and etc...[19] Then, where did Ibn Manglī obtain or learn these sciences?

To answer on this question we have to know the status of the Mamluk education in Egypt at that time. Mamluks were interested especially in the construction of *al-Madāris*, the schools, which were countless as Ibn Baṭṭūṭa said.[20] Most of these schools were dedicated

---

[16]Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p. 205.
[17]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, p. 3.
[18]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, p.122; Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p. 84.
[19]Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p. 90.
[20]Ibn Baṭṭūṭa, *Riḥlat Ibn Baṭṭūṭa*, Paris, 1969, p. 70.

Serikoff also called him Ibn Mankalī.[9] Finally, Viré and Zoppoth called him Ibn Manglī.[10] The copier or the writer of Ibn Manglī's *Al-Tadbīrāt al-Sulṭāniyya fī Siyāsat al-Ṣinā'a al-Ḥarbiyya* has written two forms of this name, Muḥammad Ibn Manglī (محمد بن منجلى)[11] and Muḥammad Ibn Manklī al-Dā'ī(محمد بن منكلى الداعى).[12] So, Serikoff, Viré and Zoppoth used the two forms of the name without modification. In fact, the last two forms of the name are one. In the first form the copier or the writer has written the name as the Mamluks or the Egyptians pronounced it at that time; but in the second form he has written the name as in Turkish form. So, he put clearly three points under the Arabic letter ك = k to show the Turkish form of the name and in this case the Turkish letter ك will be pronounced in Turkish ج = g, in Mamluk Cairo, such as گ in the Persian.[13] On the other hand, we have not forgotten that the father of Ibn Manglī, as Ṣalhiya said, was born in *Bilād al-Turk*,[14] i.e. *Bilād Uzbik*.[15] According to the Turkish name Ibn Manglī, 'Abdel-Da'im, the editor of *al-Aḥkām*, believes that Muḥammad Ibn Manglī was a descendant of a Turkish origin and his father was a soldier in *Bilād Uzbik*, whereas Ibn Manglī

---

[9]Serikoff, N., "Leo VI Arabus? A Fragment of Arabic Translation from the "Tactica" by Leo VI the Wise (886-912) in the Mamluk Military Manual of Ibn Mankalī (d.1382), *Macedonian Studies*, 9 (1992), 57-61.

[10]Viré, N., "Ibn Manglī", *EI*[2], Suppl., 392; Zoppoth, G., "Muhammad Ibn Mängli, Ein ägyptischer Offizier und Schriftsteller des 14.Jhs.", *WZKM*, 3(1957), pp.288-299.

[11]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.7.

[12]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.10.

[13]Thanks for Prof. M. A. Harīdī, Prof. of Turkish, who explained to me the deference between the two forms of the name.

[14]Ibn Manklī, *Uns al-Malā*, p.8.

[15]*Bilād Uzbik* means the lands, which were situated on the north of Pontos and Caspian seas and the Volga. The king of *Bilād Uzbik*, Muhammed Uzbik, has died in 741 AH./1340 AD. 'Abdel-Dā'im, *Al-Aḥkām*, p.3, n.5. It is probable that *Bilād Uzbik* was *Bilād al-Kipchāk*, the main lands of the Turks and the Mamluks of that time. See Ahmed 'Abd al-Rāziq, *The Egyptian Army in the Mamluk Era*, Cairo, N.D., p. 13.(in Arabic) It is now the Republic of Uzbikstan. Khaṭāb, *Al-Adilla*, p. 205, n. 18.

Sulṭan al-Ashraf Sha'bān 764-778 AH. / 1362-1376 AD. He had also a wide knowledge in many aspects such as chivalry (*al-Furūsiyya*), hunting and literature.

First, we have several pronunciations of the name of our author, Ibn Manglī. So, what is the correct pronunciation of this name? Secondly, unfortunately, the editors of some of his works never presented a good view on his education. Then, from where did Ibn Manglī take his information? Thirdly, Ibn Manglī says that he depended on the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise, which is written in Greek. So, the questionable point did Ibn Manglī know the Ancient Greek? Or did he use an simplified Arabic copy of the *Tactica*? These are the main questions of my modest paper.

V. Christides has called this author Ibn al-Manqalī or Ibn al-Manglī[4] and declares that there are many variations which appear in the translation of this name such as Munkalī, Menkelī, Mangalī. He supposed also that the name Mankālī or Manqālī or Mangālī originated from Möngli.[5] Most of the Arab historians called him Ibn Manklī such as M. Salḥiya,[6] M. S. Khaṭāb[7] and A. 'Abdel-Dā'im.[8]

Naumachica", *Graeco-Arabica*, 3(1984), p. 139. For *Niqābat al-Djaish*, al-Maqrīzī says, " This rank was one of the great ranks in the Turkish State. Its owner is one of the inferior chamberlains. He adorns the soldiers in their festivals and the magistrates walk with him. When Sultan or one of his deputies or the chief of the chamberlains ask a prince or a soldier he will be their messenger and he has to bring him. If some one of them will be appointed as a prince or a soldier, *Naqīb al-Djaish* was "appointed on him". In the Sultan's festivals he was the leader of the Sultan's bodyguards in his travel or walking. Today, this rank is declined and its owner became one of *al-Noqaba'* who frighten the people and take their money by force..." see, *Al-Mawā'iẓ wal-I'tibār fī Dhikr al-Khiṭaṭ wal-Athār*, Cairo, N.D., vol. II, p. 223.

[4]Christides, V., "Ibn al-Manqlī (Manglī) and Leo VI: New Evidence on Arabo-Byzantine Ship Construction and Naval Warfare", *ΣΤΕΦΑΝΟΣ, BSL*, 56(1995), p. 83.

[5]Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p.83, n.5.

[6]Ibn Manklī, *Kitāb Uns al-Malā bi-Waḥsh al-Falā*, ed. M. Ṣalḥiya, Amman, 1993.

[7]Ibn Manklī , *Al-Adilla al-Rasmiyya fī al-Ta'ābī al-Ḥarbiyya*, ed. M. S. Khaṭāb Baghdad, 1988.

[8]Ibn Manklī, *Al-Aḥkām al-Mulūkiyya wal-ḍawābeṭ al-Nāmūsiyya fī fann al-Qitāl fī al-Baḥr*, ed. A. 'Abdel-Dā'im, Unpublished doctoral dissertation, Cairo University Liberary, R. N°.1332.

Ibn Manglī between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences[#]

Ṭarek M. Moḥammad
'Ain Shams University-Egypt

Muḥammad Ibn Manglī[1] is one of the important writers in the late Mamluk period, who has written about the art of war in the Eastern Mediterranean. He has many historical works, nearly fourteen works, from which there is an important and valuable treatise, *al-Aḥkām al-Mulūkiyya wal-ḍawābeṭ al-Nāmūsiyya fī fann al-Qitāl fī al-Baḥr* [The Royal Orders and Divine arrangements in the Art of Naval warfare].[2]

We can say that this is the sole and complete work, which speaks on the art of naval warfare in the Middle Ages, especially in the Eastern Mediterranean. On the European side, especially in Byzantium, we have some chapters speak of the naval warfare in different works, such as the chapter of *"Peri Naumachia"* in the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise (886-912 A.D.). However, there is not a complete Byzantine work such as Ibn Manglī's *al-Aḥkām al-Mulūkiyya.*

Ibn Manglī has had a good military experience, which was shown in his historical works. He was an officer in the Mamluk army at Alexandria, *Naqīb al-Djaish,*[3] during the reign of the Mamluk

---

[#]This piece was delivered at *The Ninth International Conference on the Greek, Oriental and African studies,* which was held in Greece, Chios-Oinousses, 5th – 9th July 2000. I'd like to thank warmly Prof. V. Christides for his kind invitation and Dr. M. Zemouli for providing me with many valuable remarks. My warm thanks also Dr. J. Pahlitzsch, Free University of Berlin, for his useful remarks and comments. I am indebted to Prof. E. 'Ebied who reviewed the English version of this article. I'd like also to thank Prof. M. Ḥegāzī and Dr. Y. Lev for their valuable remarks.

[1]There are no clear indications to the life of Ibn Manglī to say that what is the correct date of his birth or death.

[2]I'll reedit this treatise in collaboration with Prof. V. Christides, with an English translation and commentary.

[3]Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt al-Sulṭāniyya fī Siyāsat al-Ṣinā'a al-Ḥarbiyya,* MS. British Museum P. 6019-Or. 3734, p. 8; Christides, V., "Naval warfare in the Eastern Mediterranean (6th – 14th centuries). An Arabic Translation of Leo's VI

إلى قوات المناقضة المتعالية على معرفة الله تعالى × فصّ ويقصف الربّ أرز لبنان × ويدق ذلك كالعجل اللبنانيّ شرح يشير بلبنان إلى أورشلام وبالعجل إلى الوحيش [34] فصّ والحبيب كابن ذات القرن ×الواحدة شرح الحبيب هو المؤمن والمؤمن لا ينقهر × وقوسـله كابن ذات القرن الواحد أي أنّه يؤمن بإلاه واحد فصّ صوت الربّ يقطع لهيب النار × شرح جماعة الرسل قبلوا نعمة الروح القدس في صوره ناريّة × فصّ صـوت الـربّ بالقفر شرح يشير بالقفر إلى الأُمم الخالية من الإيمان بالله تعالى × شـرح ويرجف الربّ بدية قادس × شرح معنى يرجف أي يظهر وتفسير قادس أي قدسه × فصّ صوت الربّ يكمل أيائل شرح يشير بالأيائل إلى الرسل × فصّ يكشف الغابـات شرح يشير بالغابات إلى هياكل الأصنام التي لا ثمر لها البتّة × فصّ وفي هيكله الكلّ يقول تمجيدا والربّ في الغمر يسكن شرح أي أنّ الله أزال الكفر بالطوفان فـصّ ويجلـس الربّ ملكا إلى الأبد × والربّ يؤيّد شعبه بالقوّة والرب يبارك على شعبه بالسلم .

[34] MS reads الخزيب, which is a bad reading; I suppose that the good reading is which I am giving in the above edited text; cf. J. P. Monferrer-Sala, "Algunas precisiones en torno a la supuesta 'primera fuente' de la acepcin *ḥarīD* = rinoceronte (unicornio)", *Qurṭuba*, 4 (1999), p. 208.

receives the grace of the Holy Spirit he appearance of fire]. The voice of the Lord in the desert [commentary: 'In the desert' refers to the laymen who are full of faith in Holy God]. The Lord shakes the desert of Cadesh [commentary: the sense of 'shape' is 'shows' and the explanation of Cadesh is 'his holiness']. The voice of the Lord makes the deer perfect [commentary: 'the deer' refers to the Apostles] and fades the forests [commentary: with the 'forests', he refers to the temple of the idols that bear no fruits]. In his temple, everybody praises him. The Lord dwells over the waters [commentary: it means that God caused the impious to perish in the Deluge, the Lord sits as a King forever. The Lord will make his people strong, and the Lord will bless his people with peace.

4.2. Edition of the Psalm 28 (fol. 41r-42v)

المزمور الثامن العشرون لداوود وهو أربعة وعشرين حرفا × على خروج القبّة يريد بــه اليوم الثامن من عيد المظال × قرّبوا للربّ يا أبناء الله × [33]شرح أبناء الربّ هم الرســل × فــصّ قدّموا للربّ أبناء الكباش شرح أبناء الكباش هم المؤمنين من الأمم التـــي هــي كالــبهائم فصّ قرّبوا للربّ المجد والكرامة شرح الفاعل الخير المستقيم الاعتقاد في الثالوث القدّوس هو الذي يُقرّب الله تعالى تمجيدا × والذي يقرّب كرامة هــو الذي يرحم الضعيف ويعطيه بلا حزن ولا مشقّة بل كأنّه يُقرض الله سبحانه × فصّ قرّبوا للربّ تمجيدا لاسمه شرح يشير إلى صوت الأب عند اعتماد الابن الأذليّ في الأردنّ فصّ إلاه المجد ارعد شرح إنّما قال ارعد لأجل أنّ هذا الصوت انبثّ في العــالم بتوسط الإنجيل × فصّ والربّ على كثرة المياه × صوت الربّ بقوّة × شرح يشــير بقولــه صوت الربّ بقوّة إلى نعمة الروح المالئة للرسل قوّة × فصّ وصوت الــربّ يعظّمه الربّ البهاء × صوت الربّ يحطم شجر الأرز × شرح يشير بالأرز

[33] Margin: أبناء الربّ

4. Apendixes

4.1. Translation

Translation of Psalm 28 of David, in 24 stichos. At the exit of the Temple on the day 8^{th} day of the huts, [1]Give to God, oh sons of God! [commentary: 'the sons of God' are the Apostles]. Give to God, sons of the Lamb [commentary: 'the sons of the Lamb' are the lay believers, who are like the beasts]. Give to God the glory and the honour [commentary: who acts in righteousness the dogma of the Holy Trinity he glorifies Holy God, and who honours is he who has pity on the weak and does not suffer from sadness and compassion, but rather he acts as praising God]. [2]Give God the glory of his name, worship God in the dwelling of his holiness! [3]The voice of the Lord over the waters [commentary: it refers to the voice of the Father in the baptism of his eternal Son in river Jordan], the God of the glory thunders [commentary: he said 'thunders' because that voice spreads through the whole world with the Gospel. The Lord is over the many waters. The voice of the Lord with strength [commentary: the expression 'the voice of the Lord with strength' refers to the grace of the Holy Spirit fills the Apostles with strength], the voice of the Lord in his highest majesty. The voice of the Lord destroys the cedars [commentary: 'the cedars' refer to the opposite forces that rise against the knowledge of the Holy God. The Lord breaks Lebanon cedars, making them quake like a Lebanon bullock [commentary: with 'Lebanon' he refers to Jerusalem and with 'bullock' to a young bull]. To the beloved like the rhinoceros' cub [commentary: 'the beloved' is the believer, since the believer does not yield. The expression 'like the rhinoceros' cub' is referred to he who believes in One God]. The voice of God cuts the fire flame [commentary: the assembly of apostles

We must bear in mind that the translations were done by bilingual persons, which was a direct influence on the characteristics of the resulting translation, with all the subsequent problems of lexical loans of semantic and syntactic contaminations, and no less importantly, the linguistic transpositions and cultural leaps in the void.

It seems obvious then that the study of certain "techniques" of translation as used in the various texts haded down to us, we can assess –taking into account the concurrent self-imposing limits- the work done by a translator, while evaluating the methodology employed in the process. It could also be of use for assessing the translating accuracy or inadequacy achieved by the translator and the state of the language that he makes avail of so as to translate the source text.

The exegetic task carried out by 'Abd Allāh b. al-Faḍl, as we can see in the sample we edit below, is of great merit. There the resource to analogy is helpful to present christological and moralizing dogmas of the orthodox church in its Melkite variant, and at the same time he imitates the analogical tradition of the patristic commentaries which he uses as a sort of *catenae*.

We attempt to give testimony of the value and relevance of this version with the edition of a brief instance, as a kind of sample, of Psalm 28 following the version of the LXX (29 of the Masoteric Hebrew text and of the *Vulgate*) together with its commentary[32].

The complete heading that introduces the Psalm stands out, where there appears the disposition of the phrases in 24 stychos (*arba'a wa-'ishrīn ḥarf*[an]) and the psalmody of the same in his exact place within the cycle of Jews holy days (*'alā ḫurūj al-qubba yurīdu bi-hi l-yawm al-thāmin min 'Īd al-Maẓāl*) at the end of the 'Festivity of Huts' (™xod…ou skhnhj).

---

[32] On this issue M. Harl, "Y-a-t-il une influence du 'grec biblique' sur la langue spirituelle des chrétiens?. Exemples tirés du Psaume 118 et de ses commentateurs d'Origène à Théodoret", in *La Bible et les Pères. Colloque de Strasbourg 1969*, Paris, 1971, pp. 243-262. Cf. the sample which has been studied by J.P. Monferrer-Sala, "Traducción y exégesis de un texto melquita árabe surpalestinense: Jn 6,1-15 en el *Codex Arabicus Sinaiticus 72* (año 284 H./ 897 JC.)", in V. López Folgado (ed.), *Sensus de sensu. Estudio filológicos de traducción*, Córdoba, 2002, pp. 153-173.

this Sinaitic manuscript should help also to promote the study of Biblical exegesis generated and developed among the Christian Arabs, a topic not approached yet in the wide panorama of studies in Arabic literature created by the Christians.

At a paleographic level, the copy in question has been done using paper as the material and it belongs to the 13th century, consisting of 257 sheets of size 168x130 ms[30]. The sheet 1r-v is written in Syriac (scrip sert) and the case fluctuates between 11 and 13 lines. The graph type used is evolved oriental nasḫī (with a lowering link slant tendency), that reflects the calligraphic characteristics frequent in Christian Arabic handwriters where the interferences of "Middle Arabic" creep into it in a tendency towards classicism pursued by the translator.

3. Some notes on translation and exegesis from Psalm 28

Any approach to the study of old versions of the Bible demands our attention on the fact that we are before materials of translation, which encourages a special view in the study procedures[31] . This is so because when these translations were done no theoretical epistemology that would serve as conceptual support of the translational practice. Except for sporadic cases the translators had not lexicons or grammars at their disposal, so they had to lean on their sole linguistic knowledge, which they acquired with their experience in the languages in question.

To this we may add that the source language represented a state of language and a register that as a rule dated back to several centuries. This entailed, of course, a series of thorny problems that the translator had to sort out, although the end product was not always the best to be expected, and this conditioned it for the future generations. To the various dilemmas of philological nature posed for translators other can be added that stem from the exegesis conducted by some circles of doctrine.

---

[30] *Vid.* A. S. Atiya, *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai*, p. 4 (number 65) and M. Kamil, *Catalogue of all Manuscripts in the Monastery of St Catharine on Mount Sinai*, p. 12 (number 50).

[31] Relevant considerations on translation in antiquity can be found in S.P. Brock, "Aspects of translation technique in antiquity" in S. P. Brock, *Syriac on late Antiquity*, London, 1984, III, pp. 69-87.

commentary, the achievement of his early activities[22] , that made a great impression in the Syriac literature[23]), and has an enormous importance for being widely used in the Melkite Gospel and Epistle Books[24].

Moreover, it was important for the recurrent revisions that were to be still done among the various Melkite communities spread out through the Middle East up to the 18th century (1735), like that by 'Abd Allāh Ẓāahir in Dayr al-Shuwayr[25], as well as for the great number of manuscripts available of this version[26] and no less for the profit the Orthodox, the Catholics and the Protestants alike have taken out of it[27].

In the editions referred to by Graf and Nasrallah (none of them done with critical views), the Sinaitic copy was not used, so it would be convenient to offer (in collation with the rest of the copies) an edition of this version[28], as it is one of the three oldest, just after the British Library copy, dated in 1239[29]. The edition of

---

Biblique, XXXVII (1928), pp. 340-366 and L. Van Rompay, *Théodore de Mopsueste. Fragments syriaques du Commentaire des Psaumes (Psaume 118 et Psaumes 138-148)*. 2 vol., Leuven, 1982.

[22] *Vid.* R.P. Voste, "La chronologie de l'activité littéraire de Theodore de Mompsueste", *Revue Biblique*, XXXIV (1925), pp. 58 and 60.

[23] Vid. A. Baumstark, *Die christlichen Literaturen des Orients*. 2 vols., Leipzig, 1911, I, p. 67

[24] *Vid.* G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, I, pp. 187-190. A good synthesis of the liturgy as used by the melkite Patriachat of Jerusalem, both from Antiochia and the Sinai since mid 10th cent until 14th century, is the one proposed by Msgr. J. Nasrallah, «La liturgie des Patriarchats melchites de 969 à 1300», *Oriens Christianus*, 71 (1987), pp. 156-181. For the Byzantine rite in Arab, *vid. Kitāb al-alāt li-sti'māl al-mu'minīn zuwī l-taqs al-bizantī.* Ed. by Msgr. N. Edelbi, al-Dhawq (Lebanon): Dayr al-Malak Mikhail, 1962.

[25] *Vid.* G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 116 and J. Nasrallah, *Histoire du Mouvement littéraire dans l'eglise melquite*, III/I, pp. 217-218

[26] *Vid.* G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 118-120

[27] *Vid.* G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, pp. 117-118 and J. Nasrallah, *Histoire du Mouvement littéraire dans l'eglise melquite*, III/I, pp. 217-218.

[28] This is a task we plan to undertake in the near future

[29] *Vid.* G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 118. On the manuscripts of the translation of Psalms by 'Abd Allāh b. al-Faḍl, *vid.* G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, I, pp. 116-119

But of all his prolific work his translation-commentary of the Book of Psalms, done from an original Greek (*al-nusẖa l-yūnāniyya allatī staẖrajnā min-hā hadhihi l-tafāsīr*), was one of the works with the most important liturgical purpose done by the author. As it is explicit in the introduction, the author himself assesses his work as an exegetical work (the copy *Vaticano Arabo 145* and that from Leipzig central Library, *ar. 297*, are annotations to the book of the Psalms[19]) with the plural *tafasir*, commentaries. With this term he identifies both tasks, that of the translation and that of commentary, done eventually from several Greek texts that 'Abd Allāh b. al-Faḍl identifies in detail with the Greek revisions of the Jews Theodosius, Aquila and Simmacus (the three preserved partially thanks to Origen's *Hexaplas*)[20], Theodoretus and other famous Saint Fathers. From them he translates all the glosses, correcting even the text where the Antiochian thinks advisable, as he states: *Thāwudhūtiyūs wa-Akīlās wa-Simmāẖus wa-Thawudhūrītus wa-gayri-him min al-Abā' al-ajillā'l-Qiddīsīn qad tarjmnā min-hā mā htamalat-hu ḥawāshī hadhihi l-nusẖa* [...] (fol. 3r).

'Abd Allāh b. al-Faḍl did his Arabic version from the text of the LXX, that was the only review used in the Melquite church, and was prefaced by an introduction to the Psalms and an interlineal commentary. Such commentary work is inserted, in turn, within a long interpretive tradition of the Book of Psalms in Christian Orient (where, among other, the great Theodorus of Mompsuestia[21] was outstanding (died in 428) with an early

---

[19] *Vid.* G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 59

[20] Cf. D. Barthelemy, *Les Devanciers d'Aquila*, Leiden, 1963 and J.R. Busto Saiz, *La traduccion de Simaco en el libro de los Salmos*, Madrid, 1985, pp. 293-310. About the *Hexapla*, *vid.* for example: H. J. Venetz, *Die Qinta des Psalteriums. Ein Beitrag zur Septuaginta- und* Hexaplaforschung, Hildesheim, 1974; A. Schenker, *Hexaplarische Psalmenbruchstücke. Die hexaplarischen Psalmenfragmente der Handschriften Vaticanus graecus 752 und Canonicianus graecus 62*, Freiburg-G. ttingen, 1975, and A. Schenker, *Psalmen in der Hexapla. Erste kritische und vollständige Ausgabe der hexaplarischen Fragmente auf dem Rande der Handschrift Ottobonianus graecus 398 zu den Ps 24-32*, Città del Vaticano, 1982. Cf. also C. E. Cox, "The translations of Aquila, Symmachus and Theodotion in the margins of Armenian manuscripts", in C. Burchard (ed.), *Armenia and the Bible*, Atlanta, 1993, pp. 35-45.

[21] Vid. R. Devreesse, "Le commentaire de Theodore de Mompsueste", *Revue*

In effect, the settlement carried out by the Arabic Islamic troops along the 7th century made Arabic a new *lingua franca*[15] that soon became a oral and written means of communication of the human groups that inhabited the occupied territories and in especial, those of the Melkite communities. Among the latter, the Scripture work done was especially fertile in the monasteries, as for example in the Mār Sābā, Mār Ḫaritōn and Mār Kātirīna. This encouraged the Christian writers to gradually substitute the respective languages for Arabic[16].

In this line and with a view to remedy the faithfuls's lack of knowledge of the Greek language[17], the intense pastoral work developed by 'Abd Allāh b. al-Faḍl with them, in order to provide them with the necessary procedures to take part in the liturgical rites, was helpful to do Arabic versions of those books that were frequent in liturgy: Gospel books, Epistles and Psalter.

Nonetheless, those versions were not only translations of the original Greek text into Arabic but also added further commentaries as used in the homilies[18]. Among other exegetic purposes, 'Abd Allāh b. al-Faḍll had the intention by means of those commentaries that the faithful got in contact with the Fathers of the Church. He insisted especially on the moral content of St. John Chrisostom through the heritage of Capadocians.

---

[15] Vid. J. Blau's article for this concept, "A Melkite Arabic *lingua franca* from the second half of the first Millenium", *Bulletin of School of Oriental and African Studies*, LVII (1994), pp. 14-16. For the "Middle Arabic" as used in the works by the christians, vid. J. Blau, *A Grammar of Christian Arabic. Based mainly on South-Palestinian texts from the first millenium*. 3 vols., Louvain, 1966-67.

[16] *Vid.* the studies done by S.H. Griffith on the fist samples of "christian Arabic" in Arabic, like "The Gospel in Arabic: an enquiry into its appearance in the fisrt Abbasid century", *Oriens Christianus*, 69 (1985), pp. 131-132 and S.H. Griffith, "The monks of Palestine and the growth of Christian literature in arabic", *Muslim World*, LXXVIII (1988), pp. 1-28; also J. Nasrallah, "Duex versions melquites partielles de la Bible du IXe et du Xe siecles", in *Oriens Christianus*, 64 (1980), pp. 203-210

[17] For the various languages used in the different areas of Christian population, *vid.* J. Nasrallah, "La liturgie des Patriarcats melquites de 969 a 1300", *Oriens Christianus*, 71 (1987), pp. 163-165

[18] Vid. L. Greenspoon, "Theodotion's Version", *The Anchor Bible Dictionary*, 6 (1992), p. 447-448

commentary to the 151 psalms[10] and is the work of the deacon (shammās) 'Abd Allāh b. al-Faḍl al-Anṭākī.

The varied talents of the Melkite Antiochian 'Abd Allāh b. al-Faḍl[11] are well known, a famous translator and encyclopaedist of reputed rigour who was honoured with the name of *shayḫ* and the *laqab* of Abū l-Fatḥ. Born in Antiochia[12] into a well known family at the beginning of the 11th century, he died at the end of that century, having achieved the grade of deacon, as the name *shammās* he bore seems to indicate, as the name of bishop (*muṭrān*) he was given in some writings seems to be due to an ancestor, most probably his grand-father.

Among Antiochian 'Abd Allāh b. al-Faḍl's wide work on Scriptures, he allegedly wrote the translation of St. Basilius's *Hexameron*. He is a central piece to the updating of Antiochian Patriachate in the context of the cultural upsurge undergone by Christendom with Arabic[13] as the new official language; he also seems to have written a *Bahjat al-mu'min*, a *Sharḥ al-amāna l-mustaqīma*, a *Kitāb al-manfa'a*, and also some himnographies of liturgical books and a series of 87 homilies taken from the St. John Chrisostoms's works (*Fam al-Dhahab*), and besides some commentaries to various biblical books: to Genesis (*Tafsīr al-Takwīn / Tafsīr al-sifr al-awwal mina l-Tawrāy al-musammā Sifr al-Ḫalīqa* o *Tafsīr sittat ayyām al-Ḫalīqa*) to St. Matthews's Gospel (*Tafsīr Bishārat Injīl Mattā l-Rasūl*), to St. John's Gospel (*Tafsīr Injīl Yuḥannā l-Bashīr*) or the commentary of St. John Chrisostomos on the "Epistle of the Hebrews" (*Sharḥ Risālat al-Qiddīs Bawlus ilā l-'Ibrāniyyīn*) among many other[14].

---

[10] In fact, the "suplementary" psalm presented by the LXX, but absent from the Hebew text and the Latin *Vulgata*

[11] About this author and his extensive work, vid. G. Graf, *Geschichte der christlichen arabishen Literatur II*, pp. 52-54

[12] About Antiochia, vid. D.S. Wallace-Hadrill, *Christian Antioch: A Study of early christian Thought in the East*, Cambridge 1982.

[13] Vid. in this connexion, the work by D. Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture. The Graeco-Arabic Translation Movement in Bagdad and Early 'Abbasid Society' (2nd-4th-8th-10th- centuries)*, London-New York, 1998

[14] Vid. the work by J. Nasrallah, *Histoire du movement littèraire dans l'eglise melchite du Ve au XXe siècle*. Contribution a l'etude de la litterature arabe chretienne, Louvain-Paris, 1983, III/I, pp. 191-229

but the need is felt to put forward a series of basic and overall conclusions through a concrete example, the analysis of Psalm 28 (after the order offered by those in LXX). This contribution, besides, attempts to be an integral part of a more ambitious and necessary endevour in order to step forward in the biblical texts in Arabic: more specifically, the critical edition of a complete Arabic biblical text, making use of all possible manuscripts available. In this way, we can have at hand a critical text useful for working with greater scientific rigour.

At the same time we will contribute to the study of the general biblical text, providing variants and textual traditions that are likely to be unknown, if not lost, and casting a new light in the field of the Arabic versions of the Biblical text, still scarce and badly known[9].

2. The translation-commentary of the Psalms into Arabic by 'Abd Allāh b. al-Faḍl

Among the great number of Arab manuscripts that are kept in the Monastery of Mār Kātirīna, in Mount Sinai, there is an Arabic version of the Book of Psalms that also contains a

1876; also *Psalterium, Hebraeum,Graecum, arabicum & Chaldaeum, cum tribus latinos interpretationibus & glosis,* Genua: Petrus Paulus Porrus, in aedibus Nicalai Justiniani, 1516, about the same, vid J. P. Monferrer Sala, "Dos impresos italianos del s. XVI de la BPC. *Una aeditio princeps* bilingue arabe-latina de los Evangelios y un *octaplum* del Salterio", *Alfinge,* 13 (2001), pp. 83-96.

[9] *Vid.* For instance, M. Schreiner, «Beitrüge zur Geschichte der Bibel in der arabischen Literatur», in: G. A. Kohut (ed.), *Semitic Studies in Memory of Rev. Dr. Alexander Kohut*, Berlin, 1897, pp. 495-513; P. Kahle, *Die arabischen Bibelübersetzungen*, Leipzig, 1904; M. L. Margolis, *The Story of Bible Translations*, Jerusalem, 1970 (=Philadelfia, 1917), pp. 48, 53-55, 63; B. J. Roberts, *The Old Testament Text and Versions. The Hebrew Text in Transmission and The History of the Ancient Versions,* Cardiff, 1951, pp. 266-269; P. Kahle, *The Cairo Geniza*, Oxford, 1959[2], espec. Pp. 191-304; S. Khalil, «Old Testament, Arabic versions of», in: A. Suryal Atiya (ed.), *Coptic Encyclopedia*, VI, pp. 1827-1836; B. M. Metzger, *The Early Versions of the New Testament. Their Origin, Transmission and Limitations*, Oxford, 1977, pp. 257-268. *Vid.* also J. Assfalg, «Bibelübersetzungen», en: R. H. Beautier-R. Auty (Eds.), *Lexikon des Mittelalters*, Munich-Zurich, 1983, II, col. 95.

The only relevant overall work we can consult is the great work by Graf[4] and still this is being updated under the supervision of Samir Khalil[5], as there are some lacunae, and lack of information about the manuscripts, the error in the identification, classification and analysis of many samples, this said with no disregard for the great achievements of the work[6].

It seems obvious that there is still a hard and lengthy work ahead, that the materials and places to go into are manifold, and the nature of documents is varied. In addition, the recuperation of the material already edited or presented as pre-edited state, no matter how valuable it is, must be collected, analysed and taken some profit out of it, if the chance is offered.

In this line, and according with the above mentioned, we attempt in this paper to announce an important unpublished manuscript: it is the Arabic version of the book of "Book of Psalms" translated from an Antiochean Greek 'Abd Allāh b. al-Faḍl (11[th] cent)[7]. Such manuscript has especial relevance because of the important exegetic material it contains and transmits. This MS, still unpublished, prove outstandingly relevant, especially because we do not have a critical edition of the Book of Psalms.

This work is not just the base for a future edition of this manuscript which contains the translation of the Book of Psalms[8],

---

[4] G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur.* 5 vols., Modena, 1996 (=Ciudad del Vaticano, 1944-47).

[5] Vid. S. Khalil, "La tradition arabe chrétienne. État de la question, problèmes et besoins", in Samir Khalil (ed.), *Actes du Premier Congrès International d'Études Arabes Chrétiens (Goslar, septembre 1980)*, Rome, 1982, pp. 19-120.

[6] The internal document we are working with, together with the classification of the material of the first two volumes for the experts has been done by Samir Khalil Samir, "Vers une «Encyclopédie de la littérature arabe des chrétiens»", Samir Khalil Samir (ed.), *Actes du 5ᵉ Congrès International d'Études Arabes Chrétiennes (Lund, août 1996)*, in *Parole de l'Orient*, 24 (1999), pp. 45-59. Cf. J. P. Monferrer-Sala, "Sobre literatura Arabe cristiana y propuesta de trabajo", *'Ilu*, 4 (1999), pp. 136-137.

[7] Cf. J.P. Monferrer-Sala, "En torno a dos manuscritos bíblicos árabes ineditos", *Philologia Hispalensis* [= C.Mª Thomas & P. Cano (eds.), *Homenaje a la Profesora Eugenia Gálvez Vázquez*], XIV/2 (2000), pp. 334-338.

[8] *Vid.* for instance, among the published material: *Liber Psalterium Davidis Regis et prophetae. Ex arabico idiomate in latinum translatus,* Roma: Typographia Sauariana, 1614 and P. de Lagarde, *Psalterium job Proverbia arabice*, Gottingen,

From Greek into Arabic: some notes about translation and exegesis in a 13th cent. Christian Arabic work

Juan Pedro MONFERRER SALA
University of Córdoba ,Spain

1. Introduction

Much has been debated, among others by Samir Khalil, concerning the need for cataloguing and giving an account for the collection of Christian Arabic manuscripts in the different Libraries[1], alongside with the urgency in publishing such material.

Added to the scarcity of inventaries of this specifically Christian collection (one rare exception, still incomplete, being that of the Monastery of St. Catherine, in Mount Sinai[2]) and the lack of scientific rigor of many of the existing catalogues from the 19th century and even the 20th century, the scornful treatment of Christian works, remarkable cases excepted, is to be emphasized in the two well-known important repertoires[3].

---

[1] A list of existing catalogues can be seen in A.J.W. Huisman, *Les manuscrits arabes dans le monde. Une bibliographie de catalogues*, Leiden, 1967.

[2] The best updated catalogues in this *laura* are those of Aziz Suryal Atiya, *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai*, Baltimore, 1955 y Kamil Murad, *Catalogue of all Manuscripts in the Monastery of St Catharine on Mount Sinai*, Wiesbaden, 1970. See also the unpublished manuscripts catalogued by I. E. Mēimarēs, *Katalogos tōn neōn arabikōn kheirographōn tēs hieras monēs Hagias Aikaterinēs tou Orous Sina*, Athens, 1985. A concordance of the Sinaitic and Cirenaic manuscript is found in Samir Khalil, *Tables de concordance des manuscrits arabes-chrétiens du Caire et du Sinaï*, El Cairo, 1986. For the Syriac collection of this monastery we can consult the classical *Studia Sinaitica No. I: Catalogue of the Syriac MSS in the Convent of S. Catharine on Mount Sinai.* Compiled by Agnes Smith Lewis, Londres, 1894; *Anecdota Oxoniensia: Biblical and Patristic Relics of the Palestinian Literature from MSS in de Bodleian Library and in the Library of Saint Catherine on Mount Sinai.* Edited by G. H. Gwilliam, F. Crawford Burkitt, and John F. Stenning, Oxford, 1896. The illuminated manuscripts have been analysed by K. Weitzmann, *Illustrated manuscripts at St. Catherine's monastery on Mount Sinai*, Collegeville, Minnessota, 1973.

[3] C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur.* 2 vol., Leiden, 1943 and 1949; *GAL. Supplementbände.* 3 vol., Leiden, 1933, 1938 and 1942; F. Sezgin, *Geschichte des arabischen Schifttums.* 10 vol., Leiden, 1967-, in due curse of edition.

That is not to say that Byzantium was not interested in the Black Sea and in the peoples inhabiting this region, or that they were not careful to monitor the changes that went on there. Indeed, in so far as one can talk about key themes in the foreign policy of the Byzantine Empire in this period, it is clear that the thrust was very explicitly and consistently geared at containing the Bulgaria of Symeon and of managing and controlling the emergence of Rus'. It is no coincidence, however, and certainly worth stressing, that both of these were dealt with and handled without Pecheneg help or assistance, and rather in spite of the nomads, rather than because of them.

However, my purpose here has been simply to flag up the dangers of reading too much into a text drawn from a wide range of disparate sources, with varying motivations and which ask more questions than it solves. Instead, the intention has been to offer a counter-argument to the long accepted hypothesis, essentially lifted *verbatim* from the *De Administrando Imperio*, that Byzantium sought and was able to maintain a favourable balance of power above the Black Sea in the 9th and 10th Centuries by a sustained policy of divide and rule, or by basing a strategy on an unreliable, though truly terrifying, nomadic tribe.

Kiev after a long journey, carrying many possessions with him, vulnerable at the rapids : in short, too good an opportunity to miss.

Here then it is worth looking to the 11th Century for some instructive insights into steppe diplomacy, and which reveals why such policies (as far as they existed at all) were so problematic and illusory. Faced with increasing threat of the Pechenegs in the Balkans and even as far as the environs of the capital in the 1080s, the Emperor Alexios I Komnenos finally went for an all-out battle with the nomads in 1091 by a hill named Lebounion in southern Thrace, calling in support from as far away as Rome and Flanders. He also appears to have sought an alliance with the Cumans (or Qipchaqs), another nomadic tribe from the steppe region. In the best case scenario, the Cumans proved to be utterly unreliable, only appearing at the very last moment to take on the Pechenegs. Even then, as one source makes clear, the Emperor had to exercise extreme caution when dealing with them in the aftermath of victory.[28] At worst, though, alliance with the Cumans proved of marginal long-term value, as they simply replaced the Pechenegs as the thorn in the Byzantine side : whereas it had been the Pechenegs who repeatedly invaded the Balkans in the 1080s, thirty years later it was the Cumans who were causing the problems.[29]

Unreliability of course was the key, and this really drives any serious hypothesis as to whether the Byzantines were truly prepared to rest their strategy on getting the Pechenegs to do their dirty work for them. And even here it is the *De Administrando* itself that poses the question : as we learn from the text, on at least one occasion, one of the tribes on the steppe had simply refused to do what it was asked by the Byzantines.[30] In other words, Byzantium's neighbours in the Black Sea region, like those elsewhere, could not be relied on when needed.

Perhaps then the first twelve chapters of the text do tell us more about Byzantium and about how the Byzantines saw themselves in the middle of the 10th Century, at a time of political and geographic expansion, a time of economic upswing, and at a time where they saw themselves as masters of their own destiny.

---

[28] P. Diaconu, *Les Pétchénègues au Bas-Danube* (Bucharest, 1970), 25-32; Anna Komnene, *Alexiade*, ed. B. Leib, 3 vols. (Paris, 1937-45), Bk VIII, ch. iv-vi, vol. 2, 136-46.

[29] P. Diaconu, *Les Coumans au Bas-Danube aux XIe et XIIe siècles*, (Bucharest, 1978), 37-42.

[30] *DAI*, ch. viii, 56.

they went through with their part of the deal ? Suspicions here point instead to a hypothesis that not only was the concept of steppe diplomacy as laid out in the *De Administrando* one of wishful (or fanciful) thinking, but so too was the list of goods that were 'paid' to the nomads : might not even this be a *topos*, designed to show off the simplicity of the Pechenegs against the sophistication of 10th Century Byzantium ? It is hard to see how this was not the case, in fact, given Constantine VII's early protestations about the greed of Byzantium's neighbours – for if this amounted to little more than a few pieces of fabric then it is hard to see why or how the Emperor could really complain.[24]

Certainly, a policy that might conceivably be referred to as steppe diplomacy, but which in fact amounts to little more than standard frontier policy, did exist – as is clear from the case of Byzantium's ill-fated attempt to ally with and use the Magyars against Symeon and Bulgaria at the end of the 9th Century (where significantly it was a Bulgar alliance with the Pechenegs that proved decisive).[25] However, apart from this (often quoted) instance, we are hard pushed to find other occasions where Pechenegs (or others) were successfully activated against each other or against Byzantium's enemies.

In 941, of course, when Igor of Kiev managed to attack Constantinople itself, the Pechenegs and the Pecheneg deterrence are conspicuous by their absence at precisely a time when we would have expected them to have been in evidence.[26] Other cases where Pecheneg involvement, or even non-involvement, are few and far between. And even when we can see the nomads at work with the murder of Sviatoslav of Kiev at the start of the 970s, one wonders just how much this had to do with Byzantium. For while Sviatoslav's murder suited Byzantium, we are surely not to believe that his assassination did not also benefit the Pechenegs as well.[27] And indeed, there is perhaps an even more basic way to see the murder here, not as part of some Byzantine or Pecheneg master plan, rather as a case of a wealthy man of status, well-known to the nomads, tired and defeated, returning to

---

[24] *DAI*, Prooimion, 44.

[25] Whittow, *Orthodox Byzantium*, 287.

[26] See Shepard and Franklin, *Emergence*, 114-6.

[27] *Russian Primary Chronicle*, Eng. tr. S. Cross and O. Sherbowitz-Wetzor (Cambridge, Mass., 1953), 90.

prevention of attacks on Byzantium and Constantinople by the Rus', Bulgars and Magyars.

Moreover, the temptation to see the Pechenegs as a valve that could be used against these other peoples and turned on and off at will must surely be resisted in the strongest terms as being too simplistic by half. For taken as a whole, the first chapters of the *De Administrando* suggest not only that the Pechenegs were the rock and basis of Byzantine policy in this region; they were also the rock and basis of the policy of all those in this region, to the extent that the Rus' were not only reliant on their neighbours for cattle, sheep and horses, but were unable to leave their homes unless they entertained good relations with the Pechenegs.[22] In this way, it is not so much a question of Byzantium controlling the steppe with a considered and careful policy of steppe diplomacy or of a strategy of divide and rule, rather a recognition of that the Pechenegs exercised *de facto* control of the area to the north of the Black Sea from the Danube to the Dniepr and beyond.

This in itself should make us wonder how real and effective any Byzantine steppe policy may have been – or even if there was really one at all. For the impression of a Byzantium pulling strings rather precludes both what the text tells us about Pecheneg ascendancy on the steppe, and also about their own motivations and interests in dominating their neighbours. So, for example, chapter nine at first glance provides a template for how to attack the Rus' and keep them in check by activating trusty imperial allies as required by Constantinople. But surely here it is important to question whether the petty goods mentioned by the text ("purple cloth, ribbons, woven cloth, gold brocade, pepper, scarlet (also Parthian) leather, and other commodities which they might require") would really have bought large-scale Pecheneg support.[23]

Certainly, given the very nature of tribal structure in general, and particularly that along the lines set out in chapter thirty seven of the text, it is worth asking whether buying off was actually a realistic and even a feasible thing to do : it is hard to believe that all tribal leaders would have been paid on each occasion, simply for logistic reasons. And even if they had, is it truly reasonable to think that they would always and invariably have followed instructions, in short that

[22] *DAI*, ch. ii, 50.
[23] *DAI*, ch. vi, 52.

many of the chapters here are very short; and there is the nagging suspicion that what we are being told is rather simplistic and pat.

Indeed, the question that arises here is whether this part of the text perhaps tells us more about Byzantium and the Byzantines, and about the way that they saw themselves, than it does about Byzantine relations with the Pechenegs, or about steppe diplomacy as a whole. Are these chapters not more interesting as a primer for us to understand the Byzantine view of the self – able to choose who to ally with; able to have a role in, and influence, long-distance politics; able to manipulate and control a region far from Constantinople and on the periphery (if not beyond) of the Empire ?

And the fact that we already have one eyebrow raised makes it easier to assess what Constantine VII tells us in this section at least of the *De Administrando* dispassionately. Already suspicious about the very concept of steppe diplomacy, close examination of the text reveal further places where what we are told jars. For example, at the outset, the author explicitly states that he will explain how to deal with the Empire's neighbours by force of arms and making war ("*polemeisasthai*").[18] However, nothing could be further from what he in fact advocates in the opening twelve chapters, where he instead (repeatedly) advises the use of anything but force – in the form of diplomatic missions, gifts, words and friendships.[19]

To this may be added the insistence articulated in the Prooimion that all non-Byzantines have ravenous appetites and insatiable tempers, and that they constantly demand gifts.[20] Yet instead of explaining how to counter such demands, the advice set out in these chapters is rather different, and appears to turn on the principle of meeting demand and satisfying greedy appetites, advising payment, or rather presentation, of gifts that were proportionate to a people ("*ethnos*") as important as the Pechenegs.[21]

And a further point that might be worth making here is to ask just how ambitious the Byzantine programme was on the steppe and what its real target was, for, reading between the lines here suggests that the primary thrust of imperial policy was that employment of and payments to the Pechenegs were really directed at and motivated by

[18] *DAI*, Prooimion, 44.
[19] E.g. *DAI*, ch. i, 48; ch. iv, 50; ch. v, 52; ch. vi, 52; ch. vii, 54
[20] *DAI*, Prooimion, 44.
[21] *DAI*, ch. i, 48.

Emperor of the Romans to be minded to keep the peace with the nation of the Pechenegs." And in order to ensure that this would be the case, the Emperor was encouraged to conclude conventions with the Pechenegs on a regular basis ("*sunthekas*"); to make friendships ("*spondas*") with them; to send them an envoy every year, presumably to ensure continued support; and to give them gifts regularly – although is not entirely clear what these would have been.[14]

The following chapters go on to explain why it was that the Pechenegs were so dominant and why it was that Byzantium would do well to keep them happy. As the text tells us, all the nomads' neighbours, including the Rus', the Bulgars and the Magyars, had learnt from painful experience that it was not a good idea to be on the receiving end of Pecheneg aggression.[15] It is worth noting that it is unlikely that the stress on Pecheneg aggression is an authorial creation, designed to play up the qualities of a key Byzantine ally. Certainly, there do appear to be fundamental differences in the way that the Pechenegs were reacting to the world around them – in particular retaining a fully nomadic lifestyle rather than becoming increasingly sedentary (unlike the Magyars at the start of the 10th Century, for example), and also resisting, or at least displaying no discernable interest in, Christianity, unlike so many of their neighbours. Moreover, the fact that other sources talk of the exceptional cruelty and barbarity of these nomads provides at least some confirmation of the fact that the Pechenegs really do appear to have been more dangerous than those around them.[16]

Nonetheless, the *De Administrando*'s insistence on Pecheneg dominance of the steppe and on the need for the Byzantines to treat them as the Empire's primary allies in the region – and as the basis for military and diplomatic policy above the Black Sea – is not without its problems. In the first place, the language used in these chapters is very simple; there are no details of any note in this part of the text, with the obvious exception of chapter nine which provides a very lengthy account indeed about the route taken by the Rus' on their way to the Black Sea, highlighting precisely where ambushes could be laid;[17]

---

[14] *DAI*, ch. i, 48.
[15] *DAI*, chs. ii-v, 48-52.
[16] J. Shepard, 'The Russian steppe frontier', *Arkheion Pontou* 35 (1979), 218-37; S. Franklin and J. Shepard, *The Emergence of Rus'* (London, 1996), 176-9.
[17] *DAI*, ch. ix, 56-62.

the Emperor), and how all could be dealt with.[11] It is perhaps not surprising, given the language used at the start of the text – coupled with the ostensibly comprehensive survey of all of Byzantium's neighbours – that many scholars have seen the text as a blueprint for imperial foreign policy.[12] Some have even gone further, arguing that the *De Administrando* was a highly sensitive top-secret document that would have been enormously detrimental if it fell into non-Byzantine hands, – without considering whether in fact people like the Pechenegs could read Greek or whether the nomads could even read at all.[13]

Certainly, the first section of the text – the first twelve chapters – which are concerned with the area to the north of Constantinople and specifically to the north of the Black Sea are not hard to understand : the clear and explicit intention is for the author to explain how (and why) the Byzantines should control the steppe zone and how it should use the peoples populating it to its own advantage.

These chapters leave little doubt that the overriding concern, and indeed the basis, for Byzantine (foreign) policy in this region was the Pechenegs themselves. It was with the help of these nomads that the Empire would be able to maintain a balance of power that it was happy with and that would be favourable in the long run. Although the author does not explain why he was (and that Byzantium should be) interested in this region in the first place, it does not take much for us to read between the lines and realise that the focus on the Pechenegs had come about as a response to three specific phenomena not just on the steppes themselves but in neighbouring areas.

First, of course, the reliance on the Pechenegs was at least partly prompted by the shifting power on the steppes in the mid and late 9th Centuries, away from the Khazars and the Magyars and very much in favour of the Pechenegs, who proved themselves the dominant force in the reign of Constantine's father, Leo VI. In addition to the collapse of Khazar power were two further potential and indeed very real threats to Byzantium proper – which came in the form of the Bulgars and the Rus'. The logic here, therefore, is that there is more to the *De Administrando*'s focus on the Pechenegs and on the author's strenuous advice that "it is always greatly to the advantage of the

---

[11] *DAI*, Prooimion, 44ff.
[12] E.g. J. Bury, 'The treatise De administrando imperio', *Byzantinische Zeitschrift* 15, 517-77; Stephenson, *Frontier*, 25ff.
[13] Jenkins, *De Administrando*, 13.

like steppe diplomacy, where we are essentially reliant on this single source.

The concept and principles of steppe diplomacy as set out clearly in the first twelve chapters of the *De Administrando* – namely the manipulation of a balance of power favourable to Byzantine interests, the playing off of one against another, based on a simple policy of divide and rule – certainly strike a chord with the modern historian, and particularly with the Byzantinist familiar with the image of Byzantium as consistently projected and re-enforced from within as innately and inherently superior, able through power of reason and sheer intelligence to out-manoeuvre its enemies and rivals.[9]

The impression this had on others was not always favourable to say the least, with the fact that we can detect this in the first place going some way to confirming the view of Byzantium's self-promotion at the expense of others. It is striking, for example, that so many of the historians of the Crusades – at least those of the first four Crusades (1096-1204) – have similar reactions to Byzantium in general and to individual Emperors in particular. The various and many accounts share a common literary characterisation – which of course serves to echo contemporary political responses – of Byzantium as duplicitous and untrustworthy, always on the lookout to play off one against another, whether Crusader against Crusader, or Muslim against Crusader. And in this respect, it is important to note that it was not only outsiders who were aware of this and, for that matter, critical of it : John the Oxite, Patriarch of Antioch at the end of the 11th Century, was explicit in his attack on Constantine X Doukas, where the Emperor's readiness to setting Byzantium's neighbours against each other was roundly condemned for being not only immoral but fundamentally un-Christian.[10]

The impression of Byzantium's readiness and indeed keenness to base foreign policy on this basis is firmly enforced by the *De Administrando*, which presents itself as a utililtarian primer for Constantine's son, Romanos II. According to the Prooimion (or Preface) therefore, the purpose of the text was "in the first instance to set out what each nation (*ethnos*) has power to benefit the Romans," going on to explain how some could harm the Empire (and therefore

---

[9] *DAI*, chs. i-xiii, 48-76.

[10] P. Gautier, 'Diatribes de Jean l'Oxite contre Alexis Ier Comnène', *Revue des Etudes Byzantines* 28 (1970), 41.

from the town of Kherson in the Crimea.[4] Nonetheless, the *De Administrando* allows a clear view into a sustained Byzantine interest in the steppe to the north of the Black Sea.

In chapter 37, for example, we learn about the circumstances and (by inference) the date of a large-scale movement of Pecheneg tribesmen from an original location somewhere between the rivers Atil and Geich westwards to the Dniepr;[5] we learn about Pecheneg tribal structure and about the manner in which the Pechenegs divided territory between constituent members of the tribe.[6] We learn the names given to these territories by the Pechenegs themselves, and we also have recorded the names of several Pecheneg leaders at the time of composition of this section of the text.[7] And we learn that one element of the Pechenegs had been incorporated within the Uzes' tribal structure at some point earlier in the 9th Century and that this element had retained a distinct ethnic, as well as visual, identity in spite of this.[8]

Of course, what this chapter does not tell us is why such information was recorded in the first place. Moreover, it prompts further important questions which are no easier to answer – such as why such records were kept in Byzantium; what else was kept; how long records were kept for; how often they were updated; and where they were kept and who by – presumably Constantinople and perhaps by the logothete of the drome – though here again, the very disparate character of the information contained within the text hardly points towards a comprehensive, uniform library.

In this respect then, the primary conclusion to reach, and the obvious starting point for any survey of the *De Administrando Imperio* is to treat the text with caution, and to use it judiciously. The temptation with this source is to see it as a Holy Grail for Byzantine attitudes to its neighbours in a period where precious little is known about this topic generally, and particularly for a more specific subject

---

[4] R. Jenkins and F. Dvornik, *De Administrando Imperio – Commentary* (London, 1962); J. Howard-Johnston, 'Re-examination of the evidence of the arrival of Rus', in eds. M. Kazanski, A. Nercessian, C. Zuckerman, *Les centres proto-urbains russes entre Scandinavie, Byzance et Orient* (Paris, 2000).

[5] *DAI*, ch. xxxvii, 166. Also see M. Whittow, *The making of Orthodox Byzantium 600-1025* (London, 1996), 230-33.

[6] *DAI*, ch. xxxvii, 166-70.

[7] *DAI*, ch.xxxvii, 166.

[8] *DAI*, ch. xxxvii, 169.

some significance that, with the notable exception of Bryennios, none of those writing narrative accounts at this time appear to have had any substantial and substantive experience of affairs outside the city walls.

In this context, therefore, it should be stressed that it is not only Byzantium's relations with its neighbours that so often draws a blank in such sources. There is also precious little, if anything at all, about the Byzantine interior – about Thessaloniki, for example, or about the other major towns of the Empire. Indeed, analysis of Byzantine activity – and even issues so basic as simply assessing and establishing an imperial presence – in areas such as the north-western Balkans and by the Danube have to be pieced together from numismatic and sigillographic sources (with the resultant gaps and problems that these can pose) in the absence of comment in the narrative histories.[2]

However, information gathering clearly was happening in the Black Sea region in the 9th and 10th Centuries, and this goes some way to allowing us to understand that we should be careful not simply to rely too heavily on what the principal historians for this period tell us. Nowhere is such information gathering clearer than in a text that has come to be known as the *De Administrando Imperio,* a source compiled during the reign of Constantine VII Porphyrogenitos, ostensibly by the Emperor himself, setting out a raft of information about Byzantium's neighbours, taking in the peoples to the north of Constantinople, the Arabs (*Sarakenoi*), as well as looking at Spain, Italy, the Adriatic and the Caucasus.[3] The text is not without its problems, and it poses many questions – not least that of the date of composition or compilation – and also those that stem from an analysis that reveals that the text is made up of a very wide range of sources, such as drawing on at least one Magyar source, on a re-touched account about the Croats and Serbs that is contemporary not with Constantine VII in the mid-10th Century, but with the Emperor Heraklios at the start of the 7th, and on a chronicle otherwise unknown

---

[2] P. Stephenson, *Byzantium's Balkan Frontier* (Cambridge, 2000); P. Doimi de Frankopan, 'The numismatic evidence for the Danube region 971-1092', *BMGS* vol. 21 (1997), 30-9; id., 'The workings of the Byzantine provincial administration in the 10th-12th Centuries : the example of Preslav', *Byz.* 71 (2001), 73-97.

[3] Constantine VII, *De Administrando Imperio*, ed. G. Moravcsik and R. Jenkins (Washington, D.C, 1967).

Some notes on Byzantine foreign policy in the 9th-11th Centuries : was there really such a thing as steppe diplomacy ?

Peter Frankopan
Oxford University, England

In many respects, there are contrasting and competing views at play when we look at Byzantium's relations with its neighbours – whether in the Black Sea region or elsewhere for that matter. On the one hand, it is possible to compile a picture of Byzantine interest in its neighbours, of the Byzantines gathering information about those on its periphery, of a sensitivity and alertness to shifts in power beyond the Empire's frontiers, and of a state able and actively seeking to respond to such changes as necessary.

This contrasts sharply with the other – and in many ways the more dominant – picture which can be drawn from the historiography of the middle Byzantine period, with its relentless accent on *Romanitas* and on the superiority of Byzantium and its culture over those around it – to the point, indeed, where chroniclers fail even to record very substantial changes to the Empire's frontiers. So, for example, while we are certainly not lacking source material for third quarter of the 11th Century – with narrative accounts of Michael Psellos, Michael Attaleiates, John Skylitzes, Nikephoros Bryennios covering this period in considerable detail – it is striking to note that none of these historians discusses the growth of Norman power in southern Italy or the consequent collapse of Byzantine authority there; indeed, only one of these authors even mentions the fall of Bari in 1071 which brought to an end centuries of Byzantine power in Italy.[1]

Of course, the two competing views need not considered as being contradictory, and one could certainly make the case that the lack of interest shown by Byzantine historians to their neighbours – whether Norman, Turk, Russian or Turk – says a good deal more about who was writing in Byzantium in the 10th and 11th Centuries that it necessarily does about anything else. And one might well add here, while the fact that the historians of this period (and to the list we should add the Logothete, George the Monk and the continuator of Theophanes) were essentially based in Constantinople cannot alone explain the disinterest in the Empire's neighbours, then it is surely of

[1] George Kedrenos, *Compendium Historiarum*, ed. I. Bekker (Bonn, 1838), 720-4.

A. Papers

Contributors*

- 'Abdul – 'Aziz Ramadan, , Assistant Lecturer of Medieval History, Ain shams university, Egypt.
- Frankopan, P., Lecturer of Byzantine History, Oxford University, England.
- Hatem El-Tahawy, Lecturer of Medieval History, Zagazig university, Egypt.
- Mahasen M. Al-Wakkad, Lecturer of Islamic History, Ain Shams University, Egypt.
- Mohammed Mo'ness 'Awad, Assistant Prof. of Islamic History, Ain shams university, Egypt.
- Monferrer Sala, J. P., Professor of Semitics Studies, Cordoba University, Spain.
- Ra'fat 'Abdul – Hamid, , Prof. of Medieval History, Ain shams university, Egypt.
- Tarek M. Mohammed, , Associate Prof. of Byzantine History, Ain shams university, Egypt.
- Vaiou, M., Lecturer of Byzantine History, Oxford University, England.
- Vdovichenko, I., Associate Prof. of Byzantine Archeology, Taurida National University, Ukraine.
- Wafa' Abdullah Mazrou', Lecturer of Medieval History, Saudi Arabia Kingdom.
- Zeinab 'Abdel – Magid, , Lecturer of Medieval History, Zagazig university, Egypt.

* These names are arranged alphabetically.

Contents

I. The Arabic Part

A. Articles

B: Book Reviews

II. Non Arabic Part

A: Papers

B: Book Reviews

Journal of Medieval and Islamic History

Issued by: Seminar of Medieval and Islamic History
Ain Shams University
Abbasiya, Cairo, Egypt. Postal code 11566

- An Annual Review Interested in Medieval History, specially Byzantine and Islamic History.
- Editor-in-chief: Prof. Ishak 'Ebied
- Chairman: Prof. Mahmoud Isma'il
- Vice-Chairman: Dr. Tarek M. Muhammad
- Members: Prof. Ahmad Ramadan
  Prof. 'Alyia Al-Ganzouri
  Prof. Fathy Abou Saief
- Secretary: Mr.'Abdul Aziz Ramadan
- We accept all the papers and book reviews in Arabic, English, French, Italian and German.
- Books for review should be sent in one copy only.
- Orders may be addressed directly to the board of the Seminar on the above-mentioned address.
- All papers should be written by the computer as follow: Text's size is 12,5 x 19,5 cm.
  Text's fonts are 12 New Times Roman and 13 Simplified Arabic for the Arabic papers.
  Footnote's font is 10; Main title's font is 12 Bold.
- Correspondences: Vice-Chairman: Dr. Tarek Mansour Muhammad, on the following address: Department of History, Faculty of Arts, Ain Shams University, Abbasiya, Cairo, Egypt. Postal code 11566. Fax. 00202 - 6851432. E. mail: amrtar_eg@yahoo.co.uk or tm_jmih@hotmail.com
- The board of the *JMIH* invites you to share with us in the fourth volume, which will be issued during the academic year 2004.

Journal of Medieval and Islamic History

An Annual Review Interested in Byzantine, Medieval
and Islamic History

(JMIH)

Volume III
2003

Issued by:
Seminar of Medieval and Islamic History
Ain Shams University

Special Issue in Honor of Prof. Ali El-Ghamarawi

Journal of Medieval and Islamic History

(JMIH)

Volume 3 / 2003

An Annual Review of Medieval, Byzantine and Islamic Studies.

Issued by : Seminar of Medieval and Islamic History, Ain Shams University

